

جمع وترتيب

الدكتور سيد بن حسين العفاني

المجلد الخامس

الناشر

مكتبة الكيان

الرياض ـ العليا ـ السعودية

☎ ٠٥٠٤١٩٧٢٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

فرسان النهار

د/ سيد حسين العفاني

المجلد الخامس

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع

٢٠٠٤/١٦١٥

الناشر

بالمملكة العربية السعودية

مكتبة الكيان

الرياض ـ العُليَّا ـ السعودية

☎ ٠٥٠٤١٩٧٢٤٨

القادة الفاتحون لبلاد فارس



● هؤلاء القادة العظام صحابة رسول الله ﷺ الذين نالوا شرف الصحبة لرسول الله، وأسقطوا إلى الأبد رايةَ فارس «درفش كاويان»، وهزموا ملوك بني ساسان، وفتحوا البيت الأبيض بيت كسرى، ودانت لعزهم بلاد فارس ومملكتها.

مسلسل	القائد	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ		ملاحظات
				هـ	م	
١	القعقاع بن عمرو التميمي	١- حلوان ٢- همذان	الجبل	١٦	٦٣٧	فتحها بقواته الخفيفة. وقد ترجمنا له سابقًا
٢	جرير بن عبدالله البجلي	١- حُلوان ٢- قَرْميسين ٣- همذان	الجبل	١٦	٦٣٧	فتحها بقواته الضاربة. سبق أن ذكرنا ترجمته
٣	ضرار بن الخطاب الفِهْري	ماسَبَذان	الجبل	١٦	٦٣٧	
٤	حَرْمَلة بن مُرَيطة التميمي	١- مَنَاذِر. ٢- نهرتيرَى	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٥	سُلْمى بن القَيْن التميمي	١- مناذر ٢- نهرتِيْرَى	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٦	العلاء بن الحضرمي	أول من هاجم فارس		١٧	٦٣٨	فاتح البحرين، وجزيرة دارين، وأول من هاجم فارس
٧	حُرْقُوص بن زهير السّعدي	سوق الأهواز	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٨	جُزء بن معاوية التميمي	دَوْرَق	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٩	النعمان بن مقرن المزني	١- رَام هُرْمُز. ٢- نهاوند.	الأهواز الجبل	١-١٧هـ ٢-٢١	٦٣٨ ٦٤١	
١٠	أبو سَبْرَة بن أبي رُهم العامري	١- تُسْتَر. ٢- السُّوس. ٣- جُنْدَ يسابور	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١١	زَرُّ بن عبدالله الفقيمي	جُنْد يسابور	الأهواز	١٧	٦٣٨	

مسلسل	القائد	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ هـ	التاريخ م	ملاحظات
١٢	الربيع بن زياد الحارثي	١- بَيْروذ ٢- مناذر	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١٣	سلمة بن قيس الأشجعي	جبال الأهواز	الأهواز	١٧	٦٣٨	سبقت ترجمته
١٤	أبو موسى الأشعري	الأهواز	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١٥	حذيفة بن اليمان العَبسي	١- ماه ٢- الدِّيْنَوَر	الجبل	٢١	٦٤١	
١٦	المغيرة بن شعبة الثقفي	أرَّجان	فارس	٢٢	٦٤٢	سبقت ترجمته
١٧	السائب بن الأقرع الثقفي	١- مِهْرجان قُذَقْ ٢- الصَّيمرة	الجبل	٢١	٦٤١	
١٨	نعيم بن مقرِّن المُزني	١- هَمَذان ٢- الرّي	الجبل	٢١ إلى ٢٢	٦٤١/ ٦٤٢	
١٩	عبدالله بن عبدالله بن عِتبان الأنصاري	أصبهان	الجبل	٢١	٦٤١	سبقت ترجمته
٢٠	البراء بن عازب الأنصاري	١- أَبْهَر ٢- قزوين. ٣- جيْلان. ٤- زَنْجان.	الجبل	٢٢	٦٤٢	
٢١	سراقة بن عمرو ذو النور	باب الأبواب	أذربيجان	٢٢	٦٤٢	
٢٢	بكير بن عبدالله الليثي	١- أذربيجان ٢- موقان	أذربيجان أذربيجان	٢٢ ٢٢	٦٤٢ ٦٤٢	
٢٣	عتبة بن فرقد السلمي	أذربيجان	أذربيجان	٢٢	٦٤٢	سبق ذكره
٢٤	سُوَيْد بن مُقَرِّن المزني	١- قومس ٢- بسطام ٣- جُرجان ٤- طبرستان ٥- جبل جيلان	طبرستان طبرستان طبرستان طبرستان طبرستان	٢٢ ٢٢ ٢٢ ٢٢ ٢٢	٦٤٢ ٦٤٢ ٦٤٢ ٦٤٢ ٦٤٢	

مسلسل	القائد	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ		ملاحظات
				هـ	م	
٢٥	الأحنف بن قيس التميمي	خُراسان	خُراسان	٢٢	٦٤٢	
٢٦	سهيل بن عدي الخزرجي	كِرْمَان	كِرمان	٢٣	٦٤٣	سبقت ترجمته
٢٧	الحكم بن عُمير التغلبي	مُكران	مُكْران	٢٣	٦٤٣	
٢٨	عاصم بن عمرو التميمي	سجستان	سجستان	٢٣	٦٤٣	
٢٩	مجاشع بن مسعود السلمي	١- أردشيرخُرّه. ٢- سابور	فارس فارس	٢٣ ٢٣	٦٤٣ ٦٤٣	
٣٠	عثمان بن أبي العاص الثقفي	١- إصْطَخْر. ٢- بلاد فارس	فارس فارس	٢٣ ٢٣	٦٤٣ ٦٤٣	
٣١	الحكم بن أبي العاص الثقفي	١- جزيرة بَرْكَاوَان ٢- توج	١- بحر عُمان ٢- فارس	٢٣ ٢٣	٦٤٣ ٦٤٣	
٣٢	سارية بن زنيم الكناني	١- فَسَا ٢- دَارَا بجْرد	فارس(١)	٢٣	٦٤٣(٢)	

* * *

(١) انظر تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير.

(٢) انظر معجم البلدان، وأحسن التقاسيم، والمسالك والممالك للاصطخري، والمسالك والممالك لابن خرداذبة.



قادة فتح الجَبَل

١ـ حذيفة بن اليمان العبسي.

٢ـ النعمان بن مقرن المزني.

٣ـ نعيم بن مقرن المزني.

٤ـ البراء بن عازب الأنصاري.

٥ـ ضرار بن الخطاب الفهري.

٦ـ السائب بن الأقرع الثقفي.

٧ـ القعقاع بن عمرو التميمي.

٨ـ جرير بن عبدالله البجلي.

٩ـ عبدالله بن عبدالله بن عتبان.

* * *



(٣٧٥) الصحابي الكبير
صاحب سِرِّ رسول اللَّه ﷺ وفاتح مَاه[1] والدَّيْنَور[2]
أبو عبدالله حذيفة بن اليمان العبسي رضي الله عنه

العارف بالمحن وأحوال القلوب، والمشرف على الفتن والآفات والعيوب، السابق رتق الأيام والأزمان، أبو عبداللَّه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[3].

من نجباء أصحاب محمد ﷺ. وهو صاحب السر[4]. حليف الأنصار من أعيان المهاجرين هو أبو عبداللَّه العبسي حذيفة بن اليمان وهو حذيفة بن حِسْل ويُقال: حسين بن جابر بن أسيد بن عمرو بن مالك. ويُقال: اليمان بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث.

وكان والده «حِسل» قد أصاب دمًا في قومه، فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبدالأشهل، فسمّاه قومه «اليمان» لِحِلْفه لليمانية، وهم الأنصار.

وأمه من الأنصار من الأوس من بني عبدالأشهل، وهي الرباب بنت كعب بن عدي بن عبدالأشهل. وأخوه صفوان شهد أحدًا، ولم يشهد بدرًا، وأخته ليلى بنت اليمان أم سلمة بن ثابت بن وقش، وأخته الثانية فاطمة بنت اليمان.

وكان والده اليمان عاشر عشرة هم أول من أسلم من بني عبس.

عن إبراهيم قال: ذهب علقمة إلى الشام فأتى المسجد فصلى ركعتين فقال: اللهم ارزقني جليسًا فقعد إلى أبي الدرداء فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة،

(١) ماه: هي مدينة نهاوند، وإنما سُمِّيت بذلك، لأن حذيفة بن اليمان لما نازلها صالح أميرها الذي أسره المسلمون على الخراج والجزية وأمن أهلها على أموالهم وأنفسهم وذراريهم، وكان اسم ذلك الأمير: دينار. فسُمِّيت نهاوند يومئذ ماه دينار... انظر معجم البلدان (٣٧٥/٧).

(٢) الدينور: مدينة من أهم مدن الجبال قرب قرميسين، بينها وبين همذان نيف وعشرون فرسخًا.

(٣) انظر حلية الأولياء (٣٣٨/١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣٦١/٢).

قال: أليس فيكم صاحب السر الذي كان لا يعلمه غيره - يعني حذيفة - أليس فيكم أو كان فيكم الذي أجاره اللَّه على لسان رسول اللَّه ﷺ من الشيطان - يعني عمارًا - أو ليس فيكم صاحب السواك والوساد - يعني ابن مسعود....»[١].

وسُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن حذيفة فقال: كان أعلم الناس بالمنافقين[٢]. وقال: عَلِمَ المنافقين، وسأل عن المعضلات؛ فإن تسألوه تجدوه بها عالمًا[٣].

قال حذيفة: واللَّه إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وكان النبي ﷺ قد أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في هذه الأمة[٤].

وآخى رسول اللَّه ﷺ بينه وبين عمار بن ياسر، قاله ابن اسحاق.

- **جهاده مع النبي ﷺ:**

على الرغم من إسلام حذيفة المبكر إلا أنه لم يشهد بدرًا. ولذلك قصة:

قال حذيفة: ما منعني أن أشهد بدرا إلّا أني خرجت أنا وأبي، فأَخَذَنا كفار قريش؛ فقالوا: إنكم تريدون محمدًا! فقلنا: ما نريدُ إلا المدينة، فأخذوا العهد علينا: لننصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأخبرنا النبي ﷺ فقال: «نَفِي بعهدهم، ونستعينُ اللَّه عليهم»[٥].

وشهد حذيفة أُحُدًا هو وأبوه وأخوه صفوان بن اليمان، وقُتِل أبوه يومئذ، وشهد حذيفة الخندق وما بعد ذلك من المشاهد مع رسول اللَّه ﷺ[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٨)، والنسائي في الفضائل (١٩٤)، وأحمد (٦/٤٤٩، ٤٥١).
(٢) المستدرك (٣/٣٨١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٣٦٣).
(٤) أخرجه مسلم (٢٨٩١) في الفتن، وأحمد (٥/٣٨٨ و٤٠٧).
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٧٨) في الجهاد: باب الوفاء بالعهد، وأحمد (٥/٣٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣/٣٧٩)، والطبراني (٣٠٠٠) و(٣٠٠١).
(٦) طبقات ابن سعد (٧/٢٣٠).

- **استشهاد اليمان وخَيْرِيّة حذيفة:**

لما خرج النبي ﷺ إلى «أحد» رفع حِسل بن جابر وثابت بن وقش إلى الآكام مع النساء والصبيان وكانا شيخين كبيرين ـ فقال أحدهما للآخر:

«لا أبالك! ما ننتظر؟! إنا نحن هامة[1] اليوم أو غد»، فلحقا بالمسلمين ليرزقا الشهادة؛ فلما دخلا في الناس قتل المشركون ثابت بن وقش الأنصاري والتقت أسياف المسلمين على حِسل والد حذيفة، فنادى حذيفة: «أبى ... أبى...» فقتلوه وهم لا يعرفونه، فقال حذيفة: «يغفر اللَّه لكم» وتصدَّق بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول اللَّه ﷺ.

عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: **«لما كان يوم أحد هُزِم المشركون هزيمة بيِّنة فصاح إبليس: أيْ عباد اللَّه أُخراكم فرجعت أولاهم على أخراهم فاجتلدت مع أُخراهم فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه فنادى:**

أي عِباد الله... أبي... أبي... فقالت: فواللَّه ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: غفر اللَّه لكم.

قال عروة: فواللَّه ما زالت في حذيفة منها بقية خير حتى لقي اللَّه ﷻ[2].

- **في غزوة الخندق كان حذيفة عينًا للنبي على الأحزاب:**

لله در حذيفة بن اليمان... لقد تبوأ عند النبي ﷺ منزلة عظيمة جعلته موضع ثقته في أحلك الظروف:

وقصة حذيفة كانت عند اشتداد الحصار على المسلمين بالخندق، وتمالأت عليهم الطوائف، فانتدب النبي ﷺ من يأتيه بخبر قريش فانتدب له حذيفة.

قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبداللَّه أرأيتم رسول اللَّه ﷺ

---

(١) هامة: جثة هامدة.

(٢) رواه البخاري (٣٧٢٤).

وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: واللَّه لقد كنا نجهد. قال فقال: واللَّه لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي واللَّه لقد رأيتنا مع رسول اللَّه ﷺ بالخندق، وصلى رسول اللَّه ﷺ هويًّا من الليل ثم التفت إلينا فقال:

«من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ـ يشرط له رسول اللَّه ﷺ الرجعة ـ أسأل اللَّه ـ تَعَالَى ـ أن يكون رفيقي في الجنة؟» فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول اللَّه ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال: «يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحْدِثَنَّ شيئًا حتى تأتينا» قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود اللَّه تفعل بهم ما تفعل لا تُقرّ لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناءً فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ مَن جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: مَن أنت؟ قال: فلان بن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم واللَّه ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة وبَلَغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا إني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فواللَّه ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول اللَّه ﷺ إليّ «أن لا تحدث شيئًا حتى تأتيني» ثم شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول اللَّه ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مراجل[1]، فلما رآني أدخلني إلى رجليْه وطرح عليّ طرف المرط ثم ركع وسجد وإني لفيه، فلمَّا سلَّم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم»[2].

---

(١) قال ابن هشام: المراجل ضرب من وشْي اليمن.
(٢) حسن: سيرة ابن هشام (٣/٢٣١).

فانظر رحمك اللَّه إلى قمة الانضباط متمثلة في أبي عبداللَّه حذيفة، وكان يستطيع قتل أبي سفيان فلم يفعل امتثالًا لأمر رسول اللَّه ﷺ، ليُسلم أبو سفيان بعد ذلك ويحسن إسلامه.

كان الواجب الذي أنجزه حذيفة دليلًا على ذكائه الخارق وشجاعته النادرة وحسن تصرفه في معالجة الأمور.

- **جهاده بعد رسول اللَّه ﷺ:**

جاهد بطلنا بعد رسول اللَّه ﷺ، فشهد معركة اليرموك، «وكتبوا بفتح اليرموك معه إلى عمر بن الخطاب»[١].

وشهد حذيفة القادسية تحت لواء سعد بن أبي وقاص[٢]، وشهد معه معارك الفتح الأخرى إلى معركة فتح «المدائن»، وشهد فتح «الجزيرة» ونزل «نصيبين».

- **حذيفة بن اليمان قائد مجنبتيْ الجيش في معركة نهاوند، وقائد المسلمين بعد مقتل النعمان بن مقرِّن:**

كتب عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن يأمره بنهاوند فسار، وكتب عمر إلى عبداللَّه بن عبداللَّه بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان كذا وكذا ويجتمعوا عليه بماه «نهاوند» فكان أسرعهم إلى ذلك الروادف ليبلوا في الدين وليدركوا حظًا، فخرج الناس منها وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن[٣]، أي «كان حذيفة على رأس أهل الكوفة في هذا الجيش»[٤].

وتقدّم عمر إلى الجند الذين كانوا بالأهواز ليشغلوا فارسًا عن المسلمين وعليهم المقترب، وحرملة، وزر، فأقاموا بتخوم أصبهان وفارس وقطعوا أمداد فارس عن

---

(١) تاريخ دمشق (٢٥٩/١٢، ٢٦١).
(٢) تاريخ الطبري (١٦/٣).
(٣) الكامل (٤١٤/٢).
(٤) الطبري (٢١٣/٣).

أهل نهاوند، واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة بن اليمان، وابن عمر، وجرير بن عبداللَّه البجلي، والمغيرة بن شعبة وغيرهم[١].

«وكتب عمر إلى النعمان بتوليته الجيش، وقال: إن أُصِبْت فالأمير حذيفة بن اليمان، فإن أصيب فجرير بن عبداللَّه البجلي، فإن أصيب فالمغيرة بن شعبة، فإن أصيب فالأشعث بن قيس»[٢].

وعبىء[٣] النعمان أصحابه وهم ثلاثون ألفًا، فجعل على مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان، وسويد بن مقرن، وعلى المجررة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود[٤].

وجعل النعمان يحرض جنوده ويُمنّيهم الظفر وقال لهم: إني مكبر ثلاثًا، فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء اللَّه فاحملوا وإن قُتِلت فالأمير بعدي حذيفة، فإن قُتِل ففلان حتى عدّ سبعة آخرهم المغيرة، ثم قال: اللهم اعزز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك» فبكى الناس، واقتتلوا قتالًا شديدًا لم يسمع المسلمون بوقعة كانت أشد منها، وقتل النعمان شهيدًا زلق به فرسه فصرع[٥].

ولما قُتِل النعمان سجّاه أخوه نعيم بثوب، وأخذ الراية قبل أن تقع وناولها حذيفة، فأخذها وتقدم إلى موضع النعمان وترك نعيمًا مكانه، وقال لهم المغيرة: «اكتموا مصاب أميركم حتى ننتظر ما يصنع اللَّه فينا وفيهم لئلا يهن الناس»، فاقتتلوا، فلما أظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا ولزمهم المسلمون وعمي عليهم قصدهم فتركوه، وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا نزلوا دونه باسبيذهان

---

(١) الكامل (٢/٤١٤).
(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص (٣٠٠).
(٣) عبأ.
(٤) الكامل (٢/٤١٥).
(٥) الكامل (٢/٤١٦، ٤١٧).

فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعض في قياد واحد فيُقتلون جميعًا وجعل يعقرهم حسك الحديد فمات منهم في اللهب مئة ألف أو يزيدون سوى مَن قُتِل في المعركة. وقُتِل في المعركة ثلاثون ألفًا سِوَى مَن قُتِل في الطلب، ولم يفلت إلا الشريد، ونجا الفيرزان من بين الصرعى، فهرب نحو «همذان» في ذلك الشريد فأتبعه نعيم بن مقرن، وقدّم القعقاع أمامه فأدركه بثنية همذان وهي إذْ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلًا، فحبسه الدواب على أجله، فلما لم يجد طريقًا نزل عن دابته وصعد في الجبل فتبعه القعقاع راجلًا فأدركه فقتله المسلمون على الثنية وقالوا: «إن لله جنودًا من عسل»(١).

● **لله در رجال حذيفة.. لله درّ سماك بن عبيد العبسي:**

«لما هزم الجيش الأعاجم وظهر المسلمون وحذيفة يومئذ على الناس حاصر نهاوند فكان أهلها يخرجون فيقاتلون وهزمهم المسلمون، ثم إن سماك بن عبيد العبسي اتبع رجلًا منهم ذات يوم ومعه ثمانية فوارس فجعل لا يبرز إليه رجل منهم إلا قتله حتى لم يبق غير الرجل وحده فاستسلم وألقى سلاحه فأخذه أسيرًا، فتكلم بالفارسية فدعى له سماك برجل يفهم كلامه فترجمه فإذا هو يقول: اذهب إلى أميركم حتى أصالحه عن هذه الأرض وأؤدي إليه الجزية وأعطيك على أسري إيّاي ما شئت فإنك قد مننت عليّ إذْ لم تقتلني. فقال له: وما أسمك؟ قال: دينار، فانطلق به إلى حذيفة فصالحه على الخراج والجزية وآمن أهل مدينة نهاوند على أموالهم وحيطانهم ومنازلهم فسُميت نهاوند ماه دينار وكان دينار يأتي بعد ذلك سماكًا ويهدي إليه بيره»(٢).

ودخل حذيفة ومعه المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة سنة ٢١هـ واحتووا ما فيها من الأمتعة وغيرها وما حولها من الأسلاب والأثاث وأتى الهربذ صاحب

---

(١) الكامل (٤١٧/٢).

(٢) فتوح البلدان ص (٣٠٣).

بيت النار على أمان فأبلغ حذيفة فقال: أتؤمنني ومَنْ شئت على أن أخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان؟

قال: نعم، فأحضر جوهرًا نفيسًا في سفطين فأرسلهما مع الأخماس إلى عمر، وكان حذيفة قد نفل منها، وأرسل الباقي مع السائب بن الأقرع الثقفي - وكان كاتبًا حاسبًا - أرسله عمر إليهم وقال: إن فتح اللَّه عليكم فاقسم على المسلمين فيأهم، وخُذ الخمس، وإن هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الأرض خير من ظهرها.

قال السائب: فلما فتح اللَّه على المسلمين وأحضر الفارسي السفطيْن اللذيْن أودعهما عنده النخيرجان فإذا فيهما اللؤلؤ، والزبرجد، والياقوت، فلما فرغت من القسمة احتملتهما معي وقدمت على عمر، فقال: أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجندك قال: ففعلت وخرجتُ سريعًا إلى الكوفة وبات عمر، فلما أصبح بعث في أثري رسولًا، فما أدركني حتى دخلتُ الكوفة فأنختُ بعيري وأناخ بعيره على عرقوبي بعيري فقال: الحق بأمير المؤمنبن فقد بعثنى في طلبك، فلم أقدر عليك إلا الآن.

قال: فركبت معه فقدمت على عمر فلما رآني قال: إليّ، ما ليَ وللسائب.

قلتُ: ولماذا؟ قال: ويحك واللَّه ما هو إلا أن نمتُ الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني إلى ذنيك السفطيْن يشتعلان نارًا فيقولون: لنكوينّك بهما، فأقول: إني سأقسمها بين المسلمين، فخذهما عني لا أبالك والحق بهما فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم.

قال: فخرجتُ بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة وغشيني التجار فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألفي ألف درهم، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف فما زال أكثر أهل الكوفة مالًا بعد. وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الرجل ألفيْن.

وكان المسلمون يسمّون فتح نهاوند «فتح الفتوح» لأنه لم يكن للفرس بعده

اجتماع ومَلك المسلمون بلادهم[١].

● **حذيفة الفاتح:**

قال الذهبي: «وحذيفة هو الذي ندبه رسول اللَّه ﷺ ليلة الأحزاب ليجُسَّ له خبر العدو. وعلى يده فُتِح الدِّيْنَوَر عَنْوَة»[٢].

وقال البلاذري «قال الزهري: لما هزم اللَّه المشركين بنهاوند رجع الناس إلى أمصارهم وبقي أهل الكوفة مع حذيفة فغزا أذربيجان فصالحوه على مئة ألف[٣].

وقال زيد بن وهب: لما هزم اللَّه المشركين بنهاوند رجع أهل الحجاز إلى حجازهم وأهل البصرة إلى بصرتهم. وأقام حذيفة بنهاوند في أهل الكوفة فغزا أذربيجان فصالحوه على ثمان مئة ألف درهم»[٤].

«قال خليفة: قال أبو عبيدة: مضى حذيفة بن اليمان يعني سنة اثنتين وعشرين - بعد نهاوند إلى مدينة نهاوند فصالحه دينار على ثمان مئة ألف درهم في كل سنة، وغزا حذيفة مدينة الدِّيْنور فافتتحها عنوة وقد كانت فُتِحت لسعد ثم انتقضت، ثم غزا حذيفة «ماسبذان»[٥] فافتتحها عنوة، وقد كانت فُتحت لسعد ثم انتقضت.

قال خليفة: ثم غزا الريّ فافتتحها عنوة، ولم تكن فُتحت قبل، وإليها انتهت فتوح حذيفة»[٦].

قال اللواء محمود شيت خطاب: «فتح حذيفة «الدينور» و«الري»[٧]، كما فتح «أذربيجان» إذ كان قائدًا عامًّا على أهل الكوفة والبصرة، فأرسل قادته لفتح هذه

---

(١) الكامل (٢/٤١٧- ٤١٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٦٤).

(٣) فتوح البلدان ص (٣٢٢).

(٤) المصدر السابق ص (٣٢٣).

(٥) مدينة عظيمة في قبلة همذان، بينهما ثلاثة أيام.

(٦) تاريخ خليفة ص (١٥٠)، وتاريخ دمشق (١٢/٢٨٧).

(٧) الري: مدينة مشهورة وهي قصبة بلاد الجبال.

البلاد، ففتح «الدينور» أبو موسى الأشعري، وفتح «الرِيّ» نعيم بن مقرن المزني، وفتح «أذربيجان» عتبة بن فرقد السلمي، وبكير بن عبدالله الليثي، ثم عاد حذيفة إلى الكوفة[١] حيث ولّاه عمر بن الخطاب على ما سقت دجلة»[٢].

وفي أيام الخليفة ذي النورين عثمان بن عفان تولى حذيفة قيادة أهل «الكوفة» في معارك «أرمينية»، فغزا تلك المناطق ثلاث غزوات، وكان مشتبكًا بالعدو في الغزوة الثالثة حين جاءه نبأ مقتل عثمان رضي الله عنه[٣]، وكان حذيفة قد شهد معارك «باب الأبواب»[٤] مددا لعبدالرحمن بن ربيعة الباهلي[٥].

- **أمير «المدائن» الزاهد حذيفة بن اليمان:**

قال طلحة: قدم حذيفة المدائن على حمار سادلًا رجليه، وبيده عَرْق ورغيف[٦] قال محمد بن سيرين: كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملًا كتب في عهده: أن اسمعوا له، وأطيعوا ما عدل فيكم، قال: فلما استعمل حذيفة على المدائن كتب في عهده: أن اسمعوا له وأطيعوا، وأعطوه ما سألكم، قال: فخرج حذيفة من عند عمر على حمار موكف، وعلى الحمار زاده فلما قدم المدائن استقبله أهل الأرض والدهاقين، وبيده رغيف وعَرْق من لحم على حمار على إكاف قال: فقرأ عهده عليهم. فقالوا: سلنا ما شئت. قال: أسألكم طعامًا آكله وعَلف حماري هذا ما دمت فيكم، مرتين. قال: فقام فيهم ما شاء اللَّه ـ تَعَالَى ـ ثم كتب إليه عمر: أَن أقدِم، قال: فلما بلغ عمر قدومه كَمَن له على الطريق في مكان لا يراه فلما رآه عمر على الحالة التي خرج من عنده عليها أتاه فأكرمه وقال: أنت

---

(١) الطبري (٣/٢٢٩).
(٢) الطبري (٣/٢٢٣).
(٣) الطبري (٣/٣٥٣).
(٤) باب الأبواب: ميناء كبير على بحر الخزر.
(٥) الكامل لابن الأثير.
(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٣١٧)، وحلية الأولياء (١/٢٧٧)، وسير أعلام النبلاء (٢/٣٦٦).

أخي وأنا أخوك(١).

هذا الصحابي النجيب الزاهد تمنى عمر رضي الله عنه رجالًا مثله، فعن أسلم أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى أن تكون ملء هذه الدار دراهم فأنفقها في سبيل الله عز وجل، فقال عمر: تَمَنَّوْا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبًا فأنفقه في سبيل الله عز وجل، فقال عمر: تمنوا، فقال آخر: أتمنى أن تكون ملء هذا البيت جواهر فأنفقها في سبيل الله عز وجل، فقال عمر: تمنوا، فقالوا: ما نتمنى بعد هذا؟ فقال عمر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالًا مثل أبي عبيدة ابن الجراح ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان أستعملهم في طاعة الله عز وجل(٢).

حذيفة بن اليمان العبد الصالح المبارك الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم وقال له «**غفر الله لك ولأمك**»(٣).

حذيفة الصحابي المبارك الذي أشار على عثمان رضي الله عنه فجمع القرآن وهو الذي كتب إلى عمر لما رأى أن طقس «المدائن» أثر على صحة العرب أبناء الصحراء: «إن العرب قد رقت بطونها، وجفت أعضائها، وتغيرت ألوانها»، فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص: «أرسل سليمان الفارسي، وحذيفة رائديْن، فليرتادا منزلًا بريًا بحريًا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر» فأرسلهما سعد، فاختارا موضع الكوفة.

حذيفة المبارك الذي قال لما حضره الموت: حبيب جاء على فاقة؛ لا أفلح من ندم أليس بعدي ما أعلم الحمد لله الذي سبق بي الفتنة! قادتها وعلوجها(٤). وجعل يقول: «أعوذ بالله من صباح إلى النار»(٥) لما نزل بهذا العبد النجيب الصالح الموت جعل يقول: «هذه آخر ساعة من الدنيا، اللهم إنك تعلم أني أحبك، فبارك

---

(١) تاريخ دمشق (٢٨٦/١٢).

(٢) تاريخ دمشق (٢٨٥/١٢).

(٣) حسن: جزء من حديث حسن رواه النسائي في «فضائل الصحابة» (١٩٣) عن حذيفة بن اليمان.

(٤) تاريخ دمشق (٢٩٧/١٢)، وسير أعلام النبلاء (٣٦٨/٢).

(٥) تاريخ دمشق (٢٩٦/١٢).

لي في لقائك»[١].

وقال في مرض موته: اللهم إنك تعلم لولا أني أرى هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، لم أتكلم بما أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أختار الفقر على الغنى، وأختار الذلة على العزّ، وأختار الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم»[٢] وقال: «مرحبًا بالموت وأهلًا، مرحبًا بحبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم، اللهم إني لم أحب الدنيا لحفر الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لسهر الليل، وظمأ الهواجر، وكثرة الركوع والسجود والذكر لله ﷻ كثيرًا، والجهاد في سبيله، ومزاحمة العلماء بالركب[٣].

- **حذيفة القائد:**

«كان حذيفة كاتم سرّ رسول اللَّه ﷺ في حياته، وبتعبير آخر، كان ضابط استخبارات الرسول ﷺ في حياته، اختاره دون غيره من بين أصحابه، لتمتعه بمزايا الكتمان الشديد فلا يفشي سرّه لأحد، وبحضور البديهة، فلا يرتبك عند الشدائد، وبتقديره العميق لأهمية صيانة المعلومات فلا يفشي نياته لبشر، وبالذكاء الخارق، وبموهبة حب الاستطلاع هذه المزايا كلها هي مزايا ضابط الاستخبارات المثالي، وقد كان لها أثر في حياته كلها: كلما وجد «خبرًا» يؤثر في مصير الإسلام والمسلمين أخبر به المسئولين فورًا، وقد رأيت كيف أخبر عمر عندما وجد وخومة الجو تؤثر على صحة العرب، فكان حذيفة عاملًا من عوامل بناء الكوفة والبصرة وقد رأيت كيف أخبر عثمان بن عفان عن اختلاف المسلمين في قراءات القرآن، فجمع عثمان المسلمين على مصحف واحد.

وهذه المزايا بالذات برزت في قيادة حذيفة، فلم يورِّط جيوشه في معارك دون

---

(١) المصدر السابق (٢٩٧/١٢).
(٢) تاريخ دمشق (٢٩٨/١٢).
(٣) المصدر السابق (٢٩٩/١٢).

أن يتبين موطئ قدمه، وذلك بالحصول على المعلومات عن العدو وعن طبيعة الأرض، وبذلك كانت خططه العسكرية مبنية دائمًا على معلومات دقيقة صحيحة، وكانت نتائجها دائمًا في صالح المسلمين»[1].

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الفاتح العظيم، والصحابي النجيب، صاحب سرّ رسول اللَّه ﷺ وأعلم الأمة بالمنافقين والفتن، الأمير الزاهد فاتح البلاد الشاسعة ماه، والدينور، وأذربيجان والري أبي عبداللَّه حذيفة بن اليمان العبسي.

* * *

(١) قادة فتح بلاد فارس ص (١١٦).

(٣٧٦) الصحابي الشهيد والقائد مجاب الدعوة
أبو حكيم النعمان بن مُقرِّن المُزني
فاتح رام هرمز[(١)]
وشهيد معركة «نهاوند» «فتح الفتوح»

أبو حكيم؛ وقيل أبو عمرو المزني؛ صاحب رسول اللَّه ﷺ النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ المزني.

قال الذهبي: «وكان مجاب الدعوة»[(٢)].

- **بيت مقرن من بيوت الإيمان:**

قال عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه: «إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا، وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرن»[(٣)].

لقد كان أبناء مقرن عشرة، كلهم أسلم وصحبوا النبي ﷺ وليس ذلك لأحد من العرب غيرهم، وكانوا من جلة الصحابة وهم:

١ـ النعمان بن مقرن صاحب الترجمة. ٢ـ نعيم. ٣ـ عبدالله. ٤ـ سنان.
٥ـ سويد. ٦ـ عبدالرحمن. ٧ـ عقيل. ٨ـ معقل. ٩ـ مرضي[(٤)].
١٠ـ وضرار[(٥)]. وهم من مزينة مضر.

---

(١) رام هرمز: لفظة مركبة معناها مقصود هرمز أو مراد هرمز. فمعنى رام بالفارسية: المراد والمقصود، وهرمز: أحد الأكاسرة. وهذه المدينة مدينة مشهورة بنواحي «خوزستان».
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٥٧).
(٣) أسد الغابة (٥/٣٢٤).
(٤) كان يحسن الكتابة، وهو الذي كتب وثيقة الصلح مع أهل الباب.
(٥) أمّره خالد عند حصار الحيرة.. انظر الطبري (٢/٥٦٤). وانظر تراجم الإخوة العشرة في الإصابة.

- **إسلامه:**

كان أول من وفد على رسول اللّه ﷺ من مضر، أربع مئة فارس من مزينة، وذلك في رجب سنة خمس(١) على رأسهم النعمان ومعه إخوته.

- **جهاده:**

أول مشاهد النعمان وإخوته الخندق، وشهد مع النبي ﷺ غزواته بعد الخندق(٢). وكان معه لواء مزينة يوم فتح مكة(٣) وقد شهد الفتح من مزينة ألف وثلاثة نفر(٤) أي عُشر قوات المسلمين يوم الفتح.

- **جهاده بعد النبي:**

(أ) ثبت النعمان ومعه قومه بعد موت النبي ﷺ على إسلامه، وكان له ولإخوته أثر بالغ وعظيم في قتال المرتدين.

وحين ظن المرتدون من عبس وذبيان ـ ومن انضم إليهم من بني كنانة وغطفان وفزارة ـ الوهن بالمسلمين في المدينة، بات الصدّيق ليلة يتهيأ، فعَبّأ الناس ثم خرج في الثلث الأخير من الليل، وعلى ميمنته النعمان وعلى ميسرته أخوه عبداللّه وعلى الساقة أخوه سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلا وهُم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين همسًا ولا حسًا حتى وضعوا فيهم السيوف قبل شروق الشمس، ولم تشرق الشمس حتى هزم المشركون وذلوا، وطاردهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة ووضع فيها حامية من المسلمين بقيادة النعمان وعاد إلى المدينة(٥).

وبعد عودة أسامة بن زيد إلى المدينة استخلفه أبو بكر على المدينة وجنده معه

---

(١) الطبقات الكبرى (٢٢٢/١).
(٢) الطبقات (٩٦/٦).
(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٣٥٦/٢)، والإصابة (٣٥٧/٦).
(٤) سيرة ابن هشام (٤٢/٤).
(٥) الطبري (٤٧٨/٢).

ليستريحوا ثم خرج أبو بكر بنفسه لقتال المرتدين من عبس وبني بكر وذبيان في منطقة «الربذة» وكان على ميمنته النعمان، وناشد المسلمون الصديق ليقيم فأبى وقال «لأواسينكم بنفسي» وسار الصديق بجيشه إلى ذي حسي وذي القصة حتى نزل الأبرق فقاتل من به، فهزم اللَّه المشركين، وأخذ الحطيئة أسيرا، فطارت عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر بالأبرق أيامًا وغلب على بني ذبيان وبلادهم وحماها لدوابّ المسلمين وصدقاتهم، ولما انهزمت عبس وذبيان رجعوا إلى طلحة وهو ببزاخة، وعاد أبو بكر إلى المدينة بعد أن طهر شمال وشمال شرقي المدينة من المرتدين(١).

ب ـ في القادسية:

أرسل سعد بن أبي وقاص وفدًا إلى يزدجرد ملك الفرس عملًا بوصية عمر رضي الله عنه «لا يكربنك ما يأتيك عنهم، واستعن بالله، وتوكل عليه، وابعث إليه رجالًا من أهل المناظرة، والرأي، والجلد يدعونه فإن اللَّه جاعل دعاءهم توهينًا لهم».
أرسل سعد نفرًا منهم: النعمان بن مقرن، وبُسْر بن أبي رُهم، وحملة بن جُوية، وحنظلة بن الربيع، وفرات بن حيان، وعديّ بن سهيل وعطارد بن حاجب، والمغيرة بن زرارة بن النباش الأسدي، والأشعث بن قيس، والحارث بن حسان، وعاصم بن عمرو، وعمرو بن معديكرب، والمغيرة بن شعبة، والمعنى بن حارثة إلى يزدجرد دعاة، فخرجوا من العسكر فقدموا على يزدجرد، وطووارشيم، واستأذنوا على يزدجرد فحُبسوا وأحضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع بهم ويقوله لهم، واجتمع الناس ينظرون إليهم وتحتهم خيول كلها صهال، وعليهم البرود وبأيديهم السياط فأذن لهم وأحضر الترجمان، وقال له: سَلْهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوغ ببلادنا؟ أمِن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟ فقال النعمان بن مقرن لأصحابه: إن شئتم تكلمتُ عنكم ومن شاء آثرته.

---

(١) الطبري (٢/٤٧٩)، والكامل (٢/٢٠٧).

فقالوا: بل تكلم. فقال: «إن اللَّه رحمنا فأرسل إلينا رسولًا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع قبيلة إلّا وقارّبَه منها فرقة، وتباعد عنه بها فرقة، ثم أمر أن نبتدئ إلى من خالفه من العرب فبدأنا بهم فدخلوا معه على وجهين، مكره عليه فاغتبط، وطائع فازداد، فعرفنا جميعًا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمرنا أن نبتدئ مَن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حَسّن الحسن وقبّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شرٌّ منه: الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب اللَّه وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإنْ بذلتم الجزاء قبلنا، ومنعناكم وإلّا قاتلناكم».

فتكلم يزدجرد فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددًا ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قوى الضواحي فيكفونا أمركم لا تغزوكم فارس ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس فإن كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتًا إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم، وكسوناكم وملَّكنا عليكم ملكًا يرفق بكم.

وبعد أن تكلم رجال الوفد قال يزدجرد: لولا أن الرُّسُل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي ثم استدعى بوقر[1] من تراب. فقال: احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن، فقام عاصم بن عمر وأخذ التراب وحمله على عنقه، وركب راحلته حتى أتى هو والوفد سعد، فقال عاصم لسعد: «أبشر، فواللَّه لقد أعطانا اللَّه أقاليد ملكهم».

ولقد أثر هذا اللقاء في يزدجرد أشد تأثير فقال لرستم ومن حضر عنده من ساباط «ما كنت أرى أن في العرب مثل هؤلاء، ما أنتم بأحسن جوابًا منهم، ولقد

(١) الوِقْر: الحِمْل الثقيل.

صدقني القوم لقد وُعِدُوا أمرًا ليدركنه أو ليموتن عليه»[١].

وكانت معركة القادسية وفيها أبلى النعمان بلاءً حسن، ونصر اللَّه جنده وأعزّ دينه.

- **النعمان الفاتح لرام هرمز بالأهواز سنة ١٧ هـ:**

كان فتح رامهرمز، وتُسْتَر، والسوس في سنة سبع عشرة.

وكان سبب الفتح أن يزدجرد لم يزل وهو بمرو يثير أهل فارس أسفًا على ما خرج من ملكهم فتحركوا وتكاتبوا هم وأهل الأهواز وتعاقدوا على النُّصرة فجاءت الأخبار إلى عمر، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز جندًا كثيفًا مع النعمان بن مقرِّن وعجِّل، فلينزلوا بإزاء الهرمزان ويتحققوا أمره»، وكتب إلى أبي موسى أن ابعث إلى الأهواز جندًا كثيفًا وأمر عليهم سهل بن عدي أخا سهيل، وابعث معه البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور، وعرفجة بن هرثمة وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعًا أبو سبرة بن أبي رُهم.

وخرج النعمان بن مقرِّن في أهل الكوفة فسار إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، فخلّف حرقوصًا، وسلمى، وحرملة وسار نحو الهرمزان وهو برامْهُرمز، فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره بالشدّة ورجا أن يقتطعه ومعه أهل فارس فالتقى النعمان والهرمزان فاقتتلوا قتالًا شديدًا، ثم إن اللَّه ﷻ هزم الهرمزان فترك رام هرمز ولحق بتُستر، وسار النعمان إلى رامهرمز ونزلها، وصعد إلى إيذج[٢]، فصالحه تيرويه على «إيذج» ورجع إلى رامهرمز فأقام بها، ووصل أهل البصرة فنزلوا سوق الأهواز وهم يريدون رامهرمز فأتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الأهواز، وأتاهم الخبر أن الهرمزان قد لحق بتستر فساروا نحوه، وسار النعمان أيضًا، وسار حرقوص،

---

(١) الكامل (٢/٣٠٥، ٣٠٦).

(٢) كورة وبلد بين خوزستان وأصفهان.

وسلمى، وحرملة، وجزء فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس، والجبال، والأهواز في الخنادق، وأمدهم عمر بأبي موسى وجعله على أهل البصرة، وعلى الجميع أبو سبرة، فحاصروهم أشهرًا وأكثروا فيهم القتل حتى كان النصر، وسلّم الهرمزان نفسه للمسلمين على أن يقرِّر مصيره عمر بن الخطاب بنفسه[١].

وخرج أبو سبرة لمطاردة المنهزمين إلى مدينة «السوس»[٢] وبها شهريار أخو الهرمزان وكان مع أبي سبرة النعمان بن مقرن على أهل الكوفة، وأبو موسى الأشعري، وبقي النعمان محاصر (السوس) حتى جاء أمر عمر إلى النعمان بالمُضي إلى «نهاوند»، فناوشهم القتال قبل مسيره، فصاح أهلها بالمسلمين وناوشوهم وغاظوهم، وكان صاف بن صياد مع المسلمين في خيل النعمان فأتى صاف باب السوس فدقّه برجله فقال: انفتح بظار وهو غضبان فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق، وتفتحت الأبواب، ودخل المسلمون، وألقى المشركون بأيديهم، ونادوا الصلح الصلح، فأجابهم المسلمون إلى ذلك بعدما دخلوها عنوة، واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح، ثم افترقوا، فسار النعمان إلى نهاوند، وسار المقترب حتى نزل على «جنديسابور» مع زر[٣].

ج - في نهاوند «فتح الفتوح» سنة ٢١هـ أقرّ اللَّه عين النعمان بالفتح وختم له بالشهادة:

«وهي وقعة عظيمة جدًا لها شأن رفيع ونبأ عجيب، وكان المسلمون يسمونها «فتح الفتوح». وكان الذي هاج هذه الوقعة أن المسلمين لما افتتحوا الأهواز، ومنعوا جيش العلاء من أيديهم، واستولوا على دار الملك القديم من إِصْطَخْر مع ما حازوا

---

(١) الكامل (٢/٣٨٩-٣٩٠).

(٢) بلدة بخوزستان.

(٣) الكامل (٢/٣٩٢-٣٩٣).

من دار مملكتهم حديثًا، وهي المدائن، وأخذوا تلك المدائن والأقاليم والكُور والبلدان الكثيرة، فحَمُوا عند ذلك، واستجاشهم يَزْدَجِرد الذي تقهقر من بلدٍ إلى بلد حتى صار إلى أصبهان مبعدًا طريدًا، لكنه في أسرة من قومه وأهله وماله، فكتب إلى ناحية نهاوند وما والاها من الجبال والبلدان فتجمّعوا وتراسلوا حتى كمل لهم من الجنود ما لم يجتمع لهم قبل ذلك.

والمقصود أن أهل فارس اجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند، وحتى اجتمع منهم مئة ألف وخمسون ألف مقاتل، وعليهم الفَيْرُزان، ويُقال: بُنْدار.

ويُقال: ذو الحاجب، وتذامروا فيما بينهم وقالوا: إن محمدًا الذي جاء العرب لم يتعرّض لبلادنا، ولا أبو بكر الذي قام بعده تعرّض لنا في دار ملكنا، وإن عمر بن الخطاب هذا لمّا طال ملكه انتهك حرمتنا وأخذ بلادنا، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا في عقر دارنا، وأخذ بيت المملكة، وليس بمُنتهٍ حتى يخرجكم من بلادكم، فتعاهدوا وتعاقدوا على أن يقصدوا البصرة والكوفة ثم يشغلوا عمر عن بلاده، وتواثقوا من أنفسهم، وكتبوا بذلك عليهم كتابًا، وكتب سعد بذلك إلى عمر، وجاء كتاب عبداللّه بن عبداللّه بن عتبان من الكوفة إلى عمر مع قريب بن ظَفْر العبدي بأنهم قد اجتمعوا، وهم متحرقون متذامرون على الإسلام وأهله وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن نقصدهم فنعاجلهم عمّا همّوا به وعزموا عليه من المسير إلى بلادنا. فقال عمر لحامل الكتاب: ما اسمك؟ قال: قريب. قال: ابن مَنْ؟ قال: ابن ظفر. فتفاءل عمر بذلك، وقال: ظَفَر قريب. ثم أمر فنودي: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس، وكان أول من دخل المسجد لذلك سعد بن أبي وقّاص، فتفاءل عمر أيضًا بسعد، فصعد عمر المنبر حتى اجتمع الناس فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، ألا وإني قد هممت بأمر فاسمعوا وأجيبوا وأوجزوا، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، إني قد رأيت أن أسير بمن قبلي حتى أنزل منزلًا وسطًا بين هذيْن المصرَيْن فأستنفر الناس، ثم أكون لهم ردءًا حتى يفتح اللّه عليهم. فقام عثمان

وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف في رجال من أهل الرأي، واتفق رأيهم على أن لا يسير من المدينة ولكن يبعث البعوث ويحضرهم برأيه ودعائه. ثم قال عمر: أشيروا عليَّ بمن أُوَلِّيه أمر الحرب، وليكن عراقيًا. فقالوا: أنت أبصر بجندك يا أمير المؤمنين. فقال: أما واللَّه لأولّين رجلًا يكون أوّل الأسنة إذا لقيها غدًا. فقالوا: من يا أمير المؤمنين؟ قال: النعمان بن مقرن. فقالوا: هو لها[1].

وكان النعمان قد كتب إلى عمر وهو نائب له على كَسْكَر[2]، وسأله أن يعزله عنها، لأنه لا يريد أن يكون جابيًا ويريد أن يكون غازيًا. وكتب عمر إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بجنود منها، وكتب إلى أبي موسى أن يسير بجنود البصرة، وكتب إلى النعمان ـ وكان بالبصرة ـ أن يسير بمن هنالك من الجنود إلى نهاوند، وإذا اجتمع الناس فكُلٌّ أميرٌ على جيشه، والأمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن.

كتب عمر إلى والي الكوفة يأمره أن يستنفر ثلثي الناس ويبقى ثلثهم[3]، وكتب عمر إلى كافة قادة القوات: «إذا التقيتم فأميركم النعمان بن مقرن المزني»[4]، كما كتب إلى أمراء الأجناد في الأهواز: أن يشاغلوا أهل فارس عن إخوانهم، وأراد بذلك أن يقطع الإمدادات الفارسية عن أهل نهاوند من جهة، ويشاغل القوات الفارسية في جبهات متعددة ليضعفها وليضرب ضربته الحاسمة في نهاوند.

وأرسل عمر رضي الله عنه كتابًا إلى النعمان جاء فيه: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، من عبداللَّه عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن، سلامٌ عليك، فإني أحمد إليك اللَّه الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنه قد بلغني أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا

---

(١) البداية والنهاية (١٠/١١١- ١١٦)، والكامل (٢/٤١١- ٤١٤).
(٢) كسكر: كورة كبيرة واسعة قصبتها مدينة واسط التي بين الكوفة والبصرة.
(٣) فتوح البلدان ص (٣٠٠).
(٤) تاريخ الطبري (٣/٢٠٦).

لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فسِرْ بأمر اللَّه وبعون اللَّه وبنصر الله، وبمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وَعْرًا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقّهم فتُكْفِرَهم، ولا تُدخلهم غَيْضة [١]، فإن رجلًا من المسلمين أحب إليّ من مئة ألف دينار، والسلام عليك، فسِرْ في وجهك ذلك حتى تأتي ماه، فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يُوافوك بها، فإذا اجتمع إليك جنودك فسِرْ إلى الفيرُزان ومن يجتمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستنصروا الله، وأكثروا من لا حول ولا قوة إلا بالله [٢].

وأرسل النعمان جماعات استطلاعية لمعرفة أخبار الفرس: طليحة وعمرو بن معديكرب الزبيدي، وعمرو بن أبي سلمى، ويُقال له: عمرو بن ثُبَيّ ليكشفوا خبر القوم وما هم عليه فسار طليحة ولم يحفل برجوع صاحِبَيْه حتى اِنتهى إلى نهاوند، ودخل في العجم وعَلِم من أخبارهم ما أحبّ، ثم رجع إلى النعمان فأخبره بذلك، وأنه ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه.

فسار النعمان على تعبئته وعلى المقدمة نعيم بن مقرن، وعلى المُجَنِّبتَيْن حذيفة وسوْيد بن مقرن [٣]، وعلى المجرَّدَة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود، حتى انتهوا إلى الفرس وعليهم الفيرزان، ومعه من الجيش كل من غاب عن القادسية في تلك الأيام المتقدمة، وهو في مئة وخمسين ألفًا. فلما تراءا الجمْعان كبّر النعمان وكبّر المسلمون ثلاث تكبيرات، فزُلزلت الأعاجم ورُعِبوا من ذلك رُعْبًا شديدًا، ثم أمر النعمان بحطِّ الأثقال وهو واقف، فحطّ الناس أثقالهم، وتركوا رجالهم، وضربوا خيامهم وقِبابهم، وضرب فسطاط للنعمان عظيم، وكان الذين ضربوا أربعة عشر من أشراف الجيش، وهم حذيفة بن اليمان، وعُقبة بن عمرو،

---

(١) الغيضة: الأجمة، وهي مغيض ماء يجتمع فيه الشجر.
(٢) تاريخ الطبري (٣/٢٥٣).
(٣) عند البلاذري ص (٣٠٢): على ميمنته الأشعث بن قيس الكندي، وعلى ميسرته المغيرة بن شعبة.

والمغيرة بن شعبة، وبَشير بن الخصاصية، وحنظلة الكاتب، وابن الهَوْبَر، وربعي بن عامر، وعامِر بن مطر، وجرير بن عبدالله الحِمْيَرِي، وجرير بن عبدالله البَجَلي، والأقرع بن عبدالله الحَمْيري، والأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهَمْداني، فلم ير بالعراق خيمة عظيمة أعظم من بناء هذه الخيمة. وحين حطُّوا الأثقال أمر النعمان بالقتال. وكان يوم الأربعاء، فاقتتلوا ذلك اليوم والذي بعده والحرب سِجال، فلما كان يوم الجمعة انحجزوا في حصنهم، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله، والأعاجم يخرجون إذا أرادوا ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا. وقد بعث أمير الفرس يطلب رجلًا من المسلمين ليكلمه، فذهب إليه المغيرة بن شعبه، فذكر من عظمة من رآه عليه في لبسه ومجلسه، وفيما خاطبه به من الكلام في احتقار العرب واستهانته بهم، وأنهم كانوا أطول الناس جوعًا، وأقلهم دارًا وقدْرا، وقال: ما يَمْنع هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنُّشَّاب إلا تَنجُّسًا مِن جيفكم، فإن تذهبوا نُخَلِّ عنكم، وإن تأبَوْا نُزِركم مصارعكم، قال: فتشهَّدت وحمدت الله، وقلت: لقد كنا أسوأ حالًا مما ذكرت، حتى بعث اللَّه رسوله فوعدنا النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة، وما زلنا نتعرّف من ربنا النصر منذ بعث اللَّه رسوله إلينا، وقد جئناكم في بلادكم، وإنا لن نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على بلادكم وما في أيديكم، أو نُقتل بأرضكم. فقال: أما واللَّه إن الأعور لقد صدقكم ما في نفسه[١] فلما طال على المسلمين هذا الحال واستمرّ، جمع النعمان بن مقرن أهل الرأي من الجيش، واشتَوَرُوا في ذلك، وكيف يكون من أمرهم حتى يتواجهوا هم والمشركون في صعيد واحد. فتكلم عمرو بن أبي سُلْمَى أولًا ـ وهو أَسَنُّ من كان هناك ـ فقال: إن بقاءهم على ما هم عليه أضرّ عليهم من الذي يطلبه منهم وأبقى على المسلمين. فردّ الجميع عليه وقالوا: إنا لعلى يقين من إظهار ديننا، وانجاز موعود اللَّه لنا. وتكلم عمرو بن معديكرب فقال:

---

(١) البداية والنهاية (١٠/١١٩- ١٢٠).

ناهِدْهم وكاثِرْهم ولا تَخَفْهم. فردُّوا جميعًا عليه وقالوا: إنما يُناطح بنا الجدران، والجدران أعوان لهم علينا.

وتكلم طليحة الأسَدِي فقال: إنهما لم يُصيبا وإني أرى أن تبعث سرية فتُحْدِق بهم ويُنَاوشوهم بالقتال ويحْمِشُوهم، فإذا برزوا إليهم فليَفِرُّوا إلينا هِرَابًا بين أيديهم، فإذا استطردوا وراءهم وانتهوا إلينا، عزمنا أيضًا على الفِرار كلنا، فإنهم حينئذ لا يشكون في الهزيمة، فيخرجون من حصونهم عن بكرة أبيهم، فإذا تكامل خروجهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضي اللَّه بيننا فاستجاد الناس هذا الرأي.

وأمَّر النعمان على المجردة القعقاع بن عمرو، وأمرهم أن يذهبوا إلى البلد فيحاصروهم وحدهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم، ففعل القعقاع ذلك، فلما برزوا من حصونهم نكص القعقاع بمن معه، ثم نكص، ثم نكص، فاغتنمها الأعاجم، ففعلوا ما ظنّ طليحة، وقالوا: هي هي. فخرجوا بأجمعهم ولم يبق بالبلد من المقاتلة إلّا من يحفظ لهم الأبواب، حتى إنتهوا إلى الجيش، والنعمان بن مقرن على تعبئته، وذلك في صدر نهار جمعة، فعزم الناس على مصادمتهم فنهاهم النعمان وأمرهم أن لا يقاتلوا حتى تزول الشمس، وتهُبَّ الأرواح، وينزل النصر، كما كان رسول اللَّه ﷺ يفعل، وعهد النعمان إلى الناس عهده وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي، وأقبل المشركون عليهم وعلى مجنبتهم الزردق، و«بهمن جاذويه» الذي جعل مكان ذي الحاجب[1]، يرمون المسلمين حتى أفشوا فيهم الجراح، وشكا بعض الناس ذلك إلى بعض وقالوا للنعمان: ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر بهم؟ ائذن للناس في قتالهم، فقال رويدًا رويدًا، وكان النعمان رجلا مكيثًا ثابتًا والحرب لا يصلح لقيادتها إلا مثله - وركب النعمان فرسه، وسار في الناس ووقف عند كل راية يذكّرهم ويحرضهم ويمنيّهم الظفر، وقال لهم: إني مكبّر ثلاثًا فإذا كبّرت فإني حامل إن

(١) قرن الفرس بعضهم بعضا كل سبعة في قران، وألقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا.

شاء اللَّه فاحملوا، وإن قُتِلتُ فالأمير بعدي حذيفة، فإن قُتِل ففلان حتى عدّ سبعة آخرهم المغيرة. ثم قال: اللهم أعزز دينك، وأنصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك.

وفي رواية أخرى: قال: اللهم إني أسألك أن تقرّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عزّ الإسلام، واقبضني شهيدًا.

فبكى الناس ورجع إلى موقفه فكبر ثلاثًا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال، وحمل النعمان والناس معه، وانقضت رايته انقضاض العقاب، والنعمان معلّم ببياض القباء والقلنسوة فاقتتلوا قتالًا شديدًا لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشد منها، وما كان يُسمع إلا وقع الحديد، وصبر لهم المسلمون صبرًا عظيمًا، وقُتِل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتلى ما طبّق وجه الأرض دمًا، بحيث أن الدواب كانت تطبع فيه، حتى أن النعمان زلق به حصانه في ذلك الدم فوقع وجاءه سهم في خاصرته فقتله، ولم يشعر به أحد سوى أخيه سُوَيْد، وقيل: نُعَيم، فغطّاه بثوبه، وأخفى موته، ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان، فأقام حذيفة أخاه نعيمًا مكانه، وأمر بكتم موته حتى ينفصل الحال، لئلا يُهزم الناس. فلما أظلم الناس انهزم المشركين مدبرين وتبعَهم المسلمون ـ وكان الكفار قد قرّنوا منهم ثلاثين ألفًا بالسلاسل وحفروا حولهم خندقًا، فلما انهزموا وقعوا في الخندق في تلك الأودية نحو مئة ألف، وجعلوا يتساقطون في أودية بلادهم، فهلك منهم بشر كثير نحو مئة ألف أو يزيدون، سوى من قُتِل في المعركة، ولم يفلت منهم إلا الشريد، وكان الفيرُزان أميرهم قد صُرِع في المعركة فانفلت وانهزم، وأتبعه نعيم بن مقرن، وقدّم القعقاع بين يدْيه، وقصد الفيرزان همذان، فلحقه القعقاع وأدركه عند ثنية همذان، فتوقّل[1] في الجبل، فأتبعه القعقاع حتى قتله[2] وانتصر المسلمون نصرًا

(١) توقل في الجبل يقل ويتوقّل: صعّد فيه.

(٢) البداية والنهاية (١٠/١٢٠- ١٢٢).

عزيزًا غاليًا.

وكان ما كان من دخول حذيفة نهاوند عَنوة وتم فتح نهاوند. وبعثوا بالأخماس والسَّبْي مع السائب بن الأقرع، وأرسل قبله بالفتح مع طريق بن سهم. ثم قسم حذيفة بقية الغنيمة في الغانمين، ورضَخ ونفل لذوي النَّجدات، وقسم لمن كان قد أرصد من الجيوش لحفظ ظهور المسلمين من ورائهم، ومن كان رِدْءًا لهم، ومنسوبًا إليهم.

وأما أمير المؤمنين فإنه كان يدعو اللَّه ليلًا ونهارًا لهم، دُعاء الحوامِل المُقربات، وابتهال ذوي الضرورات، وقد استبطأ الخبر عنهم، وأن الناس كانوا مما يرون من استنصاره، ليس همهم إلا نهاوند وابن مقرن، فجاء إليهم أعرابي مهاجر، فلما بلغ البقيع، قال: ما أتاكم عن نهاوند؟

قالوا: وما ذاك؟ قال: لا شيء. فأرسل إليه عمر، فأتاه، فقال: أقبلت بأهلي مهاجرًا حتى وردنا مكان كذا وكذا، فلما صدرنا إذا نحن براكب على جمل أحمر ما رأيت مثله، فقلتُ: يا عبدالله، من أين أقبلت؟ قال: من العراق. قلتُ: ما خبر الناس؟ قال: اقتتل الناس بنهاوند، ففتحها الله، وقُتِل ابن مقرن، واللَّه ما أدري أيّ الناس هو؟ ولا ما نهاوند؟ فقال: أتدري أيّ يوم ذاك من الجمعة؟ قال: لا. قال عمر: لكني أدري! عُدّ منازلك. قال: نزلنا مكان كذا، ثم ارتحلنا، فنزلنا منزل كذا، حتى عدّ. فقال عمر: ذاك يوم كذا وكذا من الجُمُعة، لعلك تكونُ لقيت بريدًا من بُرد الجنّ، فإن لهم بردًا. فلبث ما لبث، ثم جاء البشير بأنهم التقوا ذلك اليوم[(١)].

ثم قدم طريف بالفتح بعد ذلك بأيام، وليس معه سوى الفتح، وقدم السائب بالأخماس فأخبر بالأمر على جليّته. ولما أُخبر عمر بمقتل النعمان وضع يده على رأسه وبكى، وخرج إلى الناس، فنعاه على المنبر إلى المسلمين وبكى[(٢)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٣٥٧) ورجاله ثقات.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٥٧)، وأسد الغابة (٥/٣٢٤)، وفي الكامل: (٢/٤١٨): قال عمر: إنا لله=

وسأل عمر السائب عمن قُتِل من المسلمين فقال: فلان وفلان وفلان لأعيان الناس وأشرافهم. ثم قال: وآخرون من أَفنَادِ الناس ممن لا يعرفهم أمير المؤمنين. فجعل عمر يبكي ويقول: وما ضرّهم أن لا يعرفهم أمير المؤمنين! لكن اللَّه يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة، وما يصنعون بمعرفة عمر[١].

قال الشعبي: وحصل للفارس من أصل الغنيمة ستة آلاف، وللراجل ألفان، ونال كل فارس أربعة آلاف درهم من ثمن السفطيْن وكان المسلمون ثلاثين ألفًا[٢].

قال الشعبي: لما قُدِم بسبي نهاوند إلى المدينة، جعل أبو لؤلؤة فيروز غِلام المغيرة ابن شعبة ـ لا يلْقى منهم صغيرًا إلا مسح على رأسه وبكى، وقال: أكل عمر كبدي. وكان أصل أبي لؤلؤة من نهاوند.

قالوا: ولم تقم للأعاجم بعد هذه الوقعة قائمة، وألحق عمر الذين أبلوْا فيها في ألفيْن تشريفًا لهم وإظهارًا لشأنهم.

لما تمّ الظفر للمسلمين في نهاية يوم الفتح جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم أخوه معقل: **«هذا أميركم، قد أقرّ اللَّه عينه بالفتح وختم له بالشهادة»**[٣].

يقول الحافظ ابن كثير عن النعمان بن مقرن: «أمير وقعة نهاوند، صحابي جليل القدر... فتح اللَّه على يديه فتحًا عظيمًا... ومكّن اللَّه له في تلك البلاد، ومكّنه من رقاب أولئك العباد، ومكّن به للمسلمين هنالك إلى يوم التناد، ومنحه النصر في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأتاح له بعد ما أراه ما أحبّ شهادة عظيمة، وذلك

= وإنا إليه راجعون ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه.

(١) البداية والنهاية (١٠/١٢٤).

(٢) البداية والنهاية (١٠/١٢٥).

(٣) الكامل (٢/٤١٧).

غاية المراد، فكان ممن قال اللَّه ـ تَعَالَى ـ في حقه في كتابه المبين وهو صراطه المستقيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١](١).

- **النعمان القائد:**

«كان النعمان جنديًا بمعنى الكلمة، يفضِّل دائمًا أن يكون غازيًا في الصفوف الأمامية في ساحات القتال على أن يكون «واليًا» في المدن العامرة متنعمًا في المنازل والقصور.

وكان فارسًا مقدامًا لا يعرف التردد والفرار، مكيثًا غير متسرِّع إلا لانتهاز فرصة سانحة، ومن الواضح من سير أعماله أنه كان يقدر الموقف العسكري بكل دقة ويعد كافة متطلبات المعركة قبل الإقدام على زجّ رجاله في المعركة.

وكان دائمًا في الصفوف الأمامية بين جنوده ليضرب لهم مثالًا شخصيًا يحتذى به في الشجاعة والإقدام.

وكان يمتاز بمحاولته الحصول على أخبار عدوّه قبل الحركة وفي أثنائها، وقبل نشوب القتال وفي أثنائه، وكان لا يتحرك إلا على تعبية كاملة حتى يحول دون مباغتة العدو لقواته وإيقاع الخسائر بهم بدون مبرر.

وكان كثير الاستشارة لذوي الرأي من رجاله، فلا يقدم على عمل قبل أن يأخذ آراءهم ويستمع إلى مناقشاتهم حتى يتوصل إلى الفكرة المعقولة فيعمل بها، ذلك لأنه كان يحرص على مصير كل جندي من جنوده أكثر مما يحرص على مصيره هو!!

---

(١) البداية والنهاية (١٠/١٤٩).. دار عالم الكتب.

لقد كان مثالًا للقائد الذي يضحي بنفسه في سبيل مصلحة رجاله. قال أخوه معقل بن مقرن المزني: «أتيت النعمان وبه رمق، فغسلت وجهه من إدواة[١] ماء كانت معي، فقال: مَن أنت؟ قلت: معقل! قال: ما صنع المسلمون؟ قلت: أبشر بفتح اللَّه ونصره، قال: الحمد لله.. اكتبوا إلى عمر[٢].

هذا هو القائد الذي لم يفكر في نفسه حتى في ساعة احتضاره بل فكّر في المصلحة العامة للمسلمين، فلما اطمأن إلى أنها بخير، أسلم روحه قرير البال مرتاح الضمير ... هذا هو القائد!...

يذكر التاريخ للنعمان بلاءه المجيد في حروب خورستان، وأخيرًا توّج نهاية حياته بفتح «نهاوند» من أعظم وأكبر مدن فارس حينذاك.. وتوّج حياته بنهاية مشرفة هي أكبر من فتح نهاوند ومن كل فتح بالشهادة»[٣].

***

(١) إدواة: المطهرة، جمعها: الأداوي بوزن المطايا.

(٢) البلاذري ص (٣٠١).

(٣) «قادة فتح بلاد فارس» ص (١٠٦- ١٠٧).

(٣٧٧) الصحابي القائد
نعيم بن مقرّن المزني رضي الله عنه
قائد المقدمة في معركة نهاوند وفاتح منطقتي همذان والرّيّ

قدم نعيم بن مقرن مع أخيه النعمان بن مقرن وإخوته على رأس أربع مئة فارس من مزينة على النبي ﷺ فأسلم وأسلموا في شهر رجب من السنة الخامسة من الهجرة، وشهدوا مع الرسول ﷺ غزوة الخندق وبقية الغزوات التي تلتها. ونال نعيم شرف الصحبة والجهاد تحت لواء رسول اللَّه ﷺ القائد.

- **جهاده بعد النبي ﷺ:**

كان لنعيم بن مقرن وأخوه النعمان بن مقرن وإخوته الدور العظيم في قتال المرتدين فقاتل تحت لواء الصديق، وقاتل تحت لواء خالد بن الوليد، ولواء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأبلى في المعارك أعظم البلاء، فكتب عمر بن الخطاب إلى عبداللَّه بن عبداللَّه بن عتبان والي الكوفة «استنفر من أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا، فإني قد كتبت إليه بالتوجه من الأهواز إلى «ماه» فليوافوه بها، وليسر بها إلى «نهاوند»، وقد أمّرت عليهم حذيفة بن اليمان، فإن حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرّن»[1].

- **قائد المقدمة للجيش الفاتح لنهاوند:**

حينما سار الأمير النعمان بن مقرن وعبأ جيشه لخوض معركة فتح نهاوند كان البطل نعيم بن مقرن على المقدمة. وخاض نعيم المعركة وقاتل قتال الأبطال، فلما استشهد النعمان تناول نعيم الراية من يد أخيه قبل أن تسقط، وسجّى النعمان بثوب، وأتى حذيفة بن اليمان بالراية فدفعها إليه[2]. وكتم خبر استشهاد أخيه عن

---

(١) الطبري (٢١٣/٣).
(٢) الطبري (٢١٧/٣).

الجيش حتى لا يؤثر على معنويات الجيش في أحرج أوقات القتال.

وحين أقبل الليل وانتشر ظلامه، انهزم الفرس، وصرع الفيرزان فولى هاربًا مهزومًا، فأتبعه نعيم بن مقرن، وقدّم القعقاع بين يديه، وقصد الفيرزان همذان، فلحقه القعقاع عند ثنية همذان، فصعد في الجبل، فأتبعه القعقاع حتى قتله، وأذهب اللَّه غيظ قلب نعيم وشفى صدره بفتح الفتوح في نهاوند.

نعيم بن مقرن الفاتح

- **فتح همذان:**

لما فرّ المشركون بعد هزيمتهم في نهاوند إلى همذان وتبعهم المسلمون في أثرهم وعلى رأسهم نعيم بن مقرن وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، فنزل المسلمون على همذان، وأخذوا ما حولها، فلما رأى ذلك «خسروشنوم» استأمنهم، فصالحه عليها، على أن يدفع الجزية للمسلمين.

- **فتح همذان مرة ثانية سنة ٢٢هـ:**

لما أعاد الفرس حشد قوّاتهم في «الري» شجع ذلك أهل «همذان» فكفر أهلها مع خسروشنوم، ونقضوا صلحهم مع المسلمين. وبلغت عمر بن الخطاب أنباءهم، فأمر نعيم بن مقرن أن يسير إليها وأن يدخلها عنوة عقابًا لأهلها حتى لا يعودوا لمثلها أبدا. وقال عمر في كتاب توليته القيادة لنعيم: «فإن فتح اللَّه على يديك همذان فإلى ما وراء ذلك في وجهك ذلك إلى خراسان»[١].

وخرج نعيم بن مقرن على تعبية إلى همذان فاستولى على بلادها جميعًا وحاصرها فلما رأى أهلها ذلك سألوا الصلح بعد أن تولاهم الرعب، فصالحهم وقبل منهم الجزية على المنعة[٢].

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٢٢٢).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣/٢٢٩)، والكامل (٢/٤٢٥).

- **النصر العظيم في «واج روذ»[(١)] يعدل النصر في «نهاوند» سنة ٢٢هـ:**

بينما نعيم بهمذان في اثني عشر ألفًا من الجند كاتب أهل الديلم وعلى رأسهم أميرهم «موتا»، وأهل الري وعلى رأسهم «الزينبي»[(٢)] أبو الفرخان، وأهل أذربيجان بقيادة «اسفنديار» أخورستم.. كاتب بعضهم البعض، فاجتمعوا وتحصن منهم أمراء المسالح وبعثوا إلى نعيم بالخبر فاستخلف يزيد بن قيس الهمداني وخرج إليهم نعيم فأقتتلوا بواج روذ قتالاً عظيمًا شديدًا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تكن دونها فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقُتل منهم مقتلة كبيرة لا يُحصَوْن.

وقيل: إن المغيرة بن شعبة وهو عامل على الكوفة أرسل جرير بن عبداللَّه إلى همذان فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم فقال: «أحتسبها عند اللَّه الذي زيّن بها وجهي ونوّر لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله، ثم فتحها على مثل صلح نهاوند، وغلب على أرضها قسرًا، وقيل: كان فتحها على يد المغيرة بنفسه، وكان جرير على مقدمته، وقيل: فتحها قرظة بن كعب الأنصاري[(٣)].

قال بطلنا في فتح «واج روذ»:

فلما أتاني أن «مُوتا» ورهطه ... بنى باسل جرّوا جنود الأعَاجِمِ
نهضتُ إليهم بالجنود مساميًا ... لأمنع منهم ذمتي بالقواصم
فجئنا إليهم بالحديد كأننا ... جبال تراءَى من فروع القلاسم[(٤)]
فلما لقيناهم بها مستفيضة ... وقد جعلوا يسمون فعل المساهم
صدمناهم في «واج روذ» بجمعنا ... غداة رميناهم بإحدى العظائِمِ
فما صبروا في حومة الموت ساعة ... لحدِّ الرماح والسيوف الصوارم
كأنهم عند انبثات جموعهم ... جدار تشظّى لبنه للهوادِمِ

---

(١) «واج روذ» موضع بين همذان وقزوين.
(٢) الاسم الفارسي هو «الزنبدي» أو «الزبندي».
(٣) الكامل (٢/٤٢٥- ٤٢٦)، والطبري (٣/٢٣٠)، والبلاذري ص (٣٠٦).
(٤) القلاسم: الجبال.

أصبنا بها (موتا) ومَن لفّ جمعه وفيها نهاب قسمة غير غانم
تبعناهُم حتى أووْا في شعابهم نقتِّلهُمُ قتل الكلاب الجواجِم[(١)]
كأنهم في «واج روذ» وجوههم ضئين[(٢)] أصابتها فروج المخارِم[(٣)(٤)]

- **فتح الرَّيّ[(٥)] على يد البطل نعيم بن مقرِّن لله درّه:**

أمر عمر بن الخطاب نُعيمًا بقصد الريّ وقتال من بها والمقام بها بعد فتحها. فانصرف نعيم من «واج روز» حتى قدم الريّ، وخرج الزينبي أبو الفرخان من الرَّيّ فلقي نعيمًا طالبًا الصلح ومسالمًا له ومخالفًا لملك الريّ وهو سياوخش بن مرهان ابن بهرام جوبين، فاستمد سياوخش أهل دُنْباوند، وطبرستان، وقومس، وجرجان فأمدوه خوفًا من المسلمين، فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري إلى جنب مدينتها فاقتتلوا به، وكان الزينبي قال لنعيم: إن القوم كثير وأنت في قلة فابعث معي خيلًا أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت فإنهم إذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلًا من الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم الزينبي المدينة ولا يشعر القوم، وَبيّتهم نعيم بياتًا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا، وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم، فانهزموا فقُتِلوا مقتلة عدوًا بالقصب فيها، وأفاء اللَّه على المسلمين بالريّ نحوًا من في «المدائن» وصالحهم الزينبي على الريّ، ومَرْزبه[(٦)] عليهم نعيم فلم يزل شرف الري في أهل الزينبي، وأخرب نعيم مدينتهم وهي التي يُقال لها «العتيقة»، وأمر الزينبي فبنى مدينة الري الحديثة، وكتب نعيم إلى عمر بالفتح وأنفذ الأخماس، وكان البشير

---

(١) الجواجم: السائبة.

(٢) ضئين: جمع ضأن.

(٣) المخارم: جمع مخرم. وهو الأبرق.

(٤) تاريخ الطبري (٣/٢٣٠- ٢٣١).

(٥) الرَّي: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن بفارس، بينها وبين نيسابور مئة وستون فرسخًا.

(٦) أي جعله عليهم مرزبانا.

المضارب العجلي، وأرسله المصمغان في الصلح على شيء يفتدى به منه على «دنباوند» فأجابه إلى ذلك.

وقد قيل: إن فتح الريّ كان على يد قريظة بن كعب الأنصاري[١].

ولما كانت الري ملتقى تجارة واسعة تُجلب من الشرق والغرب، لذلك كان نصر المسلمين في الري نصرًا حاسمًا جعل المدن والأقاليم القريبة منها تسرع للصلح وأداء الجزية:

فتح سويد بن مقرن أخو نعيم «قومس»[٢] سلمًا، وصالح نعيم أهل «دنباوند»[٣] كما ذكرنا، وبفتح الري وتسليم هاتين المدينتين الكبيرتين لم يبق بين المسلمين وبين شواطئ بحر قزوين من أرض فارس غير «جرجان» وطبرستان وأذربيجان، وقد سلّمت جرجان وطبرستان لسُويد بن مقرن صلحًا. كما فتح المسلمون أذربيجان بعد مناوشات لا ترقى لدرجة الحرب.

- **نُعيم القائد:**

«لم يكن نعيم يحرص على تولي القيادة، بل تولّاها لكفاءته ومزاياه، خاصة وأن عمر كان لا يولي أحدًا قيادة الرجال إلا إذا كانت له مزايا خاصةً ترشحه لمثل هذا المنصب الرفيع ـ فقد أشار عليه عثمان بن عفان مرة بتولية رجل من المسلمين قيادة جيش من جيوشهم، فأجاب عمر: «أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رامٍ بالنبل، ولكن أخشى ألا يكون له معرفة بتدبير الحرب» لقد كان نعيم جنديًا ممتازًا وقائدًا ممتازًا.

---

(١) الكامل (٢/٤٢٧).

(٢) قومس: كورة كبيرة واسعة تشتمل على قرى ومدن، وهي في ذيل جبال طبرستان.

(٣) دنباوند: جبل من نواحي الري.. وينص صلح «دنباوند» على: «ألا يغار على أرضهم، وألا يدخل عليهم بغير إذنهم ما وفوا بعهدهم، على أن يدفعوا جزية مقدارها مئتا ألف درهم كل عام بن الطبري (٣/٢٣٢).

كان جنديًا ممتازًا، لأنه كان جنديًا عقائديًا ذا عقيدة راسخة ومعنويات عالية وضبط قوي وتدريب راق على الفروسية واستعمال السيف والرمح والنبل.

وكان قائدًا ممتازًا، لأنه كان يتمتع بموهبة فَذّة لإعطاء القرارات السريعة الصحيحة في أحرج الظروف، يتحلى بشجاعة شخصية نادرة وإرادة قوية ثابتة.

وعند تطبيق أعماله العسكرية على مبادئ الحرب، يتضح لنا بجلاء حرصه الشديد على (اختيار مقصده وإدامته). كل معاركه «تعرضية»، يتحيّن الفرص (لمباغتة) أعدائه في الوقت والمكان المناسبين بالأسلوب المناسب، ويحرص على انجاز «تحشيد قواته» كما يحرص على «أمنها»، ويبذل قصارى جهده من أجل «تعاونها» كقوة موحدة في المعركة الدائرة ومع قوات المسلمين الأخرى في الجبهات الأخرى، كما كان يعمل على «إدامة معنويات» جيشه، ويؤمن لقواته كافة «أمورها الإدارية».

وسيذكر التاريخ للصحابي الجليل القائد الفاتح نعيم بن مقرن جهاده تحت لواء الرسول القائد، وموقف المشرف في حروب الردة، وبلاءه في معارك فتح العراق، وفي معركة «نهاوند»، وفتحه «همذان» و«الري» و«دنباوند»[1] .. رضي الله عنه، وأسكنه الفردوس الأعلى هو وإخوته الأبطال الميامين.

* * *

(١) قادة فتح بلاد فارس ص (١٢٨- ١٢٩).

(٣٧٨) الصحابي المحدِّث الفقيه راعي الإبل القائد
البراء بن عازب الخزرجي(١)
فاتح «أبْهَر» و«قَزْوين» و«جيلان» و«زَنجان»

هو الفقيه الكبير أبو عمارة البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جُثيم بن مجدعة بن الحارث بن الخزرج. من أعيان الصحابة. وأبوه من قدماء الأنصار، وأمه حبيبة بنت أبي حبيبة بن الحباب بن أنس الخزرجية.

• **إسلامه وجهاده مع النبي ﷺ:**

أسلم البراء وهو دون العاشرة قبل هجرة النبي ﷺ.

قال البراء: ما قدم علينا رسول اللَّه ﷺ، حتى قرأتُ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، في سور من المفصل(٢).

ردّه النبي لصغر سنه يوم بدر. قال البراء: استصغرني رسول اللَّه ﷺ يوم بدر أنا وابن عمر، فردنا فلم نشهدها(٣).

وروى أبو داود الطيالسي في مسنده بسنده عن البراء رضي الله عنه قال: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر.

ورواه عبدالرحمن بن عوسجة عن البراء نحوه، وزاد: وشهدت أحدًا. والأولى قول من قال أنه لم يشهدها وأن أول مشاهده يوم الخندق.

فقد «أجاز رسول اللَّه ﷺ، البراء بن عازب يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة

---

(١) انظر ترجمته طبقات ابن سعد (٤/٢٦٩)، الإصابة (١/٤١١) ت (٦١٨)، وأسد الغابة (١/٣٦٢) ت (٣٨٩)، وسير أعلام النبلاء (٣/١٩٤).

(٢) الطبقات الكبرى (٤/٢٧٢).

(٣) رجاله رجال الصحيح: قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/١١١) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

سنة ولم يُجز قبلها»[١].

ونال البراء شرف الجهاد تحت لواء الرسول ﷺ القائد:

قال البراء: غزوت مع رسول اللّٰه ﷺ خمس عشرة غزوة[٢].

- **جهاده بعد النبي ﷺ:**

شارك البراء في جهاد المرتدين، والظاهر أن البراء كان مع مجاهدي العراق لأنه فتح بعض بلاد فارس، وهي من فتوحات مجاهدي العراق.

وشهد مع أبي موسى الأشعري فتح تستر[٣].

قال ابن حجر: «وهو الذي افتتح الري سنة أربع وعشرين في قول «أبي عمرو الشيباني وخالفه غيره»[٤].

وأول ما ورد ذكر البراء قائدا: هو قيادته لمعارك تعبوية في فتح «دشتبي الرازي»[٥] فقد بعث حذيفة سلمة بن عمرو بن ضرار الضبي ويُقال البراء بن عازب فأناخ على حصن الفرخان بن الزينبدي والعرب تسميه الزينبي وكان يدعى عارين فصالحه ابن الزينبي بعد قتال على أن يكونوا ذمة يؤدون الجزية والخراج وأعطاه عن أهل الري وقومس خمس مئة ألف على أن لا يقتل منهم أحدًا ولا يسببه ولا يهدم لهم بيت ناري. وأن يكونوا أسوة أهل نهاوند في خراجهم، وصالحه أيضًا عن أهل «دستبي الرازي» وكانت قسمين: قسمًا رازيًا وقسمًا همذانيًا».

---

(١) الطبقات الكبرى (٢٧٢/٤). وقال ابن الأثير في أسد الغابة (٣٦٢/١): «وأول مشاهده أحد، وقيل الخندق.

(٢) قال ابن حجر في الإصابة (٤١١/١): إسناده صحيح، رواه ابن سعد في طبقاته (٢٧٢/٤).

(٣) الإصابة (٤١٢/١).

(٤) الإصابة (٤١٢/١)، (٣٦٢/١).

(٥) دستبي الرازي: كورة كبيرة واسعة كانت مقسمة بين الري وهمذان، فقسم منها يسمى «دستبي الرازي» وهو يقارب التسعين قرية، وقسم منها يسمى «دستب همذان» وهو عدة قرى.

- **الفاتح لأبهر(١) وقزوين(٢) وجيلان(٣) وزنجان(٤):**

لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة ولي جرير بن عبداللَّه همذان، وولي البراء بن عازب قزوين، وأمره أن يسير إليها فإن فتحها اللَّه على يده غزا الدَّيْلم منها، وإنما كان مغزاهم قبل ذلك من دستبي، فسار البراء ومعه حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى «أبهر» فقام على حصنها وهو حصن بناه بعض الأعاجم على عيون سدّها بجلود البقر والصوف واتخذ عليها دكة ثم أنشأ الحصن عليها، فقاتلوه، ثم طلبوا الأمان فآمنهم على مثل ما آمن عليه حذيفة أهل نهاوند وصالحهم على ذلك وغلب على أراضي «أبهر».

ثم غزا أهل «حصن قزوين»، فلما بلغهم قَصْد المسلمين لهم وجّهوا إلى الديالمة يسألونهم نصرتهم، فوعدوهم أن يفعلوا وحلّ البراء والمسلمون بعقوتهم فخرجوا لقتالهم، والديلميون وقوف على الجبل لا يمدون إلى المسلمين يدًا، فلما رأوا ذلك طلبوا الصلح، فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر، فأنفوا من الجزية وأظهروا الإسلام، فقيل: أنهم نزلوا على مثل ما نزل عليه أساورة البصرة من الإسلام على أن يكونوا مع من شاءوا، فنزلوا الكوفة وحالفوا زهرة بن حوية فسموا حمراء الديلم. وقيل: أنهم أسلموا وأقاموا بمكانهم وصارت أرضم عشرية، فرتب البراء معهم خمس مئة رجل من المسلمين معهم طليحة بن خويلد الأسدي، وأقطعهم أرضين لا حقّ فيها لأحد.

قال جندي من جنود البراء:

قد علم الدَّيْلَم إذْ تحارِبْ   حين أتى في جيشه ابن عازب

---

(١) أبهر: مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من ناحية الجبل.

(٢) قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخًا وإلى أبهر اثنا عشر فرسخا.

(٣) جيلان: اسم لبلاد كثيرة بين قزوين وبحر الخزر صعبة المسالك لكثرة جبالها.

(٤) زنجان: بلد كبير مشهور من نواحي الجبال تقع بينها وبين أذربيجان، وهي قريبة من أبهر وقزوين.

بـأَنّ ظـنّ المشـركـين كـاذب فكم قطعنا في دُجَى الغياهب
مـن جبـل وَعْـر ومـن سبـاسـب

وغزا البراء الدَّيْلم حتى أدوا إليه الأتاوة.

وغزا جيلان والببر والطيلسان.

- **وفتح زنجان عنوة[١].**

وحارب بطلنا مع علي بن أبي طالب الخوارج في معركة النهروان كما في «أسد الغابة».

فلله در رجل الخزرج البراء بن عازب.

راعي الإبل: يقول: «ما كل ما نُحدِّثكموه عن رسول اللَّه سمعناه منه حدثناه أصحابنا، وكان يشغلنا رعي الإبل»[٢].

الفقيه: فقد كان من أصحاب الفتيان من الصحابة[٣].

وهو المحدث الذي روى عن النبي ﷺ ثلاث مئة وخمسة أحاديث[٤].

وهو القائد الفاتح لأوعر المناطق بين الجبال وعلى قممها.

وهذا صنف فريد من الرجال لا يكون إلا في هذا الجيل القرآني الفريد جيل الصحابة.

- **القائد:**

«تولى البراء منصب القيادة وهو في ريعان شبابه، وأنجز فتح البلدان التي فتحها وهو دون الثلاثين من عمره!

لقد كانت طبيعة الحرب التي خاضها البراء تحتاج إلى قائد حنكته التجارب

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (٣١٧- ٣١٨)، والكامل (٢/٤٢٦).
(٢) الإصابة (١/٤١٢).
(٣) أصحاب الفتيا من الصحابة ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٢١).
(٤) الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة ص (٢٧٦).

وعركته السنون، خاصة وأن العدو الذي يقاتله متفوق تفوقًا عدديًا ساحقًا على المسلمين، كما أن طبيعة الأرض التي يدافع عنها ذلك العدو جبلية وعرة تساعد المدافع على الدفاع المديد، كما أن العرب يصعب عليهم القتال في الأرض الجبلية - وهم أبناء الصحراء - كما أنهم يعتمدون إلى حد بعيد في حربهم على سرعة الحركة والحرب الخاطفة التي تعتمد على الفرسان، والجبال تحدّ من استخدام الخيل وتضيِّق نطاق الإفادة منها، كل هذا جعل مهمة البراء صعبة للغاية، ولكنه أثبت عمليًا أنه أهل لاجتياز كل هذه العقبات لما كان يتحلّى به من قابليات ممتازة.

إن البراء بذكائه الفطري وعقليته المتزنة كان قديرًا على إصدار القرارات السريعة الصحيحة، كما أنه كان يتحلى بالشجاعة الفائقة والإقدام العنيد - له شخصيته رصينة قوية وقابلية بدنية ممتازة وماض ناصع مجيد.

تلك هي مزايا قيادته التي أهّلته لتولي مناصب القيادة وهو في ريعان الشباب، وهي مزايا كفيلة لرفع من يتمتع بها إلى المناصب القيادية في كل زمانٍ ومكان.

إن التاريخ يذكر للبراء مفاخر كثيرة، كل واحد منها تكفي لتخليده»[1] فرضي اللَّه عنه من صحابي إمام، لسان حاله يقول:

أنت تدري أيها الحيرانُ عنّا ... كيف فوق الشمس أزمانًا حللنا

* * *

(١) قادة فتح بلاد فارس (١٣٣، ١٣٤).

(٣٧٩) الصحابي فارس قريش وشاعرها القائد ضرار بن الخطاب القرشي الفِهري ﵁ فاتح ماسبذان

هو الصحابي ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فِهر القرشي.

وأمه ابنة أبي عمرو بن أمية، أخت أبي معيط، وكان ضرار يوم الفِجار على بني محارب بن فهر. وكان أبوه خطاب يأخذ المرباع[1]، وهو الذي غزا بني سُليم، وهو رئيس بني فهر. وجده عمرو بن حبيب هو آكل السَّقْب، وذاك أنه أغار على بني بكر ولهم سقْب[2] يعبدونه، فأخذ السَّقْب فأكله.

وكان ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم، وحضر معهم كل المشاهد، وقاتل المسلمين أشد القتال وحرّض المشركين بشعره، وقتل عمرو بن معاذ أخا سعد ابن معاذ يوم أحد، وقال حين قتله: لا تَعدِمن رجلًا زوّجك من الحور العين. وكان يقول: زوّجت عشرة من أصحاب النبي ﷺ بالحور العين، وأدرك عمر بن الخطاب يوم أحد فضربه بالقناة، ثم رفعها عنه، فقال: يا ابن الخطاب إنها نعمة مشكورة، والله ما كنت لاقتلك. وهو الذي نظر يوم أُحد إلى خلاء الجبل من الرماة، وأعلم خالد بن الوليد فَكَرّا جميعًا بمن معهما حتى قتلوا من بقي من الرماة على الجبل، ثم دخلوا عسكر المسلمين من ورائهم.

امترى مجلس من الأوس والخزرج: أيهم كان أحسن بلاء يوم أحد؟ فمرّ بهم ضرار بن الخطاب، فقالوا: هذا ضرار قد قاتلنا يومئذ وهو عالم بما اختلفنا فيه، فقالوا له: مَن كان أشجع يوم أحد، الأوس أو الخزرج؟ قال: لا، ما أدري ما

---

(١) المِرْباع: ربع الغنيمة التي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.

(٢) السَّقْب: ولد الناقة.

أَوْسكم من خَزْرجكم، ولكني زَوّجت يومئذ أحد عشر منكم من الحور العين[١].

وهو أحد الأربعة من فرسان قريش الذين حاولوا اقتحام الخندق يوم الأحزاب، وكان ﵁ يذكر ما كان من مشاهدته القتال، ويترحّم على الأنصار، ويذكر بلاءهم ومواقفهم وبذلهم لأنفسهم في تلك المواطن الصالحة.

وأسلم ﵁ يوم فتح مكة وحسن إسلامه، وكان يقول: الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، ومَنّ علينا بمحمد ﷺ.

قال ضرار بن الخطاب لأبي بكر الصديق: نحن كنّا خيرًا لقريش منكم، نحن أدخلناهم الجنة وأنتم أدخلتموهم النار[٢].

وكان يقول عمن قتله من الصحابة قبل إسلامه: الحمد لله الذي أكرمهم بيدي، ولم يُهني بأيديهم[٣].

● جهاده:

لما مات رسول اللَّه ﷺ وارتدت العرب، ثبت ضرار وأهل مكة على الإسلام. وشهد ضرار يوم اليمامة تحت راية خالد بن الوليد، وكان ضرار مع قوات خالد، وشهد معه كل معارك العراق التي خاضها خالد هناك، وكان هو الذي حاصر قصر «الغَرِيِّين» في فتح الحيرة[٤]، وتحرك مع خالد من العراق إلى الشام، وشهد مع خالد كافة معاركه في طريقه من العراق إلى الشام، وشهد ﵁ معركة «اليرموك» وشهد مع أبي عبيدة فتوح الشام[٥] وعاد ضرار إلى العراق مع هاشم بن عتبة، وشهد «القادسية» وغنم فيها ضرار عَلَم الفرس الأكبر، فعُوِّض منه ثلاثين ألفًا،

---

(١) الاستيعاب (٢/٢١٠)، وأسد الغابة (٢/٤٣٦)، وتاريخ دمشق (٢٤/٣٩٨).
(٢) أسد الغابة (٣/٥٤)، وتاريخ دمشق (٢٤/٣٩٨).
(٣) تاريخ دمشق (٢٤/٣٩٨).
(٤) ابن الأثير.
(٥) تاريخ دمشق (٢٤/٣٩٢).

وكانت قيمته ألف ألف ومئتي ألف[١].

ولما نزل سعد والمسلمون على بهرسير - وهي المدائن الدنيا من الغرب - فرأوا الإيوان، فقال ضرار بن الخطاب «اللَّه أكبر، أبيض كسرى، هذا ما وعد اللَّه ورسوله، وكبّر وكبّر الناس معه»[٢].

وشهد ضرار تحت لواء هاشم بن عتبة معركة «جَلُولاء» فلما رجع هاشم منتصرًا من «جلولاء» إلى «المدائن» بلغ سعد بن أبي وقاص أن الهرمزان قد جمع جمعًا من القوات الفارسية في سهل ماسبذان فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب.

- **فتح «ماسبذان»[٣]:**

لما كتب سعد إلى عمر أن «آذين بن الهرمزان» قد جمع جمعًا وخرج بهم إلى سهل ماسبذان، كتب إليه عمر: «ابعث إليهم ضرار بن الخطاب في جندٍ، واجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدي، وعلى مجنبتيه، عبداللَّه بن وهب الراسبي[٤]، والمضارب بن فلات العجلي». فأرسل إليهم ضرار بن الخطاب في جيش فالتقوا بسهل ماسبذان فاقتتلوا، فأسرع المسلمون في المشركين، وأخذ ضرار «آذين» أسيرًا فضرب رقبته، ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيروان، فأخذ ماسبذان عنوة، فهرب أهلها في الجبال فدعاهم فاستجابوا له، وأقام بها حتى تحوّل سعد إلى الكوفة فأرسل إليه فنزل الكوفة واستخلف على ماسبذان ابن الهذيل الأسدي فكانت أحد فروج الكوفة[٥]. وقد كان فتح ماسبذان بعد فتح حلوان.

---

(١) الكامل (٢/٣٣٠).

(٢) الكامل (٢/٣٥٥).

(٣) ماسبذان: مدن عدة منها: أريوجان، وهي مدينة في الصحراء بين الجبال، ومدينة الرذ والسيروان، وهي تقع في الطريق بين حلوان وجند يسابور.

(٤) صار بعد ذلك رأس الخوارج الذين حاربوا عليًا رضي الله عنه و«النهروان» فاللهم إنا نسألك حسن الخاتمة وموتًا على اعتقاد الصحابة رضي الله عنهم .

(٥) الكامل (٢/٣٦٩- ٣٧٠).

قال ضرار في أسر قائد الفرس «آذين»:

ويوم حبسنا قوم «آذين» جنده وقطراته عند اختلاف العوامل
وَزُرد وآذينًا وفهدًا وجمعهم غداة الوغي بالمرهفات الصواقل
فجاءوا إلينا بعد غبّ لقائنا بماسبذان بعد تلك الزلازل (١)

أمّا ما ذُكِر بأن ضرارًا قد قُتل يوم اليمامة أو بأجنادين فهذا غير صحيح.

- **ضرار القائد:**

«كان ضرار من فرسان قريش وشجعانهم، وأبرز ما في قيادته شجاعته الفائقة التي تستهين بالأخطار.

وكان في شجاعته وإقدامه مثالًا رائعًا لرجاله، يثير نخوتهم ببطولته الشخصية النادرة وبشعره الحماسي المتين؛ وقد ظهر أثر لسانه وسيفه واضحًا عندما قاد جيشًا من المسلمين لفتح منطقة «ماسبذان»، إذ لم يكد يعرف موضع القطعات الفارسية إلا وانقضّ عليهم بسرعة خاطفة وانقض هو بنفسه على قائد الفرس فأخذه أسيرًا، فانهارت مقاومة الفرس سريعًا وتركوا ساحة المعركة هاربين.

إن مفتاح مزايا قيادة ضرار هو شجاعته النادرة، وكان قد مارس الحروب في الجاهلية والإسلام مدة طويلة، فأصبحت خبرته في مكابدة العدو ومعرفته أسهل الطرق للقضاء عليه مع ذكائه اللماح، كل ذلك من العوامل البارزة لقابليته على إعداد الخطط العسكرية الصحيحة الدقيقة، وإعطاء القرارات السريعة السليمة؛ كما كان يطبق في معاركه بمقدرة فائقة مبدأ «المباغتة» أهم مبادئ الحرب على الإطلاق.

وكان بالإضافة إلى كل ذلك، ذا إرادة قوية وشخصية نافذة(٢).

فرضي اللَّه عن الشاعر الفارس، القائد البطل ضرار بن الخطاب القرشي رضي الله عنه.

(١) معجم البلدان (٧/٣٦٤).

(٢) قادة فتح بلاد فارس ص (٩٤- ٩٥).

(٣٨٠) الصحابي القائد السائب بن الأقرع الثقفي رضي الله عنه فاتح مِهْرجان قُذَق[١] والصيمرة[٢] من بلاد فارس

هو الصحابي السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر بن سفيان بن سالم بن مالك بن حُطيط بن جشم الثقفي.

قال البخاري: مسح النبي رأسه[٣]. دخلت به أمه مُليكة على النبي ﷺ وهو غلام فمسح على رأسه ودعا له وعدّه ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة، أما أكثر مؤرخي الصحابة فقد جعلوه من الصحابة، وهو الصحيح، إذ لم يكونوا يُؤمرون في الفتوح إلا الصحابة ولم يشارك في الجهاد تحت راية النبي ﷺ لأنه كان صغيرًا وهو ابن عم عثمان بن أبي العاص الثقفي[٤]، وكان صهر أبي موسى الأشعري على ابنته.

● **جهاده:**

بعث عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن ليسير إلى «نهاوند»، وبعث إليه بكتابه مع السائب، وولّيّ السائب الغنائم، وقال له: «إن فتح اللَّه عليكم فاقسم ما أفاء اللَّه عليهم بينهم، ولا تخدعني، ولا ترفع إليّ باطلًا، وإن نُكِب القوم فلا تريني ولا أراك»[٥].

قال السائب: فجمعت تلك الغنائم ثم قسمتها، ثم أتاني ذو العوينين فقال: إن كنز النخيرخان في القلعة، قال: فصعدتها فإذا أنا بسفطين فيهما جوهر لم أر مثله

---

(١) مهرجان قذق: كورة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان في تلك الجبال.

(٢) الصيمرة: مدينة بمهرجان قذق، وهي بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان.

(٣) الإصابة (١٤/٣) ت (٣٠٦٣)، وأسد الغابة ترجمة (١٩٠٢)، والاستيعاب ت (٨٨٩).

(٤) أسد الغابة (٣٨٨/٢).

(٥) تاريخ الطبري (٢١٣/٣)، والبلاذري ص (٣٠٢).

قط، قال: فأقبلت إلى عمر وهو راث عنه الخبر وهو يتطوف المدينة، ويسأل فلما رآني قال: ويلك ما وراءك فحدثته بحديث الوقعة ومقتل النعمان وذكرت له شأن السفطين فقال: اذهب بهما فبعهما ثم اقسم ثمنهما بين المسلمين»(١).

قال ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: «لم يكن للعرب أمرد ولا أشيب أشدَّ عقلًا من السائب بن الأقرع».

وقال الشعبي: أن السائب شهد فتح مِهْرجان ودخل دار الهرمزان فرأى فيها ظبيًا من جص مادًّا يده، فقال: أقسم باللَّه إنه ليشير إلى شيء، فنظر فإذا فيه خبيئة للهرمزان فيها سفط من جوهر.

- **السائب الفاتح:**

لما انصرف أبو موسى الأشعري من نهاوند ـ وكان قد سار بنفسه إليها على بعث أهل البصرة ممدًّا للنعمان بن مقرن، سار معه السائب فمرّ أبو موسى «بالدينور» فأقام عليها خمسة أيام قُوتل منها يومًا واحدًا، ثم إن أهلها أقرّوا بالجزية والخراج وسألوا الأمان على أنفسهم وأموالهم وأولادهم فأجابهم إلى ذلك، ثم مضى إلى ماسبذان فلم يقاتله أهلها، وصالحه أهل «الشيروان» على مثل صلح الدينور وعلى أن يؤدوا الجزية والخراج.

وبعث أبو موسى عبداللَّه بن قيس الأشعري السائب بن الأقرع الثقفي وهو صهره على ابنته وهي أم محمد بن السائب ـ إلى «الصيمرة» مدينة مهرجان قذق ففتحها صلحًا على حقن الدماء وترك السباء والصفح عن الصفراء والبيضاء، وعلى أداء الجزية وخراج الأرض، وفتح جميع كور مهرجان قذق، وأثبت الخبر أنه وجّه السائب من الأهواز ففتحها(٢).

---

(١) البلاذري ص (٣٠٢).

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص (٣٠٤).

وشهد السائب «فتح أصبهان» تحت إمرة عبدالله بن عبدالله بن عتبان الأنصاري فلما فُتحت أمر عمر بن عتبان بالسير حتى يقدم على سهيل بن عدي لقتال من بكرمان، على أن يستخلف السائب على أصبهان(١). ثم استعمله عمر على المدائن(٢)، ثم تولى أصبهان ثانية أيام عثمان ذي النورين وبقي عليها حتى قُتِل عثمان رضي الله عنه(٣) ومات السائب بها.

- **السائب قائدًا:**

«عقلية السائب المتزنة وتجربته الطويلة في الحرب، وانتماؤه إلى ثقيف أشجع القبائل العربية قبل الإسلام، كل ذلك جعله قديرًا على تولي مناصب القيادة بجدارة وكفاءة، ذلك لأن هذه العوامل تجعله قادرًا على إعطاء القرارات الصحيحة السريعة وإعداد الخطط العسكرية الناجحة وتنفيذها بدقة ومرونة وقابليته العسكرية هذه بالإضافة إلى أمانته المطلقة، وماضيه المجيد وخلقه الرفيع موضع ثقة رجاله وحبهم.

وبجانب هذا كان للسائب قابلية إدارية ممتازة، جعلته يوطد أركان الفتح الإسلامي في أصبهان. ويذكر للسائب بكل الخير أنه كان الساعد الأيمن لصهره أبي موسى الأشعري في كل فتوحاته فرضي الله عنهما ورزقهما فردوسه الأعلى وجوار نبيه ﷺ.

* * *

(١) الطبري (٣/٢٢٤).
(٢) الإصابة (٣/١٤٩)، وأسد الغابة (٣/٣٨٨).
(٣) الطبري (٣/٣٧١).

(٣٨١) الصحابي القائد عروة بن زيد الخيل الطائي رضي الله عنه

هو الصحابي عروة بن زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضًا الطائي والده هو الصحابي زيد الخيل بن مهلهل وفد على النبي ﷺ على رأس وفد طيئ وكان سيدهم، وذلك في سنة تسع، فأسلموا وحسن إسلامهم، وسماه النبي ﷺ «زيد الخير»، وكان من فرسان العرب المشهورين.

قال أبو عمر: مات زيد الخيل منصرفه من عند رسول اللَّه ﷺ، وكان شاعرًا خطيبًا شجاعًا كريمًا، يُكنى أبا مُكيف.

بني عامر هل تَعْرِفون إذا غدا أبا مِكْنَفٍ قد شدَّ عَقْدَ الدوائرِ

وأقطع له رسول اللَّه ﷺ فَيْد(١) أرضين معها.

وكان لزيد من الولد مُكنِف بن زيد الخيل، وبه كان يُكنَى، وقد أسلم وصحب النبي ﷺ، وشهد قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد، وكان له بلاء.

وله أيضًا حُرَيث بن زيد، وكان فارسًا، وقد صحب النبي ﷺ، وشهد الردة مع خالد، وكان شاعرًا.

أما بطلنا صاحب الترجمة: فهو صحابي شهد قس الناطف «يوم الجسر» أو «المروحة» وقاتل في هذا اليوم قتالًا شديدًا(٢).

وشهد القادسية، ويوم مِهران فأبلى وقال في ذلك شعرًا(٣).

- **الفاتح:**

كتب عمر بن الخطاب إلى عمار بن ياسر وهو عامله على الكوفة بعد شهرين من وقعة «نهاوند» يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي إلى «الري» و«دستبى»

(١) فيد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة.
(٢) الكامل (٢/٢٨٧).
(٣) تاريخ دمشق (١٩/٥٢٢).

في ثمانية آلاف ففعل، وسار عروة إلى ما هناك فجمعت له الديلم وأمدهم أهل الري فقاتلوه فأظهره اللَّه عليهم فقتلهم واجتاحهم ثم خلف حنظلة بن زيد وقدم على عمار فسأله أن يوجهه إلى عمر، وذلك أنه كان القادم عليه يخبر الجسر، فأحب أن يأتيه بما يسره، فلما رآه عمر قال «إنا لله وإنا إليه راجعون» فقال عروة: بل أحمد اللَّه فقد نصرنا وأظهرنا، وحدّثه بحديثه، فقال: هلا أقمت وأرسلت قال: قد استخلف أخي وأحببت أن آتيك بنفسي، فسمّاه البشير.

قال عروة:

برزت لأهل القادسية معلمًا ... وما كُلُّ من يغشى الكريهة يعلمُ

ويومًا بأكناف النخيلة قبلها ... شهدت: فلم أبرح أُدَمِّي وأكلمُ

وأيقنت يوم الديلميين أنني ... متى ينصرف وجهي إلى القوم يهزموا

محافظة أني امرؤ ذو حفيظة ... إذا لم أجد مستأخِرًا أتقدَّمُ[1]

* * *

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (٣١٣).

(٣٨٢) الصحابي القائد
كثير بن شهاب الحارثي المَذْحجي رضي الله عنه
فاتح قزوين والري مرة ثانية

هو الصحابي كثير بن شهاب بن الحُصينْ ذي الغُصّة الحارثي المَذْحجي، وكان سيد مِذْحج بالكوفة.

قال ابن الأثير: في صحبته نظر، وقال ابن عساكر: يُقال إن له صحبة ولا يصح. وقال العجلي وابن أبي حاتم: تابعي، قال ابن حجر: ومما يقوي أن له صحبة أنهم ما كانوا يُؤمرون إلا الصحابة وكتاب عمر إليه يدل على أنه كان أميرًا[١].

قال ابن الأثير: هو الذي قتل الجالينوس الفارسي يوم القادسية وأخذ سلبه، وقيل: قتله زهرة بن حَوِيّة.

● جهاده:

لما عزل عمر بن الخطاب عمارًا وولّى المغيرة بن شعبة الكوفة، ولّى المغيرة بن شعبة كثير بن شهاب الحارثي «الري» و«دستبى»، وكان لكثير أثر جميل يوم القادسية، فلما صاروا إلى الريّ وجد أهلها قد نقضوا فقاتلهم حتى رجعوا إلى الطاعة وأذعنوا بالخراج والجزية.

وغزا الديلم فأوقع بهم وغزا الببر والطيلسان[٢].

قال ابن عساكر: كان قد ولي الري في أيام معاوية، وهو الذي تولى فتح قزوين، وقيل تولى فتحها البراء بن عازب[٣].

---

(١) الإصابة (٥/٤٢٧) ت (٧٣٩٣)، وانظر أسد الغابة (٤/٤٣٤) ت (٤٤٢٩)، وطبقات ابن سعد (٦/١٩٦)، وتاريخ دمشق (٥٠/٢٨)، وفتوح البلدان ص (٣١٤).

(٢) فتوح البلدان ص (٣١٤).

(٣) فتوح البلدان ص (٥٠/٢٩).

وقال أبو زرعة: فتح قزوين كثير بن شهاب بعد فتح الري بكم[١].

وكان مع أبي موسى الأشعري في فتح «أصبهان»[٢].

كان رضي الله عنه جميلًا حازمًا مقعدًا، فكان يقول: ما من قعد إلا وهو عيال على أهله سواي.

وكان على الري ودستبى وقزوين.

وكان إذا غزا أخذ كل امرئ ممن معه بترس ودرع وبيضة ومسلة وخمس إبر، وخيوط كتان، وبمخفف ومقراض ومخلاة وتليسة.

فرضي اللَّه عن القائد الصحابي كثير بن شهاب الحارثي.

* * *

(١) المصدر السابق (٥٠/٣٣).

(٢) انظر تاريخ دمشق (٥٠/٣٣).

(٣٨٣) الصحابي القائد
قَرَظة بن كعب الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه
فاتح الرَّيِّ

هو الصحابي الجليل قَرَظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو بن كعب بن الأطنابة الأنصاري الخزرجي ويُقال: قرظة بن عمرو بن كعب بن عمرو بن عائذ بن زيد بن مناة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. هكذا نسبه ابن الكلبي وغيره[١].

قال ابن سعد: أمه خليدة بنت ثابت بن سنان، وهو أخو عبدالله بن أنيس لأمه.

وقال ابن الأثير: أمه جنَدُبة بنت ثابت بن سنان.

قال البخاري: له صحبة.

- **جهاده:**

شهد قرظة أحدًا وما بعدها[٢]. وهو أحد العشرة الذين وجههم عمر مع عمار ابن ياسر إلى الكوفة من الأنصار. وكان فاضلًا.

قال ابن الأثير: «**فَتَحَ الرَّيَّ سنة ثلاث وعشرين في خلافة عمر**»[٣].

وقال ـ أيضًا ـ: «قال ابن السكن: وهو الذي قتل ابن النوَّاحة صاحب مسيلمة في ولاية ابن مسعود بالكوفة، وَفَتَحَ الرَّيَّ سنة ثلاث وعشرين».

وقال يحيى بن ضريس قاضي الري: «لم تزل الرَّيُّ بعد أن فُتِحَتْ أيام حذيفة

---

(١) الإصابة: (٥/ ٣٢٩) ت (٧١١٣)، وانظر أسد الغابة ت (٤٢٩١).
(٢) الإصابة (٥/ ٣٢٩)، وأسد الغابة: (٤/ ٣٨٠).
(٣) أسد الغابة: (٤/ ٣٨٠).

تنتقض وَتُفتح حتى كان آخر مَنْ فَتَحَهَا قَرَظة بن كعب الأنصاري في ولاية أبي موسى الكوفة لعثمان، فاستقامت»(١).

وفي «الكامل»: «في فتح همذان ثانيًا: قيل: فتحها قرظة بن كعب الأنصاري»(٢).

وفي فتح الري قال ابن الأثير: «وقد قيل: إن فتح الري كان على يد قرظة بن كعب الأنصاري».

مات بالكوفة والمغيرة وَالٍ عليها، وبذلك جزم ابن سعد.

وفي الاستيعاب: «**توفى في خلافة علي في دار ابْتَنَاهَا بالكوفة وصلى عليه علي بن أبي طالب**».

فَرَضِيَ اللَّه عن القائد الخزرجي الأنصاري فاتح الري لآخر مرة قَرَظة بن كعب.

* * *

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣١٥.
(٢) الكامل ٢/ ٤٢٦.



قادة فتح الأهواز

١ ـ أبو موسى الأشعري

٢ ـ أبو سَبْرة بن أبي رُهْم القرشي العامري

٣ ـ النعمان بن مقرن المزني[1]

٤ ـ حرملة بن مريطة التميمي

٥ ـ سلمى بن القين التميمي

٦ ـ جزء بن معاوية التميمي

٧ ـ زر بن عبداللّه الفقيمي

٨ ـ سلمى بن قيس الأشجعي[2]

٩ ـ الربيع بن زياد الحارثي

١٠ ـ حرقوص بن زهير السعدي[3]

* * *

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته أيضًا.

(٣) فاتح مدينة «سوق الأهواز» في خوزستان. . وقد تركنا ترجمته لأنه في آخر عمره صار من الخوارج وكان قائد المشاة الخوارج في معركة النهروان ولذلك تركنا الحديث عنه ولم نترجم له.



(٣٨٤) الصحابي الإمام الكبير الفقيه المقرئ والقائد الفاتح
أبو موسى الأشعري رضي الله عنه
فاتح الأهواز(١)، والسّوس(٢)، وأصبهان(٣)، والدَّيْنور(٤)، وماسبذان، وقم(٥)، وقاشان(٦)

هو الصحابي الجليل عبدالله بن قيس بن سليم بن حضَّار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجُماهر بن الأشعر، أبو موسى الأشعري.

مشهور باسمه وكنيته معًا، وأمه ظبية بنت وهب بن عك، أسلمت وماتت بالمدينة.

وكان هو سكن الرملة، وحالف سعيد بن العاص، ثم أسلم بمكة ورجع إلى بلاد قومه ولم يهاجر إلى الحبشة، وهذا قول الأكثر؛ فإن موسى بن عقبة وابن إسحاق والواقدي لم يذكروه في مهاجرة الحبشة.

وقدم المدينة ليالي فتح خيبر؛ صادفت سفينتُهُ سفينةَ جعفر بن أبي طالب، فقدموا جميعًا.

---

(١) الأهواز: منطقة واسعة مؤلفة من سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم ويجمعهنّ الأهواز، ويقال لها خوزستان ـ «معجم البلدان» (١/ ٣٨٠).

(٢) السوس: بلد بالأهواز وهي تعريب الشوش، ومعناه: الحسن والنزه والطيب.

(٣) أصبهان أو أصفهان: مدينة عظيمة كانت عاصمة من عواصم العراق العجمى، يطلق عليها اسمها. وكانت تتألف من مدينتين: جيّ واليهودية، وجيّ هي القصبة.

(٤) الدينور: مدينة من أعمال الجبل قرب قرمسين، بين الدينور وهمذان نيف وعشرون فرسخا، ومن الدينور إلى شهرزور أربع مراحل، والدينور بمقدار ثلثي همذان.

(٥) قم: مدينة تُذكر مع قاشان، وهي مدينة مستحدثة إسلامية.

(٦) قاشان: مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم، بينها وبين قم اثنا عشر فرسخا.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «بلغنا مخرج رسول اللَّه ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مُهاجرين إليه أنا وأخَوَانِ لي أنا أصغرهما؛ أحدهما: أبو بردة، والآخر: أبو رُهْم - إما قال: في بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلًا - من قومي فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قَدِمْنا جميعًا، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر؛ فَأَسْهَمَ لنا، أو قال: أعطانا منها، وما قسم لأحدٍ غاب عن فتح خيبر منها شيئًا إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه؛ قسم لهم معهم قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة -: نحن سبقناكم بالهجرة. ودخلت أسماء بنت عُمَيْس - وهي ممن قَدِمَ معنا - على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة - وأسماء عندها - فقال عمر حين رأى أسماء: مَنْ هَذِهِ؟ قالت: أسماء بنتُ عميْس. قال عمر: آلحبشية هذه؟ البحريَّة هذه؟ قالت أسماء: نعم. قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول اللَّه ﷺ منكم، فغضبت وقالت: كَلَّا، واللَّه كنتم مع رسول اللَّه ﷺ يُطعِم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار - أَوْ في أرض - البُعداء البُغَضاء بالحبشة وذلك في اللَّه وفي رسـوله ﷺ، وايم الله، لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أذكرَ ما قلت لرسول اللَّه ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخافُ، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله، واللَّه لا أكذِبُ ولا أزيغُ ولا أزيد عليه. فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا. قال: فما قلتِ له؟ قالت: قلتُ له كذا وكذا. قال: ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان. قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالًا يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرحُ ولا أعظمُ في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري ٧/ ٣٧١، ٣٧٢ (٤٢٣٠) ومسلم (٢٥٠٢).

وفي رواية: فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليَّ**»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يَقْدُمُ عليكم غدًا قومٌ هم أرقُّ قلوبًا للإسلام منكم**» فقدم الأشعريون، فلما دَنَوْا جعلوا يرتجزون:

غَدًا نَلْقَى الأَحِبَّةْ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهْ

فلما أن قدموا تصافحوا؛ فكانوا أوَّل من أحدث المصافحة[(٢)].

وعن عياض الأشعري قال: لما نزلت ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٧]، قال رسول اللَّه ﷺ: «**هم قومك يا أبا موسى**»، وأومأ إليه[(٣)].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إني لأعرف أصوات رِفْقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم مَن أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنتُ لم أَرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم إذا لقي الخيل - أو العدو - قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم[(٤)].

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ: قال: نعم الحيُّ الأسدُ والأشعريون لا يفرون في القتال، ولا يغلّون هم مني وأنا منهم»[(٥)]

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو وقل طعامهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموا

---

(١) أخرجه ابن سعد ٤/ ١٠٦، وأحمد ٤/ ٣٩٥، ٤١٢.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد ٣/ ١٥٥ و٢٢٣، وابن عساكر ٤٥٦، وأحمد ٣/ ١٠٥، ١٨٢، ٢٥١، ٢٦٢، وابن سعد ٤/ ١٠٦.

(٣) رجاله ثقات، أخرجه ابن سعد ٤/ ١٠٧، وصححه الحاكم ٢/ ٣١٣، ووافقه الذهبي، وهو في تاريخ ابن عساكر ٤٥٦، ٤٥٧.

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٩٩) وكتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل الأشعريين، وأخرجه البخاري في أواخر حديث (٤٢٣٠).

(٥) حديث جيد: رواه أحمد في مسنده ٦/ ٨٨ رقم (١٧١٦٦). وابن عساكر في «تاريخ دمشق» «٣٢/ ٥٤ - ٥٥» وقال عبد الله بن أحمد: هذا من أجود الحديث.

بينهم في إناء واحد بالسويّة ، فهم مني وأنا منهم»[١]

- **من فضائل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:**

عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**يا أبا موسى لقد أُوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»[٢].

وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ: سمع النبي ﷺ قراءة أبي موسى فقال: «**لقد أوتي هذا من مزامير آل داود**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمع رسول اللَّه ﷺ قراءة أبي موسى الأشعري فقال: «**لقد أوتي هذا من مزامير آل داود**»[٤].

وعن بريدة: أن رسول اللَّه ﷺ دخل المسجد فأخذ بيدي فدخلت معه فإذا رجل يقرأ ويصلي قال: «**لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود**»، وإذا هو عبداللَّه بن قيس أبو موسى الأشعري، قال: قلت: يا رسول اللَّه فَأُخْبِرُهُ؟ قال: «**نعم**» فأخبرته، فقال: لم تزل لي صديقًا[٥].

وعن أبي موسى قال: كنت عند رسول اللَّه ﷺ بِالْجِعِرَّانَةِ[٦]، فأتى أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ قال: «**أبشر**»، قال: أبشر؟ قال: قد أكثرت من البشرى. فأقبل رسول اللَّه عليَّ وعلى بلال، فقال: «**إن هذا قدْ ردَّ البشرى فاقبلا أنتما**» فقالا: قبلنا يا رسول الله. فَدَعَا بِقَدَحٍ، فغسل يديه ووجهه فيه، وَمَجَّ فيه، ثم

---

(١) رواه البخاري (٢٣٥٤) في الشركة، ومسلم (٢٥٠٠) في فضائل الصحابة عن أبي كُرَيب.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، والترمذي (٣٧٥٥) وقال: هذا حديث غريب.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٣٧)، (٦/ ١٦٧)، والنسائي (٢/ ١٨٠ - ١٨١)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١/ ٨٠) وعبد بن حميد في المنتخب (١٤٧٤).

(٤) صحيح: أخرجه ابن حبان في صحيحه (انظر موارد الظمآن ٢٢٦٤).

(٥) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٩).

(٦) الجعرانة: بين مكة والطائف وهي إلى مكة أقرب. وقال الفاكهي: بينها وبين مكة بريد، وقال الباجي: ثمانية عشر ميلا.

قال: «**اشربا منه، وأفرغا على رءوسكما ونحوركما**» **ففعلا!! فنادت أم سلمة من وراء الستر: أنْ فَضِّلا لأمكما، فأفضلا لها منه**»[١].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: خرجت ليلةً من المسجد، فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي: «**يا بريدة، أتراه يرائي؟**» قلتُ: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**بل هو مؤمن منيب، لقد أُعْطِيَ مزمارًا من مزامير آل داود**»، فأتيته فإذا هو أبو موسى، فأخبرته[٢].

«وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى وهو جالس في المجلس: يا أبا موسى ذكِّرنا ربنا. فيقرأ عنده أبو موسى وهو جالس في المجلس ويتلاحن»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه: أن أبا موسى قرأ ليلةً، فَقُمْنَ أزواج النبي يستمعن لقراءته، فلما أصبح، أُخبر بذلك، فقال: لو علمتُ، لحبَّرتُ تحبيرًا، ولشوَّقتُ تشويقًا»[٤].

وَسُئِلَ علي بن أبي طالب عن أبي موسى فقال: «**صُبغ في العلم صبغة، ثم خرج منه**»[٥].

وعن أبي نضرة: قال عمر لأبي موسى: شَوِّقنا إلى ربنا. فقرأ، فقالوا: الصلاة. فقال: أَوَ لَسْنَا في صلاة؟![٦].

وقال أبو لبيد: ما كُنا نُشَبِّهُ كلام أبي موسى إلا بالجزَّار الذي ما يُخطئ المفصل[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٨/٣٧)، ومسلم (٢٤٩٧) ، وابن عساكر (٤٦٦)، (٤٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (٧٩٣)، وابن عساكر (٤٦٩)، (٤٧٠).

(٣) حسن لغيره: (انظر موارد الظمآن ٢٢٦٤).

(٤) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد ٤/ ١٠٨، وابن عساكر.

(٥) رجاله ثقات: أخرجه الفسوي في تاريخه ٢/ ٥٤٠.

(٦) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد ٤/ ١٠٩.

(٧) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد ٤/ ١١١.

- **رِفْقًا بالفقيه القاضي الرباني أيها الْبُلْهُ فوالله ما تساوون شسع نعله:**

أما مَنْ يتهم أبا موسى بالغفلة فوالله ما يساوون شسع نعله؛ فقد كان ذكيًا غاية الذكاء، وكان من أعلم الصحابة وأقضاهم.

قال علي بن أبي طالب له: يا أبا موسى، احكم ولو على حَزِّ رقبتي[(١)].

وقال الأسود بن يزيد: لم أَرَ بالكوفة أعلم من علي وأبي موسى.

وقال مسروق: كان القضاء في الصحابة إلى ستة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وَأُبَيٍّ، وزيد، وأبي موسى[(٢)].

وقال الشعبي: قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد، وأبو موسى[(٣)].

وقال صفوان بن سُلَيم: لم يكن يُفتي في المسجد زمن رسول الله ﷺ غير هؤلاء: عمر، وعلي، ومعاذ، وأبي موسى[(٤)].

قال عمر رضي الله عنه: بالشام أربعون رجلًا، ما منهم رجل كان يَلِي أمر الأمة إلا أجزأه، فأرسل إليهم، فجاء رهط، فيهم أبو موسى، فقال: إني أرسلك إلى قومٍ عَسْكَرَ الشيطان بين أظهرهم. قال: فلا ترسلني. قال: إن بها جهادًا ورباطًا. فأرسله إلى البصرة[(٥)].

قال الحسن البصري: ما قدمها راكب خير لأهلها من أبي موسى[(٦)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: بعثني الأشعري إلى عمر، فقال لي: كيف تركت الأشعري؟ قلتُ: تركته يُعلِّم الناس القرآن. فقال: أما إنه كيِّس، ولا تُسْمِعْهَا إياه[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن عساكر: ٥٤١، وهو في سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢) «تاريخ دمشق» لأبي زرعة رقم (١٩٢٢)، وتاريخ ابن عساكر (٥٠٠) وسنده صحيح.

(٣) ابن عساكر: (٥٠١).

(٤) ابن عساكر: (٥٠٢).

(٥) رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد ٤/ ١٠٩، وابن عساكر عن ابن سعد.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٩.

(٧) أخرجه ابن سعد، (٤/ ١٠٨) ورجاله ثقات، وابن عساكر ٥٠٦، ٥٠٧.

وكتب عمر في وصيته: ألا لا يقر لي عامل أكثر من سنة، وأقرُّوا الأشعري أربع سنين[١].

قال أبو عثمان النهدي: ما سمعت مزمارًا ولا طُنبورًا ولا صنجًا أحسن من صوت أبي موسى الأشعري؛ إن كان ليصلي بنا فَنَوَدُّ أنه قرأ البقرة من حُسن صوته.

- **علو اتباعه للنبي ﷺ:**

عن أبي مجْلزَ: أن أبا موسى الأشعري كان بين مكة والمدينة فَصَلَّى ركعتين، ثم قام فصلى ركعة أوتر بها، فقرأ بمائة آية من النساء، ثم قال: ما ألوْتُ أن أضع قدمي حيث وضع رسول اللَّه ﷺ قدميه، وأن أقرأ بما قرأ به[٢].

- **أبو موسى الصوَّام القوَّام:**

عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن رسول اللَّه ﷺ بعث أبا موسى على سرية في البحر، فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة، إذا هاتف فوقهم يهتف: يا أهل السفينة، قفوا أخبركم بقضاء قضاه اللَّه على نفسه. فقال أبو موسى: أخبرنا إن كنت مُخبرًا. قال: إن اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف، سقاه اللَّه يوم العطش[٣].

وعن أبي موسى بنحوه إلا أنه قال فيه: قال: «**إن اللَّه قضى على نفسه أنَّه من عطَّش نفسه لله في يوم حار كان حقًّا على اللَّه أن يرويه يوم القيامة**»؛ فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحرِّ الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حرًّا فيصومه[٤].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٨١).

(٢) المصدر السابق: (٣٢/ ٨٦).

(٣) حسن: قال المنذري: رواه البزار بإسناد حسن إن شاء الله، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٤١٢).

(٤) حسن: حسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٤١٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قدمنا البصرة مع أبي موسى، فقام من الليل يتهجَّد، فلما أصبح، قيل له: أصلح اللَّه الأمير!! لو رأيت إلى نسوتِك وقرابتك وهم يستمعون لقراءتك!! فقال: لو علمتُ لَزَيَّنْتُ كتاب اللَّه بصوتي، وَلَحَبَّرْتُهُ تحبيرًا[١].

قال مسروق: «خرجنا مع أبي موسى في غزاة، فَجَنَّنَا الليل في بستانٍ خربٍ، فقام فَصَلَّى، وقرأ قراءة حسنة، وقال: اللهم أنت المؤمن تحب المؤمن، وأنت المهيمن تحب المهيمن، وأنت السلام تحب السلام»[٢].

وعن أبي إدريس قال: صام أبو موسى حتى عاد كأنه خلال، فقيل له: لو أجممت[٣] نفسك. فقال: هيهات، إنما يسبق من الخيل المضمَّرة[٤].

❑ جهاده مع النبي ﷺ:

لم يشترك أبو موسى الأشعري في قتال خيبر أو فتحها؛ لأنه قدم في لياليها بعد الفتح. وقال ابن سعد: كانت خيبر أول مشاهد أبي موسى[٥].

وجاهد مع رسول اللَّه ﷺ وتحت لوائه في «**حنين**» وما بعدها من المشاهد، ولمعت بطولته في «**أوطاس**»[٦] في مطاردة فلول المنهزمين من المشركين بعد «**حنين**».

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ، بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ، وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ. قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ؛ رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ؛ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ، مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ: ذَاكَ

(١) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد ٢/ ٣٤٤، ٣٤٥، وابن عساكر ٥٢٦، ٥٢٧.
(٢) «تاريخ دمشق لابن عساكر» (٣٢/ ٨٨)، والسير: (٢/ ٣٩٣).
(٣) أجممت: أرحت.
(٤) تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٨٩).
(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ١٦.
(٦) أوطاس: واد في ديار هوازن.

قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي[١]. فَقَصَدْتُ لَهُ؛ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى، فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي أَلَا تَثْبُتُ؟! فَكَفَّ فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ. قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ. فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَقْرِئْ النَّبِيَّ ﷺ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي. وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكَثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ، وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي. فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**»، وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ**»، فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ. فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِاللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا**»، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى»[٢].

وقيل: إن أبا موسى قتل يومئذ تسعة إخوة من المشركين؛ يدعو كل واحد إلى الإسلام ثم يحمل عليه فيقتله[٣]؛ وكانت نتيجة هذه المعركة انتصار المسلمين بقيادة أبي موسى الأشعري.

ويقص علينا بطلنا أبو موسى الأشعري ما لَاقَوْهُ من بلاء في الجهاد مع رسول الله ﷺ وزهدهم في حطام الدنيا الفاني فيقول: «لو رأيتنا ونحن نخرج مع نبينا ﷺ إذا أصابتنا السماء، لوجدت منا ريح الضأن، مع لباسنا الصوف»[٤].

---

(١) يعني أشار إلى موسى ودلّه على قاتله من المشركين.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٢٣) في المغازي - باب غزوة أوطاس، ومسلم (٢٤٩٨) في فضائل الصحابة وابن عساكر (٤٦٢)، وعزاه المزي للنسائي.

(٣) جوامع السيرة لابن حزم ص ٢٤١، وأبو عامر الأشعري هو عم أبي موسى واسمه عُبيد بن سليم بن حضار.

(٤) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٠٨)، وأبو داود، (٤٠٣٣) والترمذي (٢٤٧٩)، وابن ماجه (٣٥٦٢)، وأحمد (٤/ ٤١٩)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح، ومعناه: أنه كان ثيابهم من الصوف، فإذا أصابهم المطر يجيء من ثيابهم ريح الضأن.

وفي رواية: «**إنما لباسنا الصوف، وطعامنا الأسودان؛ الماء والتمر**».

وعن أبي موسى ﵁ قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، قال: فَنَقِبَتْ أقدامنا، وَنَقِبَتْ قدماي وسقطتُ وسقطت أظافري، فكُنَّا نلفُّ على أرجلنا الخرق، قال: فسميت غزوة ذات الرقاع؛ لِمَا كنا نعصب على أرجلنا من الخِرَق.

قال أبو بردة: فحدَّث أبو موسى بهذا الحديث، ثم كره ذلك، فقال: ما كنت أصنعُ بأن أذكر هذا الحديث؟ لأنه كره أن يكون شيئًا من عمله أفشاه»[١]. قال أبو أسامة[٢] وقال غيره: اللَّه يجزي به.

بعثه النبي ﷺ هو ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وَوَلَّاهُ «**زبيد**»، و«**عدن**»، و«**رِمع**»[٣]، و«**الساحل**».

وحين ظهر الأسود العنسي، وادَّعى النبوة باليمن لحق أبو موسى وأمراء اليمن الآخرون بحضرموت، وبذلوا أقصى الجهد حتى مَكَّنَ اللَّه لفيروز الديلمي من قتل العنسي.

وارتد أهل اليمن ثانية في عهد الصديق، وكان لثبات أبي موسى مع إخوانه أثر كبير في انتصار المسلمين على المرتدين، وعودة المرتدين مرة ثانية إلى الإسلام.

فتوحاته

قال ابن منده: افتتح أصبهان زمن عمر.

وقال العجلي: بعثه عمر أميرًا على البصرة فأقرأهم وفقَّههم، وهو فتح تستر[٤].

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٣٥ ت ٣٦).
(٢) أحد الرواة في إسناد هذا الخبر.
(٣) رِمع: قرية أبي موسى ببلاد الأشعريين في اليمن قرب غسان وزبيد.
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٣.

«وقال خليفة: ولي أبو موسى البصرة سنة سبع عشرة بعد المغيرة، فلما افتتح الأهواز استخلف عمران بن حصين بالبصرة - ويقال: افتتحها صلحًا.

وقيل: «في سنة ثمان عشرة افتتح أبو موسى الرُّها وسميساط وما والاها عنوة[١]». وقال ابن إسحاق: «سار أبو موسى من نهاوند، ففتح أصبهان سنة ثلاث وعشرين»[٢].

- **فتح نصيبين:**

بعث سعد بن أبي وقاص - وفي رواية أبو عبيدة بن الجراح - عياض بن غنم إلى الجزيرة وبعث معه جيشًا فيه أبو موسى الأشعري وابنه عمر بن سعد - وهو غلام حدث - ليس له من الأمر شيء، فسار عياض ونزل بجنده على الرها فصالحه أهلها مصالحة حرَّان.

وبعث أبا موسى إلى نصيبين فافتتحها[٣]، والأصح أنه شارك في فتحها تحت قيادة عبداللَّه بن عبداللَّه بن عتبان.

وبعد فتح «**الجزيرة**» التحق أبو موسى بقوات الشام تحت قيادة أبي عبيدة، وشهد بعض فتوحات الشام، وبقي مع أبي عبيدة حتى مات بالطاعون[٤].

- **أبو موسى الأشعري الفاتح:**

لما عزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه المغيرة بن شعبة عن البصرة استعمل أبا موسى الأشعري عليها، وكانت البصرة حينذاك من أكبر قواعد المسلمين؛ منها تسير الجيوش لفتح المشرق، فجمع أبو موسى قواته، ودفعها إلى مدينة الأهواز

---

(١) تاريخ خليفة ١٣٩، وابن عساكر: ٥١٤، والسير ٢/ ٣٩١.

(٢) السير ٢/ ٣٩١.

(٣) الكامل ٢/ ٣٧٨، والطبري (٣/ ١٥٦)، وأسد الغابة (٣/ ٢٤٦). وعند الطبري (٣/ ١٥٦ - ١٥٧) أن الذي افتتحها هو عبدالله بن عبدالله بن عتبان.

(٤) الطبري (٣/ ١٦١)، وأسد الغابة (٣/ ٢٤٦).

ففتحها[١].

قال البلاذري عن فتح «كور الأهواز»: «غزاها أبو موسى الأشعري حين وَلَّاهُ عمر بن الخطاب البصرة بعد المغيرة؛ فافتتح سوق الأهواز عَنْوة، وفتح «**نهر تيرى**» عنوة، وولي ذلك بنفسه في سنة سبع عشرة».

وقال أبو مخنف والواقدي في روايتهما: قدم أبو موسى البصرة فاستكتب زيادًا، وأتبعه عمر بن الخطاب بعمران بن الحصين الخزاعي، وَصَيَّرَهُ على تعليم الناس الفقه والقرآن، وخلافة أبي موسى إذا شخص عن البصرة، فسار أبو موسى إلى الأهواز، فلم يزل يفتح رستاقًا رستاقًا ونهرًا نهرًا، والأعاجم تهرب من بين يديه فغلب على جمع أرضها إلا السوس، وتستر، ومناذر، ورامهرمز.

قال شويس العدوي: أتينا الأهواز وبها ناس من الزط والأساورة فقاتلناهم قتالًا شديدًا فظفرنا بهم، فأصبنا سبيًا كثيرًا اقتسمناهم، فكتب إلينا عمر أنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض فَخَلُّوا ما في أيديكم من السبي، واجعلوا عليهم الخراج؛ فرددنا السبي ولم نملكهم.

قالوا: وسار أبو موسى إلى مناذر، فحاصر أهلها فاشتد قتالهم فكان المهاجر بن زياد الحارثي أخو الربيع بن زياد بن الديان في الجيش فأراد أن يشري نفسه وهو صائم، فقال أبو موسى: عزمتُ على كل صائم أن يفطر أو لا يخرج إلى القتال. فشرب المهاجر شربة ماء، وقال: قد أبررتُ عزمة أميري، واللّٰه ما شربتها من عطش. ثم راح في السلاح فقاتل حتى استشهد، فأخذ أهل «**مناذر**» رأسه، ونصبوه على قصرهم بين شرفتين، وله يقول القائل:

وفي مناذر لَمَّا جاش جمعهم ... راح المهاجر في حل بأجمالِ

والبيت بيت بني الديان نعرفه ... في آل مذحج مثل الجوهر الغالي

واستخلف أبو موسى الأشعري الربيع بن زياد على «**مناذر**»، وسار إلى

---

(١) الإصابة (٤/ ١٨١، ١٨٢)، وأسد الغابة (٣/ ٣٦٥).

«**السوس**»، ففتح الربيع «**مناذر**» عنوة، فقتل المقاتلة، وسبى الذرية، وصارت مناذر الكبرى والصغرى في أيدي المسلمين، فولاهما أبو موسى عاصم بن قيس بن الصلت السلمي، وولى سوق الأهواز سمرة بن جندب الفزاري حليف الأنصار، وقال قوم: إن عمر كتب إلى أبي موسى وهو محاصر «**مناذر**» يأمره أن يخلف عليها، ويسير إلى السوس، فخلف الربيع بن زياد[(١)].

- **فتح السوس:**

قال الطبري: إن أبا موسى شهد فتح مدينة «**السوس**» إذ كان على أهل البصرة، وكان القائد العام هو أبو سبرة بن أبي رهم، فشهد أبو موسى فتح هذه المدينة[(٢)].

قال البلاذري: «سار أبو موسى إلى «السوس» فقاتل أهلها، ثم حاصرهم حتى نفد ما عندهم من الطعام فضرعوا إلى الأمان، وسأل مرزبانهم أن يُؤَمَّنَ ثمانون منهم على أن يفتح باب المدينة ويسلمها، فسمَّى الثمانين، وأخرج نفسه منهم، فأمر به أبو موسى فضربت عنقه ولم يعرض للثمانين، وقتل من سواهم من المقاتلة وأخذ الأموال وسبى الذرية»[(٣)].

قال خالد بن زيد المزني ـ وكانت عينه أصيبت بالسوس ـ: «حاصرنا مدينتها، وأميرنا أبو موسى، فلقينا جهدًا، ثم صالحه دهقانها على أن يفتح له المدينة، ويؤمن له مئة من أهله ففعل، وأخذ عهد أبي موسى، فقال له: اعزلهم. فجعل يعزلهم وأبو موسى يقول لأصحابه: إني لأرجو أن يغلبه اللَّه على نفسه. فعزل المئة، وبقي عدو الله؛ فأمر به أبو موسى أن يُقتل، فنادى: رويدك، أعطيك مالًا كثيرًا. فأبى وضرب عنقه.

(١) «فتوح البلدان» للبلاذري ص ٣٧٠ ـ ٣٧١.
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ١٨١).
(٣) «فتوح البلدان» ص ٣٧١.

قالوا: وهادن أبو موسى أهل رامهرمز، ثم انقضت هدنتهم؛ فَوَجَّهَ إليهم أبا مريم الحنفي فصالحهم على ثمان مئة ألف درهم.

وقالوا: صالح أبو موسى أهل رامهرمز على ثمان مئة ألف أو تسع مئة ألف، ثم إنهم غدروا ففتحت بَعْدُ عنوة؛ ففتحها أبو موسى في آخر أيامه.

قالوا: وفتح أبو موسى سرق على مثل صلح رامهرمز»[١].

- **فتح تستر[٢]:**

سار أبو موسى إلى «**تستر**» على رأس أهل البصرة، فشهد فتحها[٣].

وقبل فتح «**تستر**» قدم وفد من وجوه أهل فارس إلى أبي موسى لمفاوضته؛ فقال رئيس الوفد: «إنا قد رغبنا في دينكم، فنسلم على أن نقاتل معكم العجم، ولا نقاتل معكم العرب؛ وإن قَاتَلَنَا أحدٌ من العرب منعتمونا منه؛ وننزل حيث شئنا، ونكون فيمن شئنا منكم، وتلحقونا بأشراف العطاء، ويعقد لنا الأمير الذي فوقك بذلك». فقال أبو موسى: «**بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا**» قالوا: «**لا نرضى!!**»، وكتب أبو موسى بذلك إلى عمر، فكتب عمر إلى أبي موسى: «**أعطهم ما سألوك**»، فكتب إليهم أبو موسى، فأسلموا وشهدوا معه حصار «**تستر**»، فألحقهم أبو موسى على قدر البلاء في العطاء»[٤].

قال البلاذري: «سار أبو موسى إلى «**تستر**» وبها شوكة العدو وحدُّهم، فكتب إلى عمر يستمده، فكتب عمر إلى عمار بن ياسر يأمره بالمسير إليه في أهل الكوفة، فقدَّم عمار جرير بن عبدالله البجلي، وسار حتى تستر، وعلى ميمنة أبي موسى البراء بن مالك أخو أنس بن مالك، وعلى ميسرته مجزأة بن ثور السدوسي، وعلى

---

(١) «فتوح البلدان» ص ٣٧٢.
(٢) تستر: أعظم مدينة بخوزستان وهي شوشتر.
(٣) تاريخ الطبري: (٣/ ١٨١).
(٤) الطبري: (٣/ ١٨٦).

ميمنة عمار البراء بن عازب الأنصاري، وعلى ميسرته حذيفة بن اليمان العبسي، وعلى خيله قرظة بن كعب الأنصاري، وعلى رجالته النعمان بن مقرن المزني، فقاتلهم أهل **«تستر»** قتالًا شديدًا، وحمل أهل البصرة وأهل الكوفة حتى بلغوا باب تستر، فضاربهم البراء بن مالك على الباب حتى اسْتُشْهِدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، ودخل الهرمزان وأصحابه المدينة بشرٍّ حالٍ، وقد قُتِلَ منهم في المعركة تسع مئة، وَأُسِرَ ست مئة، ضُرِبَتْ أعناقهم بَعْدُ - وكان الهرمزان من أهل مهرجان قذق -، ثم إن رجلًا من الأعاجم استأمن إلى المسلمين على أن يدلهم على عورة المشركين فأسلم واشترط أن يُفْرَضَ لولده وَيُفْرَضَ له، فعاقده أبو موسى على ذلك، وَوَجَّهَ رجلًا من شيبان يُقال له: «أشرس بن عوف» فخاض به دجيل على عرق من حجارة، ثم عَلَا به المدينة وأراه الهرمزان، ثم رده إلى العسكر، فندب أبو موسى أربعين رجلًا مع **«مجزأة بن ثور»** وأتبعهم مئتي رجل وذلك في الليل، والمستأمن يقدمهم، فأدخلهم المدينة، فقتلوا الحرس، وكبروا على سور المدينة، فلما سمع ذلك الهرمزان هرب إلى قلعته، وكانت موضع خزانته وأمواله، وعبر أبو موسى حين أصبح حتى دخل المدينة فاحتوى عليها، وقال الهرمزان: ما دَلَّ العرب على عورتنا إلا بعض من معنا ممن رأى إقبال أمرهم وإدبار أمرنا. وجعل الرجل من الأعاجم يقتل أهله وولده، ويلقيهم في دجيل خوفًا من أن يظفر بهم العرب، وطلب الهرمزان الأمان، وَأَبَى أبو موسى أن يعطيه ذلك إلا على حكم عمر، فنزل على ذلك، وقتل أبو موسى من كان في القلعة ممن لا أمان له، وَحُمِلَ الهرمزان إلى عمر، فاستحياه وفرض له، ثم اتُّهِمَ بممالأة أبي لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة على قتل عمر رضي الله عنه، فقال عبيدُاللَّه بن عمر: امض بنا ننظر إلى فرس لي. فمضى وعُبيداللَّه خلفه، فضربه بالسيف وهو غافل، فقتله.

وعن أنس قال: حاصرنا **«تستر»** فنزل الهرمزان فكنتُ الذي أتيت به إلى عمر؛ بعث بي أبو موسى، فقال له عمر: تكلم. فقال: أكلام حيٍّ أم كلام ميتٍ؟ فقال:

تكلم لا بأس. فقال الهرمزان: كنا معشر العجم ما خَلَّى اللَّه بيننا وبينكم نقصيكم ونقتلكم، فلما كان اللَّه معكم لم يكن لنا بكم يدان. فقال عمر: ما تقول يا أنس؟ قلت: تركت خلفي شوكة شديدة وعدوًا كلبًا، فإن قتلته يئس القوم من الحياة فكان أشد لشوكتهم، وإن استحييته طمع القوم في الحياة. فقال عمر: يا أنس، سبحان الله!! قاتل البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور السدوسي. قلت: فليس لك إلى قتله سبيل. قلت له: لا بأس. فقال: لتجيئن معك بمن شهد وإلا بدأت بعقوبتك. قال: فخرجت من عنده فإذا الزبير بن العوم قد حفظ الذي حفظت فشهد لي، فَخَلَّى سبيل الهرمزان فأسلم وفرض له عمر»(١).

❑ أبو موسى الأشعري «أسد بالنهار، راهب بالليل» كما يقول جنوده:

لما أخذ أبو موسى الأشعري «**الهُرْمزان**»، بعث به في وثاقٍ إلى عمر بن الخطاب مع أنس بن مالك، فسار به أنس، فلما قرب إلى المدينة كتب إلى عمر وخبَّره بحاله، فكتب إليه عمر أن عَظِّموا أسيركم، وأدخلوه المدينة على هيئة جميلة. فَأُدْخِلَ المدينة وعليه الدِّيباج، وفي وسطه منطقة من ذهب، وعليه قلائد من ذهب مرصَّعة بالجواهر، فلما دخلوا به على عمر، قام ابن ذي النمر الخزاعي فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس إلى ذمِّ المحسنين أقرب منهم إلى ذم المسيء، وإن وَالِيَنا خيرُ والٍ، يأخذ منا الحق أغنى ما نكون عنده، ويعطيناه أحوج ما نكون إليه، أسد بالنهار، راهب بالليل، يأكل طعام أزهدنا، ويلبس ثياب أفقرنا، يُقاتل قتال الصعلوك، ويسوس سياسة الملوك، فجزاك اللَّه عَنَّا فيه خيرًا، وأجزاه عنا فيك خيرًا. ثم أنشأ يقول:

قـدمـنـا المديـنـة بـالـهُـرمُـزان ... عـلـيـه الـقـلائـدُ والمنْـطَـقَـهْ
يُـزَفُّ إلـيـك زِفـاف الـعـروس ... عـلـى بغـلـةٍ سَـهْـوَةٍ(٢) مُـعْـتَـقَـهْ

(١) «فتوح البلدان» ص ٢٧٣ - ٢٧٤.
(٢) السهوة: يُقال بغلةٌ سهوة السير، وهي الناقة اللينة السير لا تتعب راكبها.

قد أنزله اللَّه من حصنه ... على الحكم يرجوك أن تُعْتِقَهْ
وذا الأشْعريُّ لنا والدٌ ... وأُمٌّ بنا بَرَّةٌ مُشْفِقَهْ
تهيئ المهادَ لأولادها ... وتنفض عن لُطفها المِرْفَقَهْ
ترى الوجه منه طليقًا لنا ... ونلقاهُ بالأوجه المُشرقَهْ
فلسنا نُريدُ به غيرَه ... عليه الجماعة مُستوثِقَهْ
فلا تُشْمِتَنْ بنا حاسدًا ... رماه بأسهمه المُفَرِّقَهْ

قال: فأشرق وجه عمر سرورًا بكلامه[(١)].

- **فتح جنديسابور، والكلبانية، ودورق، والثيبان:**

«سار أبو موسى إلى جنديسابور وأهلها منخوبون فطلبوا الأمان فصالحهم على أن لا يقتل منهم أحدًا، ولا يسبيه، ولا يعرض لأموالهم سوى السلاح، ثم إن طائفة من أهلها توجهوا إلى «**الكلبانية**»، فوجه إليهم أبو موسى الربيع بن زياد فقتلهم وفتح الكلبانية، واستأمنه الأساورة فَأَمَّنهم أبو موسى فأسلموا، ويُقال: إنهم استأمنوا قبل ذلك فلحقوا بأبي موسى وشهدوا «**تستر**»، واللَّه أعلم.

قال أبو رجاء: فتح الربيع بن زياد الثيبان من قِبَل أبي موسى عَنْوة، ثم غدروا ففتحها منجوف بن ثور السدوسي».

وفتح أبو موسى السوس وتستر ودورق عنوة[(٢)].

وشهد أبو موسى معركة نهاوند على رأس أهل البصرة تحت لواء النعمان بن مقرن المزني.

- **فتح «الدينور» و«ماسبذان» و«سيروان»[(٣)] سنة (٢١ هـ):**

لما انصرف أبو موسى من نهاوند، وكان قد جاء مددًا على بعث أهل البصرة،

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢/ ٧٦، ٧٧)، و«تهذيب الكمال» (١٥/ ٤٥١).
(٢) «فتوح البلدان» للبلاذري ص ٣٧٥.
(٣) سيروان: كورة بالجبل وهي كورة ماسبذان.

فَمَرَّ بالدِّيْنَور فأقام عليها خمسة أيام، وصالحه أهلها على الجزية، ومضى فصالحه أهل سيروان على مثل صلحهم، وبعث السائب بن الأقرع الثقفي إلى الصميرة «**مدينة مهرجان قذق**» ففتحها صلحًا، وقيل: إنه وَجَّهَ السائب من الأهواز ففتح ولاية مهرجان قذق[١].

قال البلاذري: «مَرَّ ـ أبو موسى ـ بالدينور فأقام عليها خمسة أيام، قُوتِلَ منها يومًا واحدًا، ثم إن أهلها أقرُّوا بالجزية والخراج وسألوا الأمان على أنفسهم وأموالهم وأولادهم فأجابهم إلى ذلك، وخلَّف بها عامله في خيل ثم مضى إلى ماسبذان فلم يقاتله أهلها وصالحه أهل «**السيروان**» على مثل صلح «**الدينور**» وعلى أن يؤدوا الجزية والخراج، وبث السرايا فيهم فغلب على أرضها.

وقوم يقولون: إن أبا موسى فتح ماسبذان قبل وقعة نهاوند»[٢].

- **فتح أصبهان وقم وقاشان:**

لما بعث عمر بن الخطاب عبداللّٰه بن عبداللّٰه بن عتبان إلى «**أصبهان**» أمدَّه بأبي موسى، فدخل عبداللّٰه وأبو موسى أصبهان فَاتِحَيْنِ[٣].

قال البلاذري: «لما انصرف أبو موسى عبداللّٰه بن قيس الأشعري من نهاوند سار إلى الأهواز فاستقرأها، ثم أتى «**قم**» وأقام عليها أيامًا ثم افتتحها، ووجه الأحنف بن قيس واسمه الضحاك بن قيس التميمي إلى «**قاشان**» ففتحها عنوة ثم لحق به، ووجه عمر بن الخطاب عبداللّٰه بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى «**أصبهان**» سنة ثلاث وعشرين، ويُقال: بل كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري يأمره بتوجيهه في جيش إلى أصبهان فوجهه ففتح عبداللّٰه بن بديل «**جي**» صلحًا بعد قتال على

---

(١) الكامل لابن الأثير (٢/ ٤٢). وفي رواية أن ضرار بن الخطاب الفهري هو الذي فتح ماسبذان، كما أن حذيفة بن اليمان هو الذي فتح الدينور.
(٢) «فتوح البلدان» ص ٣٠٤.
(٣) الطبري (٣/ ٢٠٤).

أن يؤدي أهلها الخراج والجزية وعلى أن يؤمنوا على أنفسهم وأموالهم خلا ما في أيديهم من السلاح.

وأصح الأخبار أن أبا موسى فتح «قم» و«قاشان» وأن عبدالله بن بديل فتح «جي» واليهودية»[١].

- **فتح «شيراز»[٢] و«أرجان»[٣] و«سينيز»[٤] و«سابور»[٥]:**

«اجتمع أبو موسى وعثمان بن أبي العاص في آخر خلافة عمر رضي الله عنه ففتحا «**أرجان**» صلحًا على الجزية والخراج، وفتحا «**شيراز**» وهي من أرض «**أردشير خرة**» على أن يكونوا ذمة يؤدون الخراج إلَّا مَنْ أَحَبَّ منهم الجلاء، ولا يقتلوا ولا يستعبدوا، وفتحا «**سينيز**» من أرض «**أردشير خرة**» وترك أهلها عُمَّارًا للأرض.

ولما نقض أهل سابور عهدهم وغدروا فتحها عنوة أبو موسى في سنة ست وعشرين وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص[٦].

لقد فتح أبو موسى الأشعري بلادًا شاسعة جدًّا من أرض فارس وشهد كثيرًا من فتح «**الجزيرة**» وأرض الشام.

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: أن أبا موسى افتتح الأهواز يُقال: عنوة. ويُقال: صلحًا.

وأنه هو وعياض بن غنم افتتحا حرَّان ونصيبين.

وأنه افتتح الرها[٧] وسميساط.

---

(١) «فتوح البلدان» ص ٣٠٨، ٣١٠.

(٢) شيراز: مدينة في وسط بلاد فارس.

(٣) أرَّجان: مدينة كبيرة بينها وبين البحر مرحلة وبينها وبين شيراز ستون فرسخا.

(٤) سينيز: بلد على ساحل الخليج العربي أقرب إلى البصرة من سيراف.

(٥) سابور: كورة واسعة مدينتها سابور، وهي كورة مشهورة بأرض فارس.

(٦) «فتوح البلدان» للبلاذري ص ٣٨١.

(٧) سنة ١٨ هـ.

وافتتح جُنديسابور، والسوس صلحًا. وأنه لما فرغ من الأهواز، ومناذر، ونهر تيرى، وجُنْدَيسابور، ورامهرمز توجه إلى تستر فذكر فتحها[(١)].

● **رضي اللَّه عن أبي موسى:**

فقد «كان أبو موسى صَوَّامًا قَوَّامًا ربانيًا زاهدًا عابدًا، ممن جمع العلم والعمل، والجهاد، وسلامة الصدر، لم تُغيِّره الإمارة، ولا اغترَّ بالدنيا»[(٢)].

وهو الإداري الحازم، الذي بنى المسجد ودار الإمارة بالبصرة وشق نهرًا لها[(٣)].

وهو الورع الذي خرج من البصرة بعد ترك الإمارة وما معه إلا ست مئة درهم عطاء عياله[(٤)].

وهو الورع الحي الذي كان «إذا نام لبس ثيابًا عند النوم مخافة أن ينكشف»[(٥)].

وكان يقول: «إني لأغتسل في البيت الخالي فيمنعني الحياء من ربي أن أقيم صلبي».

«وكان إذا اغتسل في بيت مظلم تجاذب وحنى ظهره حتى يأخذ ثوبه ولا ينتصب قائمًا»[(٦)].

وعن أبي موسى: أن معاوية كتب إليه: أما بعد: فإن عمرو بن العاص قد بايعني على ما أريد، وأقسم بالله، لئن بايعتني على الذي بايعني، لأَسْتَعْمِلَنَّ أحد بنيك على الكوفة، والآخر على البصرة، ولا يُغَلَقُ دونك باب، ولا تُقْضَى دونك حاجة، وقد كتبتُ إليك بخطِّي، فاكتب إليَّ بخطِّ يدك.

---

(١) انظر إلى «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٧٥)، و«تاريخ خليفة بن خياط» ص ١٣٥ - ١٤٤.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٩٦.

(٣) البلاذري ص ٣٤٢.

(٤) طبقات ابن سعد: (٤/ ١١).

(٥) طبقات ابن سعد: (٤/ ١١١).

(٦) طبقات ابن سعد: (٤/ ١١٤).

فكتب إليه: أما بعد: فإنك كتبتَ إليَّ في جسيم أمر الأمة، فماذا أقول لربي إذا قدمتُ عليه؟ وليس لي فيما عرضت من حاجة، والسلام عليك»[١].

- **أبو موسى الأشعري قائدًا:**

«كان أبو موسى من أشجع الشجعان، وحسبنا أن نذكر قول الرسول القائد فيه «سيد الفوارس أبو موسى»[٢]، وأن نذكر أنه قتل في معركة واحدة تسعة إخوة[٣]؛ فكان يضرب لجنوده في القتال أروع الأمثال.

لقد كانت الحروب القديمة تحتاج إلى قائد يعمل بعقله وسيفه؛ يعمل بعقله لإعداد الخطط العسكرية وتنفيذها وإدارة دفة المعركة، ويعمل بسيفه في المعركة يبارز الأبطال ويصاول الرجال.

والحق أن أبا موسى كان مثالًا رائعًا للقائد الممتاز الذي يعمل بعقله وبسيفه معًا في آنٍ واحد؛ لذلك انتصر في كل المعارك التي خاضها ولم ينكص له لواء واحد طيلة حياته العسكرية الطويلة.

كانت له قابلية بدنية ممتازة تعينه على تحمل المشاق العسكرية، وكان متقشفًا بطبعه لا يميل إلى الراحة والدَّعَةِ ولذيذ العيش، وكانت له طاقة نفسية عجيبة في الصبر على المكاره، كل ذلك جعله يُفَضِّلُ دائمًا أن يكون في ساحات القتال على أن يكون بين أهله آمنًا مطمئنًا؛ لهذا نراه قضى أكثر حياته مجاهدًا؛ لأنه كان يعتبر الجهاد في سبيل اللَّه من أعظم العبادات، لا يُبالي في جهاده أن يكون قائدًا عامًّا أو قائدًا مرءوسًا ـ يضع نفسه بإمرة غيره من القادة ـ حتى القادة الذين أرسلهم هو بنفسه إلى ساحات الجهاد، وهذا ما لا يقدر عليه إلا المجاهدون الصابرون والمؤمنون الصادقون.

---

(١) سنده صحيح: أخرجه ابن سعد ٤/ ١١١، ١١٢، وتاريخ دمشق، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٩٦.

(٢) طبقات ابن سعد: (٤/ ١٠٧).

(٣) جوامع السيرة لابن حزم ص ٢٤١.

لقد كان صحيح القرار، ذا إرادة قوية وشخصية رصينة، يتحلَّى بمزايا الضبط، ويؤمن بمبادئ الطاعة، يتحمل المسئولية إلى الحدود التي لا مخالفة في تحملها، فهو من هذه الناحية قائد «**متبع**» وليس قائدًا «**مبتدعًا**».

وعند مقارنة أعماله العسكرية بمبادئ الحرب، نجد أنه «**يختار مقصده ويديمه**» دائمًا، ولا يحيد عنه، كل معاركه «**تعرضية**» يحاول أن «**يباغت**» بها عدوه كلما وجد إلى ذلك سبيلًا.

وكان يعمل على «**تحشيد قوته**» قبل المعركة و«**يقتصد بالمجهود**»؛ فلا يعطي خسائر في الأرواح بدون مبرر، وكان «**يتعاون**» تعاونًا وثيقًا صادقًا مع غيره من القادة بكل رحابة صدر وعن طيب خاطر.

كما أنه كان يحمل قواته على التعاون فيما بينها تعاونًا وثيقًا؛ (يديم معنويات) قواته بشجاعته الشخصية وقيادته الحكيمة وبتوالي انتصاراته وبمواعظه الحسنة.

وكان بالإضافة إلى ذلك يساوي بينه وبين رجاله، بل كان يستأثر دونهم بالخطر ويؤثرهم بالأمن، وكان يستشيرهم في كل أمر من أموره ويعمل بمشورتهم.

لقد كان قائدًا مثاليًا من كافة الوجوه[١].

فرضي اللَّه عن القائد الأسد المغوار .. راهب الليل وفارس النهار .. العالم المُعَلِّم صاحب القراءة والمزمار .. الرابض نفسه بالسياحة في المضمار .. الأشعري أبو موسى عبداللَّه بن قيس بن حضَّار .. الذي كان بالأحكام والأقضية عالمًا .. وفي أودية المحبة متيمًا وهائمًا .. وبقراءة القرآن في الحنادس مترنِّمًا وقائمًا .. وفي طول الأيام والحرور طاويًا وصائمًا .. وفي ساحات المعارك قائدًا عظيمًا في كل معاركه منتصرًا وغانمًا.

* * *

(١) قادة فتح بلاد فارس ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٣٨٥) الصحابي البدري .. وقائد القادة
أبو سَبْرَة بن أبي رُهْم القرشي العامري ﵁
فاتح تُستر، والسوس، وجُنْدَيْسَابور

هو الصحابي الجليل أبو سبرة بن أبي رُهْم بن عبد العزي بن أبي قيس بن عبد ودٍّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي.

وأمه بَرَّة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول اللَّه ﷺ، وهو أخو أبي سلمة ابن عبد الأسد لأمه.

وهو أحد السابقين إلى الإسلام، وكان أبو سبرة من مهاجرة الحبشة الهجرتين جميعًا، وكانت معه في الهجرة الثانية امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، ذكر ذلك محمد بن إسحاق والواقدي.

ولما هاجر أبو سبرة من مكة إلى المدينة نزل على المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحيحة بن الجُلَّاح، وآخى رسول اللَّه ﷺ بين أبي سبرة وبين سلمة بن سلامة بن وقْش.

شـــهد بطلُنَا أبو سَـبرة بدرًا، وأحـــدًا، والخندق، والمشـــاهد كلها مع رسول اللَّه ﷺ[١]. ويكفيه هذا شرفًا.

- **جهاده بعد رسول اللَّه ﷺ:**

كان ﵁ في جيش أسامة، فلما عاد الجيش إلى المدينة شارك أبو سبرة في قتال المرتدين.

- **إنقاذ أبي سبرة لجيش العلاء الحضرمي سنة (١٧ هـ):**

لما حالت الفرس بين المسلمين بقيادة العلاء الحضرمي وبين سفنهم ـ وكان

---

(١) طبقات ابن سعد: (٣/ ٤٠٣). انظر الإصابة (٧/ ١٤١) ت (٩٩٩١)، وأسد الغابة (٦/ ١٣١) ترجمة (٥٩٤٢).

المسلمون قد عبروا عليها من البحرين إلى فارس - ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلًا، وأخذت الفرس منهم طرقهم، فلما بلغ عمر صنيع العلاء أرسل إلى عتبة بن غزوان يأمره بإنفاذ جند كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا، وقال: «فإني قد أُلقي في رَوْعي كذا وكذا» نحو الذي كان، وأمر العلاء بأثقل الأشياء عليه تأمير سعد عليه، فشخص العلاء إلى سعد بمن معه، وأرسل عتبة جيشًا كثيفًا في اثني عشر مقاتلًا، فيهم عاصم بن عمرو، وعرفجة بن هرثمة، والأحنف بن قيس وغيرهم، فخرجوا على البغال يجنبون الخيل، وعليهم أبو سبرة بن أبي رُهْم أحد بني عامر بن لؤي، فسار بالناس وسَاحَلَ بهم، لا يعرض له أحد حتى التقى أبو سبرة وخليد، بحيث أخذ عليهم الطريق عقيب وقعة (طاوس)، وإنما كان ولي قتالهم أهل إصطخر وحدهم وَمَنْ شَذَّ من غيرهم، وكان أهل إصطخر حيث أخذوا الطريق على المسلمين فجمعوا أهل فارس عليهم فجاءوا من كل جهة فالتقوا هم وأبو سبرة بعد (طاوس) وقد توافت إلى المسلمين أمدادهم، وعلى المسلمين «شهرك» فاقتتلوا ففتح اللَّه على المسلمين، وقُتل المشركون، وأصاب المسلمون منهم ما شاءوا، وهي الغزوة التي شرفت فيها نابتة البصرة، وكانوا أفضل نوابت الأمصار، ثم انكفئوا بما أصابوا، وكان عتبة كتب إليهم بالحث وقلة العرجة فرجعوا إلى البصرة سالمين[1].

واستخلف عروة أبا سبرة بن أبي رُهْم مكانه بالبصرة عند ذهابه إلى الحج فأقره عمر، حتى استعمل على البصرة المغيرة بن شعبة.

- **أبو سبرة الفاتح لتستر، والسوس، وجُنديسابور:**

لم يزل يزدجرد «**كسرى**» وهو بـ(مرو) يثير أهل فارس أسفًا على ما خرج من مُلْكِهِمْ، فتحرَّكوا وتكاتبوا هم وأهل الأهواز وتعاقدوا على النُّصرة فجاءت الأخبار

(١) الكامل: (٢/ ٣٨٤). والطبري (٣/ ١٧٨، ١٧٩).

حرقوص بن زهير، وجزءًا، وسلمى، وحرملة، فكتبوا إلى عمر بالخبر، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز جندًا كثيفًا مع النعمان بن مُقَرِّن وعَجِّلْ، فلينزلوا بإزاء الهرمزان ويتحققوا أمره. وكتب إلى أبي موسى: أن ابعث إلى الأهواز جندًا كثيفا وَأَمِّرْ عليهم سهل بن عدي أخا سهيل، وابعث معه البراء بن مالك، ومجزأة ابن ثور، وعرفجة بن هرثمة، وغيرهم، وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعًا أبو سبرة بن أبي رهم، وكل من أتاه مُمِدٌّ له. فخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة فسار إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، وسار نحو الهرمزان، واقتتلوا قتالًا شديدًا، وَهُزِمَ الهرمزان؛ فترك رامهرمز، ولحق بتستر، ووصل أهل البصرة فنزلوا سوق الأهواز[1] وهم يريدون رامهرمز، فأتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الأهواز، وأتاهم الخبر أن الهرمزان قد لحق بتستر، فساروا نحوه، وسار النعمان أيضًا، وسار حرقوص، وسلمى، وحرملة، وجزء فاجتمعوا على «**تستر**»، وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس، والجبال، والأهواز في الخنادق، وأمدهم عمر بأبي موسى وجعله على أهل البصرة، وعلى الجميع أبو سبرة، فحاصروهم أشهرًا، وأكثروا فيهم القتل، وَزَاحَفَهُمُ المشركون أيام «تُسْتر» ثمانين زحفًا، وَهَزَمَ المسلمون المشركين حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم، ثم دخلوا مدينتهم، وأحاط بها المسلمون، فبينما هم على ذلك - وقد ضاقت المدينة بهم وطالت حربهم - خرج رجل إلى النعمان يستأمنه على أنْ يَدُلَّهُ على مدخل يدخلون منه، ورمي في ناحية أبي موسى بسهم: إن أمنتموني دللتكم على مكان تأتون المدينة منه. فَأَمَّنُوهُ في نشابة، فرمى إليهم بأخرى، وقال: انهدوا مِنْ قِبَل مخرج الماء فإنكم تقتحمونها.

فندب الناس إليه؛ فانتدب له عامر بن عبد قيس وَبَشَرٌ كثيرٌ، ونهدوا لذلك المكان ليلًا، وقد ندب النعمان أصحابه ليسيروا مع الرجل الذي يدلهم على المدخل إلى المدينة؛ فانتدب له بَشَرٌ كثيرٌ فالتقوا هم وأهل البصرة على ذلك المخرج فدخلوا

(١) الأهواز: اسم ولاية خوزستان، وبلدة الأهواز يُطلق عليها: سوق الأهواز.

في السرب والناس من خارج، فلما دخلوا المدينة كَبَّرُوا فيها، وَكَبَّرَ المسلمون من خارج، وَفُتحت الأبواب، فاجتلدوا فيها، فأناموا كل مقاتل، وقصد الهرمزان القلعة فتحصن بها، وأطاف به الذين دخلوا، فنزل إليهم على حكم عمر، فأوثقوه واقتسموا ما أفاء اللَّه عليهم، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف، وسهم الراجل ألفًا، وجاء صاحب الرمية والرجل الذي خرج بنفسه فأمَّنوهما ومن أغلق بابه معهما، وَقُتِلَ من المسلمين تلك الليلة بَشَرٌ كثيرٌ[1].

● **فتح السوس:**

بعد فتح «**تستر**» خرج أبو سبرة بنفسه في أَثَرِ المنهزمين إلى «**السوس**»، ونزل عليها، ومعه النعمان بن مقرن وأبو موسى، وكتبوا إلى عمر فكتب إلى أبي موسى يرده إلى البصرة وهي المرة الثالثة، فانصرف إليها من على السوس، وسار زر بن عبداللَّه بن كليب الفقيمي على جنديسابور فنزل عليها ـ وهو من الصحابة ـ وَأَمَّرَ عمر على جند البصرة المقترب؛ وهو: الأسود بن ربيعة أحد بني ربيعة بن مالك ـ وهو صحابي أيضًا ـ وكانا مُهَاجِرَيْنِ، وكان الأسود قد وَفَدَ على رسول اللَّه ﷺ وقال: «**جئت لأقترب إلى اللَّه بصحبتك**»؛ فَسَمَّاهُ المقترب.

لما نزل أبو سبرة على السوس ـ وبها شهريار أخو الهرمزان ـ، أحاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرات، كل ذلك يصيب أهل السوس في المسلمين.

واستطاع المسلمون فتحها عنوة، وألقى المشركون بأيديهم، ونادوا: الصلح الصلح؛ فأجابهم المسلمون إلى ذلك بعدما دخلوها عنوة، واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح، ثم افترقوا، فسار النعمان حتى أتى نهاوند، وسار المقترب حتى نزل على جنديسابور مع زَرٍّ.

---

(١) الكامل: ٢/ ٣٨٩، ٣٩٠ ـ ٣٩١.

- **فتح جُنْدَيسابور:**

بعد فتح «**السوس**» توجه النعمان بن مقرن المزني إلى «**نهاوند**» وتوجه المقترب الأسود بن ربيعة إلى «**جنديسابور**» فقصد أبو سبرة على رأس قواته «**جنديسابور**» وَضَيَّقَ عليها الحصار، وفجأة فَتَحَتْ «**جنديسابور**» أبوابها، وقال المدافعون عنها: رميتم بالأمان، فقبلناه وأقررنا بالجزية. فقال المسلمون: ما فعلنا!! فسأل المسلمون فيما بينهم، فإذا عبدٌ يدعى «**مُكْنِفًا**» كان أصله من «**جنديسابور**» هو الذي كتب لهم هذا الأمان، فكتب أبو سبرة بذلك إلى عمر، فكان جوابه: «إن اللَّه عظَّم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا، فما دمتم في شك أجيزوهم ووفوا لهم»[1].

وفي هذا يقول عاصم بن عمرو التميمي:

لعمري فقد كانت قرابة «مكنفٍ» قرابة صدق ليس فيها تقاطعُ
أجارهمُ من بعد ذلٍّ وقِلَّةٍ وخوف شديد والبلاد بلاقعُ
فجاز جوار «العبد» بعد اختلافنا وَرَدَّ أمورًا كان فيها تنازع
إلى الركن والوالي المصيب حكومةً فقال بحق ليس فيه تخالع[2]

- **أبو سبرة القائد:**

«من الواضح أن المعارك التي قاد المسلمين فيها أبو سبرة كانت معارك «**مدبرة**»[3]، أنجز المسلمون لها تحشدهم، وأعدوا كافة متطلبات القتال؛ لأن الفرس كانوا من جانبهم قد حشدوا كافة إمكاناتهم المادية والمعنوية لصد المسلمين عن بلادهم؛ لذلك كان التغلب على حشود الفرس الكبيرة يحتاج إلى خطط سديدة وإلى قوات كافية.

وفعلًا لم يتسرع أبو سبرة في خوض تلك المعارك، بل خاضها بعد إنجاز

---

(١) الطبري: (٣/ ١٨٨) والكامل: (٢/ ٣٩٤ - ٣٩٥).
(٢) معجم البلدان: (٣/ ١٥٠).
(٣) المعركة المدبرة سواء كانت هجومية أو دفاعية، معناها: تهيئة كافة متطلبات القتال من عدد وعُدة وقضايا إدارية وأمور معنوية وخطط دقيقة، وهي عكس المعارك الفورية التي تتسم بالسرعة لا بالدقة وتعتمد على الصدف كثيرا لا على الحسابات الدقيقة.

تحشدات كبيرة عددًا وعُدَدًا، فكان واثقًا من انتصاره سلفًا، وهو بذلك مثال رائع للقائد المكيث الذي يُقْدِمُ إقدامًا مضمونًا مأمون العواقب.

لقد كان على رأس القوات الإسلامية القادمة من البصرة والكوفة شخصيات لامعة لها وزنها الكبير في نظر المسلمين بصورة عامة، خاصة وإن بعضهم كان من ألمع أبطال العرب وقادتهم ودهاتهم؛ فكان تسنم أبي سبرة مركز القيادة عليهم جميعًا دليلًا قاطعًا على ثقة عمر بكفاءته الممتازة وشخصيته القوية النافذة.

إنه كان مثالًا للقائد الذي يقرر بسرعة وبدقة، والذي يتحمل أخطر المسئوليات في أخطر الظروف، والذي يسبق النظر، ويحسب لكل احتمال حسابه، والذي يثق به أمراؤه ورجاله ثقة لا مزيد عليها.

وكانت أعماله العسكرية تمتاز بتطبيق مبدإ «**تحشيد القوة**» ومبدإ «**التعاون**» وقد أدى تمسكه بهذين المبدأين إلى انتصاره على القوات الفارسية الكبيرة بعد حصارها في مدنها الحصينة، مع أن الحصار المديد يحتاج إلى قائد ممتاز وإلى جنود ممتازين.

يذكر التاريخ لأبي سبرة القائد فتوحاته الكثيرة في منطقة «**خوزستان**»؛ مما جعل هذه المنطقة قاعدة أمامية متقدمة لانطلاق الفتح الإسلامي إلى عقر ديار الإمبراطورية الفارسية.

ويذكر لأبي سبرة أنه كان قائد القادة الفاتحين في فترة من أخطر أيام الفتح، انتشروا من بعدها في الأرض فاتحين منتصرين ودعاة صادقين.

ويذكر له ـ بالإضافة ـ إلى ذلك حربه الشريفة التي تمثل الذروة في حرب الفروسية، ولعل وفاءه بالأمان الذي قطعه عبدٌ مغمورٌ من عبيد المسلمين لأهل مدينة كبيرة انهارت مقاومة حماتها ماديًّا ومعنويًّا مثالٌ رائع لحرب الفروسية في كل أدوار التاريخ»[1].

رضي اللّه عن الصحابي الجليل، والقائد البدري الفارس النبيل،
أبو سبرة بن أبي رهم القرشي العامري.

---

(١) قادة فتح بلاد فارس ص ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٣٨٦) الصحابي القائد سلمى بن القين التميمي رضي الله عنه فاتح مَناذر ونهر تيرى

هو الصحابي القائد سلمَى بن القيْن بن عمرو بن بكر بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة التميمي الحنظلي(١).

قال ابن الكلبي: سلمى بن القين صحب النبي ﷺ، وهو مهاجري(٢).

- **جهاده:**

كان رضي الله عنه من السابقين للجهاد في ميدان العراق قبل وصول وقدوم البطل خالد ابن الوليد، وكتب أبو بكر الصديق إلى المثنى بن حارثة الشيباني، ومذعور بن عدي العجلي، وحرملة بن مريطة التميمي، وسلمى بن القين أن يلحقوا بخالد في **«الأبلة»**(٣)، وكان معهم ثمانية آلاف من ربيعة مضر، وكان مع سيف اللَّه خالد ألفان، واكتملت بذلك لخالد عشرة آلاف مجاهد(٤).

شارك سلمى في الجهاد في العراق تحت لواء خالد، وأبي عبيد الثقفي، وسعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان.

- **الفاتح لمناذر(٥) ونهر تيرى(٦) سنة ١٧هـ:**

لما انهزم الهرمزان يوم القادسية، وهو أحد البيوتات السبعة في أهل فارس، وكانت أمته منهم مهرجان قذق، وكور الأهواز، فلما انهزم قصد **«خوزستان»**

---

(١) انظر الإصابة (٣/ ١٣٤) ت (٣٤٢٦)، وأسد الغابة (٢/ ٥٣٤) ت (٢١٩٦).
(٢) الاستيعاب: (٢/ ٥٣٤).
(٣) الأبلة: مدينة كانت مرفأ للسفن القادمة من الصين، وهي واقعة جنوب البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا، وجنوب مدينة أبي الخصيب بنحو ميلين.
(٤) الطبري: (٢/ ٥٥٤).
(٥) مناذر: هما بلدتان بنواحي الأهواز: مناذر الكبرى ومناذر الصغرى.
(٦) نهر تيري: تيري بلد بنواحي الأهواز، والنهر باسم هذا البلد حفره أردشير الصغير ابن بابك.

فملكها، وقاتل بها مَنْ أرادهم؛ فكان الهرمزان يغير على أهل «**ميسان**»[١] و«**دستيمان**»[٢] من وجهين: من مناذر، ونهر تيرى.

فاستمد عتبة بن غزوان سعدًا فأمده بنعيم بن مقرن، ونعيم بن مسعود، وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان، ودستيمان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرى، وَوَجَّهَ عتبة بن غزوان سلمى بن القين، وحرملة بن مريطة؛ فنزلا على حدود أرض ميسان، ودستيمان، بينهم وبين مناذر، ودعوا بني العم فخرج إليهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكليبي، فتركا نعيمًا وأتيا سلمى وحرملة، وقالا: أنتما من العشيرة، وليس لكما مترك، فإذا كان يوم كذا وكذا فانهدوا للهرمزان، فإنَّ أحدنا يثور بمناذر، والآخر بنهر تيرى، فنقتل المقاتلة، ثم يكون وجهنا إليكم، فليس دون الهرمزان شيء إن شاء الله. ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك، وكانوا ينزلون خوزستان قبل الإسلام، فأهل البلاد يأمنونهم.

فلما كانت تلك الليلة ليلة الموعد بين سلمى، وحرملة، وغالب، وكليب، وكان الهرمزان يومئذٍ بين نهر تيرى وبين دُلث[٣]، وخرج سلمى وحرملة صبيحتهما في تعبية، وأنهضا نعيمًا وَمَنْ معه فالتقوا هم والهرمزان بين دلث ونهر تيرى، وسلمى بن القين على أهل البصرة، ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة، فاقتتلوا فبينا هم على ذلك أقبل مددٌ من قِبَل غالب وكليب، وأتى الهرمزان الخبر بأن مناذر، ونهر تيرى قد أُخِذَتَا؛ فكسر ذلك قلب الهرمزان ومن معه، وهزمه الله وإياهم؛ فقتل المسلمون منهم ما شاءوا وأصابوا ما شاءوا، وأتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دُجَيْل[٤]، وأخذوا ما دونه، وعسكروا بحيال سوق الأهواز، وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وأقام بها، وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين، فلما

---

(١) ميسان: كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل بين البصرة وواسط.

(٢) دستيمان: كورة كبيرة بين واسط والبصرة والأهواز، وهي إلى الأهواز أقرب، وقيل: قصبتها الأبلة.

(٣) دلث: موضع بالأهواز، وتسمى أيضًا دلوث انظر معجم البلدان (٤/ ٦٨).

(٤) دُجَيْل: نهر بالأهواز.

رأى الهرمزان ما لا طاقة له به طلب الصلح، فاستأمروا عتبة، فأجاب إلى ذلك على الأهواز كلها، ومهرجان قذق ما خلا نهر تيرى، ومناذر، وما عليه من سوق الأهواز فإنه لا يرد عليهم، وجعل سلمى على مناذر مسلحة[١] وأمرها إلى غالب، وحرملة على نهر تيرى وأمرها إلى كليب، فكانا على مسالح البصرة، وهاجرت طوائف من بني العم فنزلوا البصرة وجعلوا يتتابعون على ذلك، ووفد عتبة وفدًا إلى عمر منهم سلمى، وجماعة من أهل البصرة[٢].

وبينا الناس على ذلك من ذمتهم مع الهرمزان، وقع بين الهرمزان، وغالب، وكليب في حدود الأرضين اختلاف، فحضر ذلك سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم، فوجدا غالبًا وكليبًا مُحِقَّيْنِ والهرمزان مبطلًا، فحالا بينهما وبينه؛ فكفر الهرمزان ومنع ما قِبَلَهُ، واستعان بالأكراد، فكثف جنده، وكتب سلمى ومن معه إلى عتبة بذلك، فكتب عتبة إلى عمر، فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمدَّ المسلمين بحرقوص بن زهير السعدي[٣] - وكانت له صحبة مع رسول الله ﷺ - وَأَمَّرَهُ على القتال، وعلى ما غلب عليه، وسار الهرمزان ومن معه، وسار المسلمون إلى جسر سوق الأهواز، وأرسلوا إليه: إما أن تعبر إلينا أو نعبر إليكم؟ فقال: اعبروا إلينا. فعبروا فوق الجسر فاقتتلوا مما يلي سوق الأهواز؛ فانهزم الهرمزان وسار إلى رامهرمز، وفتح حرقوص سوق الأهواز، واتسعت له بلادها إلى تستر ووضع الجزية، وكتب بالفتح إلى عمر، وأرسل إليه الأخماس[٤].

---

(١) مسلحة: جمعها مسالح، وهي الجماعة المسلحون المعدون للقتال، وهي في المصطلحات العسكرية الحديثة: الحامية.

(٢) الكامل ٢/ ٣٨٦ - ٣٨٧.

(٣) حرقوص بن زهير السعدي له صحبة، بقي إلى أيام علي رضي الله عنه وشهد معه صفين، ثم صار من الخوارج ومن أشدهم على عليّ رضي الله عنه وقتل بالنهروان سنه ٣٧ هـ، ولم نذكر له ترجمة مع أنه فاتح سوق الأهواز لبدعته.

(٤) الكامل ٢/ ٣٨٨.

ومن سوق الأهواز سار سُلمى وحرملة وجزء إلى «**تستر**» وبها الهرمزان على رأس الفرس، وبعد قتال عنيف انتصر المسلمون في تستر.

ولما استنفر عمر الناس مع النعمان بن مقرن إلى «**نهاوند**»، وأمر عمر جُند المسلمين بالأهواز ليشغلوا جيوش فارس عن المسلمين، فأقام سلمى وحرملة ومن معهم من القادة فقطعوا إمدادات فارس عن أهل نهاوند[١] ، فَخَفَّفُوا ضغط قوات فارس عن المسلمين، وقاموا بدور فَعَّال في انتصار المسلمين.

* * *

---

(١) الطبري: (٣/ ٢١٣).

(٣٨٧) الصحابي القائد حرملة بن مُرَيطة التميمي[١] رضي الله عنه فاتح مناذر ونهر تيرى

هو الصحابي القائد حرملة بن مريطة التميمي من صالحي الصحابة، وذكره الطبري فيمن كان مع عتبة بن غزوان بالبصرة، وَسَيَّرَهُ عتبة إلى قتال الفرس بميسان، ودَسْتُمِيسان، من خوزستان، وله صحبة وهجرة إلى النبي ﷺ، وَسَيَّرَ عتبة معه سُلْمَى بن القين، وكان من المهاجرين أيضًا، كانا في أربعة آلاف من تميم والرباب، فنزلوا الجِعِرَّانة، ونعمان، وكلاهما من نواحي العراق، وكان النوشجان والقيومان في جموع الفرس بالوركاء[٢].

- **جهاده:**

كل ما ذكرناه في ترجمة سلمى بن القين وجهاده وفتوحاته ينطبق تمامًا على حرملة بن مريطة التميمي؛ فقد كان ميدان جهادهما وفتوحاتهما واحدًا.

- **سلمى وحرملة القائدان:**

«كان حرملة وابن عمه سُلَمَى يقودان أربعة آلاف من بني عمهم تميم والرباب؛ سارا بهم من نصر إلى نصر في أكثر معارك فتح العراق وفي فتح الأهواز، وبقيا مع رجالهما مُجَاهِدَيْنِ تارة وَمُرَابِطَيْنِ أخرى مسالح المسلمين في (مناذر) ومنطقة (نهر تيرى) وبالقرب من أصبهان.

ومن دراسة معاركهما يتضح أن كلًّا منهما كان قائدًا ممتازًا، يتمتع بمزايا قيادية فذة ونادرة.

لقد باغت كل منهما بخطته الموقوتة الدقيقة لفتح «**مناذر**» و«**نهر تيرى**»، تلك

---

(١) انظر ترجمته في الإصابة ت (١٦٧٣)،وفي «أسد الغابة» (١/ ٧١٦ - ٧١٧) ت (١١٣٣).
(٢) أسد الغابة: (١/ ٧١٦ - ٧١٧).

الخطة التي باغت بها الجيش الفارسي بمكان لا يتوقعه، وبزمان لا يتوقعه، وبأسلوب لا يتوقعه أيضًا، وبذلك باغتا عدوهما بالمكان والزمان والأسلوب في آنٍ واحدٍ، وهذا هو أعلى مراتب المباغتة أهم مبادئ الحرب على الإطلاق.

وكان كلٌّ منهما قائدًا «**تعرضيًّا**»؛ فلم يدافعا مطلقًا، وكانا مُهْتَمَّيْنِ بمبدإ «**الأمن**»؛ فلم يستطع العدو أن يباغت رجالهما أبدًا.

أما معركة «**تستر**» قتالًا وحصارًا فتدلُّ على شدة ضبطهما وسيطرتهما على رجالهما، وتميزهما بالحذر واليقظة، وصبرهما على الحرب.

كما أن مشاغلتهما القوات الفارسية في منطقة شاسعة قبيل معركة نهاوند الحاسمة دليل على قابليتهما القيادية الممتازة؛ بحيث استطاعا مشاغلة قوات معادية جسيمة بقوات قليلة نسبيًّا.

لقد كان حرملة وسلمى بدون شك قَائِدَيْنِ مُمْتَازَيْنِ مَيْمُونَي النقيبةِ، كَامِلَي العقلِ، طَوِيلَي التجربة، مكيثين، بصيرين بتدابير الحروب ومواضعها ومواضع الفرص والحيل والمكائد»[1] . فرضي اللَّه عن الصحابيين الجليلين: سلمى بن القين وحرملة بن مُريطة التَّمِيمِيَّيْنِ.

* * *

(١) انظر قادة فتح بلاد فارس ص (١٤٠ - ١٤١)، (١٤٥ - ١٤٦).

(٣٨٨) الصحابي القائد جُزُء بن معاوية التميمي رضي الله عنه فاتح مدينة دَورَق بالأهواز

هو الصحابي القائد جزء بن معاوية بن حُصينْ بن عبادة بن النزَّال بن مُرَّة بن عُبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي، عم الأحنف بن قيس.

وعند ابن عبدالبر وابن الأثير: جَزِيٌّ[١].

قال أبو عمر بن عبدالبر: كان عامل عمر على الأهواز. وقيل: له صحبة، ولا يصح.

قال ابن حجر: «قلت: وقد تقدم غير مرة أنهم كانوا لا يؤمِّرون في ذلك الزمان إلا الصحابة»[٢].

فالصحيح أنه صحابي نال شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد صلى الله عليه وسلم.

● **جهاده:**

وَلَّاهُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيادة جيش من جيوش المسلمين؛ مما يدل على كفاءته وبطولته.

ذكر ابن جرير الطبري وابن الأثير في أحداث سنة (١٧ هـ) أنه لما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز وافتتحها المسلمون بعث حرقوص جزء بن معاوية في أثره بأمر عمر إلى سوق فما زال يقتلهم حتى انتهى قرية الشغر، وأعجزه الهرمزان

---

(١) انظر الإصابة: (١/ ٥٨٦) ت (١١٥٢)، والاستيعاب ت (٣٦٩)، وأسد الغابة (١/ ٥٣٥). ت (٧٤٣).

(٢) الإصابة: ١/ ٥٨٦.

فمال جزءٌ إلى دَوْرَق[١] وهي مدينة سُرَّق[٢] فأخذها صافية، ودعا مَن هرب إلى الجزية فأجابوه، وكتب إلى عمر، وعتبة بذلك، فكتب عمر إلى حرقوص وإليه بالمقام فيما غلبا عليه حتى يأمرهما بأمره، فَعَمَّرَ جزءٌ البلادَ، وَشَقَّ الأنهار، وأحيا المْوَاتَ، وراسلهم الهرمزان يطلب الصلح، فأجاب عمر إلى ذلك وأن يكون ما أخذه المسلمون بأيديهم، ثم اصطلحوا على ذلك، وأقام الهرمزان والمسلمون يمنعونه إذا قصده الأكراد ويجيء إليهم[٣].

وشهد جزءٌ، وسلمى، وحرملة فتح «تُستَر» وقاتل جزءٌ تحت قيادة أبي سبرة بن أبي رهم حتى مَنَّ اللَّه على المسلمين بالفتح، ثم عاد إلى الأهواز واليًا عليها من قِبَل عمر بن الخطاب.

فرضي اللَّه عن الصحابي القائد والإداري الفذِّ جزء بن معاوية التميمي وأسكنه فسيح جنَّاته.

* * *

(١) دورق: هي مدينة سرّق، وهي بلدة بخوزستان وقصبة كورة سرَّق، ويُقال لها: دورق الفرس.

(٢) سرّق: إحدى كور الأهواز.

(٣) الكامل (٢/ ٣٨٨ - ٣٨٩)، والطبري (٣/ ١٧٥).

(٣٨٩) الصحابي القائد
زَرُّ بن عبدالله بن كُلَيب الفُقَيمي رضي الله عنه
فاتح جُنْديسابور(١)

قال الطبري: له صحبة ووفادة، وكان من أمراء الجيوش في فتح خوزستان، وكان على جيش في حصار جُنديسابور وفتحها صلحًا. ذكره ابن فتحون.

وروى ابن شاهين عن زر بن عبدالله الفقيمي أنه وفد على النبي ﷺ في نفر من بني تميم، فأسلم، ودعا له النبي ﷺ وَلِعَقِبِهِ(٢).

وقال ابن الأثير: «له صحبة، وهو من المهاجرين»(٣).

- **جهاده:**

شارك في فتح رامهرمز، و«**تستر**» وبعد فتحهما كتب عمر إلى زر بن عبدالله أن يسير على جنديسابور، فسار زَرٌّ إليها حتى نزل عليها هو والمسلمون في سنة (١٧هـ) وحاصروها، فأقاموا عليها يقاتلونهم، فرمى إلى مَنْ بها من عسكر المسلمين بالأمان، فلم يفجإِ المسلمون إلا وقد فُتحت أبوابها، وأخرجوا أسواقهم، وخرج أهلها فسألهم المسلمون فقالوا: رميتم بالأمان فقبلناه، وأقررنا بالجزية على أن تمنعونا. فقالوا: ما فعلنا. فقالوا: ما كذبنا.

وسأل المسلمون فيما بينهم فإذا عَبدٌ يُدْعَى «**مُكنفًا**» كان أصله منها، فعل هذا. فقالوا: هو عبدٌ. فقال أهلها: لا نعرف العبد من الحر، وقد قبلنا الجزية، وما

(١) جُنْديسابور: مدينة حصينة واسعة بالأهواز بها النخيل والزروع والمياه.
(٢) الإصابة: (٢/ ٤٦٦) ت (٢٨٠٩).
(٣) أسد الغابة: (٢/ ٣١٢) ت (١٧٣٦).

بدَّلنا، فإن شئتم فاغدروا. فكتبوا إلى عمر فأجاز أمانهم فأمنوهم وانصرفوا عنهم[١].

- **زر القائد:**

«لم يكن عمر ليولي رجلًا من الصحابة على جيش من جيوش المسلمين ما لم يكن قد مارس الحرب وخبرها وأبلى فيها أحسن البلاء.

ونستطيع أن نستنتج من قتاله العنيد لأهل «**جنديسابور**» وصبره على حصار المدينة ونجاحه في مهمته إلى درجة تخاذل أهلها وإقدامهم على الاستسلام لمجرد وصول إشارة لأمانهم لا يعرفون مصدرها أنه كان قائدًا يتحلَّى بالتدريب العالي، والضبط المتين، وكان منتبهًا يقظا حذرًا لا ينام ولا يُنيم، وأنه كان مسيطرًا على رجاله سيطرةً تامة؛ مما يدل على شخصيته النافذة ورجولته وإقدامه.

يذكر التاريخ لِزَرٍّ أنه فتح بلدًا من أهم وأكبر بلدان ولاية الأهواز.

ويذكر له أنه كان موضع ثقة حتى أعدائه، بحيث صالحوه استنادًا على أمان لا يعرفون مصدره ونتائجه[٢].

فرضي اللَّه عن الصحابي البطل، المجاهد، القائد الفاتح زر بن عبداللَّه الفقيمي.

❊ ❊ ❊

---

(١) الكامل: (٢/ ٣٩٤ - ٣٩٥)، والطبري (٣/ ١٨٢).

(٢) قادة فتح بلاد فارس ص ١٦٣.

(٣٩٠) الصحابي القائد .. قائد جنود البصرة في فتح جُنديسابور المقترب الأسود بن ربيعة التميمي رضي الله عنه

هو أحد بني ربيعة بن مالك .. واختلف في اسمه؛ فقال الحافظ ابن حجر: «**الأسود بن عبْس بن أسماء بن وهب بن رياح بن عَوْذ بن منقذ بن كعب بن ربيعة الجوع بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم**»[١]، وترجم له أيضًا بـ«**الأسود بن ربيعة الحنظلي من بني ربيعة بن مالك بن حنظلة**»[٢]، وظاهر أمره أنهما واحد.

وفي «**أُسْدِ الْغَابَةِ**» ترجم للأسود بن ربيعة[٣]، وترجم أيضًا للأسود بن عبس[٤].

قال ابن حجر: «ذكر هشام الكلبي أنه وفد على النبي ﷺ فقال: جئت لأقترب إلى اللَّه بصحبتك. فسماه المقترب، وصحب النبي ﷺ

وروى الطبري أن عمر استعمل الأسود بن ربيعة أحد بني ربيعة بن مالك على جُند البصرة، وهو صحابي مهاجري، وهو الذي قال: جئت لأقترب. فسمي المقترب؛ قال بعض الحفاظ: لعل بعضهم نسبه إلى جده الأعلى ربيعة، واللَّه أعلم»[٥].

- **جهاده:**

لما سار زَرُّ بن عبد اللَّه بن كليب الفقيمي إلى «**جنديسابور**» وحاصرها، أَمَّرَ

(١) الإصابة: (١/ ٢٢٧) ت (١٦٥).
(٢) الإصابة: (١/ ٢٢٥) ت (١٥٩).
(٣) أسد الغابة: (١/ ٢٢٨) ت (١٤٢).
(٤) أسد الغابة: (١/ ٢٣١) ت (١٥٠).
(٥) الإصابة: (١/ ٢٢٨).

عمر بن الخطاب على جند البصرة المقترب[1]؛ ليعاون زَرًّا في مهمته في حصار «**جنديسابور**» والقتال... وَفُتِحَتْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ صُلْحًا.

وسيذكر التاريخ للأسود المقترب أنه كان قائدًا لجيش البصرة الذي شارك في فتحِ بلدٍ من أهم وأكبر بلدان إقليم الأهواز، ونشرِ الإسلام بين ربوعه.. فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَجَعَلَ الْفِرْدَوْسَ مَأْوَاهُ.

* * *

(١) الطبري: (٣/ ١٨٢)، والكامل (٢/ ٣٩١).

(٣٩١) الصحابي البطل القائد مجاب الدعوة الربيع بن زياد الحارثي رضي الله عنه فاتح بيروذ[١] ومناذر[٢] من الأهواز وفاتح سجستان[٣] وخراسان[٤] مرة ثانية

هو الصحابي البطل الربيع بن زياد بن أنس بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث الحارثي.

وفي «الاستيعاب»: «الربيع بن زياد بن الربيع».

وفي «أُسْدِ الْغَابَةِ»: «ربيع بن زياد بن الربيع الحارثي»[٥].

«قال أبو عمر: له صحبة، ولا أعرف له رواية. كذا قال. وقال أبو أحمد العسكري: أدرك الأيام النبوية، ولم يقدم الأيام النبوية إلا في أيام عمر. وذكره البخاري، وابن أبي حاتم، وابن حبان في التابعين»[٦].

وقد تَوَلَّى قيادة جيش من جيوش المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانوا في عهده لا يُوَلُّونَ إلا الصحابة؛ كما قال ابن حجر مرارًا في الإصابة».

---

(١) بيروذ: ناحية بين الأهواز ومدينة الطيب، وهي كبيرة بها نخل كثير، حتى أنهم يسمونها: البصرة الصغرى. ومدينة الطيب: مدينة بين واسط وبين الأهواز.

(٢) مناذر: هما بلدتان بنواحي الأهواز: مناذر الكبرى، ومناذر الصغرى.

(٣) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة، يحيطها من الشرق منازة بين مكران وأرض السند وشيء من عمل الملتان، ومما يلي الغرب: خراسان وشيء من عمل الهند، ومما يلي الجنوب المنازة التي بين سجستان وفارس وكرمان.

(٤) خراسان: بلاد واسعة تتاخم العراق العجمي من الغرب وأفغانستان والهند من الشرق، وتقع كرمان وسجستان إلى جنوبها، وتمتد في الشمال إلى أقصى تخوم إيران، ومن أمهات مدنها: نيسابور، وهراة، ومرو، ويلخ انظر «المسالك والممالك للاصطخري (١٤٥ ـ ١٦٠)، ومعجم البلدان (٣/ ٤٠٧).

(٥) الإصابة: (٢/ ٣٨٠) ت (٢٥٨٣)، و«الإستيعاب» (٢/ ٤٨٨)، و«أسد الغابة» (٢/ ٢٥٥) ت(١٦٢٥).

(٦) الإصابة: (٢/ ٣٨٠).

- **جهاده: فتح «بيروذ»:**

كان الربيع بن زياد عاملًا لأبي موسى على البحرين، واستخلفه أبو موسى على حرب «**مناذر**» سنة تسع عشرة؛ فافتتحها عَنوة، وَقُتِلَ بها أخوه المهاجر بن زياد [١].

قال ابن الأثير في الكامل (٢/٤٤٤) في أحداث سنة (٢٣ هـ): «اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الأكراد وغيرهم، وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى أن يسير إلى أقصى ذمة البصرة؛ حتى لا يُؤْتَى المسلمون من خلفهم، وخشي أن يهلك بعض جنوده أو يخلفوا في أعقابهم، فاجتمع الأكراد ببيروذ، وأبطأ أبو موسى حتى تجمعوا، ثم سار فنزل بهم ببيروذ، فالتقوا في رمضان بين نهر تيرى ومناذر، وقد تَوَافَى إليها أهل النجدات من أهل فارس والأكراد؛ ليكيدوا المسلمين، وليصيبوا منهم عورةً، ولم يشكوا في واحدة من اثنتين، فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقتل.

قال البلاذري: «سار أبو موسى إلى مناذر، فحاصر أهلها، فاشتد قتالهم، فكان المهاجر بن زياد الحارثي أخو الربيع بن زياد بن الديان في الجيش فأراد أن يشري نفسه وكان صائمًا (وَقَدْ تَحَنَّطَ وَاسْتَقْتَلَ) [٢]، فقال الربيع لأبي موسى: إن المهاجر عزم على أن يشري نفسه وهو صائم. فقال أبو موسى: عزمت على كل صائم أن يفطر [٣]، أو لا يخرج إلى القتال. فشرب المهاجر شربة ماء، وقال: قد أبررت عزمة أميري، والله ما شربتها من عطش. ثم راح في السلاح فقاتل حتى استشهد، فأخذ أهل مناذر رأسه ونصبوه على قصرهم بين شرفتين، وله يقول القائل:

وفي مناذر لَمَّا جاش جمعهم ... راح المهاجر في حل بأجمالِ
والبيت بيت بني الديان نعرفه ... في آل مذحج مثل الجوهر الغالي

---

(١) المصدر السابق.
(٢) ما بين القوسين من تاريخ الطبري (٣/ ٢٥٨)، والكامل (٢/ ٤٤٤).
(٣) وكان ذلك في رمضان. انظر «الكامل» (٢/ ٤٤٤).

واستخلف أبو موسى الأشعري الربيع بن زياد على مناذر، وسار إلى السوس، ففتح الربيع مناذر عَنوة، فقتل المقاتلة، وسبى الذرية، وصارت مناذر الكبرى والصغرى في أيدي المسلمين.

وقال قوم: إن عمر كتب إلى أبي موسى - وهو محاصر مناذر - يأمره أن يخلف عليها، ويسير إلى السوس، فخلف الربيع بن زياد.

قال المهلب بن أبي صفرة: «حاصرنا مناذر فأصبنا سبيًا، فكتب عمر: إن مناذر كقرية من القرى السواد، فَرُدُّوا عليهم ما أصبتم»[(١)].

وهكذا فتح الربيع بن زياد الحارثي «**بيروذ**» من «**نهر تيرى**»، وغنم ما معهم، ووفد أبو موسى وفدًا معهم الأخماس[(٢)].

- **فتح سجستان مرة ثانية:**

كانت (سجستان) قد فُتحت في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم نقضت عهدها مع المسلمين بعد قتل عمر فلما توجه عبد اللّٰه بن عامر إلى (سجستان) سنة إحدى وثلاثين[(٣)] وجه الربيع بن زياد إلى سجستان فسار حتى نزل (الفهرج)[(٤)]، ثم قطع المفازة[(٥)]، وهي خمسة وسبعون فرسخا، فأتى رستاق زالق، وبين زالق[(٦)] وبين سجستان خمسة فراسخ، وزالق حصن فأغار على أهله في يوم مهرجان[(٧)] فأخذ دهقانة فافتدى نفسه بأن ركز عنزة ثم غمرها ذهبًا وفضة، وصالح الدهقان على حصن دمه وصالحه على أن يكون بلده كبعض ما افتتح من

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٧٠ - ٣٧١، والكامل (٢/ ٤٤٤ - ٤٤٥).
(٢) الكامل (٢/٤٤٤).
(٣) الكامل، وفي الإصابة (٢/ ٣٨٠) سنة تسع وعشرين، وعند البلاذري سنة ثلاثين.
(٤) الفهرج: بلدة بين فارس وأصبهان معدودة من أعمال فارس ثم من أعمال كوة إصطخر.
(٥) المفازة: الصحراء المهلكة.
(٦) زالق: من نواحي «سجستان»، وهو رستاق كبير فيه قصور وحصون. وزالق حصن بينه وبين سجستان خمسةفراسخ.
(٧) مهرجان: عيد من أعياد الفرس.

بلاد فارس وكرمان، ثم أتى قرية يُقال لها (كركوية)[1] على خمسة أميال من زالق فصالحوه ولم يقاتلوه، ثم نزل رستاقا يُقال له (هيسون)[2] فأقام له أهله النزل وصالحوه على غير قتال، ثم أتى زالق وأخذ الأدلاء منها إلى زرنج[3] وسار حتى نزل (الهند مند)[4] وعبر واديا يترع منه يُقال له (نوق)[5] وأتى (دوشت)[6] وهي من زرنج على ثلثي ميل، فخرج إليه أهلها فقاتلوه قتالًا شديدًا وأصيب رجال من المسلمين، ثم كرّ المسلمون وهزموهم حتى اضطروهم إلى المدينة بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم أتى الربيع (ناشروذ)[7] وهي قرية فقاتل أهلها وظفر بهم، ثم مضى من (ناشورذ) إلى (شرواذ)[8] وهي قرية فغلب عليها، ثم حاصر مدينة (زرنج) بعد أن قاتله أهلها فبعث إليه (أيرويز) مرزبانها يستأمنه ليصالحه فأمر بجسد من أجساد القتلى فوضع له فجلس عليه واتكأ على آخر وجلس أصحابه على أجساد القتلى، وكان الربيع آدم أفوه طويلًا، فلما رآه المرزبان هاله، فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب، ودخل الربيع المدينة ثم أتى (سناروذ)[9] وهو واد فعبره، وأتى (القرنين)[10] وهناك مربط فرس رستم فقاتلوه فظفر، ثم قدم زرنج فأقام بها سنتين، ثم أتى ابن عامر، واستخلف بها رجلًا من بني الحارث بن كعب فأخرجوه وأغلقوها، وكانت ولاية الربيع سنتين ونصفًا، وسبى

---

(١) كركويه: مدينة من نواحي سجستان، فيها بيت نار معظم عند المجوس.

(٢) هيسون: الظاهر أنه رستاق بين زالق وزرنج.

(٣) زرنج: مدينة هي قصبة سجستان.

(٤) هند مند:اسم نهر في مدينة «سجستان».

(٥) نوق: أو نوقات، وهي محلة بسجستان،وأهل سجستان يقولون: نوها.

(٦) دوشت: مدينة بينها وبين زرنج ثلثا ميل.

(٧) ناشروذ: ناحية بسجستان.

(٨) شرواذ: ناحية بسجستان.

(٩) سناروذ: اسم نهر سجستان، ويجري على فرسخ من سجستان، تشعب منه أنهار كثيرة.

(١٠) قرنين: قرية من رستاق «نيشك»من نواحي سجستان، ونيشك: كورة من كور سجستان، وتشمل على قرى كثيرة. وقد صُحِّف اسم «قرنين» إلى «القريتين» عند البلاذري.

في ولايته هذه أربعين ألف رأس، وكان كاتبه الحسن البصري[(١)]

- **وهزيمة الترك على يد الربيع:**

استعمل معاوية الربيع بن زياد على سجستان سنة ٤١هـ (٦٦١م)، فأظهره اللَّه على الترك[(٢)] . لما جاء رتبيسل وغلب على (زابلستان)[(٣)] (والزخج)[(٤)] حتى انتهى إلى (بست) فخرج الربيع بن زياد في الناس فقاتل رتبيسل بيست، وهزمه، واتبعه حتى أتى (الرخج) فقاتله بالرخج ومضى ففتح بلاد (الداور)[(٥)] وهذا نص اللَّه الصحابي البطل على الأتراك. وبقي الربيع أمير على سجستان إلى سنة ٥٠هـ[(٦)]

وفي سنة ٥١هـ عزل زياد بن أبي سفيان الربيع عن (سجستان) وبعثه إلى (خراسان) أول سنة إحدى وخمسين، وسير معه خمسن ألفًا بعيالاتهم من الكوفة والبصرة منهم بريدة بن الحصيب، وأبو برزة ولهما صحبة فسكنوا خراسان فلما قدمها غزا (بلخ) ففتحها صلحا، وكانت قد أغلقت بعدما صالحهم الأحنف بن قيس في قول بعضهم، وفتح (قهستان) عنوة، وقيل من بناحيتها من الأتراك، وبقي منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم في ولايته»[(٧)] وهكذا أعاد الربيع خراسان إلى ربوع الإسلام

- **الربيع .. الآمر بالمعروف والناهي على المنكر:**

لما قدم الربيع على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما أقدمك؟ قال: قدمت وافدا

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ص ٣٨٥ - ٣٨٦، و«الكامل» (٣/ ٢٢ - ٢٣).

(٢) أسد الغابة: (٢/ ٢٥٥).

(٣) زابلستان: كورة واسعة قائمة بذاتها جنوبي بلخ وطخارستان (معجم البلدان ٤/ ٣٦٥).

(٤) رخج: مدينة كبيرة من نواحي كابل (معجم البلدان ٤/ ٢١٤).

(٥) بلاد «الذاور»: ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية «رخج» و«بست» والغور، والدوار من ناحيةالسند.

(٦) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٨٩.

(٧) الكامل: (٣/٥٢).

لقومي، فأذن للهاجرين والأنصار والوفود، فتقدم الرجل، فقال له عمر: هيه، قال: هيه يا أمير المؤمنين، واللَّه ما وليت هذه الأمة إلا ببلية أبتليت بها، ولو أن شاه ضلت بشاطىء الفرات لسئلت عنها يوم القيامة، قال: فانكب عمر يبكي، ثم رفع رأسه قال: ما اسمك؟ قال: الربيع بن زياد[١]

وذكر ابن حبيب أن زيادًا كتب إلى الربيع بن زياد أن أمير المؤمنين كتب إليّ أن امرك أن تحرزا البيضاء والصفراء وتقسم ما سوى ذلك، فكتب إليه: إني وجدت كتاب اللَّه قبل كتاب أمير المؤمنين، وبادرفقسم الغنائم بين أهلها، وعزل الخمس، ثم دعا اللَّه أن يميته، فما جمع حتى مات[٢].

وكان لا يكتب قط إلى زياد إلا في اختيار منفعه أو دفع مضرة[٣].

ولما أتاه مقتل حجر بن عدي قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه. فلم يبرح من مجلسه حتى مات[٤]

- **أدبه وتواضعه:**

قال فيه عمر ﵁: دلوني على رجل إذا كان في القوم أميرًا فكأنه ليس بأمير، وإذا كان في القوم وليس بأمير فكأنه أمير بعينه. فقالوا: ما نعرف إلا الربيع بن زياد الحارثي. قال: صدقتم. وكان خيرًا متواضعًا[٥]

وقالوا عن أدبه مع رفقائه في السفر: (لو كان في موكب قط، فتقدمت دابته على دابة من إلى جانبه، ولامس ركبته ركبتيه[٦]

ما ظنك برجل رباني يكون الحسن البصري كاتبه ومستشاره ولد الربيع سنة

---

(١) الإصابة (٢/ ٣٨٠ - ٣٨١).
(٢) الإصابة (٢/ ٣٨١).
(٣) أسد الغابة (٢/ ٢٥٥).
(٤) أسد الغابة (٢/٢٥٦).
(٥) أسد الغابة (٢/٢٥٥، والإصابة ٢/ ٣٨١).
(٦) أسد الغابة (٢/٢٥٥).

سبع وعشرين قبل الهجرة (٥٩٥) وتوفي في خراسان سنة ثلاث وخمسين الهجرية (٦٧٢م) فيكون عمره يوم مات ثمانين سنة قمرية

● **القائد:**

كان الربيع أول من أمر الجند بالتناهد[1] وذلك لتقوية معنوياتهم وإذكاء روح التعاون فيما بينهم.

والظاهر من حروبه أنه كان قائدًا يجيد فن الحصار والحصار لا يجيده إلا القائد المدرب الذي يتحلى بالضبط المتين، والذي يمتاز بالحذر واليقظة فلا يفسح المجال لعدوه أن يستفيد من الصادر الخارجية لإدامة قواته المحصورة بالمواد التموينية وبالأسلحة والعتاد وبالقضايا الإدارية الحيوية الأخرى، وبذلك يقوي على إطالة أمد الحصار، كما أن القائد الصبور هو الذي ينجح في مغالبة عدوه في الحصار لإجباره على الاستسلام.

وعبور المفازة بجيوشه؛ دليل آخر على شدة ضبطه وصبره، كما أنه دليل على تحمله المشاق دون كلل ولا ملل، كما أنه دليل على تشبعه بروح (المباغتة) أهم مبادىء الحرب، فقد سلك طريقًا لا يتوقع العدو سلوكها، وبذلك باغت عدوه بالمكان والزمان.

لقد استطاع الربيع أن يتغلب على أعدائه الكثيرين بجيشه القليل نسبيًا إلى جانب جيش عدوه، وهذا دليل على معرفته أساليب القتال وتطبيقه مبادىء الحرب بكفاءة.

وكان لأخلاقه الكريمة وماضيه المجيد أثر حاسم في تعلق رجاله به وثقتهم التي لا حدود لها بشخصيته، كما كان لذلك أثر حاسم على تعلق رؤسائه به وثقتهم الكاملة بتصرفاته، لذلك أوكل له رؤساؤه أمر معالجة أصعب الجبهات في أصعب

---

(١) التناهد: نهض بعضهم إلى بعض للمحاربة. انظر: «فتوح البلدان» للبلاذري ص ٤٠٠.

الظروف، فاستطاع بحنكته وبعد نظرة التغلب على تلك الصعاب.

بل إنه كان موضع ثقة حتى أعدائه، مما جعل الأمور تستتب في (سجستان) و(خراسان) في أيامه، وتنتقض من بعده، مما يدلُّ على أن حربه كانت إنسانية وفقًا لتعاليم الإسلام في الحرب.

لقد كان الربيع قائدًا ممتازًا.

ولا ينسى التاريخ للربيع هيبة أعدائه له وعزه.. حين يدخل عليه (أبرويز) مرزبان (زرنخ) ليصالحه فيجد الربيع جالسًا على جسد من أجساد القتلى، وجعل جسدًا آخر متكأ له، وجلس أصحابه على أجساد القتلى فهاله ذلك وأفزعه وذل للربيع والمسلمين بعد أن قاتلهم أعنف قتال..

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

يذكر التاريخ للربيع بن زياد فتحه للمناطق الواسعة من الأهواز، واستعارته فتح (سجستان) و(خراسان).

ويذكر له تواضعه ونكران ذاته.

فرضي اللَّه عن القائد الفاتح، الإداري الحازم، القوي الأمين، الفارس البطل، الأمير الإنسان، الصحابي مجاب الدعوة، (الربيع بن زياد الحارثي)[1]

* * *

---

(١) انظر إلى قادة فتح بلاد فارس ص ١٧٢، و«قادة فتح السند وأفغانستان» ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

قادة فتح إقليم فارس

١ ـ العلاء بن الحضرميّ رضي الله عنه:

«فاتح البحرين، وجزيرة دارين، وأول من هاجم فارس».

٢ ـ سارية بن زُنَيْم الكناني رضي الله عنه:

«فاتح فسا ودارابجرد».

٣ ـ عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه:

«فاتح أرمينية الرابعة، وجزيرة بركاوان، وبلاد فارس، وأول من هاجم السند».

٤ ـ الحكم بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه:

«فاتح جزيرة بركاوان، وتوج، وفاتح إصطخر ثانية».

٥ ـ مجاشع بن مسعود السلمي رضي الله عنه:

«فاتح لواء أردشيرخرة، وسابور، وفاتح كرمان ثانية».

❊ ❊ ❊



(٣٩٢) السيد الوَلِيُّ .. والصحابي التقي .. صاحب الكرامات .. مجاب الدعوات .. القائد الفاتح .. العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه فاتح البحرين، وجزيرة دارين، وأوَّل من هاجم فارس

هو الصحابي المبارك العلاء بن عبداللَّه بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عويف الحضرمي(١)، كان من حلفاء بني أمية، ومن سادة المهاجرين رضي الله عنه(٢).

وكان عبداللَّه الحضرمي أبوه قد سكن مكة، وحالف حرب بن أمية والد أبي سفيان.

وهو أخو عَمْرِو بن الحضرمي، وعامر بن الحضرمي، وميمون بن الحضرمي، وشُرَيح بن الحضرمي، والصَّعبة بنت الحضرمي. وقيل: إنهم كانوا إخوة أحد عشر.

وعمرو بن الحضرمي قُتِلَ يوم بدر كافرًا، وكان ماله أول مال خُمِّسَ في الإسلام، وكان قُتِلَ يوم نَخْلة.

وعامر بن الحضرمي قُتِلَ يوم بدر كافرًا، وهو الذي صرخ: (واعمراه)؛ يريد: أخاه، وكان ذلك مما هاج الحرب يومئذٍ.

وميمون بن الحَضْرمي هو صاحب بئر ميمون التي بأعلى مكة، احْتَفَرَهَا في الجاهلية.

---

(١) وفي تهذيب الكمال: العلاء بن عبدالله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عويف بن مالك بن الخزرج بن إياد بن الصَّدف بن زيد بن مقنع بن حضرموت. من قحطان. . . انظر تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٨٣)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٢).

(٢) الإصابة: (٤/ ٤٤٥) ت (٥٦٥٨)، وأسد الغابة ت (٣٧٤٥)، والاستيعاب ت(١٨٦٠).

وشُرَيْح بن الحضرمي هو الذي ذُكِرَ عند النبي ﷺ فقال: «**ذَاكَ رَجُلٌ لَا يَتَوَسَّدُ الْقُرْآنَ**». رواه أحمد

والصَّعْبة بنت الحضرمي هي أم طلحة بن عبيدالله، أحد العشرة المبشرين بالجنة، تزوجها أبو سفيان ثم طلقها، فتزوجها عُبيدالله بن عثمان التيمي؛ فولدت له طلحة - رضي الله عنهما -.

- **إسلامه:**

أسلم العلاء قبل فتح مكة، فشهد مع النبي ﷺ فتح مكة ويوم حُنين. وقد بعثه الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين منصرفه من الْجِعِرَّانَةِ[١]؛ فأسلم المنذر وَحَسُنَ إسلامه[٢]. وقد استعمل النبي ﷺ العلاء على البحرين؛ فحمل إلى رسول الله ﷺ مئة وثمانين ألف درهم من مال البحرين[٣]، لقد كان العلاء موضع ثقة النبي ﷺ، ونال رضي الله عنه شرف الصحبة والجهاد مع رسول الله ﷺ، واستعمل النبي ﷺ العلاء على البحرين، وأقره أبو بكر، ثم عمر.

قال الحافظ المزي: «**يُقال: إنه كان مجاب الدعوة، وله مناقب وفضائل شريفة** رضي الله عنه»[٤].

❏ جهاده:

- **جهاده للمرتدين في البحرين:**

لما مات النبي ﷺ، مات بعده بقليل المنذر بن ساوى ملك البحرين، وارتدت البحرين، وثبت الجارود بن الْمُعَلَّى العبدي، ومعه عبد القيس، ثبتوا على إسلامهم. وحاصر المرتدون المسلمين بـ«**جُواثا**»[٥]، فاشتد الحصار على من بها، فقال

---

(١) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة.
(٢) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٥).
(٣) انظر أسد الغابة، والبدء والتاريخ (٥ / ١٠٢).
(٤) تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٨٥).
(٥) جُواثا: حصن لعبد القيس بالبحرين، وهو أول موضع جُمعت فيه الجمعة بعد المدينة.

عبدالله بن حذف ـ وَقَدْ قَتَلَهُمْ الْجُوعُ ـ:

أَلَا أَبْـلِـغْ أَبَـا بَـكْـرٍ رَسُـولًا ... وَفِـتْـيَـانَ الْمَدِيـنَـةِ أَجْـمَـعِـينَا
فَـهَـلْ لَـكُـمُ إِلَـى قَـوْمٍ كِـرَامٍ ... قُـعُـودٍ فِي جُـؤَاثَـا مُـحْـصَـرِينَـا
كَـأَنَّ دِمَـاءَهُـمُ فِي كُـلِّ فَـجٍّ ... شُعَاعُ الشَّمْسِ تَغْشَى النَّاظِرِينَا
تَـوَكَّـلْـنَـا عَـلَـى الرَّحْـمَـنِ إِنَّـا ... وَجَـدْنَـا الـنَّـصْـرَ لِـلْـمُـتَـوَكِّـلِـينَا

فدعا الصدِّيق أبو بكرٍ العلاءَ بن الحضرمي فقال: إني وجدتك من عُمَّال رسول الله ﷺ الذين وَلَّى، فرأيتُ أن أُوَلِّيَكَ ما كان رسول الله ﷺ وَلَّاكَ، فعليك بتقوى الله. فخرج العلاء بن الحضرمي من المدينة في ستة عشر راكبًا، معه فرات بن حيَّان العجلي دَلِيلًا، وكتب أبو بكر كتابًا للعلاء بن الحضرمي أن ينفر معه كل من مَرَّ به من المسلمين إلى عدوِّهم، فسار العلاء في من تبعه منهم حتى نزل حصن «**جواثا**»، فقاتلهم، فلم يفلت منهم أحد، ثم أتى «**القطيف**»، وبها جَمْعٌ من العجم فقاتلهم، فأصاب منهم طرفًا، وانهزموا؛ فانضمت الأعاجم إلى «**الزارة**»، فأتاهم العلاء، فنزل الخط على ساحل البحر، فقاتلهم وحاصرهم إلى أن توفي أبو بكر رضي الله عنه وولي عمر بن الخطاب، فطلب أهل «**الزارة**» الصلح، فصالحهم العلاء.

ثم عَبَرَ العلاء إلى أهل دارين فقاتلهم، فقتل المقاتلة، وحوى الذراري.

وبعث العلاء عرفجة بن هرثمة إلى أسياف[1] فارس، فقطع في السفن، فكان أول من فتح جزيرةٍ بأرض فارس، واتخذ فيها مسجدًا، وأغار على «**باريخان**» و«**الأسياف**»، وذلك في سنة (١٤ هـ)[2].

- **تفصيل الصبر الجميل لابن الحضرمي النبيل ومَن معه من المسلمين:**

بعث أبو بكر الصديق العلاء بن الحضرمي على قتال أهل الردة بالبحرين، فلما كان بِحِيَالِ اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفي في مُسْلِمَةِ بني حنيفة، ولحق به

(١) أسياف: جمع سيف، وهو ساحل البحر.
(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٦٧).

أيضًا قيس بن عاصم المنقري، وأعطاه بدل ما كان قسم من الصدقة بعد موت النبي ﷺ وانضم إليه عمرو والأبناء، وسعد بن تميم، والرباب أيضًا لحقته في مثل عُدَّتِهِ، فسلك بهم الدهناء [وهي صحراء مخوفة خالية من الماء والمرعى، فلاقى العلاء ورجاله مشقات كثيرة عند قطعها، حتى أصبحت حياتهم في خطر عظيم](١).

لما سلك العلاء بأصحابه الدهناء حتى كانوا في بحبوحتها، نزل وأمر الناس بالنزول في الليل، فنفرت إبلهم بأحمالها، فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء، فلحقهم من الغم ما لا يعلمه إلا الله، ووصى بعضهم بعضًا، فدعاهم العلاء، فاجتمعوا إليه.

فقال: ما هذا الذي غلب عليكم من الغمِّ؟

فقالوا: كيف نُلَامُ ونحن إن بلغنا غدًا لم تَحُمِ الشمس حتى نهلك؟!

فقال: لن تُرَاعُوا؛ أنتم المسلمون، وفي سبيل الله، وأنصار الله، فأبشروا؛ فواللَّه لن تُخْذَلُوا.

فلما صلوا الصبح دعا العلاء ودعوا معه، فلمح لهم الماء، فمشوا إليه وشربوا واغتسلوا، فما تَعَالَى النهارُ حتى أقبلت الإبل تجمع من كل وجه، فأناخت إليهم فسقوها، وكان أبو هريرة فيهم، فلما ساروا عن ذلك المكان قال لمنجاب بن راشد: كيف عِلمك بموضع الماء؟

قال: عارفٌ به.

فقال له: كن معي حتى تقيمني عليه.

قال: فرجعتُ به إلى ذلك المكان فلم نجد إلا غدير الماء.

فقلت له: واللَّه لولا الغدير لأخبرتك أن هذا هو المكان، وما رأيت بهذا المكان

---

(١) الطبري (٢/ ٥١٩) ولكن العلاء وصحبه تحمّلوا تلك المشقات بإيمان وصبر عجيبيْن.

ماءً قبل اليوم، وإذا إداوة مملؤة ماءً؛ فقال أبو هريرة: هذا واللَّه المكان، وما رأيت؛ ولهذا رجعت بك، وملأت إداوتي، ثم وضعتها على شفير الغدير، وقلت: إن كان هذا من المنِّ عرفته، وإن كان عينًا عرفته، فإذا مَنٌّ مِنَ الْمَنِّ، فحمد الله، ثم ساروا فنزلوا بِهَجَر، وأرسل العلاء إلى الجارود يأمره أن ينزل بعبد القيس على الحطم مما يليه، وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه مما يلي هجر فاجتمع المشركون كلهم إلى الحطم إلا أهل دارين، واجتمع المسلمون إلى العلاء، وَخَنْدَقَ المسلمون على أنفسهم والمشركون، وكانوا يَتَرَاوَحُونَ القتال، ويرجعون إلى خندقهم، فكانوا كذلك شهرًا، فبينا هم كذلك إذْ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء هزيمة أو قتال، فقال العلاء: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال عبداللَّه بن حذف: أنا. فخرج حتى دَنَا من خندقهم فأخذوه، وكانت أمه عجلية، فجعل ينادي: يا أبجراه. فجاء أبجر بن بجير فعرفه فقال: ما شأنك؟ فقال: عَلَامَ أُقْتَلُ وحولي عساكر مِن عِجل وتَيِّم اللات وغيرها؟ فَخَلَّصَهُ، فقال له: والله، إني لأظنك بئس ابن أخت أتيت ـ واللَّه ـ أخوالك.

فقال: دعني من هذا وأطعمني، فقدمتُ جوعًا. فَقَرَّبَ له طعامًا فأكل، ثم قال: زَوِّدْني واحملني. يقول: هذا لرجل قد غلب عليه السُّكْر، فحمله على بعير وزوَّده وجوَّزه، فدخل عسكر المسلمين، فأخبرهم أنَّ القوم سكارى، فخرج المسلمون عليهم، فوضعوا فيهم السيف كيف شاءوا، وهرب الكفار فَمِنْ بين مُتَرَدٍّ، وَنَاجٍ، ومقتول، ومأسور، واستولى المسلمون على العسكر، ولم يفلت رجل إلا بما عليه، فأما أبجر فأفلت، وأما الحطم فَقُتِلَ؛ قتله قيس بن عاصم بعد أن قطع عفيف بن المنذر التميمي رجله، وطلبهم المسلمون، فأسر عفيف بن المنذر بن النعمان بن المنذر الغرور فأسلم، وأصبح العلاء فَقَسَّمَ الأنفال، وَنفَّل رجالًا من أهل البلاء ثيابًا، فأعطى ثمامة بن أثال الحنفي خميصة ذات أعلام كانت للحطم يباهي بها، فلما رجع ثمامة بعد فتح دارين رآها بنو قيس بن ثعلبة فقالوا له: أنت قتلت الحطم.

فقال: لم أقتله، ولكني اشتريتها من المغنم، فوثبوا عليه، فقتلوه.

وقصد عظم الفلال إلى **«دارين»**[1]، فركبوا إليها السفن، ولحق الباقون ببلاد قومهم، فكتب العلاء إلى من ثبت على إسلامه من بكر بن وائل، منهم عتيبة بن النهاس، والمثنى بن حارثة، وغيرهما، يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدين بكل طريق، ففعلوا وجاءت رسلهم إلى العلاء بذلك، فأمر أن يؤتى من وراء ظهره، فندب حينئذٍ الناس إلى دارين، وقال لهم: قد أراكم اللَّه من آياته في الْبَرِّ لتعتبروا بها في البحر، فانهضوا إلى عدوكم، واستعرضوا البحر.

وارتحل وارتحلوا حتى اقتحم البحر على الخيل والإبل والحمير وغير ذلك، وفيهم الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم: «**يا أرحم الراحمين، يا كريم، يا حليم، يا أحد، يا صمد، يا حيُّ، يا محيي الموتى، يا حي، يا قيوم، لا إله إلا أنت، يا ربنا**».

فاجتازوا ذلك الخليج بإذن اللَّه يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وبين الساحل ودارين يوم وليلة بسفن البحر، فالتقوا واقتتلوا قتالًا شديدًا؛ فظفر المسلمون، وانهزم المشركون، وَأَكْثَرَ المسلمون القتلَ فيهم فما تركوا بها مخبرًا، وغنموا وسبوا، فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا، وضرب الإسلام فيها بجرانه، وكتب العلاء إلى أبي بكر يعرِّفه هزيمة المرتدين، وقتل الحطم، وكان مع المسلمين راهب من أهل هجر فأسلم؟ قال: ثلاثة أشياء: خشيتُ أن يمسخني بعدها: فيض في الرمال، وتمهيد أثباج[2] البحر، ودعاء سمعتُه في عسكرهم في الهواء سحرًا: اللهم أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع فليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، الحي الذي لا يموت، وخالق ما يرى وما لا يرى، وكل يوم أنت في شأن، علمت كل شيء بغير تعلُّم»؛ فعلمت أن القوم لم يُعَانُوا بالملائكة إلا وهم على حق. فكان أصحاب النبي ﷺ يسمعون هذا منه بعد»[3].

---

(١) دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند. والنسبة إليها: دارىّ.

(٢) ثبج: وسطه ومعظمه.

(٣) «الكامل»: (٢/ ٢٢٥ - ٢٢٨).

قال ابن كثير في «**البداية والنهاية**» (٩/٤٧٧ - ٤٧٩)[١]: «قد كان العلاءُ من ساداتِ الصحابة العلماء العُبَّاد مُجَابي الدعوة، اتَّفق له في هذه الغزوة أنه نزل مَنْزِلًا، فلم يستقرَّ الناسُ على الأرض حتى نَفَرتِ الإِبلُ بما عليها من زَادِ الجيش وخيامهم وشَرابِهم، وبقوا على الأرض ليس معهم شيءٌ، سِوَى ثيابهم - وذلك ليلًا -، ولم يقدروا منها على بعيرٍ واحدٍ، فركِب الناسَ من الهَمِّ والغَمِّ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَف، وجعل بعضُهُم يُوصي إلى بعضٍ، فنادى مُنادي العلاء، فاجتمعَ الناسُ إليه، فقال: أيُّهَا الناسُ، ألستم المسلمين؟! ألستمْ في سبيل الله؟! ألستم أنصارَ الله؟! قالوا: بلى. قال: فأبشِروا؛ فواللهِ لا يَخذلُ اللهُ مَن كان في مِثْلِ حالكم. ونُودي بصلاة الصبح حين طلع الفجر، فصلَّى بالناس، فلمَّا قضَى الصلاة جَثَا على ركبتَيْه وجثا الناسُ، ونَصَبَ في الدعاء ورفع يَدَيْهِ، وفعل الناس مثلَهُ، حتى طلعتِ الشمس، وجعل الناسُ ينظرون إلى سراب الشمس يَلْمَعُ مرةً بعد أخرى، وهو يجتهد في الدعاء، فَلَمَّا بلغ الثالثةَ إذا قد خَلَقَ اللَّه إلى جانبهم غديرًا عظيمًا من الماء القَرَاح، فمشى ومشى الناسُ إليه، فشربوا واغتسلوا، فَمَا تَعَالَى النهارُ حتى أقبلتِ الإبل من كلِّ فجٍّ بما عليها، لم يفقدِ الناسُ من أمتعتهم شيئًا، فسقوا الإبل عَلَلًا بعد نَهَلٍ، فكان هذا مِمَّا عَايَنَ الناسُ مِن آياتِ اللَّه بهذه السَّرِيَّة، ثم لَمَّا اقترب من جيوش المرتدَّةِ - وقد حشدُوا وجمعُوا خلقًا عظيمًا - نزلَ ونزلوا[٢] وباتوا مُتجاورين في المنازل، فبينما المسلمون في الليل، إذْ سمِع العلاء أصواتًا عاليةً في جيش المرتدين، فقال: مَنْ رجلٌ يكشفُ لنا خبرَ هؤلاء؟ فقام عبداللَّه بن حذفٍ، فدخل فيهم فوجدهم سُكَارى لا يعقلون من الشراب، فرجع إليه فأخبره، فركب العلاء مِن فوْرِهِ والجيشُ معه، فكبسوا أولئك فقتلوهم قتْلًا عظيمًا، وَقَلَّ مَن هرب منهم، واستولى على جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم، فكانت غنيمةً عظيمةً جسيمةً،

---

(١) طبعة دار عالم الكتب.

(٢) أيْ خندق على قواته، وخندق الكفارُ على أنفسهم، وفي حصارٍ استمرّ شهرًا.

وكان الحطم بن ضبيعة ـ أخو بني قيْسِ بن ثعلبة مِن سادات القوم ـ نائمًا، فقام دَهِشًا حين اقتحم المسلمون عليهم، فركب جوادَه، فانقطع رِكابُهُ فجعل يقول: مَن يصلحُ لي ركابي؟ فجاء رجلٌ من المسلمين في الليل، فقال: أنا أُصلحه لك، ارفع رِجْلَك. فلما رفعها ضربه بالسيف، فقطعها مع قدمه، فقال له: أجْهِزْ عَلَيَّ. فقال: لا أفعل. ثم ركب المسلمون في آثار المنهزمين، يقتلونهم بكلِّ مَرْصَدٍ وطريق، وذهب مَن فَرَّ منهم ـ أو أكثرهم ـ في البحر إلى «**دارين**»، ركبوا إليها السُّفنَ، ثم شرع العلاء في قَسْمِ الغنيمة وَنَقْلِ الأثقال، وَفَرَغَ مِن ذلك، وقال للمسلمين: اذهبوا بنا إلى «**دارين**»؛ لِنغزوَ مَن بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعًا، فسار بهم حتى أَتَى ساحلَ البحر لِيركبوا في السفن، فرأى أنَّ الشُّقةَ بعيدة، لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداءُ الله، فاقتحمَ البحرَ بفرسه وهو يقول: يا أرحمَ الراحمين، يا حكيمُ، يا كريمُ، يا أحَدُ، يا صَمَدُ، يا حيُّ، يا مُحيي، يا قيُّومُ، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت، يا رَبَّنَا.

وأمر الجيشَ أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا، فأجاز بهم الخليجَ ـ بِإِذْنِ اللَّهِ ـ يمشون على مِثْلِ رمْلٍ دَمِثَةٍ، فوقها ماءٌ، لا يَغمَرُ أخفافَ الإِبل، ولا يصل إلى رُكَبِ الخيل، ومسيرته للسفن يومٌ وليلةٌ، فقطعه إلى الساحل الآخر، فقاتَل عَدوَّه وقهرهم، واحْتَازَ غنائمهم، ثم رجع فقطعه إلى الجانب الآخر، فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كلُّه في يومٍ، ولم يتركْ من العدوِّ مخْبرًا، واستاقَ الذراريَ والأنعامَ والأموالَ، ولم يفقدِ المسلمون في البحر شيئًا، سوى عليقة فرسٍ لرجلٍ من المسلمين، ومع هذا رجع العلاء فجاءه بها، ثم قسم غنائم المسلمين فيهم؛ فأصاب الفارسُ أَلْفَيْنِ، والراجلُ ألفًا، مع كثرة الجيش، وكتب إلى الصِّدِّيق فأعلمَه بذلك، فبعث الصديقُ يشكره على ما صنع، وقد قال رجلٌ من المسلمين في مرورهم في البحر ـ وهو عفيفُ بنُ المنذر ـ:

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ الـلَّـهَ ذَلَّـلَ بَـحْـرَهُ ... وَأَنْزَلَ بِـالْـكُـفَّارِ إِحْدَى الْجَلَائِلِ

دَعَوْنَا إِلَى شَقِّ الْبِحَارِ فَجَاءَنَا ... بِأَعْجَبَ مِنْ فَلْقِ الْبِحَارِ الْأَوَائِلِ

وذكَرَ الْعَلَّامَةُ ابنُ كثيرٍ جلائلَ معجزاتِ الأنبياء؛ فقال: «فمنها نجاةُ نوحٍ في السفينة بالمؤمنين، ولا شكَّ أنَّ حَمْلَ الماءِ للناس مِن غير سفينةٍ أعظمُ مِنَ السُّلوك عليه في السفينة، وقد مشى كثيرٌ من الأولياء على مَتْنِ الماء؛ وفي قِصَّةِ العلاء - صاحبِ رسول اللَّه ﷺ ما يدلُّ على ذلك: روى منجابُ؛ قال: غَزَوْنَا مع العلاء بن الحضرمي «دارين»، فَدَعَا بِثَلَاثِ دَعَوَاتٍ؛ فَاسْتُجِيبَتْ له، فنزلنا منزلًا فطلب الماءَ فلم يَجِدْهُ، فقام فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وقال: اللهمَّ إنا عَبِيدُكَ، وفي سبيلك نقاتل عَدُوَّكَ، اللهمَّ اسقِنَا غَيْثًا نتوضأ به ونشرب، ولا يكون لأحدٍ فيه نصيبٌ غيرنا. فسرنا قليلًا، فإذا نحنُ بماءٍ حين أَقْلَعَتِ السماء عنه، فتوضأنا منه وَتَزَوَّدْنَا، وملأتُ إداوتي وتركتها مكانها حتى أنظر: هل اسْتُجِيبَ له أم لا؟ فسرنا قليلًا ثم قلتُ لأصحابي: نسيتُ إداوتي. فرجعتُ إلى ذلك المكان، فكأنه لم يصبْه ماءٌ قطُّ، ثم سِرْنا حتى أَتَيْنَا «دارين»، والبحرُ بيننا وبينهم، فقال: يا عَلِيُّ، يا حكيم، إنا عبيدُك، وفي سبيلك نقاتل عدوَّك، اللهمَّ فَاجْعَلْ لنا إليهم سبيلًا. فدخلنا البحرَ فلم يبلغ الماء لُبُودَنَا، وَمَشَيْنَا على مَتْنِ الماء ولم يَبْتَلَّ لنا شيءٌ... وذكر بَقِيَّةَ القصة. فهذا أبلغُ من ركوب السفينة؛ فإنَّ حَمْلَ الماء للسفينة معتادٌ، وأبلغُ من فَلْقِ البحرِ لِمُوسى؛ فإن هناك انحسر الماءُ حتى مَشَوْا على الأرض، فَالْمُعْجِزُ: انحسارُ الماء، وهاهنا صار الماء جَسَدًا يمشون عليه كالأرض، وإنما هذا منسوبٌ إلى النبي ﷺ وَبَرَكَتِهِ. انتهى ما ذكره بحروفه فيما يتعلق بنوحٍ عليه السلام

وهذه القصة التي ساقها شيخنا، ذَكَرَهَا الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه «**الدلائل**»، مِنْ طريق أبي بكر بن أبي الدنيا، عن أبي كُريبٍ، عن محمد بن فُضيل، عن الصَّلت بن مَطر العَجَليِّ، عن عبدالملك ابن أخت سهمٍ، عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي... فذكره. وقد ذكرها البخاري في التاريخ الكبير من وجه آخر، وَرَوَاهَا البيقهي من طريق أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان مع

العلاء وشاهد ذلك.

عن أبي هريرة ﵁ قال: لما بعث النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، تَبِعْتُهُ؛ فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتهنَّ أعجب: انتهينا إلى شاطئ البحر فقال: سَمُّوا اللَّه وانقحموا. فسمَّينا وانقحمنا؛ فعبرنا، فما بَلَّ الماء إلا أسافل خِفَافِ إبلنا، فلما قفلنا صِرنا معه بفلاة بين الأرض وليس معنا ماء، فشكونا إليه، فصلى ركعتين، ثم دعا؛ فإذا سحابة مثل الترس، ثم أرخت عَزَاليها؛ فسقينا واستقينا، ومات فدفناه في الرمل، فلما سرنا غير بعيد قلنا: يجيء سبع فيأكله. فرجعنا فلم نره»[١].

وفي حديث أنس: ثم ذكر موت العلاء ودفنهم إيَّاه في أرضٍ لا تقبل الموتى، ثم إنهم حفروا عليه؛ لينقلوه منها إلى غيرها، فلم يجدوه ثَمَّ، وإذا اللحدُ يَتَلأْلأُ نورًا، فأعادوا الترابَ عليه ثم ارتحلوا.

لله دَرُّكَ مِن قائدٍ وَلِيٍّ!! يذلل اللَّه له البحرَ؛ كما ذَلَّلَهُ لنوح النبيِّ .. وَيُفَاجِئُ أهلَ الشرك السُّكَارى، وَيُبَيِّتُهُمْ بتكبيره قبل سيفه..

كَمْ أَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ رَايَاتٌ ... وَرُتِّلَتْ فِي رِحَابِ الْخَيْرِ آيَاتُ
وَكَانَ رَائِدُنَا يَحْدُو مَسِيرَتَنَا ... اللَّهُ غَايَتُنَا الرَّحْمَنُ لَا اللَّاتُ
وَدَوْلَةُ الْحَقِّ بِالْإِسْلَامِ تَحْكُمُنَا ... وَالْيَوْمَ تَحْكُمُنَا ظُلْمًا دُوَيْلَاتُ
تَقُودُ أُمَّتَنَا لِلْحَرْبِ غَانِيَةٌ ... وَالْجَيْشُ فِي الزَّحْفِ قَدْ أَلْهَتْهُ مَغْنَاةُ
وَكَمْ لَعُوبٍ تَهَاوَوْا عِنْدَ أَرْجُلِهَا ... كَمَا تَهَاوَتْ عَلَى نَارٍ فَرَاشَاتُ
الزِّقُّ وَالرِّقُّ وَالْمِزْمَارُ عُدَّتُنَا ... وَالْخَصْمُ عُدَّتُهُ عِلْمٌ وَآلَاتُ
وَشِرْعَةُ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ نَهْجُرُهَا ... وَشِرْعَةُ الْخَصْمِ تَلْمُودٌ وَتَوْرَاةُ
وَعُدَّةُ الْخَصْمِ صَارُوخٌ وَطَائِرَةٌ ... وَنَحْنُ عُدَّتُنَا الْكُبْرَى قَرَارَاتُ
سَفِينَةُ النَّاسِ ضَلَّتْ لَا شِرَاعَ لَهَا ... وَالشَّعْبُ حَارَ وَمَا لِلشَّعْبِ مَنْجَاةُ

---

(١) تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٨٥ - ٤٨٦).

وَجِيلُنَا ضَاعَ فِي تِيهٍ يُمَزِّقُهُ ... وَدَرْبُهُ ضَلَّ قَدْ دَكَّتْهُ مَأْسَاةُ
الْجَهْلُ وَالْفَقْرُ وَالطُّغْيَانُ يَسْحَقُهُ ... وَالْكَأْسُ وَالْجِنْسُ مَسْلَاةٌ وَمَلْهَاةُ
وَبَاطِنُ الشَّعْبِ آلَامٌ مُبَرِّحَةٌ ... وَظَاهِرُ الشَّعْبِ أَفْرَاحٌ وَزِينَاتُ
قَدْ هَدَّهُ الْجُوعُ وَانْهَارَتْ عَزَائِمُهُ ... وَقَادَةُ الشَّعْبِ بِالْأَكْبَادِ تَقْتَاتُ
كَمْ بَدَّدُوا الْمَالَ هَدْرًا فِي مَبَاذِلِهِمْ ... وَفِي لَيَالِي الْخَنَا ضَاعَتْ مُرُوءَاتُ
فِي السِّلْمِ كَأْسٌ وَسِيجَارٌ وَغَانِيَةٌ ... وَسَاحَةُ الْحَرْبِ فِي الْهَيْجَا إِذَاعَاتُ
وَقَادَةُ الشَّعْبِ أَمْوَاتٌ بِلَا كَفَنٍ ... فَهَلْ يُحَرِّرُ أَرْضَ الْقُدْسِ أَمْوَاتُ
يَا سَوْأَةَ الْعُمْرِ فِي تَارِيخِ أُمَّتِنَا ... لَقَدْ بَدَتْ مِنْكُمْ لِلْعَيْنِ سَوْءَاتُ
مَنْ يَزْرَعِ الْيَوْمَ شَرًّا فَالْحَصَادُ غَدًا ... وَقُدْرَةُ اللَّهِ لِلطُّغْيَانِ مِذْرَاةُ[1]

- **غزو العلاء بلاد فارس من ناحية البحرين سنة (١٧هـ):**

كان العلاء بن الحضرمي يباري سعد بن أبي وقاص، فلما افتتح سعد القادسية، وأزاح كسرى عن داره، وأخذ حدود ما يلي السواد، وَاسْتَعْلَى، وجاء بأعظم مما جاء به العلاء من ناحية البحرين، فأحبَّ العلاء أن يفعل فعلًا في فارس نظير ما فعله سعد فيهم، فندب الناس إلى حربهم؛ فاستجاب له أهل بلاده، فَجَزَّأَهُمْ أجزاء؛ فَعَلَى فِرْقَةٍ الجارود بن المُعَلَّى، وعلى الأُخرى السَّوَّارُ بن همَّام، وعلى الأُخرى خُلَيد بن المنذر بن ساوى، وخليدٌ هو أمير الجماعة. فحملهم في البحر إلى فارس، وذلك بغير إذن عمر له في ذلك، وكان عمر يكره ذلك؛ لأنه لا رسول الله ﷺ ولا أبو بكر أَغْزَيَا فيه المسلمين، فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا من عند إصطخْر، فحالت فارس بينهم وبين سفنهم، فقام في الناس خُليْد بن المنذر، فقال: أيها الناس، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم، وأنتم إنما جئتم لمحاربتهم، فاستعينوا بالله وقاتلوهم، فإنما الأرض والسفن لمن غلب ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥].

(١) من قصيدة «باسم الشعب . . ولا يدري» من ديوان «في رحاب الأقصى» ليوسف العظم.

فأجابوه إلى ذلك فَصَلَّوْا الظهر، ثم ناهدوهم، فاقتتلوا قتالًا شديدًا في مكان من الأرض يُدْعى (طاوُس)، ثم أمر خليد المسلمين فَتَرَجَّلُوا، وقاتلوا فصبروا، ثم ظفروا، فقتلوا فارس مقتلة لم يُقتلوا قبلها مثلها، ثم خرجوا يريدون البصرة فغرقت بهم سفنهم، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلًا، ووجدوا (شَهْرَك) في أهل (إِصْطَخْر) قد أخذوا على المسلمين بالطرق، فعسكروا وامتنعوا من العدو.

ولما بلغ عمر ما صنع العلاء بن الحضرمي، اشتد غضبه عليه، وبعث إليه، فعزله، وتوعده، وأمره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الوجوه إليه؛ فقال: الْحَقْ بسعد بن أبي وقاص في من قبلك[١].

وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان: إن العلاء بن الحضرمي خرج بجيش فَأَقْطَعَهُمْ أهلُ فارس، وعصاني، وأظنه لم يرد الله بذلك، فخشيت عليهم أن لا ينصروا، أن يغلبوا وينشبوا[٢]، فاندب إليهم الناس، واضممهم إليك من قبل أن يُجْتَاحُوا. فندب عتبة المسلمين، وأخبرهم بكتاب عمر إليه في ذلك، فانتدب جماعة من الأمراء الأبطال؛ منهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعاصم بن عمرو، وعرفجة ابن هرثمة، وحذيفة بن محصن، والأحنف بن قيس، وغيرهم، في اثني عشر ألفًا، وعلى الجميع أبو سبرة بن أبي رُهْمٍ، فخرجوا على البغال يَجْنُبُونَ الخيل سراعًا، فساروا على الساحل لا يَلْقَوْنَ أحدًا، حتى انْتَهَوْا إلى موضع الوقعة التي كانت بين المسلمين من أصحاب العلاء وبين أهل فارس، بالمكان المسمَّى بـ(طاوس)، وإذا خُلَيْد بن المنذر ومن معه من المسلمين محصورون، قد أحاط بهم العدو من كل جانب، وقد تداعت عليهم تلك الأمم من كل وجه، وقد تكاملت أمداد المشركين،

---

(١) وفي الاستيعاب (١٠٨٦/٣): أن عمر ولّاه البصرة بعد وفاة عتبة بن غزوان فمات قبل أن يصل إليها، وأرجح هذه الرواية الأخيرة لأن عمر لم يكن ليبقيه في البحرين بعد ما فعل، فلا بد من عقابه على مخالفته الصريحة في ركوب البحر، ولكن هذا العقاب لم يكن ليصل إلى حدٍّ كسر عزة العلاء، فمن المعقول إذًا نقله من البحرين إلى ولاية أخرى قريبة من البحرين هي البصرة، فيكون عقابا مناسبا.

(٢) نشب في الشيء إذا وقع فيما لا مخلص له منه.

ولم يَبْقَ إلا القتال، فقدم المسلمون إليهم في أحوج ما هم فيه إليهم، فالتقوا مع المشركين رأسًا، فكسر أبو سبرة المشركين كسرة عظيمة، وقتل منهم مقتلة عظيمة جدًّا، وأخذ منهم أموالًا جزيلة باهرة، واستنقذ خليدًا ومن معه من المسلمين من أيديهم، وَأَعَزَّ اللَّه به الإسلام وأهله، ودمغ الشرك وَذَلَّهُ، ولله الحمد والمنة[1].

● **القائد:**

«لم يكن العلاء رضي الله عنه مصيبًا في قراره الخاص بعبور البحر إلى فارس؛ لأن إطاعة الأوامر أساس من أقوى أسس الجندية في كل زمان ومكان.

ولستُ أشك بتاتًا في أن العلاء اجتهد فأخطأ، وأن نيته سليمة تتجه بكل طاقاتها لخدمة الإسلام والمسلمين، ومن طاقاتها سلوك طريق التنافس الشريف في الفتح؛ إِلَّا أن ذلك كله لا يبرر مطلقًا مخالفته للأوامر الصريحة الصادرة إليه من عمر بن الخطاب بعدم ركوب البحر.

ولكن هذه المخالفة بالذات تدل على حُبِّ العلاء للمسئولية وإقدامه على تحملها كاملة حتى تجاه قائد عام قوي غاية القوة مثل عمر بن الخطاب.

لقد كان العلاء ينافس سعدًا في ميدان الفتح، فأين ينافسه إذا لم يعبر البحر إلى فارس؟ إن العراق قد فتحه سعد فذهب بفخره وأجره، والبلاد العربية في جنوب البحرين تدين بالإسلام؛ فليس للعلاء مجال يظهر به جهاده وجهوده غير بلاد فارس، ولكن كان عليه أن يحصل على موافقة قائده الأعلى عمر بن الخطاب الذي كان أعرف بالظروف المناسبة لخوض المعركة في فارس، والذي كان يحرص على إعداد كافة متطلباتها المادية والمعنوية قبل الإقدام على خوضها، وبذلك يضمن لجيوشه النصر المبين.

لقد كان العلاء مِقدامًا شجاعًا ذا إرادة نافذة وشخصية قوية، يثق بقطعاته

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٥٤ - ٥٦) - دار عالم الكتب.

ويحبهم، ويثقون به ويحبونه، له ماض مشرف مجيد.

وكان في معاركه يطبق مبدأ (المباغتة) أهم مبادئ الحرب على الإطلاق: مباغتة بالمكان؛ كما فعل بعبور صحراء الدهناء؛ ليصل إلى البحرين بأسرع وقت ممكن من اتجاه لا يتوقعه المرتدون - بالرغم من أخطار عبور هذه الصحراء -، ومباغتة في الزمان؛ كما فعل في مهاجمة المرتدين من أهل البحرين في وقت لا يتوقعونه.

- **العلاء في التاريخ:**

يذكر التاريخ للعلاء سفارته بين النبي ﷺ وبين ملك البحرين المنذر بن ساوى، ونجاحه في سفارته؛ مما أدى إلى إسلام ملك البحرين وأهل البحرين.

ويذكر له انتصاراته الحاسمة على أهل الردة في البحرين على الرغم من رصانة قوتهم لاعتمادها على معاونة الفرس الذين ساعدوا المرتدين ماديًّا ومعنويًّا، وشجعوهم على الردة؛ وبذلك حرم الفرس من مَوْطِئِ قدم مُهِمٍّ لهم في الخليج العربي؛ يعتبر الخط الدفاعي الأمامي عن العراق وبلاد فارس.

ويذكر له أنه كان أول قائد مسلم بعث قائدًا مسلمًا في البحر للفتح؛ بإرساله عرفجة بن هرثمة البارقي بحرَ الفتح، بعض جزر الخليج العربي وبعض مناطق خوزستان؛ فعرف العرب السفن وركوب البحر، وكانوا لا يعرفون غير الإبل سفن الصحراء[١].

فرضي الله عن السيد الولي، الصحابي القائد، الفاتح مجاب الدعوات، العلاء بن الحضرمي.

* * *

(١) قادة فتح بلاد فارس ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٣٩٣) الصحابي القائد الفاتح سارية بن زُنَيْم الكِناني فاتح «فَسَا» و«دارابجرد»

هو الصحابي سارية بن زُنَيْم بن عمرو بن عبدالله بن جابر بن مَحْمِية بن عَبْد بن عَدِي بن الدُّئل بن عبد مناة بن كنانة الدُّؤَلي ـ ويُقال: الأسدي ـ أبو زنيم، وقال ابن حجر: «**سارية بن زُنَيْم بن عبدالله بن جابر، بدون ذكر عمرو**»[١].

قال ابن عساكر: له صحبة.

قال ابن حجر: «تقدم في ترجمة أسيد بن أبي إياس بن زنيم ما يُشْعِرُ أن له صحبةً».

قال العسكري: روى عن النبي ﷺ ولم يَلْقَهُ، وذكره ابن حبان في التابعين. وقد ذكر ابن حجر مرارًا أنه ما كانوا يُؤَمِّرُونَ إلا الصحابة، وقد تَوَلَّى قيادةَ جيشٍ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

ونسب مصعب الزبيري لسارية أنه القائل لأصدق بيت قالته العرب:

فَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا ... أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ[٢]

كان سارية رضي الله عنه خليعًا في الجاهلية ـ أي لِصًّا سريع العدو كثير الغارة ـ وكان أشد الناس حُضْرًا[٣] على رجليه، ثم أسلم فحسن إسلامه.

- **جهاده:**

لما أذن عمر رضي الله عنه للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس، بعث بألوية مَنْ ولى

(١) انظر أسد الغابة: (٢/ ٣٨٠) ت (١٨٨٦)، والإصابة (٣/ ٤) ت(٣٠٤١)، وتاريخ دمشق (٢٠/ ١٩) ت(٢٣٦٢).

(٢) ذكر ابن حجر أن هذه الأبيات لسارية، وأوردها في ترجمة أسيد أنها لأسيد، وذكرها لأنس بن زنيم في ترجمته.

(٣) الحُضْر: العَدْو.

مع سهيل بن عدي، فدفع لواء فَسَا، ودارابجرد إلى سارية بن زنيم الكناني[(١)].

وفي سنة (٢٣ هـ) قصد سارية بن زنيم فَسَا[(٢)] ودَارَابجرد[(٣)] حتى انتهى إلى عسكرهم، فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله، ثم إنهم اسْتَمَدُّوا فَتَجَمَّعُوا وَتَجَمَّعَتْ إليهم أكراد فارس؛ فدهم المسلمين أمر عظيم، وجمع كثير، ورأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعدوه في ساعة من النهار، فنادى من الغد: (الصلاة جامعة)، حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى، خرج إليهم، وكان أُرِيَهُمْ والمسلمون بصحراء إن أقاموا فيها أُحِيطَ بهم، وإن أرزوا إلى جبل من خلفهم لم يُؤْتَوْا إلَّا من وجه واحد، ثم قام فقال: يأيها الناس: إني رأيت هَذَيْنِ الْجَمْعَيْنِ. وأخبر بحالهما، ثم قال: يا سارية، الجبل الجبل. ثم أقبل عليهم، وقال: إن لله جنودًا، ولعل بعضها أن يُبَلِّغَهُمْ. ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم، أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل ففعلوا، وقاتلوا القوم من وجه واحد؛ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد[(٤)].

وعن نافع مولى ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - عن ابن عمر: «**أن عمر** رضي الله عنه قال على المنبر: (يا سارية بن زنيم!!)»، فلم يَدْرِ الناس ما يقول، حتى قدم سارية المدينة على عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، كنا محاصري العدو، وكنا نقيم الأيام لا يخرج علينا منهم أحد، نحن في خفض من الأرض، وهم في حصن عَالٍ، فسمعتُ صائحًا ينادي بكذا وكذا، يا سارية بن زنيم، الجبل، فَعَلَوْتُ بأصحابي

---

(١) الكامل: ٢/ ٣٩٥.

(٢) فَسَا: كلمة أعجمية،وعندهم بَسَا، وكذا يتلفظون بها، ومعناها في كلامهم الشمال من الرياح،وهي أنزه مدينة بفارس، بينها وبين شيراز أربع مراحل، من أكبر مدن دارابجرد.

(٣) دارَابجرد: ولاية بفارس سُميت باسم مدينة بهذا الاسم وتحوي على مدن كثيرة.

(٤) انظر تاريخ الطبري: (٤/ ١٧٨)، والكامل (٢/ ٤٤١ - ٤٤٢)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٧٣)، وتاريخ دمشق (٢٠/ ٢٦).

الجبل، فما كان إلَّا ساعة حتى فتح اللَّه علينا»[1].

ولما فتحوا البلد وغنموا شيئًا كثيرًا، فكان من جملة ذلك سَفْطٌ من جوهر، فاستوهبه سارية من المسلمين لعمر، فلما وصل إليه مع الأخماس، قدم الرسول بِالْخُمُسِ، فوجد عمر قائمًا في يده عصا، وهو يطعم المسلمين سماطهم[2]، فلما رآه عمر قال له: (اجلس)، ولم يعرفه، فجلس الرجل، فأكل مع الناس، فلما فرغوا انطلق عمر إلى منزله، وأتبعه الرجل، فاستأذن فَأُذِنَ له، وإذا هو قد وُضِعَ له خبز وزيت وملح، فقال: ادْن فَكُلْ. قال: فجلستُ، فجعل يقول لامرأته: ألا تخرجين يا هذه فتأكلين؟ قالت: إِنِّي لأَسْمَعُ حِسَّ رَجُلٍ. فقال: أجل. فقالت: لو أردتَ أن أبرز للرجال اشتريتَ لي غير هذه الكسوة. فقال: أَوَ ما ترضين أن يُقال: أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر؟ فقالت: مَا أَقَلَّ غناء ذلك عني. ثم قال للرجل: ادْن فَكُلْ، فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى. فأكلا حتى إذا فرغ قال: أنا رسول سارية بن زنيم. فقال: مرحبًا وأهلًا. ثم أدناه حتى مَسَّتْ ركبته ركبته، ثم سأله عن المسلمين، ثم سأله عن سارية بن زنيم، فأخبره، ثم ذكر له شأن السَّفَط من الجوهر؛ فصاح به، ثم قال: لا، ولا كرامة حتى تقدم على ذلك الجند فيقسمه بينهم. فطرده، فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد أنضيت إبلي، واستقرضتُ على جائزتي، فأعطني ما أَتَبَلَّغُ به. فما زال عنه حتى أبدله بعيرًا ببعيره من إبل الصَّدَقة، وأخذ بعيره فأدخله في إبل الصدقة، ورجع الرسول مغضوبًا عليه محرومًا حتى قدم

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة ١/ ٢٦٩، وابن الجوزي في مناقب عمر ص ١٧٢، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ص ٥٧٦. وإسناده حسن في إسناده محمد بن عجلان وهو صدوق. وقال ابن كثير عقب إيراده الخبر: «وهذا إسناد جيد حسن، وابن حجر الإصابة ٣/ ٥٣، وقال: «إسناده حسن» والسخاوي في «المقاصد الحسنة» ص ٤٧٤: وقال: «إسناده حسن كما ذكر شيخنا» وابن حجر الهيثمي في «الصواعق المحرقة» ص ١٠١ وحسن إسناده.

وهذه كرامة ثابتة لعمر بن الخطاب ﷺ انظر: «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» لابن عبرد الحنبلي (٢/ ٦٤٣ - ٦٤٤، ٦٤٩ - ٦٥٠).

(٢) سماطهم: ما يُمدُّ ليوضع عليه الطعام. . والمراد هنا: الطعام.

البصرة، فنفذ لأمر عمر، وقد سأله أهل المدينة عن سارية، وهل سمعوا شيئًا يوم الوقعة؟ فقال: نعم، سمعنا: يا سارية الجبل، وقد كدنا أن نهلك، فَأَلْجَأْنَا إليه؛ ففتح اللَّه - تَعَالَى - علينا[1].

قَالَ سَارِيَةُ:

لقد علمتُ وَعِلْمُ المرء ينفعه	أن سوف يدركني يومي ومقداري
إن المنايا ستأتي غير جائزة	على المؤجل في ضرٍّ وإعمارِ
أيقنت أني على «فَسَا» مقتدرًا	إنْ شاء ربي وقضت شدة الدار
فغامستهم بها والخيل ساهمة	دون المدينة في نقع وإعصارِ
ثم انكفأنا إلى حرز لنا جبل	صلنا عليهم صوال الأشدق الضاري
ضجُّوا إلينا وعجُّوا بعدنا بسجر	إن السيوف تباري كبَّة الساري
إنا قتلناهمُ من بعد قتلهم	دارابجرد فنلنا بعد أوزار[2]

قال خليفة بن خيَّاط: يُقَالُ: افتتح أصبهان ساريةُ بن زنيم صلحًا أو عَنْوَةً[3]

- **سارية القائد:**

ليس من شك في أن قيادة سارية الحكيمة أنقذت قواته من فناء أكيد؛ فقد كانت قواته قليلة بالنسبة إلى سعة هدفه وكثرة قوات أعدائه.

ومما زاد في جسامة الأخطار المحيطة بجيشه أن خطوط مواصلاته كانت بعيدة للغاية عن قواعد المسلمين الأمامية في الكوفة والبصرة؛ فكان إمداده بالرجال يحتاج إلى وقت طويل؛ لذلك لم يكن أمامه إلا أن يشاغل عدوَّهُ حتى تحين له الفرصة المناسبة للاشتباك به في معركة فاصلة؛ فلما حانت تلك الفرصة، لَمْ يُضَيِّعْهَا سارية عبثًا، بل اهْتَبَلَهَا للقضاء على عدوه القوي العنيد.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤/ ١٧٨، ١٧٩، وتاريخ دمشق ٢٠/ ٢٦، ٢٧، والبداية والنهاية ١٠/ ١٧٣، ١٧٤.

(٢) تاريخ دمشق: ٢٠/ ٢٧ - ٢٨.

(٣) تاريخ خليفة ص ١٦١، حوادث سنة ٢٩ هـ، وتاريخ دمشق ٢٠/ ٢٨.

فما سِرُّ انتصاره على عدوه الذي كان يقاتل في عقر داره، وله كافة المُحَسِّنَاتِ التي يتفوق بها على المسلمين؟

لقد كان سارية يتحلى بالشجاعة الشخصية النادرة وبالإقدام النادر الذي يتخطى بجرأة عجيبة كُلَّ ما يعترضه من عقبات، وكان قديرًا على تفهم تأثير طبيعة ساحة المعركة على نتائج المعركة؛ أو بتعبير آخر: كانت له قابلية لاختيار الأرض المناسبة للمعركة المناسبة؛ فقد كان في العراء حين كان يحاصر عدوه، فلما تفوق هذا العدو على المسلمين بِعَدَدِهِ وَعُدَدِهِ كان لا بُدَّ لسارية أن يختار موضعًا دفاعيًّا مناسبًا يساعده على الدفاع؛ فاختار الجبل وترك السهل.

وكان سريعَ القرارِ صَحِيحَهُ، بعيد النظر لَمَّاحًا للفرص المناسبة، لا يُضَيِّعُهَا أبدًا؛ وكان ذا إرادة قوية وشخصية نافذة، له ماضٍ مشرفٌ مجيدٌ. تلك هي مزايا قيادته التي أَمَّنَتْ له النصر العظيم.

- **سارية في التاريخ:**

من معرفة موقع (دارابجرد) على خريطة فارس تتضح لنا - بشكلٍ جَلِيٍّ - الأهمية السوقية (الاستراتيجية) البالغة لولاية (دارابجرد)؛ فهي بالإضافة إلى كثرة مدنها وَقُرَاهَا ووفرة مياهها وخيراتها وازدحامها بالسكان، مما كان له أثر كبير على إدامة[1] المجاهدين المسلمين بالمال والرجال، فإنها تقع في قلب البلاد الفارسية، ومنها تسهل السيطرة على الولايات الفارسية الشمالية والجنوبية، كما أنها تصلح لتكون قاعدة متقدمة ينطلق الفاتحون منها باتجاه الشرق... إلى الصين، تلك هي بعض أهمية هذه المنطقة من الناحية العسكرية، فهل بإمكان التاريخ أن ينسى لفاتحها ما أَسْدَاهُ للفتح الإسلامي من أفضال؟

---

(١) الأدامة: مصطلح عسكري، يقصد به في الجيش العراقي تأمين متطلبات القوات المقاتلة الإدارية كافة: إمدادها بالرجال والسلاح وبالعتاد وبالنقلية والتجهيزات، والأرزاق وبالأمور الطبية والبيطرية، وإجراء التصليحات اللازمة لأسلحتها ونقليتها وتجهيزاتها.

إن هذه المنطقة كان لها أثر كبير في الفتح الإسلامي الذي امتد شرقًا حتى الصين، كما أن سكانها لا يزالون يدينون حتى اليوم بالإسلام.

تُرَى هل يذكرون فاتحها كما يذكره التاريخ؟!

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، القائد الفاتح، سارية بن زنيم الكناني [١].

* * *

(١) قادة فتح بلاد فارس ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٣٩٤) الصحابي الجليل، والأمير الفاضل المؤتمن، والقائد الفاتح، أبو عبدالله عثمان بن أبي العاص الثقفي الطائفي، فاتح أرمينية الرابعة[١]، وجزيرة بركاوان[٢]، وبلاد فارس[٣] وأول من هاجم بلاد السند

هو الصحابي أبو عبدالله عثمان بن أبي العاص بن بشر بن دُهْمان بن عبدالله بن هَمَّام بن أبان بن يسار بن مالك بن حُطيط بن جُشَم بن ثقيف.

قدم عثمان بن أبي العاص على رسول الله ﷺ مع وفد ثقيف[٤]، وكان أصغر الوفد سِنًّا، فكانوا يخلِّفونه على رحالهم، يتعاهدها لهم، فإذا رجعوا من عند رسول الله ﷺ، وناموا ـ وكانت الهاجرة ـ، أتى عثمان رسول الله ﷺ؛ فأسلم قبلهم سرًّا منهم، وكتمهم ذلك، وجعل يسأل رسول الله ﷺ عن الدين، ويستقرئه القرآن، فقرأ سورًا من فِي رسول الله ﷺ، وكان إذا وجد رسول الله ﷺ نائمًا، عمد إلى أبي بكر، فسأله واستقرأه، وإلى أُبَيٍّ بن كعب فسأله واستقرأه، فَأُعْجِبَ به رسول

---

(١) أرمينية الرابعة: هناك أربع أرمينيات، وأرمينية بصورة عامة بلاد بين أذربيجان والروم ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة. انظر آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص (٤٩٥). ومن مدن أرمينية الرابعة: شمشاط وقاليقلا وأرجيش وبأجنيس. وانظر التفاصيل في معجم البلدان (١/ ٢٠٤).

(٢) جزيرة بركاوان: وردت: أيزكاوان في الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/ ٤٧). ووردت: أبركاوان في البلاذري ص (٣٧٨)، والصحيح ما جاء أعلاه، انظر معجم البلدان (٦/ ٣٢٦) و(٢/ ١٤٩)، وهي جزيرة لافت الواقعة في بحر عمان بينها وبين هجر، انظر التفاصيل في معجم البلدان: (٧/ ٣١٤).

(٣) بلاد فارس: حدودها من الشرق كرمان ومن الغرب كور خوزستان وأصبهان، ومن الشمال المفازة التي بين فارس وخراسان وبعض حدود أصبهان، ومن الجنوب البحر العربي. انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (٦٧) ومعجم البلدان (٦/ ٣٢٤) وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص (٢٣٢).

(٤) كان وفد ثقيف مؤلّفا من: ١ ـ عبد ياليل، ٢ـ الحكم بن عمرو بن وهب، ٣ ـ شرحبيل بن غيلان، ٤ ـ عثمان بن أبي العاص، ٥ ـ أوس بن عوف، ٦ ـ نمير بن خرشة. . .انظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٩٨).

اللَّه ﷺ وَأَحَبَّهُ، فلما أسلم الوفد، وكتب لهم رسول اللَّه الكتاب الذي قَاضَاهُمْ عليه وأرادوا الرجوع إلى بلادهم قالوا: يا رسول الله، أَمِّرْ علينا رجلًا منَّا. فَأَمَّرَ عليهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم؛ لما رأى رسول اللَّه ﷺ من حرصه على الإسلام[١]. قال الذهبي: قدم وفد ثقيف على النبي في سنة تسع، فأسلموا، وَأَمَّرَهُ عليهم؛ لما رأى من عقله وحرصه على الخير والدين، وكان أصغر الوفد سِنًّا.

قال له النبي ﷺ: «**أنت إمامهم، وَاقْتَدِ بأضعفهم، واتَّخِذْ مؤذنًا لا يأخذ على أذانه أجرًا**»[٢].

وتوفى رسول اللَّه ﷺ وعثمان بن أبي العاص عامله على الطائف، ثم أَقَرَّهُ أبو بكر على الطائف، ثم عمر رضي الله عنه.

وتزوج عثمان بن أبي العاص خالدة بنت أبي لهب ابنة عم رسول اللَّه ﷺ فولدت له.

قال المغيرة بن شعبة الثقفي عن إسلام ثقيف: «فدخلوا الإسلام، فلا أعلم قومًا من العرب بني أب ولا قبيلة كانوا أصح إسلامًا ولا أبعد أن يوجد فيهم غش لله ولكتابه منهم»[٣].

- **جهاده:**

لما مات النبي ﷺ ارتدت العرب، وَتَضَرَّمَتِ الأرض نارًا، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشًا وثقيفًا[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٧ ت ٤٨.
وانظر الإصابة ت (٥٤٥٧)، والاستيعاب ت (١٧٩١)، وأسد الغابة ت (٣٥٨١)، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٧٤.

(٢) سنده صحيح على شرط مسلم: أخرجه أبو داود (٥٣١)، والنسائي (٢/ ٢٣)، وأحمد (٤/ ٢١٧)، عن عثمان بن أبي العاص.

(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٣١٣).

(٤) الكامل: (٢/ ٢٠٥).

ويعود الفضل في ثبات ثقيف على إسلامها لأميرها الفاضل عثمان بن أبي العاص.

قال ابن حجر: «كان هو الذي منع ثقيفًا عن الرِّدَّةِ؛ خطبهم، فقال: كنتم آخر الناس إسلامًا، فلا تكونوا أَوَّلَهُمْ ارتدادًا»[١].

وكانت قواعد المسلمين التي يستندون عليها في إمدادهم بالرجال والقضايا الإدارية لإدامة حرب الردة في زمن الصديق ثلاثة مدن: المدينة، وقلة، والطائف، وكان عثمان ﵁ مسئولًا عن إدارة قاعدة **«الطائف»**، فكان لثباته العظيم أعظم الأثر في ثبات الطائف على الإسلام أولًا، وتقوية معنويات المسلمين الذين حولها ومعاونتهم في قتال المرتدين من القبائل ثانيًا، وإمداد قادة المسلمين بالرجال والمواد لقتال المرتدين حتى وصلت بعوثه إلى اليمن.

فقد بعث عثمان بن أبي العاص عثمان بن ربيعة الثقفي عند وفاة النبي إلى مَنْ تَجَمَّعَ من الأزد، فحاربهم، فهزمهم عثمان، وقال في ذلك:

فَضَضْنَا جَمْعَهُمْ وَالنَّقْعُ كَائِن وقَدْ يُعْدِي عَلَى الْغَدْرِ الْعُقُوقُ

وَأَبْرَقَ بَارِقٌ لمَّا الْتَقَيْنَا فَعَادَتْ خُلَّبًا تِلْكَ الْبُرُوقُ[٢]

فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنْ دِينِهِ خَيْرًا.

لما أراد عمر أن يستعمل على البحرين، فَسَمَّوْا له عثمان بن أبي العاص، قال: «ذَاكَ أَمِيرٌ أَمَّرَهُ رسول الله ﷺ على الطائف، فلا أعزله». قالوا له: يا أمير المؤمنين، تأمره يستخلف على عمله من أحبَّ، وتستعين به، فكأنك لم تعزله. فقال: «أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ».

فكتب إليه أن خَلِّفْ على عملك مَن أحببت، واقدم عليَّ. فخلَّف أخاه الحكم بن أبي العاص على الطائف، وقدم على عمر بن الخطاب، فَوَلَّاهُ البحرين[٣].

---

(١) الإصابة: (٤/ ٣٧٤).

(٢) الإصابة: (٤/ ٣٧٢).

(٣) طبقات ابن سعد: (٦/ ٤٨ - ٤٩).

كانت شجاعة عثمان بن أبي العاص وبطولته لا تخفى على أحد من العرب منذ الجاهلية؛ فقد شَدَّ على عمرو بن معديكرب، فهرب عمرو وهو من هو، فقال عثمان:

لَعَمْرُكَ لَوْلَا اللَّيْلُ قَامَتْ مَآتِمٌ حَوَاسِرُ يَخْمِشْنَ الْوُجُوهَ عَلَى عَمْرِو
فَأَفْلَتَنَا فَوْتُ الأَسِنَّةِ بَعْدَمَا رَأَى الْمَوْتَ وَالْخَطِّيَّ أَقْرَبَ مِنْ شَعْرِي[١]

وكانت فروسيته لا تخفى على عمر، فلما أذن عمر بن الخطاب للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس وعقد الألوية لأمرائه دفع عمر لواء «إصطخر» إلى عثمان[٢].

❏ الفاتح:

• فتح أرمينية الرابعة:

في سنة (١٩هـ) وَجَّهَ عياض بن غنم عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة، فقاتل أهلها، فاستشهد صفوان بن المعطِّل، وصالح أهلها عثمان على الجزية، على كل أهل بيت دينار[٣].

• فتح إصطخر[٤] وبلاد فارس سنة ثلاث وعشرين من الهجرة:

قصد عثمان بن أبي العاص لإصطخر؛ فالتقى هو وأهل إصطخر بجور، فاقتتلوا وانهزم الفرس، وفتح المسلمون «**جور**»[٥] ثم «**إصطخر**»، وقتلوا ما شاء الله، ثم فَرَّ منهم مَنْ فَرَّ، فدعاهم عثمان إلى الجزية والذمَّة، فأجابه «**الهربذ**» إليها، فتراجعوا، وكان عثمان قد جمع الغنائم لَمَّا هزمهم، فبعث بخمسها إلى عمر، وَقَسَّمَ الباقي في الناس.

---

(١) الإصابة: (٤/ ٣٧٤).
(٢) الكامل: (٢/ ٣٩٥).
(٣) الكامل: (٢/ ٣٧٨).
(٤) إصطخر: عاصمة إقليم اصطخر، وهي أقدم مدن فارس وأشهرها، وبها كان مسكن ملك فارس حتى تحوّل أردشير إلى (جور).
(٥) جور: مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخا.

- **لِلَّهِ دَرُّ جُنُودِكَ يَا عُثْمَانُ:**

قال الطبري: «عَفَّتِ الجند عن النهاب، وأدوا الأمانة، فجمعهم عثمان ثم قام فيهم، وقال: إن هذا الأمر لا يزال مقبلًا، ولا يزال أهله معافين مما يكرهون ما لم يَغُلُّوا، فإذا غَلُّوا رأوا ما يُنكرون، ولم يسد الكثير مَسَدَّ القليل اليوم»(١).

وفتح عثمان «**كازرون**»(٢)، و«**النوبندجان**»(٣)، وغلب على أرضها.

وفتح هو وأبو موسى مدينة «**شيراز**»(٤) صلحًا، و«**أرجان**»(٥) صلحًا على الجزية والخراج، وفتحا «**سينيز**»(٦) من إقليم «**أردشير**»(٧) على الجزية والخراج، وقصد عثمان أيضًا «**جنَّابا**»(٨) ففتحها، ولقيه جمع الفرس بناحية «**جهرم**»(٩) فهزمهم وفتحها، وصالح عثمان مدينة «**فَسَا**»(١٠) ومدينة «**سابور**»(١١).

قال البلاذري: «**بعث عثمان بن أبي العاص هرم بن حيَّان العبدي إلى قلعةٍ يقال لها:** «**شبير**» ففتحها عَنوة بعد حصار وقتال، وقال بعضهم: فتح هرم قلعة «**الستوج**» عَنوة، وأتى عثمان «جرة» من سابور، ففتحها وأرضها ـ بعد أن قاتله أهلها ـ صلحًا على أداء الجزية والخراج ونصح المسلمين.

---

(١) تاريخ الطبري: (٣/ ٢٥٢).

(٢) كازرون: مدينة بين البحر وشيراز.

(٣) النوبندجان: مدينة بأرض فارس من كوّة سابور، قريبة من شعب بوان الموصوف بالحسن والنزهة.

(٤) شيراز: مدينة في وسط بلاد فارس، وهي قصبة بلاد فارس.

(٥) أرجان: مدينة كبيرة، بينها وبين البحر مرحلة، وبينها وبين شيراز ستون فرسخا، وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخا.

(٦) «سينيز»: بلد على ساحل الخليج العربي أقرب إلى البصرة من «سيراف».

(٧) البلاذري: ص ٢٨٠.

(٨) جنّابا: بلدة صغيرة من سواحل فارس.

(٩) جهرم: مدينة ببلاد فارس بينها وبين شيراز ثلاثون فرسخا.

(١٠) فسا: سبق ذكرها بينها وبين شيراز أربع مراحل.

(١١) سابور: كورة مشهورة بأرض فارس على اسم مدينة «سابور» التي بينها وبين «شيراز» خمسة وعشرون فرسخا. انظر الكامل: ٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

وفتح عثمان «**كازرون**» من سابور وغلب على أرضها، وفتح عثمان «**النوبندجان**» من سابور أيضًا، وغلب عليها، واجتمع أبو موسى وعثمان بن أبي العاص في آخر خلافة عمر رضي الله عنه ففتحا «**أرجان**» صلحًا على الجزية والخراج، وفتحا «**شيراز**» وهي من أرض «**أردشير خرة**» على أن يكونوا ذمة يؤدون الخراج إلا من أحبَّ منهم الجلاء، ولا يُقْتَلُوا ولا يُسْتَعْبَدُوا، وفتحا «**سينيز**» من أرض «أردشير خرة» وترك أهلها عُمَّارًا للأرض، وفتح عثمان حصن «**جنابا**» بأمان، وأتى عثمان بن العاص «**دارابجرد**» وعليها «**الهربذ**» فصالحه «الهربذ» على مالٍ أعطاه إياه، وعلى أن أهل «**دارابجرد**» كلهم أسوة بمن فُتِحَتْ بلاده من أهل فارس، واجتمع له جمع بناحية «**جهرم**» فَفَضَّهُمْ، وفتح أرض «جهرم»، وأتى عثمان فصالحه عظيمُهَا على مثل صلح «**دارابجرد**»، ويقال: إن «الهربذ» صالح عليها أيضًا.

وأتى عثمان بن أبي العاص مدينة سابور في سنة ثلاث وعشرين، ويُقال: (في سنة أربع وعشرين) قبل أن تأتي أبا موسى ولايته البصرة من قِبَلِ عثمان بن عفان، فوجد أهلها هائبين للمسلمين، ورأى أخو «**شهرك**» في منامه كَأَنَّ رجلًا من العرب دخل عليه فسلبه قميصه، فَنَخَبَ ذلك قلبه، فامتنع قليلًا، ثم طلب الأمان والصلح، فصالحه عثمان على أن لا يقتل أحدًا ولا يسبيه، وعلى أن تكون له ذمة ويعجل مالًا. ثم إن أهل سابور نقضوا وغدروا، فَفُتِحَتْ في سنة ست وعشرين؛ فتحها عنوة أبو موسى وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص»[1].

في الكامل: «إن شهرك خلع في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان، وَنَشَّطَ أهل فارس، ودعاهم إلى النقض، فوجه إليه عثمان بن أبي العاص ثانية، وأتته الأمداد من البصرة، وأميرهم عبيدالله بن معمر، وشبل بن معبد، فالتقوا بأرض فارس، فقال شهرك لابنه - وهما في المعركة، وبينهما وبين قرية لهما تُدعى «**شهرك**» ثلاثة فراسخ -: «يا بني أين يكون غداؤنا؟ هاهنا أم بشهرك؟ قال له: يا

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ص ٣٨٠ - ٣٨١.

أبت، إن تركونا فلا يكون غداؤنا هاهنا ولا بشهرك، ولا نكون إلَّا في المنزل، ولكن واللَّه ما أراهم يتركوننا. فما فرغا من كلامهما حتى شَبَّ المسلمون الحرب، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وقُتِل «**شهرك**» وابنه وَخَلْقٌ عظيمٌ، والذي قَتَلَ شهرك الحكم بن أبي العاص أخو عثمان، وقيل: (قتله سوار بن همام العبدي)؛ حمل عليه فطعنه فقتله، وحمل ابن شهرك على سوار فقتله»[١].

وقتل عثمان بن العاص مرزبان «**كرمان**»؛ لقيه في جزيرة «**بركاوان**» وهو في خف، فقتله، فوهن أمر أهل كرمان، ونخبت قلوبهم»[٢].

فلله در عثمان من بطل!!.

وقال الذهبي عن عثمان: «الأمير الفاضل المؤتمن، أبو عبداللَّه الثقفي الطائفي... استعمله عمر على عمان والبحرين، ثم قدَّمه على جيش، فافتتح «**توَّج**»، ومصَّرها، وسكن البصرة»[٣].

قال البلاذري: «**لما ولى عمر عثمان بن أبي العاص البحرين وعمان فدوَّخهما، واتَّسقت له طاعة أهلهما**»[٤]، وهذا يدل على أن عثمان كان إداريًّا قديرًا، سيطر على البحرين وعمان مثلما سيطر على إدارة الطائف في أحرج الظروف، ولا يقوم بهذا إلا ذو عقل وقوام وكفاية، أقره عثمان على ولايته حتى سنة ثمان وعشرين للهجرة.

وكان رضي الله عنه من أصحاب الفتيا من الصحابة[٥]؛ قال عنه الحسن البصري: «**ما رأيت أحدًا أفضل منه**»[٦].

---

(١) «الكامل» (٢/ ٤٤٠).
(٢) البلاذري: ص ٣٨٣.
(٣) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٧٤).
(٤) البلاذري: ص ٣٧٨.
(٥) أصحاب الفتيا من الصحابة لابن حزم ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص ٣٢١.
(٦) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٧٥.

- **القائد:**

«كان عثمان سريعَ القرارِ صَائِبَهُ؛ نتيجة لذكائه وكفاءته وَبُعْدِ نظره وترتيباته الاستطلاعية التي كان يتخذها دائمًا قبل خوض معاركه؛ لذلك انتصر في كل معركة خاضها؛ داخلية ضد المرتدين، وخارجية في الفتح الإسلامي.

وكان شجاعًا مقدامًا، يثق بقواته، وتثق قواته به، له شخصية نافذة وإرادة قوية، يتحمل مسئوليته كاملة؛ يبادله رجاله حبًّا بحب وثقةً بثقة، له ماض ناصع مجيد قبل الإسلام وبعده.

وكان يحرص على (اختيار مقصده وإدامته)، كما كان قائدًا (تعرضيًّا)، يطبق مبدأ (المباغتة) في حروبه، ويعمل على (تحشيد قوته) قبل البدء بالقتال، ويضع مبدأ (الأمن) نصب عينيه دائمًا حتى يحافظ على قواته سالمة، و(يديم معنوياتها) قبل المعركة وأثناءها وبعدها.

- **عثمان في التاريخ:**

يذكر التاريخ عثمان بإعجاب شديد؛ لعقيدته الراسخة ولفتوحاته؛ يذكره لعقيدته الراسخة التي جعلته يسارع إلى الإسلام قبل أصحابه في وفد ثقيف، ويحرص على استيعاب الدين الجديد قبلهم، ثم يقف صامدًا أمام الذين أرادوا نبذ الإسلام من ثقيف بعد التحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى؛ مما أدى إلى بقاء قومه في الطائف مسلمين يدافعون عن الإسلام.

ويذكر فتوحاته الواسعة التي شملت أكثر بلاد فارس موطن الفرس الأصلي الذي انْبَعَثُوا منه إلى أرجاء العالم القديم ليكونوا أقوى إمبراطورية لا تزال آثار حضارتها باقية حتى اليوم.

لقد فتح بالإضافة إلى فارس أرمينية الرابعة، وكان أول من هاجم السند، فكانت معاركه التمهيدية فيها إيذانًا بفتحها فيما بعد ونشر الإسلام في ربوعها،

وقد غزا ثلاثة من مدن الهند[١].

إن عثمان بن أبي العاص مفخرة من مفاخر التاريخ العربي الإسلامي.

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، الإداري الحازم، القائد الفاتح، عثمان بن أبي العاص الثقفي[٢].

* * *

(١) جمهرة أنساب العرب: ٢٥٤.

(٢) قادة فتح بلاد فارس: ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٣٩٥) الصحابي القائد الفاتح، الحكم بن أبي العاص الثقفي ﵁ فاتح جزيرة بركاوان[١]، وتَوَّج[٢]، وفاتح إصطخر ثانية

هو الحكم بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دُهمان الثقفي أخو عثمان.

قال ابن سعد: يُقال: له صحبة. وقال ابن الأثير: له صحبة، وولَّاه أخوه عثمان البحرين؛ وسبب ذلك أن عمر بن الخطاب لما كان عثمان على الطائف كتب إليه عمر: أقبل، واستخلف أخاك. ولما استعمل عمر ﵁ عثمان على البحرين وعمان، وَجَّهَ عثمان أخاه الحكم على البحرين[٣].

أسلم الحكم بعد قدوم وفد ثقيف وإسلام ثقيف؛ فنال شرف الصحبة، ولم يَنَلْ شرف الجهاد مع رسول اللَّه ﷺ.

- **جهاده:**

كان الحكم ﵁ الساعد الأيمن لأخيه عثمان في إدارة الطائف وثباتها على الإسلام، وفي جهاد المرتدين، وفي فتوحات فارس.

وافتتح الحكم فتوحًا كثيرة في العراق سنة تسع عشرة أو سنة عشرين[٤].

قال البلاذري: «إن عثمان بن أبي العاص وَجَّهَ أخاه الحكم بن أبي العاص في البحر إلى فارس في جيش عظيم من عبد القيس والأزد وتميم وبني ناجية وغيرهم؛ ففتح جزيرة «**بركاوان**»، ثم صار إلى «**تَوَّج**» وهي من أرض «**أردشير خرة**»، ومعنى «**أردشير خرة**»: بهاء أردشير.

---

(١) بركاوان: هي جزيرة لافت الواقعة في بحر عُمان «الخليج العربي» بينها وبين هجر.

(٢) توّج: مدينة بفارس.

(٣) انظر: الإصابة (٢/ ٩٠) ت ١٧٨٥، وأسد الغابة (٢/ ٥٠) ت (١٢١٨)، والاستيعاب ت (٥٤٤).

(٤) المصدر السابق.

وفي رواية أبي مخنف: إن عثمان بن أبي العاص نفسه قطع البحر إلى فارس، فنزل «**تَوَّج**» ففتحها وبنى المساجد وجعلها دارًا للمسلمين، وأسكنها عبد القيس وغيرهم، فكان يُغِيرُ منها على (أرجان) وهي متاخمة لها، ثم إنه شخص عن فارس إلى عمان والبحرين لكتاب عمر إليه في ذلك، واستخلف أخاه الحكم.

وقال غير أبي مخنف: إن الحكم فتح «**تَوَّج**»، وأنزلها المسلمين من عبد القيس وغيرهم سنة تسع عشرة. وقالوا: إن «**شهرك**» مرزبان فارس وواليها أَعْظَمَ ما كان من قدوم العرب فارس، واشتد عليه، وبلغته نكايتهم وبأسهم وظهورهم على كل من لقوه من عدوهم، فجمع جموعًا عظيمة، وسار بنفسه حتى أتى «**راشهر**» من أرض سابور، وهي بقرب «**تَوَّج**»، فخرج إليه الحكم بن العاص وعلى مقدمته «**سوار بن همام العبدي**»، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وكان هناك وادٍ قد وَكَّلَ به «**شهرك**» رجلًا من نقابه في جماعة، وأمره أن لا يجتازه هارب من أصحابه إلا قتله، فأقبل رجل من شجعاء الأساورة مُوَلِّيًا من المعركة، فأراد الرجل قتله، فقال له: لا تقتلني؛ فإنما نقاتل قومًا منصورين، اللَّه معهم. ووضع حجرًا، فرماه، ففلقه، ثم قال: أترى هنا السهم الذي فلق الحجر، واللَّه ما كان ليخدش بعضهم لو رُمِيَ به. قال: لا بد من قتلك، فبينا هو في ذلك إذ أتاه الخبر بقتل شهرك، وهزم اللَّه المشركين، وَفُتِحَتْ «**راشهر**» عَنوة، وكان يومها في صعوبته وعظيم النعمة على المسلمين فيه كيوم القادسية، وتوجه بالفتح إلى عمر بن الخطاب عمرو بن الأهتم التميمي[(١)].

- **لِلَّهِ دَرُّ سِوَارِ بْنِ هَمَّامٍ الْعَبْدِيِّ مِنْ بَطَلٍ:**

قتل سوار بن همام العبدي في هذه المعركة «شهرك»؛ حمل عليه فطعنه؛ فَأَرْدَاهُ عن فرسه، وضربه بسيفه حتى فاضت نفسه، وحمل ابن شهرك على سوار فقتله، ولما جاء عمرو بن الأهتم عمر بن الخطاب بخبر الفتح، قال له:

(١) «فتوح البلدان» للبلاذري ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

جئت الإمام بإسراع لِأُخْبِرَهُ بالحق من خبر العبدي سوار
أخبار أروع ميمون نقيبته مستعمل في سبيل الله مغوارُ[١]

- رواية أخرى:

قال ابن الأثير: «والذي قتل شهرك الحكم بن أبي العاص أخو عثمان، وقيل: قتله سوار بن همام العبدي؛ حمل عليه فطعنه فقتله، وحمل ابن شهرك على سوار فقتله.

وقيل: إن إصطخر كانت سنة ثمان وعشرين، وكانت فارس الآخرة سنة تسع وعشرين.

وقيل: إن عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين في ألفين إلى فارس؛ ففتح جزيرة «**بركاوان**» في طريقه، ثم سار إلى «**توج**»، وكان «**كسرى**» أرسل «**شهرك**»، فالتقوا مع «**شهرك**»، وكان «**الجارود**»، و«**أبو صفرة**» على مجنبتي المسلمين، و«**أبو صفرة**» هذا هو والد «**المهلب**»، فحمل الفرس على المسلمين فهزموهم، فقال «**الجارود**»: أيها الأمير فَرِّدِ الجند. فقال: سترى أمرك. فقال: فما لبثوا حتى رجعت خيل لهم ليس عليها فرسانها، والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم، فنثرت الرءوس، فرأى «**المكعبر**»[٢] رأسًا ضخمًا فقال: أيها الأمير، هذا رأس الازدهاق - يعني شهرك. وَحُوصِرَ الفرس بمدينة سابور، فصالح عليها ملكها «**أرزنبان**»[٣]، فاستعان به الحكم على قتال أهل إصطخر»[٤].

وانتقضت (إصطخر) التي فتحها عثمان بن أبي العاص على المسلمين؛ فسار إليها الحكم، واستطاع تحطيم قوات الفرس بعد قتال عنيف بمعاونة أخيه عثمان الذي سارع لنجدة أخيه، وبذلك أعاد (إصطخر) والمنطقة المحيطة بها إلى سيطرة

---

(١) المصدر السابق: ص ٣٧٩.
(٢) من كبار رجالات فارس.
(٣) عند الطبري: أدربيجان.
(٤) الكامل: (٢/ ٤٤٠ - ٤٤١).

المسلمين.

لقد كان الحكم عونًا لأخيه عثمان في فتوحاته الكثيرة في إقليم فارس؛ فكان يعمل تحت لواء أخيه تارة، ويعمل مستقلًّا لفتح بعض المناطق تارة أخرى؛ وبذلك استطاع أن يفتح فتوحًا كثيرة.

- **القائد:**

«لعل الحكم نسخة طبق الأصل من أخيه عثمان بن أبي العاص في مزاياه قائدًا.

كان شجاعًا مِقدامًا سريع القرار، يبادل رجاله الثقة والمحبة، ذا شخصية نافذة وإرادة قوية.

لقد انتصر في كل معركة خاضها؛ لأنه طبق أهم مبادئ الحرب في القتال؛ إذ إنه حرص على مبدإ (اختيار المقصد وإدامته)، ومبدإ (التعرض)، ومبدإ (المباغتة)؛ وبذلك استطاع تحطيم قوات فارسية كبيرة بأقل جهد ممكن، وبأقل خسائر ممكنة.

- **الحكم في التاريخ:**

لا يكاد التاريخ يذكر عثمان بن أبي العاص أخا الحكم إلا ويذكر الحكم إلى جانبه شريكًا له في إنجازاته الرائعة في الدفاع عن الإسلام وفي الفتح الإسلامي.

لقد شارك الحكم أخاه عثمان في منع ثقيف من الردة، وشاركه في فتوحاته كلها، وشاركه في كل أعماله الإدارية، وفي كل واجباته في السِّلْمِ والحرب؛ وبذلك استحق الحكم تقدير التاريخ.

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، الإداري الحازم، القائد الفاتح، الحكم بن أبي العاص الثقفي»[١].

* * *

---

(١) قادة فتح بلاد فارس ص ٢٧١ - ٢٧٢.

(٣٩٦) الصحابي القائد الفاتح سيد قيس بالبصرة مُجاشِع بن مسعود السُّلَمي فاتح لواء أردشير خُرَّة[١] وسابور[٢] .. وفاتح كِرمان ثانية

هو الصحابي الجليل مُجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب بن عائذ بن ربيعة بن يربوع بن سمَّال ـ وقيل: سِمَاك ـ بن عوف بن امرئ القيس بن بُهثة بن سُليم بن منصور بن عكرمة بن خَفصة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أخو مجالد. وأمهما مُلَيْكَةُ بنت سفيان[٣]، ولهما صحبة.

- **إسلامه:**

أسلم قبل أخيه مجالد[٤]. وقد أسلم مجالد بعد فتح مكة.

عن مجاشع بن مسعود قال: يا رسول الله، هذا مجالد، فَبَايِعْهُ على الهجرة. قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن أُبَايِعُهُ على الإسلام**»[٥].

وعن أبي عثمان عن مجاشع السلمي قال: أتيتُ رسول اللَّه ﷺ أنا وأخي، فقلت: يا رسول الله، بَايِعْنَا على الهجرة، فقال: «**قد مضت الهجرة لأهلها**»، فقلتُ: عَلَامَ نبايعك يا رسول الله؟ قال: «**على الإسلام والجهاد**»، قال: فلقيت

---

(١) أردشير خره: هي مدينة جُور سمّاها العرب بهذا الاسم. وهي مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخا.

(٢) سابور: كورة واسعة مدينتها سابور. . وهي كورة مشهورة بأرض فارس مدينتها النوبندجان في قول ابن الفقيه، وشهرستان في قول البشاري.

(٣) انظر طبقات ابن سعد: (٧/ ٢٢)، والاستيعاب (٤/ ١٤٥٧) ت (٢٥٤٤)، وأسد الغابة (٥/ ٥٥) ت (٤٦٦٩)، والإصابة (٥/ ٥٦٩) ت (٧٧٣٧)، وتهذيب الكمال (٢٧/ ٢١٤).

(٤) أسد الغابة (٥/ ٥٦).

(٥) رواه البخاري (٤/ ٩٢)، ومسلم: (٦/ ٢٧).

أخاه، فقال: صدق مجاشع»[١].

وفي «**أخبار أصبهان**» ما يفيد أن مجاشعًا قد أسلم قبل الفتح، وهاجر إلى المدينة، فقال له الناس: ألا تختط؟ فقال: «**والله ما لهذا هاجرنا**»[٢]، فهو من المهاجرين[٣].

شـــهـد غزوة فتح مكة مسلمو بني سليم، كما شهدوا ما بعدها من غزوات النبي ﷺ ونال مجاشع الأسلمي رضي الله عنه شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول ﷺ.

- **جهاده:**

كان مجاشع من أبطال ميدان الفتوحات في العراق وفارس، وشهد فتح الأبلة «تحت راية صهره عتبة بن غزوان».

وفي سنة (١٤ هـ) استعمل عتبة مجاشع بن مسعود على جماعة، وَسَيَّرَهُمْ إلى الفرات، واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلاة إلى أن يقدم مجاشع بن مسعود، فإذا قدم فهو الأمير، وسار عتبة إلى عُمر، فظفر مجاشع بأهل الفرات.

فقال عمر لعتبة: مَنِ استعملت على البصرة؟ فقال: مجاشع بن مسعود؟ قال: «**أتستعمل رجلًا من أهل الوبر على أهل المدر[٤]؟**»[٥].

ولشجاعة وبطولة مجاشع التي أبرزها ميدان الحرب، وعلم بها القاصي والداني أرسل عمر بن الخطاب سهيل بن عدي بلواء أردشير خُرة وسابور إلى مجاشع سنة (١٧هـ)[٦].

---

(١)أخرجه البخاري (٤/ ٦١) ومسلم (٦/ ٢٨).

(٢)أخبار أصبهان: (١/٧٠).

(٣)المصدر السابق.

(٤)المدر: الطين اللزج المتماسك. وأهل المدر: هم سكان المدن خلاف أهل الوبر وهم البدو سكّان الخيام.

(٥)الكامل: (٢/ ٣٣٦).

(٦)الكامل: (٢/ ٣٩٥).

تحرك مجاشع على رأس جيشه من أهل البصرة إلى الأهواز بأمر من عمر بن الخطاب الذي قال له: «**انْصل منها على ماه**»[1]، فخرج حتى إذا كان بـ«**غفي شجر**» ـ جبال البصرة ـ أمره النعمان أن يقيم مكانه، وكان واجب مجاشع إشغال قوات فارس بالأهواز حتى يحول بينهم وبين القوات المحتشدة بنهاوند.

وفي مسير النعمان بن مقرن بجيشه إلى نهاوند كان مجاشع على الساقة، وأبلى البطل مجاشع أعظم البلاء في معركة «**نهاوند**».

- **فتح تَوَّج:**

قصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خرة فيمن معه، فالتقى هو والفرس بِتَوَّج، فاقتتلوا ما شاء الله، ثم انهزم الفرس، وقتلهم المسلمون كيف شاءوا كل قتلة، وغنموا ما في عسكرهم، وحصروا تَوَّج؛ فافتتحوها، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، وغنموا ما فيها، وهذه توج الآخرة، والأولى هي التي استقدمتها جنود العلاء بن الحضرمي أيام (طاوس)، ثم دعوا إلى الجزية فرجعوا وأقروا بها، وأرسل مجاشع بن مسعود السلمي بالبشارة والأخماس إلى عمر بن الخطاب[2]، وبعد فتح «**توج**» وهي من أرض أردشير خرة تغلغل مجاشع في لواء أردشير خرة وسابور ففتحه، وقد اختلف أهل العلم في فاتح «**توج**»؛ فذكر البلاذري أنه الحكم بن أبي العاص كما ذكرنا، وفي رواية لابن الأثير وغيره أنه عثمان بن أبي العاص، وَرَجَّحَ اللواء محمود شيت خطاب أنه مجاشع؛ لأنها ضمن منطقة قيادته التي أُلْقِيَ على عاتقه مهمة فتحها[3].

قال مجاشع في فتح «تَوَّج»:

ونحن ولينا مرة بعد مرة ... بتوج أبناء الملوك الأكابرِ

لقينا جيوش الماهيان بشحرة ... على ساعة تلوي بأهل الحظائرِ

---

(١) ماه: هي ماه دنيار وهي مدينة نهاوند.

(٢) الكامل: (٢/ ٤٩٣).

(٣) قادة فتح بلاد فارس ص ٢٥٧ بهامش (٢١).

فما فتئت خيلي تكرُّ عليهم ويلحق منها لاحق غير حائر

- **غزو كابل وفتح كرمان مرة ثانية:**

وفي خلافة عثمان بن عفان لما تولى عبدالله بن عامر بن كُريْز العبشمي البصرة أصبح مجاشع ساعده الأيمن، وسار معه لإعادة فتح البلاد المنتقضة من بلاد فارس.

قال الدولابي: إنه غزا كابل من بلاد الهند؛ فصالحه «**الأصهيد**»، فدخل مجاشع بيت الأصنام، فأخذ جوهرة من عين الصنم، وقال: لم آخذها إلا لتعلموا أنه لا يضر ولا ينفع[١].

لما سار ابن عامر إلى فارس وَجَّهَ مجاشع بن مسعود السلمي إلى كرمان في طلب يزدجرد، فهرب إلى خراسان، وهلك جيش مجاشع بالثلج والدمق[٢]، ونجا مجاشع ورجل معه جارية فقط.

ثم لما توجه ابن عامر يريد خراسان وَلَّى مجاشعًا كرمان ففتح «**بيمند**»[٣] عنوة، واستبقى أهلها، وأعطاهم أمانًا، وبها قصر يعرف بقصر مجاشع، وفتح مجاشع بروخروة، وأتى «**الشيرجان**»[٤]؛ وهي مدينة كرمان، وأقام عليها أيامًا يسيرة وأهلها متحصِّنون، وقد خرجت لهم خيل فقاتلهم، ففتحها عنوة، وَخَلَّفَ بها رجلًا، ثم إن كثيرًا من أهلها جَلَوْا عنها، وقد كان أبو موسى الأشعري وجه الربيع بن زياد؛ ففتح ما حول «**الشيرجان**»، وصالح أهل «**بم**» و«**الاندغار**»، فكفر أهلها ونكثوا، فافتتحها مجاشع بن مسعود، وفتح «**جيرفت**»[٥] عنوة، وصار في «**كرمان**» فَدَوَّخَهَا، وأتى «**القفص**»[٦]، وتجمَّع له بـ«**هرموز**» خَلْقٌ ممن جَلَا من

---

(١) الإصابة: (٥/ ٥٧٠).

(٢) الدمق: الثلج مع الريح. (٣) بيمند: وهي ميمند، بلد بكرمان.

(٤) الشيرجان: قصبة كرمان. وقد أسماها في الكامل: السيرجان.

(٥) جيرفت: مدينة بكرمان كبيرة، من أعيان مدن كرمان وأنزهها وأوسعها.

(٦) القفص: ورد إسمها كذلك عند ابن الأثير والبلاذري وهي «قفس»بالسين المهملة وأكثر ما يتلفظ به غير أهله بالصاد، وهو اسم أعجمي لجبل من جبال كرمان.

الأعاجم، فقاتلهم؛ فظفر بهم، وظهر عليهم، وهرب كثير من أهل كرمان، فركبوا البحر، ولحق بعضهم بمكران، وأتى بعضهم سجستان، فَأَقْطَعَتِ العرب منازلهم وأرضيهم، فعمروها وأدوا العشر فيها[(١)].

ذكر المدائني أن عمرو بن معديكرب تحمَّل حمالة، فأتى مجاشعًا يستعينه فيها، فقال: إن شئت أعطيتك ذلك من مالي، وإن شئت حكمتك. ثم أعطاه حُكمه، فمضى وهو يشكره[(٢)].

كان رضي الله عنه يُعَدُّ من أجواد العرب؛ فقد وفد عمرو بن معديكرب الزبيري على مجاشع، وكانت بين عمرو وبين سليم حروب في الجاهلية، فقدم عليه بالبصرة يسأله الصلة، فقال له: «**اذكر حاجتك**»، فقال له: «**حاجتي صلة مثلي**»، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وفرسًا من بنات الغبراء، وسيفًا جرازًا، ودرعًا حصينة، وغلامًا خبازًا، فلما خرج من عنده قال له أهل المجلس: كيف وجدت صاحبك؟ قال: «لله بنو سليم!! ما أشد في الهيجاء لقاءها، وأكرم في اللَّأْوَاءِ عطاءها، وأثبت في المكرمات بناءها!! والله يا بني سليم، لقد قاتلناكم في الجاهلية فما أجبناكم، ولقد هاجيناكم فما أفحمناكم، ولقد سألناكم فما أبخلناكم!!»[(٣)].

وكان ورعًا تقيًا نقيًا عاقلًا؛ لذلك أصبح سيد قيس بالبصرة في أيامه[(٤)]، زَوَّجَهُ الصحابي الجليل عتبة بن غزوان ابنته[(٥)]، وكان موضع ثقة الخلفاء والأمراء، وموضع ثقة الناس على مختلف ميولهم وأهوائهم لمزاياه الإنسانية الرفيعة.

● **القائد:**

نجح مجاشع في الحرب الخاطفة للقضاء على بعض الاضطرابات الداخلية؛

---

(١) «فتوح البلدان» للبلاذري ص ٣٨٣ - ٣٨٤.
(٢) الإصابة: ٥/ ٥٧٠.
(٣) العقد الفريد: (١/ ١٩٣).
(٤) الطبري: (٣/ ٤٠٣).
(٥) البلاذري: ص ٣٧٨.

كما حدث في الفرات، وهذا النوع من الحروب يحتاج إلى قائد سريع الحركة، سريع القرار، جريء، شجاع، مندفع.

كما نجح في حروب المشاغلة؛ حيث استطاع تجميد القوات الفارسية في الأهواز، وحال دون تعاونها مع القوة الفارسية الضاربة الأصلية المحتشدة في (نهاوند) من جهة، وحال دون عرقلتها تحشيد قوات المسلمين في منطقة (نهاوند)، وهذا النوع من الحروب يحتاج إلى قائد يتسم بالانتباه الشديد والحذر واليقظة والسهر على مراقبة تحركات القوات المعادية، كما يحتاج إلى قائد يستطيع الإفادة من طبيعة الأرض، ويختار المواقع المناسبة لقواته؛ بحيث تستطيع الحركة بسرعة للقضاء على كل حركة معادية محتملة.

كما نجح قائدًا مرءوسًا لإحدى التشكيلات التعبوية قبل معركة نهاوند وفي أثنائها، وكان أحد القادة الذين كان لهم أثر حاسم في انتصار المسلمين في معركة حاسمة هي معركة نهاوند.

كما نجح قائدًا مستقلًّا، له واجب خاص وهدف معين؛ ففتح منطقة واسعة من أرض إيران بأقرب وقت ممكن وبأقل جهود ممكنة وبأقل خسائر مادية ومعنوية.

إنه قائد ممتاز له كل مزايا القائد الممتاز؛ فكان سريع القرار صَحِيحَهُ؛ نظرًا لذكائه وتشبثه بالحصول على المعلومات الضرورية عن العدو وعن الأرض التي يقاتل عليها، وكان قوي الشخصية حديدي الإرادة محبوبًا، موضع ثقة رؤسائه ومرءوسيه على حد سواء.

ولعل لمزاياه الإنسانية السامية وماضيه الناصع المجيد أثرًا كبيرًا على ثقة الناس به وحبهم له وتقديرهم لمزاياه وتطوعهم برحابة صدر للقتال تحت رايته.

لقد كان يؤمن بالضبط، ويفرض سيطرته الكاملة على رجاله من غير إسراف ولا شطط؛ ذكر أحد الغزاة الذين كانوا معه يوم فتح «تَوَّج» فقال: «خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين (تَوَّج)، فحاصرناهم، وقاتلناهم ما شاء الله، فلما

افتتحناها، وحوينا نهبها نهبًا كثيرًا، وقتلنا قتلى عظيمة، وكان عليَّ قميص قد تَخَرَّقَ، فأخذت إبرة وسلكًا، وجعلت أخيط قميصي بها، ثم إني نظرت إلى رجل في القتلى، عليه قميص، فنزعته، فأتيت به الماء، فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه فلبسته، فلما جمعت الرثة قام مجاشع خطيبًا؛ فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، لا تغلوا؛ فإنه من غل جاء بما غل يوم القيامة، ردوا ولو المخيط!! فلما سمعت ذلك نزعت القميص فألقيته في الأخماس»[1]، وهذا يدل على أمانته المطلقة وسيطرته النافذة على رجاله.

وكان بالإضافة إلى كل ذلك قوي البنية، يتحمل المشاق بسهولة ويسر، حتى الثلج والدمق والطقس القاسي في الظروف الصعبة تحملها ونجا منها، بينما لم يتحملها رجاله فماتوا من أثرها.

لقد كان قائدًا فَذًّا بكل ما في الكلمة من مَعَانٍ.

● مجاشع في التاريخ:

يذكر التاريخ لمجاشع فتحه لواء «أردشيرخرَّة» و«سابور»، ويذكر له استعادته فتح منطقة كرمان الواسعة الغنية.

ويذكر له نجاحه الباهر في القيادة وفي الإدارة أيضًا، وهو من الأعراب الذين لم يتمرسوا على مثل هذه الأعمال بنطاق واسع.

إن مجاشعًا القائد الإداري مثال حي على أثر العقيدة الإسلامية في نفوس حتى أعراب البادية وتبديلها من حال إلى حال.

رضي اللَّه عن القائد الفاتح، الإداري الحازم، الصحابي الجليل، مجاشع بن مسعود السلمي.

* * *

(١) الطبري: (٣/ ٢٥١).

(٣٩٧) الصحابي القائد الفاتح .. البطل الأسد .. عاصم بن عمرو التميمي رضي الله عنه فاتح «سجستان»، وقائد كتيبة الأهوال، وَمُسَمِّل الأفيال

هو البطل وأخو البطل .. الصحابي عاصم بن عمرو التميمي، أحد الشعراء الفرسان، أخو القعقاع بن عمرو.

قال أبو عمر بن عبدالبر: لا يصحُّ له عند أهل الحديث صحبة ولا رواية(١).

وقال ابن عساكر: يُقال: إن له صحبةً(٢).

والصحيح أن له صحبةً؛ فقد كانوا لا يُؤَمِّرُونَ لقيادة الجيوش؛ وخاصة في عهد أبي بكر إلا الصحابة، والثابت أن عمر رضي الله عنه لما بعث الألوية مع مَن ولى مع سهيل بن عدي، رفع لواء سجستان إلى عاصم بن عمرو التميمي.

❑ **جهاده:**

لله دره من فارس يصدق فيه قول القائل:

تُرِيقُ سُيُوفُهُ مُهَجَ الْأَعَادِي ... وَكُلُّ دَمٍ أَرَاقَتْهُ جُبَارُ(٣)

قاتل عاصم تحت لواء خالد في حروب الردة، وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وحين توجه خالد بن الوليد إلى العراق في سنة ثنتي عشرة من الهجرة النبوية فَرَّقَ خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق جُنْدَهُ ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة، فَسَرَّحَ المثنى قبله بيومين ودليله ظفر، وَسَرَّحَ عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم، وخرج خالد -

(١) انظر: الإصابة: (٣/ ٤٦٥) ت (٤٣٧٤).
(٢) تاريخ دمشق: (٢٥/ ٢٨٢) ت (٣٠١٩).
(٣) الجُبار: الذي لا يُطالب به.

يعني في آخرهم - ودليله رافع[١].

ثم كانت وقعة «**المذار**» في صفر من هذه السنة، ويُقال لها: «**وقعة الثَّنْي**» وهو النهر، وفيها برز نَجْم عاصم بن عمرو التميمي كبطل من الأبطال الأفذاذ.

قال ابن جرير: ويومئذٍ قال الناس: صَفَر الأصفار، فيه يُقْتَلُ كل جَبَّارٍ، على مجمع الأنهار.

وكان سببها أن «**هرمز**» كان قد كتب إلى «**أرْدَشير**» و«**شِيرَى**» بقدوم «**خالد**» نحوه من اليمامة، فبعث إليه «**كسرى**» بِمَدَدٍ مع أمير يُقال له: «**قارن بن قريانس**»، فلم يصل إلى «**هرمز**» حتى كان من أمره مع «**خالد**» ما حدث في غزوة «**ذات السلاسل**»، وَفَرَّ مَنْ فَرَّ من الفرس، فَتَلَقَّاهُمْ «**قارن**»، فالتفُّوا عليه، فَتَذَامَرُوا واتفقوا على العود إلى «**خالد**»، فساروا إلى «**المذار**»، وعلى مجنبتي «**قارن**» «**قباذ**» و«**أنوشجان**»، فلما انتهى الخبر إلى «خالد»، سار حتى نزل على «**المذار**»، فاقتتلوا قتال حنق وحفيظة، وخرج قارن يدعو إلى البراز، فبرز إليه خالد، وابتدره الشجعان من الأمراء، فقتل مَعْقِل بن الأعشى بن النبَّاش قارنًا، وقتل عدي بن حاتم قُباذ، وقتل عاصم أنوشجان، وَفَرَّتِ الفرس، وركبهم المسلمون في ظهورهم؛ فقتلوا منهم يومئذٍ ثلاثين ألفًا، وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه، وأقام خالد بالمذار، وسلَّم الأسلاب إلى من قتل، وجمع بقية الغنيمة وَخمَّسها، وبعث بالخُمُس والفتح والبشارة إلى الصدِّيق، مع سعيد بن كعب[٢].

وفي سنة (١٢ هـ) أرسله خالد إلى أكيدر بن عبدالملك، في طائفة من الفرسان، فأسره وأخذه وسلمَّه إلى خالد، فَضُرِبت عنقه، وأخذ ما كان معه جزاء غدره بالمسلمين.

وبعد وقعة الفراض التي قُتِلَ فيها من الروم مئة ألف، أقام خالد بالفراض عشرة

---

(١) البداية والنهاية: (٩/ ٥١٤ - ٥١٥).

(٢) البداية والنهاية: (٩/ ٥١٦، ٥١٧).

أيام، ثم أذن بالقفول إلى الحيرة، وكان عاصم بن عمرو على مقدمة الجيش.[١]

وقاتل عاصم تحت لواءِ أبي عبيد الثقفي، وكان قائدًا لِقَوْمِهِ بني تميم، وبعد معركة كسكر وَجَّهَهُ أبو عُبيد إلى نهر «**جور**» فهزم الفرس[٢].

وفي معركة الجسر حمى الْمُثَنَّى وعاصم ـ مع أشجع أبطال المسلمين ـ الانسحاب، حتى عقدوا جسرًا، فعبر المسلمون عليه، وعبر الْمُثَنَّى وعاصم وأصحابُهم في آثارهم؛ وبذلك أنقذ المثنى وعاصم ورجالُهما أرواح الآلاف من المسلمين.

وتحت لواءِ المثنى، وفي معركة «**البويب**» كان عاصم يقود المجرَّدة[٣]، وهو واجب لا يُعهد به إلا لفارسٍ مقدام، وَلَمَّا انهزم الفرس، كان عاصم أحد القادة الذين قاموا بالمطاردة؛ فكان أول مَن دخل حصن الفرس في «**ساباط**» هُو عاصم[٤]، وكان لِتَغَلْغُلِهِ العميق في أرض الفرس أَثَرٌ بالغٌ على تحطيم معنويات الفرس، وَرَفْعِ معنويات العرب.

● **في القادسية:**

أثناء المسير إلى القادسية كان عاصم قائدًا لِلسَّاقَةِ، وكان المسلمون في أشدِّ الحاجة إلى الموادِّ الغذائية؛ لذلك أرسل سعد عاصمًا إلى «**مَيْسان**» في غارةٍ، غَنَم فيها بعض الماشية، فأتى بها إلى سعد، فَقَسَّمَهَا على الناس، فأخصبوا أيامًا[٥].

وقُبيل معركة القادسية جَرَتْ مفاوضات بين رجالاتِ سعد وبين كسرى يزدجرد، وفي نهاية المفاوضات غَضِبَ كسرى على المفاوضين العرب، فقال

---

(١) المصدر السابق: (٩/ ٥٣٥).
(٢) تاريخ الطبري: (٢/ ٦٣٧).
(٣) تاريخ الطبري: (٢/ ٦٤٥).
(٤) المصدر السابق: (٢/ ٦٥٣).
(٥) الطبري: (٣/ ١٤).

لرجاله: «ائتوني بِوِقْرٍ من ترابٍ، واحملوه على أشرف هؤلاء»، فتقدم عاصم ليحمل على أصحابه التراب قائلًا: «**أنا أشرفهم .. أنا سَيِّدُ هؤلاء**»، ثم حمل التراب على عنقه، وخرج إلى راحلته فركبها، وأخذ التراب معه، وقال لسعد: «أَبْشِرْ، فوالله لقد أعطانا الله أَقَالِيدَ مُلْكِهِمْ»(١).

وكانت نتيجة تلك المفاوضات نصرًا معنويًّا للمسلمين على الفرْس؛ إذْ قال كسرى: «ما كنتُ أرى أَنَّ فِي العرب مثلَ رجال رأيتهم دخلوا عليَّ!! ما أنتم بأعقلَ منهم ولا أحسنَ جوابًا منهم»(٢).

وعندما نشب القتال بين المسلمين والفرس في القادسية، بَرَزَ عاصمٌ في اليوم الأول من أيامها بروزًا جعله سيدَ الموقف بدون منازِع؛ كان أحدَ ذوي الرأي والنجدة، الذين أرسلهم سعد لتحريض الناس على القتال، فقام عاصم في «**المجردة**» ورجالها أوَّلَ مَن يلاقي العدو؛ وقال يخاطبهم: «إنَّ هذه البلاد قد أحلَّ الله لكم أهلَها، وأنتم تنالون منهم منذُ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم، وأنتم الأعلَوْن، والله معكم إن صبرتم، وصدقتموه الضربَ والطعنَ»(٣)، ووقف خطيبًا في آخرين، وقال: «يا معاشر العرب، إنكم أعيان العرب، وقد صمدتم لأعيان العَجَم، وإنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونُنَّ على دنياهم أحوطَ منكم على آخرتكم، ولا تُحدثوا اليوم أمرًا تكونون فيه شيْنًا على العرب غدًا»(٤).

وكان مِمَّا قال: «اللَّه اللَّه .. اذكروا الأيامَ وما منحكم اللَّه فيها .. أَوَ لَا ترون أن الأرض وراءَكم بسابسُ قِفارٌ، ليس فيها خُمُرٌ(٥) ولا وزرٌ يُعقل إليه ولا يمتنع به؟! اجعلوا الآخرة هَمَّكُمْ»، وخرج عاصم أمامَ مواقع بني تميم وهو يقول:

(١) الكامل: (٢/ ١٧٦).
(٢) الطبري: (٣/ ١٩).
(٣) تاريخ الطبري: (٣/ ٤٤).
(٤) تاريخ الطبري: (٣/ ٤٦).
(٥) غطاء.

قد عَلِمَتْ بيضاءُ صفراءُ اللَّببْ مِثْلُ اللُّجَيْنِ إذْ تغَشَّاهُ الذَّهَبْ
إني امرؤٌ لا مَنْ يُعَنِّيهِ السَّبَبْ مِثلي على مِثْلِكِ يُغريهِ العَتَبْ[١]

فطارد رجلًا من العجم، فهرب منه، وتبعه عاصم حتى خالط صفَّهم، فالتقى بفارسٍ معه بغلٌ، فترك الفارسُ البغلَ، واعتصم بأصحابه، فاحتمى بهم، واستاقَ عاصم البغل والرَّحْلَ، وَكَشَفَ عن الغنيمة، فإذا ذلك الرجل كان طَبَّاخَ رستم، وإذا ذلك الذي كان معه: طعامُه من الأخبصة والعسل المعقود، فَتَغَدَّى عاصم وَمَنْ معه ـ يومها ـ بغداء رستم، وزحف المسلمون، فحملتِ الفِيَلة على الميمنة والميسرة، وأحجمتْ خيول المسلمين، وبقي المشاة يقاتلون وحدهم... في ذلك الموقف العصيب أرسل سعد إلى عاصم، وقال له: يا معشرَ بني تميم، ألستم أصحاب الخيل والإبل؟! أما عندكم لهذه الفيلة مِن حيلة؟! فقال عاصم: بلى والله. ثم نادى عاصم في قومه، فَجَمَعَ أفضل مَن في بني تميم من الرماة، وآخرينَ لهم خِفَّة ومهارة في القتال، ووضع خطته على أساس مُشاغَلة ركبانِ الفيلة، ثم مهاجمتها من الخلف في غفلة منهم. قال لهم: «**يا معشر الرماة، ذبُّوا ركبانَ الفيلةِ عنهم بالنبل**». وقال: «يا معشرَ أهل الثقافة، استدبروا الفيلة فقطِّعوا وُضُنَهَا»[٢]. وخرج معهم يحميهم ويقودهم، فَشَقُّوا طريقهم نحو الأفيال التي تهاجم بني أسد، وأقبل رجاله على الفيلة، فأخذوا بأذنابها، وَقَطَّعُوا وُضُنَهَا، فارتفع عُواؤها، وألقتْ بركبانها، وكان كلما سقط صندوقٌ بمن فيه، هجم عليه المسلمون فقتلوهم، فنفسَ عن بني أسد وبجيلة، وَرَدَّتْ تميم هجوم العجم إلى مواقفهم الأولى، وكان عاصم بن عمرو في ذلك اليوم ـ بحقٍّ ـ عادية الناس وحاميهم[٣].

وفي اليوم الثالث من أيام القادسية ـ لما أعادت فِيَلة الفرس هجومها الكاسح،

---

(١) بيضاء: يقصد بها فرسه، ومعنى البيت: ثقتُه بنفسه أنه يدخل بدون وسيلة للقتال، كلّما عتبوا عليّ في شدتي عليك يُغريني ذلك بك.
(٢) الأحزمة.
(٣) الطبري: (٣/ ٥٠).

يقودها الفيل الأبيض - حمل عاصم والقعقاع، فوضعا رُمْحَيْهِمَا معًا في عيني الفيل الأبيض، فتراجع الحيوان، وطرحَ سائسه، وَدَلَّى مِشْفَرَهُ، فضربه القعقاع بالسيف فرمى بِمِشْفَرِهِ، ووقع الفيل لجنبه، فقتلا مَن معه من الفرْس[1].

فَلِلَّهِ دَرُّ عاصم مُسَمِّل عين الفيل!! أيُّ شجاعةٍ تفوق هذه الشجاعة؟!

ولما هربت الفيلة أخذ أبطال المسلمين يضيِّقون الخناق على الفرس، وكان أبرز هؤلاء الأبطال: عاصم.

وفي ليلة «**الهرير**»: هَزَمَ عاصمٌ قائد الفرس الذي كان بإزائه، وَسَحَقَ قواته[2].

ولله دَرُّ مَن قال عن عاصم: كانت له في القادسية مقاماتٌ محمودة وبلاء حسن[3].

- **في فتح المدائن:**

لما قَرَّرَ سعد أن يعبر النهر بقواته على ظهور الخيل سباحةً، كان لا بُدَّ له من قوةٍ كافية تعبر النهر أولًا، لاحتلال رأس جِسْرٍ في الجانب الثاني من النهر، وبذلك تحمي عبور قوات القسْم الأكبر من قوات المسلمين، فقال سعد: «**مَنْ يبدأ ويحمي لنا «الفِراضَ»**[4]، حتى نلاحق به الناس؛ لكي لا يمنعوهم من الخروج؟»؛ فَتَطَوَّعَ عاصم، وتطوَّع معه ست مئة من أهل النجدة، فَأَمَّرَ سعدٌ عاصمًا عليهم، فساروا، حتى إذا بلغوا شاطئَ دجلة، قال عاصم لأصحابه: «مَنْ ينتدب معي لنكون قبل الناس دخولًا في هذا البحر، فنحمي الفراض من الجانب الآخر؟» فانتدب له ستون فارسًا، وهم الذين أُطْلِقَ عليهم اسم «**كتيبة الأهوال**»، فجعلهم نصفَيْنْ على خيولٍ إناثٍ وذكورٍ؛ ليكون أساس الْعَوْمِ على الخيل، ثم تَقَدَّمَهُمْ هو إلى حافَّة النهر، وهو

---

(١) الكامل لابن الأثير: (٢/ ١٨٥).
(٢) تاريخ الطبري: (٣/ ٦٦).
(٣) الإصابة: (٤/ ٦)، والاستيعاب: (٢/ ٧٨٤).
(٤) الفراض: جمع فرضة، وهي موضع في الجهة المقابلة مِن النهر.

يقول للذين تَرَدَّدُوا: «**أتخافون مِن هذه النطفة؟!**»، ثم تَلَا قوله ـ تعَالَى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ثم دفع فرسه واقتحم النهر، واقتحم زملاؤه معه، فلما رآهم الفرس بعثوا فرسانهم، فاقتحموا النهر أيضًا، فلقُوا عاصمًا ورجاله في وسط النهر، فقال عاصم: «**الرماحَ الرماحَ، اشرعُوها، وتوخوا العيون**» فالتقوا، فَاطَّعَنُوا؛ فَوَلَّى الْفُرْسُ. وَلَحِقهم المسلمون؛ فقتلوا أكثرهم، ومَن نجا منهم صار أعورَ من الطعن(١).

لله دَرُّكَ يا عاصم .. هنا يقف التاريخ، وَبِأَحْرُفٍ من نور يُسَجِّلُ لعاصم معجزة عسكرية، يقف العقل والقلب معًا أمامها وقفةَ إكْبار وإعجاب.

هِـمَـمٌ بَـلَّـغَـتْـكُـمُ رُتَـبَـاتٍ ... قَـصُـرَتْ عن بُـلُوغِـهَـا الْأوْهَـامُ
ونـفـوسٌ إذا انـبـرتْ لـقـتـالٍ ... نَـفِـدَتْ قبل أن يـنـفـدَ الإقـدامُ
وقـلـوبٌ مُـوَطَّـنـاتٌ عـلـى الـرَّوْ ... عِ كـأنَّ اقـتـحـامَـهَـا اسـتـسـلامُ
طال غِـشـيـانُـك الـكـريـهةَ حتى ... قـال فيك الـذي أقـول الحسـامُ
فـارسٌ يـشـتـري بِـرازَك لـلْـ ... ـفخرِ بقتـلٍ مُـعـجَّـلٍ لا يُـلامُ

لله دَرُّكَ يا عاصم، بطولة نادرة، مِقدامٌ لا يَهمُّك أَوَقَعْتَ على الموتِ أمْ وقعَ الموتُ عليك.

فتى لا يضمُّ القلبُ هَمَّات قَلْبِهِ ... ولو ضَمَّهَا قلبٌ لمَا ضمَّه صَدْرُ

لله دَرُّكَ يا عاصم من فارس قومه .. أعلم الناس بالخيلِ .. كأنك والقعقاع وقومك وُلِدْتُمْ على صهواتها .. عَرَفُوا الخيلَ وَعَرَفَتْهُمْ.

الـثـابـتـيـنَ فـروسـةً كـجُـلـودهـا ... في ظهرها والطعنُ في لَبَّاتِهَا
الـعـارفين بِـهَـا كـمـا عَـرَفَـتْـهُـمُ ... والـرَّاكـبـين جـدودهـم أُمَّـاتـهـا
فـكـأنـهـا نُـتِـجَـتْ قـيـامًـا تَحْـتَـهُـمْ ... وكـأنـهـمْ وُلِـدُوا عـلـى صَـهَـواتـهـا
إن الـكـرام بـلا كـرامٍ مِـنْـهُـمُ ... مـثـلُ الـقـلـوبِ بـلا سُـوَيْـدَاوَاتِـهَـا

---

(١) الطبري: (٣/ ١٢٠)، وابن الأثير: (٢/ ٤٤٣).

تلك النفوسُ الغالباتُ على العُلى ... والمجدُ يغلبها على شَهوَاتها

لله دَرُّكَ يا عاصم .. لكَأَنَّكَ تصيح بدنيء الهمة مِنْ أمثال من يشتكي منهم عَصْرُنَا.

ولا تحسبَنَّ المجدَ زِقًّا وقَينة ... فما المجدُ إلا السيفُ والفتكةُ البِكرُ
وتضريبُ أعناقِ الملوكِ وأنْ تُرى ... لك الهَبوَات السُّودُ والعسْكرُ المَجْرُ[1]
وتَرْكُك في الدنيا دَوِيًّا كأنَّما ... تَداولَ سَمْعَ المرءِ أنمُلُهُ العَشْرُ
وكمْ من جبالٍ جُبْتُ تشهدُ أنني الْـ ... ـجبالُ وبحرٍ شاهدٍ أنني البحرُ

لله دَرُّكَ يا عاصم .. كم كان عميقًا إيمانُك بالقضاء والقدَر وَسِرِّ اللهِ فيه!!

● في «البصرة» و«فارس»:

سار عاصم في جيشِ عتبة بن غزوان الذي بعث به عتبة، لإنقاذ جيش العلاء بن الحضرمي، وَشَهِدَ عاصم كافَّة معارك عتبة بن غزوان في جنوبي العراق.

● عاصم الفاتح لسجستان سنة (٢٣هـ):

بعد فَتْح «**نهاوند**» عقد عمر ـ بنفسه ـ سبعة أَلْوية لسبعةِ قادة، عَهِدَ إليهم بالانسياح في أرض فارس كلها، وكان من بين هذه الألوية السبعة لواءُ «**سجستان**»، دفعه إلى عاصم، وَأَمَّرَهُ على رأس قوةٍ من أهل البصرة، وَأَمَدَّهُ برجال من الكوفة، منهم عبدالله بن عمير؛ فعسكر عاصم قريبًا من البصرة، ثم تحرَّك إلى «**سجستان**»، وهي أعظم من خراسان، وأبعد فروجًا، يقاتل أهلها «**القندهار**» وَأُمَمًا كثيرةً[2]، وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة، كُلُّ ذلك يَدُلُّ على أهمية واجب عاصم، وأن اختياره لهذا الواجب الخطير كان دليلًا على الثقة البالغة بقيادته، وَالْتَقَى عاصم بحُماةِ «**سجستان**» على تُخُوم بلادهم، فلم يَثْبُتُوا للمسلمين، بل انسحبوا إلى «**زَرنج**» عاصمةِ ولاية «سجستان»، فحاصرهم المسلمون فيها، وَبَثُّوا

---

(١) الهَبَوات: الغبرات، المَجْر: الكثير.
(٢) تاريخ الطبري: (٣/ ٢٥٦).

كتائبهم تتغلغل في المنطقة بأسْرها، وَلَمَّا أيقن المحاصَرون أن طول الحصار لا يُجدِيهم نفعًا، طلبوا الصُّلح، على أن تكون مزارع «**سجستان**» حِمًى لا يَطَؤُهَا المسلمون[1]؛ وبذلك فُتِحَت ولايةُ «**سجستان**»، وكانت سجستان أعظم من خراسان، وأبعد فروجًا يقاتلون القندهار، والترك، وأُممًا كثيرةً.

لله دَرُّكَ يا عاصم!!

ولا تزال منائر «**سجستان**» رافعةً رءوسها شامخةً، تذكر فاتحها عاصمًا التميمي الصحابي الجليل رضي الله عنه.

- **عاصم وشعر الفتوحات:**

كان شعر عاصم يعبر عن جهاده وفروسيته.

قال عاصم في فتح دومة:

إني لكافٍ حافِظٌ غيرُ خاذِلٍ عَشِيَّةَ دَلَّاهَا وديعةُ في اليَمِّ
فخليته والقومَ لما رأيتهم بدومة يحشون الدماق من الغَمِّ
وأنعمت نُعْمَى فيهمُ لعشيرتي حِفَاظًا على ما قد يريني بني رُهْم[2][3]

وقال عاصم بن عمرو ـ وقد ذكر ورودهم السَّواد، ومقامهم به، وعدد الأيام التي قبلها ـ:

جلبنا الخيلَ والإبلَ المَهَارَى إلى الأعراض أعراضِ السَّوَادِ
ولمْ يُرَ مَثْلُنَا صبرًا ومجدًا ولم يُرَ مثلهَا سحاب هادِ
شَحَنَّا جانب المِلْطاط مِنَّا بجمع لا يزول عن البعَادِ
لزمنا جانب المِلْطاطِ حتى رأينا الزرع يقمع للحصادِ
لنأتي معشرًا ألبوا علينا إلى الأنبار أنبارِ العِبَاد

(١) تاريخ الطبري: (٣/ ٢٥٦)، وابن الأثير: (٢/ ٤٤٣).
(٢) رهم: بطن من بكر بن وائل.
(٣) تاريخ دمشق: (٢٥/ ٢٨٢).

لنأتي معشرًا قُصُفًا أقاموا   إلى ركن يعضل بالوراد[١]

● وقال يصف فتح الحيرة:

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا   ورَجلا فوق أثباج الركاب
حضرنا في نواحيها قصورًا   مشرفة كأضراس الكلاب

وقال ـ يصف مطاردته للفرس بعد معركة (النمارق)[٢] ـ:

لعمري وما عمري عليَّ بهين   لقد صبَّحت بالخزي أهل النمارق
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم   يجوسونهم ما بين درتا وبارق[٣]
قتلناهم ما بين مرج مسلح   وبين الهوافي من طريق البذارف

وَقَدَّمَ الدهاقين[٤] إلى أبي عبيد آنيةً فيها أطعمة فارسية فلم يأكل منه شيئًا حتى علم أنهم قَرَّبُوا مثله لأصحابه؛ فقال عاصم[٥]:

صحنا بالبقايس رهط كسرى   صبوحًا[٦] ليس من خمر السواد
صبحناهم بكل فتى كمي   وأجرد سابح من خيل عاد

فهم يفخرون بأطعمتهم الشهية، والعربي يفخر بالأبطال من الفرسان.

وفي اليوم الأول من أيام القادسية خرج عاصم مرتجزًا بقوله[٧]:

قد علمت بيضاء صفراء اللبب   مثل اللجين إذ تَغَشَّاهُ الذهب
إني امرؤ لا من يُعَنِّيهِ السبب   مثلي على مثلك يغريه العتب

وقال ـ يصف كيف أجاز المسلمون أمان عبد من عبيدهم لأهل

---

(١) تاريخ دمشق: (٢٥/ ٢٨٣).
(٢) النمارق: موضع قريب من الكوفة، وانظر هذه الأبيات في الطبري: (٢/ ٦٣٦).
(٣) درتا وبارق: موضعان قريبان من النمارق القريبة من الكوفة.
(٤) الهاقين: جمع دهقان، وهو زعيم فلاحي العجم وزعيم الأقليم.
(٥) الطبري: (٢/ ٦٣٩).
(٦) الصبوح: هو الشرب بالغداة.
(٧) الطبري: (٣/ ٤٨).

(جنديسابور)[١] بهذه الأبيات[٢] ـ:

لعمري لقد كانت قرابة (مكنف) قرابة صدق ليس فيها تقاطع
أجارهم من بعد ذلٍّ وقلة وخوف شديد والبلاد بلاقع
فجاز جوار العبد بعد اختلافنا وردَّ أمورًا كان فيها تنازع
إلى الركن والوالي المصيب حكومة فقال بحق ليس فيه تخالع

هذه نماذج من شعره تعبر تعبيرًا صادقًا عن هواه العميق بالحرب وَخُلُقِ الفروسية؛ فهو كأخيه القعقاع شاعر الفرسان أو فارس الشعراء!!.

● **القائد:**

كان عاصم شجاعًا إلى حد البطولة النادرة، مِقدامًا لا يهمه أَوَ قَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ، وكان موضع ثقة قواته ورؤسائه، كما كان محبوبًا منهم جميعًا، وكان يبادلهم ثقة بثقة وحبًّا بحب، وكان سريع القرار صَائِبَهُ، يتحمل المسئولية كاملة، له نفسية لا تتبدل، وشخصية نافذة قوية، وماض مشرف مجيد.

وكان يعتمد على سرعة الحركة في معاركه، ولا يقدم على عمل عسكري إلا بموجب خطة واضحة مدروسة، وكان يطبق مبدأ (المباغتة) بشكل واضح، كما كان يعمل دائمًا على رفع معنويات رجاله بمثاله الشخصي وبأقواله وخطبه، وكان يحرص على تطبيق مبدإ (التعرض) في حروبه؛ فكانت معاركه كلها (تعرضية)؛ لذلك فهو مثال للقائد التعرضي الذي لم يدافع أبدًا.

لقد كان النصر يسير في ركابه، وانتصاراته تعود ـ فِيمَا أَرَى ـ إلى خمسة عوامل: قابليته الممتازة في وضع الخطط المناسبة، وشجاعته الشخصية الفائقة، وسرعة حركته في أثناء المعركة، وتطبيقه مبدأ (المباغتة)، وتشبُّعه بروح التعرض.

---

(١) جنديسابور: مدينة بخوزستان. راجع التفاصيل في معجم البلدان : (٣/ ١٤٩).
(٢) معجم البلدان: (٣/ ١٥٠).

• عاصم في التاريخ:

يذكر التاريخ لعاصم موقفه الرائع في القادسية، واندفاعه الصاعق في عبور دجلة لفتح المدائن، ويذكر له فتحه لولاية سجستان.

لقد كان لموقفه الرائع في القادسية أثر حاسم في انتصار المسلمين على الفرس في هذه المعركة الحاسمة، وربما يذكر رجال قلائل من أصحاب الأيام حين يذكر عاصمًا في أيام القادسية عدا اليوم الأول من أيام القادسية؛ فقد استأثر عاصم بالفضل الأول في تحطيم هجوم الفيلة الكاسح، ذلك الهجوم الذي كان متوقعًا منه أن يحطم صفوف المسلمين.

أما اندفاعه في عبور نهر دجلة إلى المدائن على رأس كتيبة الأهوال، فأمره عجب كله؛ ولست أعرف أحدًا من القادة يشاركه في هذا الفضل العظيم الذي كان من نتائجه فتح المدائن عاصمة كسرى(١).

* * *

(١) قادة فتح بلاد فارس ص ٢٨٩.

(٣٩٨) الصحابي القائد الفاتح
الحكم بن عمير (أو عمرو) التغلبي «فاتح مُكْران»[١]

هو الصحابي: الحكم بن عمير التغلبي؛ كما سَمَّاهُ ابن جرير الطبري، أو الحكم بن عمرو التغلبي؛ كما سَمَّاهُ ابن حجر، لم يرد ذكره في الغزوات التي غزاها النبي ﷺ؛ مما يدل على إسلامه متأخرًا، وهو إن لم يَنَلْ شرف الجهاد مع الرسول ﷺ فقد نال شرف الصحبة لرسول اللَّه ﷺ، وَكَحَّلَ ناظريه برؤيته ﷺ[٢].

❑ جهاده:

ما كان جهاد بطلنا وفروسيته تضيع عند عمر رضي الله عنه الذي يعرف مقادير الأبطال والشجعان الذين أَبْلَوْا أحسن البلاء في الفتوحات؛ ولذلك بعث مع سهيل بن عدي سنة (١٧ هـ) بلواء مكران إلى الحكم بن عمير التغلبي، وأمده بشهاب بن المخارق في جموع[٣].

وبعد أن جَهَّزَ الحكم قواته قصد في سنة (٢٣ هـ) «**مُكْرَان**» حتى انتهى إليها، ولحق به شهاب بن المخارق، وسهيل بن عدي، وعبداللَّه بن عبداللَّه بن عتبان؛ فانتهوا إلى دوين النهر وأهل مكران على شاطئه، فاستمد ملكهم ملكَ السندِ؛ فَأَمَدَّهُ بجيش كثيف، فالتقوا مع المسلمين؛ فانهزموا وَقُتِلَ منهم في المعركة مقتلة عظيمة، وأتبعهم المسلمون يقتلونهم أَيَّامًا، حتى انتهوا إلى النهر، ورجع المسلمون

---

(١) مُكْران: ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى: وهي بين كرمان في غربها وسجستان في شمالها والبحر في جنوبها والهند في شرقيها.وهي ناحية واسعة يغلب عليها المفاوز والقحط والضيق ـ انظر معجم البلدان (٨/ ١٣٠).

(٢) انظر: الإصابة: (٢/ ٩٤) ت (١٧٩١). والطبري: (٣/ ١٨٩)/ و«الكامل»: لابن الأثير (٢/ ٤٤٣)، (٢/ ٣٩٥) وفي الإصابة «الحكم بن عمرو الثعلبي» وانظر أسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص ٢٨٤.

(٣) الكامل: (٢/ ٣٩٥).

إلى مُكْران، فأقاموا بها، وكتب الحكم إلى عمر بالفتح، وبعث إليه بالأخماس مع صحار العبدي، واستأمره في الفيلة، فلما قدم المدينة سأل عمر عن مكران - وكان لا يأتيه أحد إلا سأل عن الوجه الذي يجيء منه -، فقال: يا أمير المؤمنين، هي أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وثمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير فيها قليل، والقليل فيها ضائع، وما وراءها شرٌّ منها!!. فقال: أَسَجَّاعٌ أَنْتَ أَمْ مُخْبِرٌ؟! لا، واللَّه لا يغزوها جيش لي أبدًا. وكتب إلى سهيل والحكم بن عمرو: أن لا يجوزنَّ مكران أحد من جنودكما، واقتصرا على ما دون النهر. وأمرهما ببيع الفيلة التي غنمها المسلمون ببلاد الإسلام، وقسم أثمانها على الغانمين[1].

قال ابن حجر في «الإصابة» عن بطلنا: إنه الذي حاصر مُكران، وهزم مليكها، وبعث بالفتح إلى عمر.

قال الحكم - يصف فتح «**مكران**» -:

لقد شبع الأرامل غير فخرٍ ... بفيئي جاءهم من مُكرانِ
أتاهم بعد مسغبةٍ وجهدٍ ... وقد صفر الشتاء من الدخان
فإني لا يذمُّ الجيشُ فعلي ... ولا سيفي يُذَمُّ ولا سناني
غداة أُرَفِّعُ الأوباش رفعًا ... إلى السند العريضة والمدان
ومهران لنا فيما أردنا ... مطيع غير مسترخي الهوان[2]

- **القائد:**

يُعْتَبَرُ الحكم مثالًا للقائد المكيث الذي لا يخوض معركةً مَا قبل أن يُعِدَّ كافة متطلباتها المادية والمعنوية، فيخوضها بعد ذلك واثقًا من النصر الأكيد.

إن من القادة من يرى أن السرعة من عوامل نجاحه في القتال، وهؤلاء يرون أن

---

(١) الكامل: (٢/ ٤٤٣ - ٤٤٤).

(٢) معجم البلدان: (٨/ ١٣٠).

الوقت بجانب العدو دائمًا؛ لأنه يتيح له إنجاز استحضاراته العسكرية؛ مما يؤدي إلى صعوبة القضاء عليه.

ومن القادة من يرى أن السرعة غير مأمونة العواقب، وأن سَبْقَ النَّظَرِ عن تفاصيل المعركة لا بُدَّ له من وقت كاف لحساب كل ما يحتمل وقوعه في القتال من أحداث، ومن هؤلاء القادة: الحكم التغلبي.

والحق أن الحكم كان صائبًا في التريث قبل الإقدام؛ لأنه كان حريصًا على أرواح رجاله حِرْصًا لا مزيد عليه، ولأن المنطقة التي يُقَاتِلُ بها حصينة بعيدة عن قواعد المسلمين الأمامية، وما دامت قوات الفرس قد تحصنت في منطقة حصينة تتيسَّر فيها موانع طبيعية صالحة للدفاع، فلا بد من تحشيد قوات كافية للتغلب على الفرس بأقل خسائر ممكنة في الأرواح.

لقد بذل الحكم قصارى جهده لإحراز النصر في المعركة الحاسمة الأولى التي تَوَخَّى بها القضاء على قوات العدو ماديًّا ومعنويًّا، فلما نجح في معركته الحاسمة الأولى، وَكَبَّدَ العدو خسائر كبيرة، سارع في مطاردته لفلوله؛ فقضى عليها بسرعة وسهولة ويُسْرٍ، وأنجز فتح كل منطقة «مكران» الواسعة بعد وقتٍ جِدٍّ قليلٍ من انتصاره في المعركة الأولى».

لذلك يمكن اعتبار استعدادات الحكم لخوض المعركة الحاسمة وإحراز النصر على عدوه مثاليةً، كما يمكن اعتبار مطاردته السريعة التي جرت بِتَمَاسٍّ شديدٍ بفلول العدو مثاليةً أيضًا.

لقد كان الحكم يتمتع بمزية سَبْقِ النَّظَرِ، وله شخصية قوية نافذة.

إن دراسة الخرائط الحديثة تعطينا فكرة واضحة عن سعة ولاية «**مكران**» وطبيعة أرضها الصعبة؛ مما يزيد من إعجابنا بانتصار الحكم بقواته القليلة - بالنسبة إلى سعة المنطقة ووعورتها - على القوات الفارسية التي تدافع عن بلادها، وتعمل في أرضٍ تعرفها حق المعرفة؛ مما يجعلها صالحة للدفاع لتيسر العوارض الطبيعية فيها!!

كل ذلك يدل على مزايا قيادة الحكم النادرة وقابليته الممتازة على قيادة الرجال.

لقد أصبحت «**مكران**» فيما بعد قاعدة المسلمين الأمامية لانطلاقهم لفتح الهند؛ فكان فتح «مكران» من عوامل نجاح المسلمين في فتح «**النهد**».

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، القائد الفاتح، الحكم بن عُمير التغلبي[١].

❊ ❊ ❊

(١) قادة فتح بلاد الفرس ص ٢٩٥ - ٢٩٧.

قادة فتح طبرستان



(٣٩٩) الصحابي القائد الفاتح، سُوَيْد بن مقرِّن المزني رضي الله عنه فاتح «قومس»[١]، و«بِسطام»[٢]، و«جرجان»[٣]، و«طبرستان»[٤]، و«جبل جيلان»[٥]

هو الصحابي الجليل سُوَيْد بن مُقَرِّن بن عائذ بن ميجا بن هُجير بن نصر بن حُبْشِيَّة بن كعب بن ثور بن هُذْمة بن لاطم بن عثمان بن عَمْرو بن أُدٍّ المزني، أخو النعمان ونعيم بن مقرن، ويُقال لولد عثمان بن عمرو وأخيه أوس: (مزينة)، ونسبوا إلى أمهم مزينة بنت كلب بن وَبَرة، يُكنى أبا عائذ، وأبا عدي، وقيل: أبو عمرو[٦]. ويكنى أبا علي أيضًا[٧].

قدم هو وإخوته على رأس أربع مئة فارس من مزينة على النبي ﷺ، فأسلموا وذلك في رجب من السنة الخامسة للهجرة، وأول مشاهدهم مع الرسول ﷺ غزوة الخندق، وما بعدها من المشاهد والغزوات؛ وبذلك نال سُوَيد مع إخوته شرف صحبة النبي ﷺ وشرف الجهاد معه.

---

(١) قومس: تعريب كومس، وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع، انظر: التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ١٨٥)، وهي منطقة من مناطق الديلم. انظر المسالك والممالك: ص (١٢٢).

(٢) بسطام: مدينة كبيرة بقومس. انظر التفاصيل في آثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٠٨) والمسالك ص (١٢٤).

(٣) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٧٥) وانظر المسالك والممالك ص (١٢٥) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٤٨).

(٤) طبرستان: ولاية كبيرة أكبر مدنها آمل. انظر: التفاصيل في المسالك والممالك ص(١٢٤) وانظر معجم البلدان (٦/ ١٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢١٧).

(٥) جبل جيلان: جيلان ـ اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان. وجبل جيلان: اسم جبل في تلك المنطقة. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ١٩٤).

(٦) انظر: أسد الغابة: (٢/ ٦٠٠) ت (٢٣٦٠)، والإصابة (٣/ ١٩٠) ت (٣٦٢٣)، والاستيعاب ت (١١٢٨).

(٧) طبقات ابن سعد: (٦/ ٩٧).

❑ جهاده:

• قبل الفتح

قاتل سويد تحت راية أبي بكر الصديق ﷺ عندما خرج لقتال مانعي الزكاة من قبائل عبس وذبيان ومن انضم إليهم من كنانة وغطفان وفزارة، وكان سويد على ساقة جيش أبي بكر؛ ففر المشركون، وطاردهم المسلمون حتى موضع «**ذي القَصَّة**»[١].

وبعد عودة بعث أسامة بن زيد من أرض فلسطين خرج أبو بكر بنفسه في تعبية على رأس جيش من المسلمين إلى موضع (ذي حسًا)[٢]، و(ذي القصة) لقتال المرتدين، على مقدمته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبدالله بن مقرن، وعلى ساقته سويد بن مقرن، حتى نزل أهل (الربذة)[٣] بـ(الأبرق)[٤]، فولى المرتدون الأدبار[٥].

وبعد انتهاء حروب الردة، وهي الحروب التي أعاد بها أبو بكر وحدة شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام، قاتل سويد في ساحات العراق؛ فقاتل تحت لواء خالد بن الوليد، وكان على الجزاء في معركة (المذار)[٦]، وقد خلَّفه خالد بـ(الحفير)[٧]، وأمره بالحذر، وخرج خالد إلى (الوَلَجَة)[٨]؛ كما شهد فتح (الحيرة)[٩].

---

(١) ذو القصة: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا تلقاه نجد. أنظر: التفاصيل في معجم البلدان: (٧/ ١١٤). وانظر: الطبري: (٢/ ٤٧٨) حول خروج سويد إلى ذي القصة.

(٢) ذو حسا: واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٢٧٥).

(٣) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق. انظر: التفاصيل في معجم البلدان: (٤/ ٢٢٢).

(٤) الأبرق: أبرق الربذة، موضع من منازل بني ذبيان. انظر: التفاصيل في معجم البلدان: (١/٧٧).

(٥) الطبري: (٢/ ٤٧٩).

(٦) المذار: المذار في ميسان، وميسان بين واسط والبصرة، والمذار قصبة ميسان، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أميال، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٤٣٣). وانظر الطبري (٢/ ٥٥٨) حول اشتراك سويد في معركة المذار.

(٧) الحفير: أول منزل من البصرة لمن يريد مكة. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٣٠٣).

(٨) الولجة: موضع مما يلي البر في منطقة البصرة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٤٣٣). وانظر: الطبري: (٢/ ٥٩٢) حول ذلك.

(٩) الطبري: (٢/ ٥٦٤).

وشهد سويد (القادسية)، وكان على إحدى مجنبتي سعد بن أبي وقاص، وعلى الأخرى حذيفة بن اليمان[١]، كما شهد مع سعد معارك الفتح الأخرى حتى فتح المدائن.

ولما تحرك أخوه النعمان بن مقرن المزني بقواته نحو (نهاوند)، قاتل سويد تحت لواء أخيه في معركة (نهاوند)، كما قاتل تحت لواء أخيه نعيم بن مقرن في معركة فتح (همذان) و(الري)، فأبلى في كل معاركه أعظم البلاء.

● **الفاتح:**

لما أرسل نعيم بن مقرن المزني إلى عمر رضي الله عنه بفتح الري كتب إليه عمر: «**قَدِّمْ سويد بن مقرن إلى «قومس»**، وابعث على مقدمته سماك بن مخرمة، وعلى مجنبتيه عتبة بن النهاس، وهند بن عمرو الجملي»، فسار سويد نحو «**قومس**»، فلم يقم له أحد؛ فأخذها سِلْمًا، وعسكر بها، وكاتبه الذين لجئوا إلى «**طبرستان**» منهم، والذين أخذوا المفاوز، فأجابهم إلى الصلح والجزية، وكتب لهم بذلك.

وتحرك سويد إلى «**بِسطام**»، وعسكر بها، ومن هناك كاتب ملك «**جرجان**» «**زرنان صول**»[٢]، وكاتبه «زرنان صول»، وصالحه على «**جرجان**» على أن يؤدي الجزية، ويكفيه حرب «**جرجان**»، وأن يعينه سُوَيْد إن غلب، ولهم الذمة والمنعة والأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم، وهذا نص وثيقة الصلح بين الطرفين:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من سويد بن مقرن لزرنان صول بن رزبان وأهل «**دهستان**» وسائر أهل «**جرجان**»؛ إن لكم الذمة وعلينا المنعة، على أن عليكم من الجزاء[٣] في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم، ومن استعنَّا به

---

(١) الكامل.

(٢) في الطبري: «رزبان صول».

(٣) أي: الجزية.

منكم فله جزاء في معونته عوضًا عن جزائه، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم، ولا يُغَيَّرُ شيء من ذلك هو إليهم ما أَدَّوْا، وأرشدوا ابن السبيل، ونصحوا، وَقَرُّوا المسلمين، ولم يَبْدُ منهم سل ولا غل...»[١] وَتَلَقَّاهُ «زرنان صول» قبل دخوله «**جرجان**»، فدخل معه، وعسكر بها حتى جَبَى الخراج، وَسَمَّى فروجها، فَسَدَّهَا بترك دهستان، ورفع الجزية عمن قام بمنعها وأخذها من الباقين.

ولما وجد ملك (طبرستان) نفسه محاطًا بالمسلمين: من الجنوب باستيلائهم على (الري) ومصالحتهم أهل (قومس)، ومن الشرق بصلحهم مع أهل (جرجان)، وأنه لم يبق له منفذ إلى أرض فارس إلا من طريق (أذربيجان) المهددة هي أيضًا بالغزو، آثَرَ الصلح، فراسل سويدًا فيه، فَتَوَادَعَا وتصالحا على (طبرستان) وجبل (جيلان) بأن يدفع أهلها الجزية، وهم من بعد ذلك آمنون، لا يغار عليهم، ولا يمر أحد بأرضهم إلا بإذنهم[٢].

كان رضي الله عنه من الصحابة الرواة، ومن أصحاب الفتيا[٣].

● **القائد:**

كان سويد يهوى الجندية، ويفضل ميادين القتال ـ حيث الخطر الداهم ـ على سكنى القصور ـ حيث الأمان والدَّعَة ـ، ولم يحرص أبدًا على تولي القيادة، بل جاءته من غير مطالبة؛ لما كان يتحلى به من مزايا وخصال.

فقد كان سريع القرار صَحِيحَهُ، شجاعًا من غير تهور، ذا إرادة قوية نافذة، ونفسيته لا تتبدل في السراء والضراء، يثق بقواته ويحبهم، ويثقون به ويحبونه، وكان ذا شخصية قوية

وقابلية بدنية ممتازة، يتمتع بماض مشرف مجيد.

---

(١) الطبري: (٣/ ٢٣٣).

(٢) الطبري: (٣/ ٢٢٤).

(٣) انظر: «أصحاب الفتيا» ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص ٣٢١.

ولعل أبرز مزايا قيادته مزيتان: مزية سَبْقِ النَّظَرِ، وهذه المزية جعلته يتفادى كثيرًا من المعارك التي لا مبرر لها بالمفاوضات تارة وبالحسنى تارة أخرى؛ ومزية حبه للمسئولية حتى في حالة عمله بقيادة عمر بن الخطاب الذي كان يمتاز بالمركزية في إدارته أثناء السلم والحرب، ويحب أن يتدخل في كل صغيرة وكبيرة لتوجيه قادته وولاته بأدق تفاصيل أعمالهم.

لقد كانت معاهدة سويد التي عقدها مع ملك (جرجان) الفارسي جديدة عند مقارنتها بما سبقها من معاهدات، وقد عقدها سويد على مسئوليته، ولكن عمر بن الخطاب أَقَرَّهُ عليها بعد إطلاعه عليها.

لقد وجد سويد بثاقب نظره عند عقده تلك المعاهدة أنها تؤمن له نياته السليمة أولًا، وتثبت للفرس عمليًا بشكل لا يقبل الشك تلك النيات ثانيًا، ويلقي عن كاهل العرب المسلمين بعض مهمة الدفاع عن البلاد التي يفتحونها، وذلك بإشراك سكانها الأصليين بالدفاع عن بلادهم ثالثًا؛ خاصة بعد توسع الفتوحات وامتداد خطوط المواصلات إلى مسافات شاسعة، تلك الخطوط التي تربط بين قاعدة المسلمين الأصلية وهي جزيرة العرب، وقاعدتهم المتقدمة في العراق بين بلاد فارس؛ مما يضاعف تبعات قوات المسلمين ومسئولياتها في حماية خطوط مواصلاتهم وفي الدفاع عن البلاد المفتوحة، ويجعلهم مضطرين إلى الاستعانة بغيرهم للدفاع عن أنفسهم وللمشاركة في معاونة الفاتحين؛ خاصة وأن الظروف المحيطة بالمسلمين وبالفرس قد تبدلت عما كانت عليه في أيام الفتح الأولى، وأيام عقد المعاهدات الأولى بين المسلمين وبين الفرس؛ فأصبح (تطوع) الفارسي للدفاع عن نفسه أو مشاركته في تحمل بعض الواجبات العسكرية المحلية؛ كالحراسات الداخلية، والقيام بواجبات المحافظة على الأمن الداخلي، ومعاونة المسلمين بإقرار النظام، أو مشاركتهم في تحمل بعض الواجبات الإدارية التي لها مساس بالقضايا العسكرية، أو مشاركتهم في حماية خطوط المواصلات التي امتدت كثيرًا، ولا

تزال تزداد امتدادًا وتغلغلًا، وحتى المشاركة بأعباء القتال في صفوف المسلمين ضد أعدائهم، كل هذه الأعمال أصبحت في تلك الظروف لا تشكل خطرًا جديًّا على سلامة جيش المسلمين؛ لأنهم أصبحوا من القوة والمنعة بمكان، كما أن قوات أعدائهم (الأصلية) تحطمت نهائيًّا تحت ضربات المسلمين المتلاحقة الكاسحة، ولم تبق من قوات أعدائهم غير القوات الثانوية التي لا تشكل ـ من الناحية العسكرية ـ خطرًا داهمًا، كما أن قوات المسلمين أصبح موقفها رصينًا في البلاد المفتوحة من جهة، وَتَرَدَّتْ أحوال الدولة الفارسية المركزية والدويلات الفارسية المحلية من جهة أخرى.

أما في أوائل الفتح فلم تكن الظروف المحيطة بالمسلمين والفرس تساعد على إشراك المتطوعين من الفرس أو من غيرهم للقتال في صفوف المسلمين؛ لأن الفرس وأعداء المسلمين كانوا حينذاك أقوياء، وكان للفرس إمبراطورية قوية، وقد تؤدي خيانة المتطوعين من الفرس إلى كوارث عسكرية قاصمة.

إن إقدام سويد على وضع الجزية عن كاهل المتطوعين من الفرس وغيرهم للدفاع عن أنفسهم أو للقتال بجانب المسلمين كان حكيمًا جدًّا وفي محله.

وأؤكد هنا أن عمر رضي الله عنه لم يكن مركزيًّا في سيطرته؛ لأنه كان يحب السلطة ويريد الاستئثار بها دون غيره أو يحب التسلط على غيره، بل كان مركزيًّا؛ لأنه كان شديد الحرص على مصالح المسلمين الإدارية والعسكرية؛ فكان يشغل نفسه ليل نهار بالتفكير في تلك المصالح، ووضع أنجح الحلول لها بعد استشارات طويلة أو قصيرة حسب أهمية القضايا الراهنة؛ بذلك كان يقول: «إن أكمل الرجال رأيًا مَن إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم أو قال به ولم ينكل»[1].

لقد كان السلف الصالح رواد مصالح عامة لا طلاب مصالح ذاتية؛ لذلك كانوا يتعاونون جميعًا على تحقيق تلك المصالح للأمة، ولا يهمهم أبدًا كيف جاء

(١) الطبري: (٣/ ١٥١).

الرأي السديد ومن جاء به... كل همهم التوصل إلى الرأي السديد بصرف النظر عن صاحبه!!.

- **سويد في التاريخ:**

يذكر التاريخ لسويد جهاده المشرف في أيام النبيﷺ ، وثباته على الإسلام بعد التحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى، ودفاعه عن الإسلام ضد المرتدين.

ويذكر له جهاده المشرف في معارك فتح العراق، وفي تحمل إدارة بعض القضايا الإدارية أثناء الفتح وبعد إنجازه.

ويذكر له جهاده المشرف في معارك فتح فارس تحت لواء أخيه النعمان بن مقرن المزني وتحت لواء أخيه نعيم بن مقرن المزني.

ويذكر له فتحه مناطق شاسعة من الإمبراطورية الفارسية.

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، الإداري الحازم، القوي الأمين، القائد الفاتح، سويد بن مقرن المزني[1] .

ورضي اللَّه عن ابن مسعود العليم بالرجال، والقائل: «إن للإيمان بيوتًا، وللنفاق بيوتًا، وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مُقَرِّن».

❊ ❊ ❊

(١) قادة فتح بلاد فارس ص ١٩٩ - ٢٠١.

(٤٠٠) الصحابي القائد الفاتح سعيد بن العاص رضي الله عنه فاتح «طبرستان»، و«جرجان»

هو الصحابي الجليل سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة، سعيد بن العاص بن أُمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيٍّ، أبو عثمان[(١)]، والد عمرو بن سعيد الأشدق، ووالد يحيى، القرشي الأموي المدني الأمير. قُتِلَ أبوه يوم بدر مشركًا، قتله عليٌّ بن أبي طالب. وأمه أم كلثوم بنت عبدالله بن أبي قيس بن عمرو العامرية، قال أبو حاتم: له صحبة. كان له يوم مات النبي ﷺ تسع سنين.

يُقال: إن عمر قال لسعيد بن العاص: «لم أقتل أباك، وإنما قتلت خالي العاص بن هشام»؛ فقال: ولو قتلته لكنتَ على الحق، وكان على الباطل. فأعجبه قوله.

وكان من فصحاء قريش؛ ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن.

قال سعيد بن عبدالعزيز: إن عربيَّة القرآن أُقيمت على لسان سعيد بن العاص؛ لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ.

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ بِبُرْدَةٍ، فقالت: إني نذرت أن أُعطي هذه البردة لأكرم العرب. فقال: «**أعطيها لهذا الغلام**»، وهو واقف ـ يعني سعيدًا.

وقال مصعب الزبيري: كان يُقال له: عُكَّة العسل.

❏ جهاده وفتوحاته:

قال ابن حجر: «ولي الكوفة، وغزا طبرستان ففتحها، وغزا جرجان، وكان في عسكره حذيفة وغيره من كبار الصحابة»[(٢)].

---

(١) انظر: الإصابة: (٣/ ٩٠) ت (٣٢٧٨)، وسير أعلام النبلاء: (٣/ ٤٤٤) ت (٨٧).

(٢) الإصابة: (٣/ ٩٠ ـ ٩١).

وقال الذهبي: «**لما كان على الكوفة، غزا طبرستان؛ فافتتحها**»[١].

وقال البلاذري في فتح «**جرجان**» و«**طبرستان**» ونواحيها: ولى عثمان بن عفان ـ رحمه اللَّه ـ سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الكوفة في سنة تسع وعشرين، فغزا سعيد طبرستان، ومعه في غزاته ـ فيما يُقال ـ الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب. وقيل أيضًا: إن سعيدًا غزا طبرستان بغير كتاب أتاه من أحد، وقصد إليها من الكوفة، واللَّه أعلم.

ففتح سعيد «**طميسة**» و«**نامنة**» وهي قرية، وصالح ملك جرجان على مئتي ألف درهم، ويُقال: على ثلاث مئة ألف بغلية وَافِيَةٍ. فكان يؤديها إلى غزاة المسلمين، وافتتح سعيد سهل طبرستان، و«**الرويان**» و«**دنباوند**»، وأعطاه أهل الجبال مالًا، وكان المسلمون يغزون طبرستان ونواحيها فربما أعطوا الإتاوة عفوًا، وربما أعطوها بعد قتال[٢].

● **الإنسان:**

قال الذهبي: «كان أميرًا، شريفًا، جوادًا، مُمَدَّحًا، حليمًا، وقورًا، ذا حزم وعقل، يصلح للخلافة».

ولي إمرة المدينة غير مرَّة لمعاوية، وقد ولي إمرة الكوفة لعثمان بن عفان، وقد اعتزل الفتنة فأحسن، ولم يقاتل مع معاوية.

● **وفيه يقول الفرزدق:**

تَرَى الْغُرَّ الْجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ ... إِذَا مَا الْأَمْرُ ذُو الْحَدَثَانِ عَالا

قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ ... كَأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالا[٣]

---

(١) السير: (٣/ ٤٤٥).

(٢) «فتوح البلدان» للبلاذري: ص ٣٣٠.

(٣) ديوان الفرزدق ص ٦١٥، ٦١٨، وخزانة الأدب: (٣/ ٧٤). والغر: جمع أَغَرّ: وهو الأبيض الغرة. والجحاجح جمع جحجاح: السيد السمح الكريم. والحدثان: ما يحدث من نوائب الدهر، وعال: ثقل وفدح.

قال قبيصة بن جابر: قالوا لمعاوية: مَن ترى للأمر بعدك؟ قال: أما كريمة قريش، فسعيد بن العاص [(١)(٢)].

وقدم محمد بن عقيل بن أبي طالب، فقيل له: من أشرف الناس؟ قال: أنا وابن أمي، وحسبك بسعيد بن العاص [(٣)].

قال ابن حجر: «قال معاوية: كريمة قريش سعيد بن العاص. وكان مشهورًا بالكرم والْبِرِّ، حتى كان إذا سأله سائل وليس عنده ما يُعطيه، كتب له بما يريد أن يعطيه مسطورًا، فلما مات كان عليه ثمانون ألف دينار، فَوَفَّاهَا عنه ولده عمرو الأشدق» [(٤)].

وقال هشيم: قدم الزبير الكوفة، وعليها سعيد بن العاص، فبعث إلى الزبير بسبع مئة ألف، فقبلها.

وذكر عبدالأعلى بن حِمَّاد: أن سعيد بن العاص استسقى من بيت، فسقوه، واتفق أن صاحب المنزل أراد أن يبيعه لِدَيْنٍ عليه، فأدى عنه أربعة آلاف دينار.

ومات بطلنا الكريم الصحابي الجليل سعيد بن العاص سنة تسع وخمسين؛ كما قال الزبير بن بكار وخليفة وغيره.

فرضي اللّه عن القائد الفاتح، عُكَّة العسل الكريم، سعيد بن العاص بن سعيد الأموي، وأنزله منازل الصادقين المجاهدين .. جزاء ما قدَّم لدينه، وما فتح من بلاد، تخفق راية الإسلام في ربوعها، ويعلو صوت الأذان من منائرها.

* * *

---

(١)«تاريخ دمشق» لأبي زرعة: (١/ ٥٩٢، ٥٩٣).

(٢)سير أعلام النبلاء: (٣/٤٤٥، ٤٤٦).

(٣)الإصابة: (٣/ ٩١).

(٤)المصدر السابق.

(٤٠١) القائد الفاتح بطل بني الشُّدَّاخ
بُكَيْر بن عبدالله الليثي
فاتح شمال «أذربيجان» و«مُوقان»

هو الصحابي: بُكَيْر بن شداد بن عامر بن الملوح بن يعمر الشُّداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة الكناني الليثي فارس أطلال، هكذا نسبه الكلبي، قال ابن الأثير: وأظن الحق قول الكلبي؛ لعلمه بالنسب. وهو عند ابن حجر في «**الإصابة**»: بكر بن الشدَّاخ الليثي. وعند ابن الأثير: بكر بن شدَّاخ[(١)]، وفي كتب الفتوح يُسَمَّى بكير بن عبدالله الليثي؛ هكذا سماه ابن جرير، وابن الأثير في «**الكامل**»، وابن كثير في «**البداية والنهاية**»[(٢)].

له صحبة، ولم يدرك شرف الجهاد تحت لواء النبي ﷺ، روى عنه عبدالملك بن يعلى الليثي أنه كان ممن يخدم النبي ﷺ وهو غلام، فلما احتلم جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني كنت أدخل على أهلك، وقد بلغت مبلغ الرجال. فقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ صَدِّقْ قَوْلَهُ وَلَقِّهِ الظَّفَرَ**».

● **جهاده:**

قصد بكير العراق للجهاد في ساحاته، فأرسله سعد بن أبي وقاص على رأس سرية مؤلفة من ثلاثين رجلًا معروفين بالنجدة، وأمرهم بالغارة على (الحيرة)، فلما كانوا في الطريق، وجدوا أخت صاحب الحيرة في جماعة تُزَفُّ إلى أحد أشراف العجم، فحمل بكير على قائد تلك الجماعة، فدق عنقه، ثم استاق الأثقال والنساء والتوابع، فَصَبَّحَ سعدًا بما أفاء الله على المسلمين[(٣)].

(١) انظر الكامل: (١/ ٤١١)، والإصابة (١/ ٤٥٣) ت (٧٢٨) وتجريد الصحابة (١/ ٥٥).
(٢) انظر تاريخ الطبري: (٤/ ١٥٣)، والكامل: (٢/ ٤٢٩)، والبداية والنهاية: (١٠/ ١٥٤).
(٣) الطبري: (٣/ ١٣).

وشهد تحت لواء سعد معركة (القادسية) الحاسمة، والمعارك التي تلتها حتى فتح (المدائن)، وكان سعد قد استعمله على قومه حين دخلوا العراق[١].

وحين أراد المسلمون أن يخوضوا نهر دجلة لفتح المدائن، تَهَيَّبَ الناس دخول الماء، فقال بكير مخاطبًا فرسه أطلال: «ثبي أطلال وثبًا وسورة البقرة»، فدخل الماء ودخله الناس خلفه... وله مع سعد أخبار كثيرة[٢]، كلها بطولات نادرة وتضحيات فذة.

وشهد كثيرًا من معارك فتح أرض فارس، ولما أذن عمر بن الخطاب للمسلمين بالانسياح في أرض العجم، وبعث عتبة بن فرقد السُّلمي وبكير بن عبدالله، وعقد لهما لواء (أذربيجان) وفرقها بينهما؛ فجعل لكل منهما هدفًا محدودًا، أمر عتبة أن يتقدم لفتحها من (حلوان) إلى ميمنتها (جنوبي أذربيجان)، وأمر بكيرًا أن يتقدم لفتحها من (الموصل) إلى ميسرتها (شمالي أذربيجان)، ثم أمد بكيرًا بسماك بن خرشة الأنصاري - وليس بأبي دجانة -، على رأس قوة من مجاهدي (الري) بعد فتحها، فسار سماك نحو بكير، وكان بكير قد اصطدم بالقوات الفارسية في منطقة جبال (جرميذان)[٣]، فكان أول قتال لقيه بأذربيجان، ولكن سرعان ما انهزم الفرس، وأخذ بكير قائدهم (أسفنديار)[٤] أسرًا، فقال له قائد الفرس: «الصلح أحب إليك أم الحرب؟»، فقال بكير: «بل الصلح!!»؛ قال: «فامسكني عندك؛ فإن (أذربيجان) إن لم أصالح عليهم أو أجيء إليهم، لم يقوموا لك، وجلوا إلى الجبال التي حولها، ومن كان على التحصن تحصن إلى يوم ما»، فأمسكه عنده، وصارت البلاد إليه، إلا ما كان من حصن. ولما قدم سماك **مُمِدًّا** و«**أسفنديار**» في أساره، وقد افتتح ما يليه، وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه، وكتب بكير إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في

---

(١) الإصابة: (١/ ٤٥٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) جبال في منطقة أذربيجان.

(٤) في الطبري: «إِسْفَنْدِياذ» بالذال.

التقدُّم، فأذن له أن يتقدم نحو «**الباب**»، وأنْ يستخلف على ما افتتحه، فاستخلف عليه عتبة بن فرقد، فَأَقَرَّ عتبة سماك بن خرشة على عمل بُكير الذي كان افتتحه، وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد، وكان «**بهرام بن فرخزاذ**» قصد طريق عتبة، وأقام به في عسكره حتى قدم عليه عتبة، فاقتتلوا؛ فانهزم بهرام، فلما بلغه خبر «**أسفنديار**» وهو في الأسر عند بُكير قال: الآن ثَمَّ الصلح. وَطُفِئَتِ الحرب، فصالحه، وأجاب إلى ذلك أهل أذربيجان كلهم، وعادت «**أذربيجان**»[1] سِلْمًا، وكتب بذلك بكير، وعتبة إلى عمر وبعثا بما خَمَّسَا»[2].

وأسرع بكير يريد (باب الأبواب)[3]، فسبق سراقة بن عمرو إليها، ولما وصل سراقة منطقة (باب الأبواب)، جعل بكيرًا على إحدى مجنبتيه[4]، وبعد فتح باب الأبواب بعثه سراقة لفتح (موقان)[5]؛ ففتحها، وفرض على أهلها الجزية.

وكان فتح «**أذربيجان**»، و«**الباب**»، و«**موقان**» سنة (٢٢ هـ)، وقد ذكر الطبري نَصَّ وثيقةِ الصلحِ بين بكيرٍ وأهلِ «**موقان**»؛ فقال: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى بكير بن عبداللَّه أهل «موقان» من جبال «القبج» الأمان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء دينار على كل حالم أو قيمتها، والنصح، ودلالة المسلم، ونزله يومه وليلته، فلهم الأمان ما أَقَرُّوا ونصحوا، وعلينا الوفاء، واللَّه المستعان، فإن تركوا ذلك، واستبان منهم غشٌّ، فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برمتهم، وإلا فهم متمالئون»[6].

---

(١) أذربيجان: معناها بالفارسية: أرض النار أو معابد النار، وقد أُطلق عليها هذا الاسم لكثرة معابد النار التي كانت موجودة فيها حينذاك. وأذربيجان مملكة كبيرة والغالب عليها الجبال وأشهر مدنها «تبريز» وهي قصبتها، وأكبر مدينة بها «أردبيل» ومن مدنها «المراغة»، و«أرمية»، و«خوى»، و«سلماس»، و«مرند»، و«موقان». انظر معجم البلدان (١/ ١٥٩).

(٢) الطبري: (٣/ ٢٣٤)، والكامل (٢/ ٤٢٩)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٥٤).

(٣) «باب الأبواب»: ويقال لها «الباب» ميناء كبير على بحر الخزر.

(٤) الطبري: (٣/ ٢٣٥)، والكامل: (٢/ ٤٣٠).

(٥) موقان: ولاية فيها قرى ومروج كثيرة يحتلها التركمان للرعي، وهي بأذربيجان.

(٦) الطبري: (٣/ ٣٧).

● **لله دره من بطل يغضب للمحارم إذا استُحِلَّتْ؛ كما يغضب النَّمِر إذا حُرِبَ:**

انظر إلى غيرة بطلنا ابن الشدَّاخ لمحارم اللَّه إذا اسْتُحِلَّتْ؛ كما يغضب النمر إذا حُرِبَ؛ «لما كان في خلافة عمر، جاء وقد قتل يهوديًّا، فَأَعْظَمَ ذلك عمر، وخرج، وصعد المنبر، وقال: أفيما وَلَّاني اللَّه واستخلفني تُقْتَلُ الرجال؟! أُذَكِّرُ اللَّهَ رَجُلًا كان عنده علم إلا أعلمني. فقام إليه بكير ابن الشدَّاخ فقال: أنا به. فقال: اللَّه أكبر، بُؤْتَ بدمه، فهات المخرج. فقال: بلى، خرج فلان غازيًا، ووكَّلني بأهله، فجئت بابه، فوجدت هذا اليهودي في منزله، وهو يقول:

وَأَشْعَثُ غَرَّهُ الإسلامُ مِنِّي ... خَلَوْتُ بِعُرْسِهِ لَيْلَ التَّمَامِ

أَبَيْتُ عَلَى تَرَائِبِهَا[1] ويُمْسِي ... عَلَى قَوَدِ الْأَعِنَّةِ وَالحِزَامِ

كَأَنَّ مَجَامِعَ الرَّبَلَاتِ[2] مِنْهَا ... فِئَامٌ يَنْهَضُونَ إِلَى فِئَامِ[3]

قال: فَصَدَّقَ عمر قوله، وأبطل دمه بدعاء النبي ﷺ[4]

● **لله دره من بطل:**

لقد كان رجلًا غيورًا غاية الغيرة، شهمًا غاية الشهامة، ورعًا تقيًّا صادقًا وفيًّا، يحرص على رفع راية الإسلام أكثر مما يحرص على روحه التي بين جنبيه، فلا يكاد ينتهي من فتح إلا ويطالب قائده الأعلى عمر بن الخطاب أن يبعثه إلى جبهة أخرى، ثم لا يبالي أن يكون قائدًا مرءوسًا أو جنديًّا بسيطًا، وتلك تضحية لا يصبر على مثلها غير الذين نذروا أنفسهم لله... وما أقلهم!!

● **القائد:**

تمتاز قيادة بكير بميزة الحرص على إحلال السلام، وتشبعه بروح التسامح حتى مع الذين يتغلب عليهم بعد قتال.

وقد كان شجاعًا مِقدامًا لا يهاب الموت، والحق أنه كان يهوى الجهاد في سبيل

---

(١) الترائب: موضع القلادة من الصدر.

(٢) الرَّبلات: أصول الأفخاذ . . انظر اللسان: (٣/ ١٥٧١).

(٣) الفئام: الجماعة من الناس.

(٤) أسد الغابة: (١/ ٤١٢).

الله، ويفضل دائمًا أن يكون (غازيًا) على أن يكون (واليًا).

وكان له قابلية على إصدار القرارات السريعة الصحيحة، ذا شخصية نافذة وإرادة قوية، وكان يثق برجاله ويثقون به، ويحبهم ويحبونه، له ماض ناصع مجيد في خدمة الإسلام ونبي الإسلام ﷺ.

يقول فيه الشاعر الشماخ:

وذكَّرني أهل القوادس أنني	**رأيت رجالًا واجمين بأَجمالِ**
وغُيِّبَ عن خيلٍ بموقان أسلمت	**بكير بني الشدَّاخ فارس أطلالِ**
لقد كان يروي سيفه وسنانه	**من العنق الداني إلى الحجر البالي**
وقد علمت خيل بموقان أنه	**هو الفارس الحامي إذا قيل: نزال**(١)

● بكير في التاريخ:

أصبحت (أذربيجان)، و(موقان)، و(باب الأبواب) بعد فتحها الخطوط الدفاعية الأمامية للمسلمين للدفاع عن بلاد فارس، ولكنها بعد انتشار الإسلام فيها أصبحت القاعدة المتقدمة لانطلاق المسلمين منها شمالًا لفتح أرمينية، وتركستان، والقفقاس؛ لذلك كان فتح بكير نصرًا سوقيًا (استراتيجيًا) للمسلمين، جَنَوْا ثمراته بعد حين في ضم مناطق واسعة إلى بلادهم، وَجَنَوْا ثمراته في الانطلاق شمالًا لتوسيع رقعة انتشار الإسلام.

إن التاريخ يذكر لبكير فضله العظيم في فتح هذه المناطق الواسعة الغنية الآهلة بالسكان، فهل يذكر سكان تلك المناطق - وكلهم مسلمون - أول من نشر الإسلام في ربوع بلادهم؟!

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، الشهم الغيور، القائد الفاتح، خادم رسول اللَّه ﷺ، بكير بن عبداللَّه الليثي(٢).

---

(١) ديوان الشماخ ص ٤٥٦، ومعجم البلدان: (٨/ ١٩٩)، وأسماء الخيل لابن الأعرابي (٥٣).

(٢) قادة فتح بلاد فارس: ص ٢٠٨.

(٤٠٢) القائد الفاتح ذو النور سُراقة بن عَمْرو رضي الله عنه فاتح «باب الأبواب»[(١)]

قال ابن حجر: «سراقة بن عمرو، لقبه ذو النور. قال أبو عمر: ذكروه في الصحابة ولم ينسبوه. وكان أحد الأمراء بالفتوح، وقد ذُكِرَ غير مرَّة أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة»[(٢)].

وعلى هذا نال سراقة شرف الصحبة لنبينا ﷺ، وَفَاتَهُ الجهاد تحت رايته.

● جهاده:

قال ابن كثير: «قال ابن جرير[(٣)]: وزعم سيف أنه[(٤)] كان في هذه السنة[(٥)] كتب عمر بن الخطاب كتابًا بالإمرة على هذه الغزوة لسُرَاقة بن عمرو ـ الملقب بذي النور ـ، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة، ويُقال له: ذو النور أيضًا. وجعل على إحدى المُجَنِّبَتَيْنِ حُذيفة بن أُسيد، وعلى الأخرى بُكير بن عبدالله الليثي ـ وكان قد تقدَّمهم إلى الباب ـ وعلى المقاسم سلمان بن ربيعة، فساروا كما أمرهم

(١) باب الأبواب: ويقال لها: (الباب) أيضًا. ميناء كبير على بحر (الخزر)، وهي مدينة كبيرة محصنة، وفي وسطها مرسى للسفن، وبين هذا المرسى البحر قد بنى على حافتي البحر سدان، حتى ضاق مدخل السفن وجعل المدخل ملتويا، وعلى فم المدخل سلسلة ممدودة لا يخرج المركب ولا يدخل إلا بأمر. وإلى جانبها جبل عظيم يجمع في قمته كل عام حطب كثير ليشعلوا فيه النار إن احتاجوا إليه لينذروا أهل المناطق المجاورة بالعدو إذا داهمهم. انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (١٠٩ ـ ١١٠) ومعجم البلدان (٢/ ٩) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٥٠٦).

(٢) انظر الاستيعاب ت (٩١٩)، و«الجرح والتعديل» (٤/ ١٣٤٣)، وأسد الغابة (٢/ ٤١١) ت (١٩٥٢)، والإصابة (٣/ ٣٤) ت (٣١١٩)...

(٣) تاريخ الطبري: (٤/ ١٥٥).

(٤) أي: فتحُ الباب.

(٥) أي: سنة ٢٢ هـ.

عمر، وعلى تعبئته، فلما انتهى مُقَدَّم العساكر - وهو عبدالرحمن بن ربيعة - إلى الملك الذي هناك عند الباب وهو «**شَهْرَبَراز**»(١) ملك «**أرمينية**»، وهو من بيت الْمَلِك الذي قتل بني إسرائيل وغزا الشام في قديم الزمان، فكتب «**شَهْرَبَراز**» لعبدالرحمن واستأمنه، فأمَّنه عبدالرحمن بن ربيعة، فقدم عليه الْمَلِك، فأنهى إليه أنَّ صَغْوَهُ(٢) إلى المسلمين، وأنه مناصح للمسلمين [وقال: إني بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة ليست لهم أحساب، ولا ينبغي لذي الْحَسَبِ وَالْعَقْلِ أنْ يُعِينَهُمْ على ذي الْحَسَبِ، ولستُ من «**القبج**» ولا «**الأرمن**» في شيء، وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي، فأنا اليوم منكم، ويدي مع أيديكم، وجزيتي إليكم، والنصر لكم، والقيامُ بما تحبون، فلا تسومونا الجزية فتوهنونا بعدوِّكم](٣). فقال له: إنَّ فوقي رجلًا فَاذْهَبْ إليه. فبعثه إلى سُرَاقة بن عمرو أمير الجيش، فسأل مِن سراقة الأمان، [فَقَبِلَ منه سراقة ذلك، وقال: لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو. فأجابه إلى ذلك](٤) فكتب إلى عمر، فأجاز ما أعطاه الأمان، واستحسنه، فكتب له سراقة كتابًا بذلك»(٥).

وهذا نص وثيقة الصلح بين سراقة وملك باب الأبواب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شَهْرَبَراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وملتهم؛ ألا يضاروا، ولا ينتقصوا، على أهل أرمينية والأبواب الطُّرَّاء منهم والثناء ومن حولهم فدخل معهم، أن ينفروا لكل غارة، وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالي صلاحًا، على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحشر، والحشر عوض من جزائهم، ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل «أذربيجان» من الجزاء

---

(١) وفي الكامل «شهريار». (٢) مَيْله. والصغو: المَيْل.

(٣)، (٤) ما بين القوسين من «الكامل» (٢/ ٤٣٠).

(٥) البداية والنهاية: (١٠/ ١٥٥ - ١٥٦).

والدلالة والنزل يومًا كاملًا، فإن حشروا وضع ذلك عنهم، وإن تركوا أخذوا به.. وشهد عبدالرحمن بن ربيعة، وسلمان بن ربيعة، وبكير بن عبدالله، وكتب مرضي بن مقرن المزني وشهد»[١].

أقول: لا توجد مثل هذه الشروط الرحيمة في وثائق الصلح بين الغالب والمغلوب حتى بعد تثبيت قوانين الحرب والحياد في القانون الدولي، فمن يريد دليلًا على ذلك فليقارن بين ما جاء في هذه الوثيقة التي كانت في القرن السابع وبين نصوص معاهدة «**فرساي**» بين ألمانيا من جهة والحلفاء من جهة ثانية في نهاية الحرب العالمية الأولى؛ أي: في القرن العشرين.

وقد صدق من قال: «**لم يشهد العالم فاتحين أكثر عطفًا ورحمةً وتسامحًا من العرب**».

ثم بعث سراقة بُكَيْرًا، وحبيب بن مسلمة[٢]، وحذيفة بن أُسيد، وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية جبال اللّان وتَفْليس وموقان، وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر؛ فافتتح بُكَيْرٌ «**موقان**» وكتب لهم كتاب أمان، ولم يفتح أحد من هؤلاء القادة ما وُجِّهَ له إلا بكير.

ومات في غضون ذلك أمير المسلمين هنالك، وهو سراقة بن عمرو، واستخلف بعده عبدالرحمن بن ربيعة، فلما بلغ عمر ذلك أَقَرَّهُ على ذلك، وأمره بغزو الترك[٣].

وفي فتح «**باب الأبواب**» قال سراقة بن عمرو شعرًا:

ومن يك سائلًا عني فإني ... بأرض لا يؤاتيها القرار
بباب الترك ذي الأبواب دار ... لها في كل ناحية مغار

---

(١) الطبري: (٤/ ١٥٥).

(٢) أمدّه به عمر بن الخطاب، صرفه إليه من الجزيرة.

(٣) البداية والنهاية: (١٠/ ١٥٦).

نذود جموعهم عما حوينا ونقتلهم إذا باح السَّرار[1]
سددنا كل فرج كان فيها مكابرة إذا سطع الغبار
وألحمنا الجبال جبال قبج نناهبهم وقد طار الشرار
على خيل تعادي كل يوم عتادًا ليس يتبعها المهار[2]

- **القائد:**

«كان سراقة يَتَحَمَّلُ المسئولية الكاملة؛ فهو يفكر ويقدر، فإذا اقتنع برأيٍ أَبْرَمَهُ على مسئوليته الخاصة متحملًا كافة نتائجه برحابة صدر عن طيب خاطر.

لقد كان جريئًا غاية الجرأة في إعطاء القرارات؛ فقد رأيت كيف صالح ملك (باب الأبواب) صلحًا مبتكرًا حَقًّا، ثم أخبر بقراره هذا مَرْجِعَهُ الأعلى بعد إبرامه، فما كان من مَرْجِعِهِ عمر بن الخطاب إلا أن أجاز ما أبرم سراقة واستحسنه، كما أنه سَيَّرَ الجيوش إلى المناطق المحيطة بـ(الباب) قبل الرجوع إلى الخليفة، وفي هذه المرة خشي عمر نتائج إقدام قائده سراقة على مثل هذا العمل الجريء، وحسب لنتائجه ألف حساب.

وليس من السهل أن يصدر سراقة أو أي قائد آخر قرارات جريئة مبتكرة لم يسبق لها مثيل، وفي عهد يتولى فيه القيادة العليا مثل عمر بن الخطاب الذي كان يميل إلى المركزية، ويتدخل في كل كبيرة وصغيرة من أمور القادة المرءوسين حرصًا على أرواح المسلمين ومصائرهم؛ مما يدل على أن سراقة كان يتمتع بشخصية قوية وإرادة حديدية وعقلية راجحة، كل ذلك جعله يمضي قُدُمًا في تنفيذ أجرإ القرارات في أحرج المواقف والظروف.

---

(١) السرار: سرر الشهر بفتحتين، آخر ليلة منه، وكذا (سراره) بفتح السين وكسرها، وهو مشتق من قولهم: استسر القمر، أي خفي ليلة (السرار) فربما كان ليلة وربما كان ليلتين. وإذا باح السراء: معناها إذا بزغ القمر وانكشف محاقه.

(٢) معجم البلدان: (٢/ ١٢).

● **سراقة في التاريخ:**

لا تقتصر أهمية فتح (باب الأبواب) على نشر الإسلام في منطقة شاسعة من الأرض، غنية بالثروة الزراعية والحيوانية؛ بل إن لفتحها أهميةً خاصةً؛ وهي: أنها أصبحت القاعدة المتقدمة لقوات المسلمين في حركاتهم العسكرية شمالًا باتجاه أرمينية وتركستان والقفقاس حتى حدود سيبيريا؛ لهذا كان فتح (باب الأبواب) نصرًا سوقيًّا (استراتيجيًّا) للمسلمين، ظهرت نتائجه البعيدة بعد سنوات قليلة من الفتح.

إن التاريخ يذكر لسراقة فتح (باب الأبواب) القاعدة المتقدمة للفتح الإسلامي باتجاه الشمال، ويذكر له نشره الإسلام في منطقة شاسعة من الأرض وبين أقوام وأمم مختلفة، ويذكر له جرأته الفذة في إصدار القرارات الجريئة وتحمله نتائجها بشجاعة وإصرار.

إنه قضى كل حياته مجاهدًا في سبيل عقيدته؛ فمات غريبًا في بلاد نائية عن بلاده، وهو في خضم جهاده، فسقط ميتًا ولم يسقط السيف من يده.

رضي الله عن الصحابي الجليل، البطل المقدام، القائد الفاتح، سراقة ذي النور بن عمرو»[(١)].

(١) قادة فتح بلاد فارس: ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٤٠٣ ـ ٤٠٥) سِمَاك وسِمَاك وسِمَاك
«اللهم بارك فيهم واسْمُك بهم الإسلام»

(٤٠٣) القائد أسد خزيمة سماك بن مَخْرَمَة الأسدِي

• قائد المقدمة في فتح «قومس» و«بسطام» و«جرجان» و«طبرستان»

هو الصحابي سماك بن مخرمة بن حمير بن ثابت الأسدي، أسد خزيمة هكذا سمّاه ابن حجر، وسماه ابن الأثير: «**سِماك بن مَخْرمة بن حُمَين بن ثابت بن الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة الهالكي الأسدي**»[١].

ذكره حمزة بن يوسف في «**تاريخ جرجان**» فيمن دخلها من الصحابة. وهو خال سماك بن حرب وبه سُمّي.

قال أبو عمر: له صحبة. وعن ابن معين أنه قال: إنه من الصحابة.

جهاده:

أبلى سماك بن مخرمة بلاء حسنا في معارك فارس فعرف له عمر قدره.

ولما كتب نعيم بن مقرن المقرني على عمر بن الخطاب بفتح «**الرَّى**» كتب عمر إليه «قدِّم سويد بن مقرن إلى «**قومس**» وابعث على مقدمته سماك بن مخرمة، وعلى مجنبتيه عتبة بن النّهاس، وهند بن عمرو الجملي»[٢]، فساروا إلى قومس فلم يجدوا مقاومة، ففتحوها سلما، ومنها إلى بسطام، وفتحوا «**جرجان وطبرستان**» وأنزل اللَّه نصره على جنده وتم فتح إقليم طبرستان.

وكان سماك بن مخرمة الأسدي، وسماك بن عبيد العبسي، وسماك بن خرشة

---

(١) انظر الإصابة: (١٤٧/٣) ت (٣٤٨١)، و«أسد الغابة»: (٥٥٢/٢) ت (٢٢٣٨) والاستيعاب ت (١٠٦٧)، و«تاريخ جرجان» (٤٥، ٤٦).

(٢) الكامل والطبري.

الأنصاري؛ وليس بأبي دجانة ـ هؤلاء الثلاثة أول من ولي مسالح «**دَستَبي**» من أرض همذان، وقدم هؤلاء الثلاثة على عُمر في وفود أهل الكوفة بالأخماس، فانتسبوا له: سماك، وسماك، وسماك، فقال: بارك اللَّه فيكم، اللهم اسمُك بهم الإسلام، وأيِّد بهم[1] .

❑ **(٤٠٤) أما سَمِّيُه: سَماك بن عُبيد العبسي:**

فهو صحابي جليل، وأنه هو الذي أسر دينارًا الفارسي في فتوح همذان، وكان دينار ـ وهو أحد ملوك فارس ـ في ثمانية أنْفُس، فقتلهم سَماك بن عُبيد، وأحضر دينارًا إلى حذيفة، فصالحه، وعاش دينار إلى آخر خلافة معاوية، ولم يصرح أحد بإسلامه[2] .

ودينار هذا هو الذي دخل الكوفة أيام معاوية فقال: يا أهل الكوفة إنكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فبقيتم كذلك زمن عمر وعثمان، ثم تغيرّتم وفَشت فيكم خصال أربع: بخل، وخَبَّ[3] ، وغدر، وضيق، ولم يكن فيكم واحدة منهن. وقد رمقتكم فرأيت ذلك في مولديكم فعلمت مِن أين أُتيتم، فإذا الخبّ من قِبل النبط، والبخل من قِبل فارس، والغدر من قبل خراسان، والضيق من قِبَل الأهواز[4] .

❑ **(٤٠٥) أمّا: سماك بن خرشة الأنصاري:**

فهو صحابي جليل[5] وهو آخر غير أبي دجانة سَمِيِّه، شهد القادسية وله ذكر في فتح «**الري**».

---

(١) الإصابة: (١٤٧/٣)، وأسد الغابة: (٥٢٢/٢).

(٢) الإصابة ١٤٨/٣

(٣) الخَبّ: الخداع والغش.

(٤) الكامل ٤٢١/٢.

(٥) انظر الإصابة ١٤٦/٣ ت(٣٤٧٨).

ولما أمر عمر بن الخطاب بكير بن عبدالله أن يتقدّم لفتح أذربيجان من الموصل إلى مسرتها شمالي أذربيجان [١] أمدّه بسماك بن خرشة الأنصاري بطلنا هذا فما وصل إلى بكير إلّا بعد أسر بُكير لقائد الفرس «**اسنفدياذ**» وهزيمة الفرس، ولما سار بكير نحو «**باب الأبواب**» استخلف على أذربيجان عتبة بن فرقد، فأقرّ عتبة سمّاك ابن خرشة على عمل بكير الذي كان افتتحه [٢].

* * *

(١) الطبري (٣/٢٢٤).
(٢) الكامل (٢/٤٢٩).

(٤٠٦) القائد البطل عتيبة بن النَّهَّاس العجليّ
قائد أحد المجَنَّبتيْن في فتح «قومس» و«جرجان» و«طبرستان»

هو الصحابي عُتيبة بن النهّاس العِجْلِي، واسم النَّهّاس عَبْدَل بن حنظلة بن يام بن الحارث. كان من كبار العجليين. له إدراك ومشاهد في خلافة أبي بكر الصديق[١].

- **جهاده:**

قال ابن ماكولا: كان شريفًا، وكان مع خالد بن الوليد باليمامة، واستعمله على اللهازم، حين سار إلى فاطمة. وكذا ذكره سيف في الفتوح، وقال: من الكماة الشجعان.

وذكره الطبري أيضًا، وأن العلاء الحضرمي أرسل إليه في أمر الردّة، وأخوه عتاب كان شريفًا.

وفي سنة ١٢ هـ «لما أصاب خالد يوم الولجة ما أصاب من نصارى بكر بن وائل، الذين أعانوا الفرس غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس، واجتمعوا على أُلَيّس، وعليهم عبد الأسود العجلي، وكان مسلمو بني عجل منهم عتيبة بن النهّاس، وسعيد بن مرة، وفرات بن حيّان، ومذعور بن عديّ، والمثنى بن لاحق أشد الناس على أولئك النصارى»[٢] ونصر اللّه أبطال المسلمين وأذل النصارى والفرس حتى جرى النهر بدمائهم ووفى خالد بنذره لله «اللهم إن هزمتهم فَعَليّ ألا أستبقي منهم من أقدر عليه حتى أجري من دمائهم نهرهم»[٣].

وفي سنة ١٣ هـ لما رجع المثنى إلى الأنبار بعد هجومه على الخنافس وسوق بغداد سرّح فرات بن حيّان التغلبي، وعتيبة بن النهاس، وأمرهما بالغارة على أحياء

---

(١) انظر الإصابة: (٩٤/٥) ت (٦٤٢٨).

(٢) الكامل: (٢٤١/٢).

(٣) الكامل: (٢٤٢/٢).

مِن تَغْلب بصفِّين. ثم اتبعهما المثنى واستخلف على الناس عمرو بن أبي سلمى الهجيمي، فلما دنوا من صفين فرّ من بها وعبروا الفرات إلى الجزيرة، وفني الزاد الذي مع المثنى وأصحابه فأكلوا رواحلهم إلا ما لا بدّ منه حتى جلودها ثم أدركوا عيرًا من أهل دَبا، وحَوْران، فقتلوا من بها وأخذوا ثلاثة نفر من تغلب كانوا خفراء وأخذوا العير، فقال لهم: دلّونا. فقال أحدهم: أمّنوني على أهلي ومالي وأدلّكم على حي من تغلب غدوت من عندهم اليوم. فأمّنه المثنى وسار معهم يومه، فهجم العشيَّ على القوم والنعم صادرة عن الماء وأصحابها جلوس بأفنية البيوت، فبث غارته، فقتل المقاتلة وسبى الذرية واستاق الأموال[١].

وفي سنة ٢٢ هـ وبعد أن كتب نُعَيْم بن مقرن إلى عمر بن الخطاب بفتح الريّ كتب عمر إليه «قدِّم سويد بن مقرن على **«قومس»** وابعث على مقدمته سماك بن خرشة وعلى مجنبتيه عتيبة بن النهاس، وهند بن عمرو الجملي[٢] فساروا إلى قومس فلم يصادفوا مقاومة وفُتحت سلما ثم بعد ذلك جرجان حتى فتحوا إقليم طبرستان بأكمله كما ذكرنا من قبل وفي سنة ٣٤ هـ كان عتيبة على حلوان في خلافة عثمان فرضي الله عن البطل القائد الفارس عتيبة بن النهاس العجلي.

* * *

(١) الكامل: (٢/٢٩٣).

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة: (٦/٤٥١) ت (٩٠٧٥)، وقال: أدرك الجاهلية وولّاه عمر على نصارى تغلب سنة سبع عشرة وقُتِل يوم الجمل مع علي.

(٤٠٧) الصحابي البطل الكرّار
قائد الميمنة في فتح «تستر». . الذي قتل مائة مبارز
حادي الشهداء الشجعان إلى أعالي الجنان
مجاب الدعوة الشهيد
البراء بن مالك بن النضر الأنصاري رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حَرَام بن جُندَب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار، الأنصاري البخاري المدني.

«البطل الكرّار صاحب رسول اللَّه ﷺ، وأخو خادم النبي ﷺ، أنس بن مالك»[١].

قال ابن سعد: أمه أم سُلَيم بنت ملحان، وكذا قال ابن الأثير في «**أسد الغابة**»[٢].

قال أبو حاتم: هو أخو أنس لأبيه. وقال ابن حجر معلقا على كلام ابن سعد: «وفيه نظر،لأنه سيأتي في ترجمة شريك بن سَحْمَاء أنه أخو البراء بن مالك لأمه أمهما سحماء، وأما أم أنس فهي أم سليم بلا خلاف»[٣].

- **فضله:**

لله دره من مخلص مجاب الدعوة أثنى عليه رسول اللَّه ﷺ: عن أنس رضي الله عنه

---

(١) سير أعلام النبلاء: (١/١٩٥). انظر ترجمته في «أسد الغابة»: (١/٣٦٣) ت (٣٩١)، والاستيعاب: (١٧٣)، والإصابة: (١/٤١٣)، ت (٦٢٠).

(٢) طبقات ابن سعد: (٧/١٢)، وأسد الغابة.

(٣) الإصابة: (١/٤١٣).

قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**كَمْ مِن أَشعثَ أغبر ذي طِمْرَيْن لا يُؤْبَهُ له، لو أقسم على اللّه لأبرّهُ، منهم البراء بن مالك**»(١).

وكان البراء حادي الرجال للنبي ﷺ قال أنس: كان البراء بن مالك حسن الصوت، وكان يرتجز لرسول اللّه ﷺ في بعض أسفاره، فقال له: «**إياك والقوارير**» فأمسك(٢).

- **جهاده:**

شهد بطلنا أُحُدا والخندق والمشاهد بعد ذلك مع رسول اللّه ﷺ وكان شجاعًا في الحرب له نكاية(٣)، وبايع تحت الشجرة(٤) ولم يشهد بدرا.

- **بعد رسول اللّه ﷺ:**

كان لبطلنا أعظم النكاية في قتال المرتدين. . ويوم اليمامة هو يومه

في تاريخ السرّاج عن أنس: أن خالد بن الوليد قال للبراء يوم اليمامة: قم يا براء قال: فركب فرسه، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم؛ وإنما هو اللّه وحده والجنة. ثم حمل، وحمل الناس معه، فانهزم أهل اليمامة، فلقي البراء محكم اليمامة فضربه البراء وصرعه، فأخذ سيف محكم اليمامة فضرب به حتى انقطع(٥).

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٨٥٣) في المناقب: باب مناقب البراء بن مالك، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الضياء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم ٤٤٤٩، والأشعث: البعيد العهد بالتسريح والدهن والطمر: الثوب الخلق لا يُؤبه له: لا يُعرف ولا يعلم به لأبرّه: لصدّقه وجعله بارا غير حانث.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك: (٢٩١/٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو نعيم في الحلية: (٣٥٠/١).

(٣) طبقات ابن سعد: (١١/٧).

(٤) سير أعلام النبلاء: (١٩٥/١).

(٥) الإصابة: (٤١٣/١، ٤١٤).

وروى البغوي عن البراء قال: لقيت يوم مسيلمة رجلًا يُقال له: حمار اليمامة، رجلا جسيما بيده السيف أبيض، فضربت رجليه، فكأنما أخطأته، وانقعر، فوقع على قفاه فأخذت سيفه، وأغمدت سيفي، فما ضربت به ضربة حتى انقطع[١].

وفي مسند بقي بن مخلد عن أبي إسحاق قال: زحف المسلمون إلى المشركين يوم اليمامة حتى ألجؤوهم إلى حديقة بها عدو اللَّه مسيلمة، فقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين، ألقوني إليهم، فاحتِمُل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلهم على حديقة حتى فتحها على المسلمون، ودخل عليهم المسلمون فقتل اللَّه مسيلمة.

وفي رواية أمر أصحابه أن يحتملوه على تُرس على أسنّة رماحهم، ويُلقوه في الحديقة فاقتحم إليهم، وشدّ عليهم وقاتل حتى افتتح باب الحديقة فجُرح يومئذ بضعة وثمانين جرحا.

قال أنس: رَمَى البراء بنفسه عليهم فقاتلهم حتى فتح الباب وبه بضع وثمانون جراحة مِنْ بين رمية بسهم وضربة، فحُمل إلى رحله يُداوَي، وأقام عليه خالد شهرا يداوي جراحه[٢].

لله درك يا براء ودر أم درت عليك. .

أنت نسيج وحدك في البطولة يوم اليمامة. .

تجادل صناديد الشرك في حديقة الموت بمفردك، حتى تفتح بابها، واللَّه ما عقمت أمة أنجبتك. .

ولذا أقام خالد شهرا يداوي البراء حتى برء. فكم في جيشه مثل البراء. .

---

(١) الإصابة: (١/٤١٤).

(٢) الإصابة: (١/٤١٣ - ٤١٤)، وسير أعلام النبلاء: (١/١٩٦)، وتاريخ خليفة: (١٠٩)، والاستيعاب: (١/٢٨٧).

- **البراء يقتل مرزبان الزارة:**

بارز البراء مرزبان الزَّارة فطعنه فصرعه، وأخذ سلبه [١].

وروى البغوي بسند صحيح عن محمد بن سيرين، عن أنس، قال: دخلتُ على البراء بن مالك وهو يتغنَّى، فقلتُ له: قد أبدلك اللَّه ما هو خير منه فقال: أترهب أن أموت على فراشي؛ لا واللَّه ما كان اللَّه ليحرمني ذلك، وقد قتلت مائة منفردا سوى من شاركت فيه» [٢].

انظر إلى يقين البطل المغوار بربه وحسن ظنه بمولاه. .هو يعلم يقينا أن مولاه الكريم الذي لا يضيع عنده عمل العاملين، ولا ينقص ملك قيّمة، لن يحرم البطل من الشهادة . . ليحدو الشهداء إلى فراديس الجنان فطالما كان حاربهم في الدنيا في ساحات الحروب في أيام تندر فيها الرؤوس. . وتعال إلى يوم عدس البطل واستشهاده في فتح تُستر.

- **البطل قائد الميمنة في فتح «تستر» يفعل الأعاجيب ويدعو اللَّه أن يرزقه الشهادة فينالها بعد قتله مائة مبارزة:**

قيل: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش: لا تستعملوا البراء على جيش، فإنه مهلكة من المهالك يَقْدَم بهم [٣].

سمعًا وطاعة للفاروق. . إن لم يكن في قيادة جيش بأكمله لإقدامه الذي لا يتصوره أحد فليكن قائدًا مرؤوسًا، قال البلاذري: «سار أبو موسى ـ الأشعري ـ إلى تُستر وبها شوكة العدو وحدّهم، فكتب إلى عمر يستمده، فكتب عمر إلى عمّار

---

(١) أسد الغابة : (٢٠٦/١). والزارة: لفظ المرّة من الزار. وعين الزارة بالبحرين معروفة. والزارة قرية كبيرة بها. ومنها مرزبان الزارة وله ذكر في الفتوح وقد فتحت الزارة سنة ١٢ هـ في عهد الصدّيق، وصولحوا. انظر الطبري، والكامل والبداية والنهاية أحداث سنة ١٢ هـ.

(٢) الإصابة: (٤١٣/١).

(٣) المستدرك للحاكم: (٢٩١/٣)، وابن سعد (١٣/٧)، والاستيعاب (٢٨٥/١)، والسير (١٦٩/١).

ابن ياسر يأمره بالمسير إليه في أهل الكوفة، فقدّم عمار جرير بن عبدالله البجلي، وسار حتى تستر، وعلى ميمنته يعني ميمنة أبي موسى البراء بن مالك أخو أنس بن مالك، وعلى ميسرته مجزأة بن ثور، وعلى الخيل أنس بن مالك.

وعلى ميمنة عمار: البراء بن عازب، وعلى ميسرته حذيفة بن اليمان العبسي، وعلى خيله قرظة بن كعب الأنصاري، وعلى رجّالته النعمان بن مقرن المزني، فقاتلهم أهل تستر قتالا شديدا، وحمل أهل البصرة والكوفة حتى بلغوا باب تستر فضاربهم البراء بن مالك على الباب حتى استشهد رحمه الله، ودخل الهرمزان وأصحابه المدينة بشرِّ حال، وقد قُتل منهم في المعركة تسعمائة، وأُسر ستمائة ضُربت أعناقهم بعد»[(١)].

«وقتل البراء بن مالك ـ يومئذ مائةً مبارزةً»[(٢)].

وفي الكامل لابن الأثير: «وقتل البراء بن مالك وهو أخو أنس بن مالك في ذلك الحصار إلى الفتح مائة مبارزة سوى من قتل في غير ذلك».

في يوم تستر فقط يقتل البطل مائة مبارزة . . هذا والله من الأعاجيب وأقرب إلى الأساطير ولكنها والله الحقيقة بأسانيد صحيحة ترفها لأمتنا . .حدث عن بطلنا الولي مجاب الدعوة . . قال الذهبي عن باقي حروب البراء «**وقد اشتُهر أن البراء قتل في حروبه مائة نفس من الشجعان مبارزة**»[(٣)]، أي بخلاف يوم تستر.

وعن ابن سيرين، قال: قال الأشعري ـ يعني في حصار تستر[(٤)] ـ للبراء بن مالك: أَنْ قد دُلِلْنا على سرب يخرج إلى وسط المدينة، فانظر نفرًا يدخلون معك فيه.

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٧٣.

(٢) تاريخ الطبري: (٨٥/٥)، البداية والنهاية: (٥٩/١٠)، والكامل: (٣٩١/٢).

(٣) سير أعلام النبلاء: (١٩٦/١).

(٤) تستر: هي أعظم مدينة بخوزستان فيها قبر البراء بن مالك، كانت مشهورة بصناعة الثياب والعمائم، وعندما فُتحت جعلها عمر بن الخطاب من أرض البصرة لقربها منها.

فقال البراء لمجزأة بن ثور: انظر رجلا من قومك طريفا جلدا، فسمِّه لي. قال: ولِمَ؟ قال: لحاجة. قال: فإني أنا ذلك الرجل.

قال: دُلِّنا على سِرْب، وأردنا أن ندخُلَه. قال: فأنا معك. فدخل مجزأة أول مَن دخل، فلما خرج من السِّرب، شدخوه بصخرة، ثم خرج الناس من السرب. فخرج البراء، فقاتلهم في جوف المدينة، وقُتِل رضي الله عنه وفتح اللَّه عليهم(١).

حاصر المسلمون المشركين أشهرا. . وزاحفهم المشركون أيام تستر ثمانين زحفًا، يكون لهم مرة ومرة عليهم، فلما كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون: يا براء اقسم على ربك ليهزمنّهم لنا قال: «**اللهم اهزمهم لنا واستشهدني**». وكان مجاب الدعوة، فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم، ثم اقتحموها، ثم دخلوا مدينتهم»(٢).

عن أنس مرفوعًا قال: «**كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على اللَّه لأبرّه، منهم البراء بن مالك**». وإن البراء لقي المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا له: يا براء: إن رسول اللَّه ﷺ قال: إنك لو أقسمت على اللَّه لأبرّك، فأقسم على ربك. قال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقني بالنبي ﷺ فمنحوا أكتافهم وقُتِل البراء شهيدا»(٣).

- **إنه البراء. . إنه البراء**

قال ابن عبدالبر عنه: «كان البراء أحد الفضلاء، ومن الأبطال الأشداء»(٤).

«لما كان يوم العقبة بفارس، وقد زُوي الناس، قام البراء بن مالك فركب فرسه

---

(١) رجاله ثقات، لكنه منقطع. . ابن سيرين لم يسمع من البراء. . سير أعلام النبلاء: (١/١٩٦ - ١٩٧).

(٢) الكامل: (٢/٣٩٠)، والبداية والنهاية: (١٠/٥٩).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم: (٣/٢٩٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن عبدالبر في الاستيعاب: (١/ ١٤٢).

(٤) الاستيعاب: (١/١٤١).

وهي تَوْجَى، ثم قال لأصحابه: بئس ما عودتم أقرانكم عليكم! فحمل البراء على العدو ففتح اللَّه على المسلمين به»[١].

سيذكُرني قومي إذا جَدّ جدهم   وفي الليلة الظلماء يفتقدُ البدرُ

قتل الهرمزان البراء بن مالك واستجاب اللَّه دعوة وليه المبارك الشجاع واستشهد البراء في فتح تستر سنة ١٧ هـ[٢] أو ٢٠هـ[٣].

فرضي اللَّه عن القائد الولي مجاب الدعوة حادى رسول اللَّه ﷺ الصحابي البراء بن مالك بن النضر النجاري الأنصاري.

* * *

(١) طبقات ابن سعد: (١٢/٧).
(٢) كما في الكامل لابن الأثير أحداث سنة ١٧هـ.
(٣) كما عند الذهبي في السير: (١٩٨/٢)، والاستيعاب: (١٤٢/١).

(٤٠٨) القائد الشهيد قائد الميسرة وبطل يوم «تُستر» من قتل مائة فارس مبارزة مجزأة بن ثور السدوسي رضي الله عنه

هو الصحابي رئيس بكر بن وائل مجزأة بن ثور بن عفير بن زهير بن عمرو بن كعب بن سدوس السدوسي رضي الله عنه.

ذكره البخاري في «**الصحابة**»

وقال ابن مندة وابن الأثير: لا يثبت. والراجح أنه يثبت فما كانوا يؤمرون إلا الصحابة وقد جعلع عمر على ميسرة جيش أبي موسى عند فتح «**تستر**».

ذكر الطبري أن أبا موسى بعث جيشا كثيفا، وأمّر عليهم سهيل بن عدي، وبعث معه البراء بن مالك ومَجْزَأة بن ثور في جماعة من سمّاهم فالتقوا فقتل الهرمزان مجزأة والبراء . . فذكر قصة[١].

- **جهاده:**

لما سار أبو موسى إلى تستر وبها شوكة العدو وحدّهم، كان على ميمنته البراء بن مالك، وعلى ميسرته مجزأة بن ثور السدوسي[٢].

قال ابن الأثير عن مجزأة بن ثور: «له أثر عظيم في قتال الفرس، قتل يوم فتح «**تستر**» مائة من الفرس، فقتله الهرمزان وقتل معه البراء بن مالك، فلما أُسِر الهرمزان وحمل إلى عمر أراد قتله، فقيل: قد أمَّنته.قال: لا أُؤمِّن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك فأسلم الهرمزان، فتركه عمر»[٣].

---

(١) انظر الإصابة: (٥/٥٧٥) ت (٧٧٤٦)، وأسد الغابة: (٥/٦٠) ت (٤٦٧٨).
(٢) فتوح البلدان: ص ٣٧٣.
(٣) أسد الغابة: (٥/٦٠).

- **البطل مجزأة يقتل مائة مبارزة في فتح تستر:**

عند الطبري، وابن الأثير وابن كثير في ذكر فتح تستر أن بطلنا مجزأة قتل مائة مبارزه مثل البراء بن مالك[(١)].

طال حصار المسلمين للمشركين أشهرا، وقد تزاحفوا مرات عديدة بلغت ثمانين زحفا وبعد أن اقتتلوا قتالا شديدا هزم المسلمون المشركين حتى أدخلوهم خنادقهم واقتحموها عليهم، ولجأ المشركون إلى البلد فتحصّنوا به، وقد ضافت بهم البلد، وطلب رجل من أهل البلد الأمان من أبي موسى فأمّنه[(٢)]، فبعث يدل المسلمين على مكان يدخلون منه البلد، وهو مِن مَدْخل الماء إليها، فندب الأمراء الناس إلى ذلك، فانتدب لذلك رجال من الشجعان والأبطال، وجاءوا فدخلوا مع الماء - كالبَطِّ - إلى البلد، وذلك في الليل، فيُقال: كان أول من دخلها من المسلمين عبد اللّه بن مغفل المزني، وجاءوا إلى البوابين فأناموهم، وفتحوا الأبواب، وكبّر المسلمون فدخلوا البلد، وذلك في وقت الفجر إلى أن تعالى النهار، ولم يصلوا الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس، كما حكاه البخاري عن أنس بن مالك قال: شهدت فتح تستر وذلك عند إضاءة الفجر، فاشتغل الناس بالفتح، فما صلوا الصبح إلا بعد طلوع الشمس، فما أحبُّ أنّ لي بتلك الصلاة حمر النعم[(٣)][(٤)].

وقال البلاذري: «إن رجلًا من الأعاجم استأمن إلى المسلمين على أن يدلّهم على عورة المشركين فأسلم، واشترط أن يفرض لولده ويفرض له، فعاقده أبو موسى على ذلك ووجّه رجلًا من شيبان يُقال له أشرس بن عوف فخاض به بُجيل على

---

(١) انظر تاريخ الطبري: (٨٥/٥)، والكامل: (٣٩١/٢)، والبداية والنهاية: (٥٩/١٠).

(٢) الذي في الطبري: (٨٥/٤)، والكامل: (٣٩١/٢) أن الرجل طلب الأمان من النعمان وليس من أبي موسى.

(٣) احتج البخاري لمكحول والأوزاعي في ذهابهما إلى جواز تأخير الصلاة لعذر القتال. وجنح إليه البخاري.

(٤) البداية والنهاية: (٥٩/١٠ - ٦٠).

عرق من حجارة ثم علا به المدينة وأراه الهرمزان، ثم ردّه إلى العسكر، فندب أبو موسى أربعين رجلًا مع مجزأة بن ثور، وأتبعهم مائتي رجل وذلك في الليل والمستأمن يقدمهم، فأدخلهم المدينة، فقتلوا الحرس وكبّروا على سور المدينة، وقتل أبو موسى من كان في القلعة ممن لا أمان له»(١).

ولقد ذكرنا في ترجمة البراء أن أول من خاض في مدخل الماء حتى دخل المدينة هو البطل العظيم مجزأة بن ثور.

نعم البطل العظيم المغوار الذي جعله اللَّه سببا في «فتح تستر». . بعد أن دَلَّهم رجل من فارس على منفذ خفيّ، ونفق تحت الأرض يصل بين المدينة والنهر، وذلك بعد أن طال الحصار نحوًا من سنة، سار مجزأة على رأس ثلاثمائة من أشجع جند المسلمين، يُصارعون هذا النفق الخطير ويعبرونه، وابتلع النفق مائتين وعشرين رجلا. . وانقض مجزأة سيد بني بكر وصحبه على حُماة الحصن، وفتحوا الأبواب وهم يكبّرون.

يقول الطبري عن حصار تستر، في أحداث سنة سبع عشرة: «قتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار، إلى أن فتح اللَّه على المسلمين مائة مبارز، سوى من قتل في غير ذلك، وقتل مجزأة بن ثور مثل ذلك، وقتل كعب بن سور مثل ذلك، وقتل أبو تميمة مثل ذلك، في عدة من أهل البصرة، وفي الكوفيين مثل ذلك، منهم: حبيب بن قَرّة، وربعّي بن عامر، وعامر بن عبد الأسود ـ وكان من الرؤساء ـ في ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم»(٢).

* * *

---

(١) فتوح البلدان: ص ٢٧٣، السير: (١/١٩٦ ـ ١٩٧).

(٢) تاريخ الطبري: (٢/٥٠١) طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٤٠٩) الصحابي الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث راوية الإسلام، خادم رسول اللَّه ﷺ، وقائد الخيل في فتح تستر. أبو حمزة الأنصاري الخزرجيّ النجاري المدني أنس بن مالك بن النضر رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن عديّ بن النجار، وأمه أم سُليم بنت ملحان - رضي اللَّه عنها -.

قال أنس رضي الله عنه: قدم رسول اللَّه ﷺ المدينة وأنا عشر، ومات وأنا ابن عشرين وكُنّ أمهاتي يَحْثُثْنني على خدمة رسول اللَّه ﷺ(١).

فصحب أنس نبيه ﷺ أتمّ الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر، وإلى أن مات، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة.

- **مناقبه وفضله:**

عن أنس رضي الله عنه دخل النبي ﷺ على أم سُلَيم فأتته بتمر وسمن فقال: «**أعيدوا سمنكم في سقائه وتمركم في وعائه فإني صائم**». ثم قام إلى ناحية من البيت فصلى غير المكتوبة فدعا لأم سليم وأهل بيتها فقالت أم سليم: يا رسول اللَّه إن لي خويصة قال: ما هي؟ قالت: خادمك أنس. فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له، فإني لمن أكثر الأنصار مالًا، وحدثتني ابنته أُمينة أنه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرين ومائة»(٢).

قال أبو العالية عن أنس رضي الله عنه: «**خدمه عشر سنين، ودعا له، وكان له بستان**

(١) أخرجه أحمد: (١١٠/٣)، ومسلم: (٢٠٢٩) (١٢٥)، وابن سعد: (٢٠/٧).
(٢) رواه البخاري: (١٩٨٢) (١٩٨/٤، ١٩٩)، في الصوم: باب من زار قومًا فلم يفطر عندهم.

يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك.

وعن أنس قال: دخل النبي ﷺ علينا، وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي فقال: قوموا فلأصلي بكم «في غير وقت صلاة» فصلى بنا فقال رجل لثابت: أين جعل أنسًا منه؟ قال: جعله عن يمينه. ثم دعا لنا أهل البيت بكل خير من خير الدنيا والآخرة فقالت أمي: يا رسول الله: خويدمك أنس ادع اللَّه له. قال: فدعا لي بكل خير،وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه**»(1).

وعن أنس: جاءت بي أم سُليْم إلى رسول اللَّه ﷺ قد أَزَّرتني بنصف خمارها، وردَّتني ببعضه فقالت: يا رسول الله! هذا أُنيْس ابني أتيتك به يخدمك، فادع اللَّه له. فقال: «**اللهم أكثر ماله وولده**». فواللَّه إن مالي لكثير، وإن ولدي وولدَ ولدي يتعادُّون على نحو من مئة اليوم»(2).

وهو الوليّ مجاب الدعوة: عن ثابت: جاء قيِّمُ أرض أنس، فقال: عطشتْ أرضوك؛ فتردَّى أنس، ثم خرج إلى البرية، ثم صلى، ودعا، فثارت سحابة، وغشيت أرضه ومَطَرَت، حتى ملأت صهريجه وذلك في الصيف، فأرسل بعض أهله فقال: انظر أين بلغت؟ فإذا هي لم تَعْدُ أرضه إلا يسيرا»(3).

قال الذهبي: هذه كرامة بيِّنة ثبتت بإسناديْن(4).

- **جهاده:**

خرج أنس مع رسول اللَّه ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه.

---

(1) أخرجه مسلم: (660)، وأحمد: (3/248)، وعبد بن حميد: (1265).

(2) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (2481) (143) في فضائل الصحابة: باب من فضائل أنس بن مالك.

(3) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (9/365) وابن سعد في الطبقات: (7/21).

(4) السير: (1/401).

قال الذهبي: لم يَعُدَّه أصحاب المغازي في البدريين لكونه حضرها صبيا ما قاتل، بل بقي في رِحال الجيش. فهذا وجه الجمع.

عن موسى بن أنس أن أنسًا غزا ثمان غزوات[(١)].

وعن بعض غزواته هذه قال أنس: شهدتُ مع رسول اللَّه ﷺ الحديبية وعمرته والحج والفتح وحنينا وخيبر[(٢)].

قال الذهبي: وقد شهد أنس فتح تستر. فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان، فأسلم وحسن إسلامه رحمه الله[(٣)].

- **قائد الخيل يوم فتح «تستر»**

قال البلاذري: «سار أبو موسى إلى تستر وبها شوكة العدو وحدّهم، فكتب إلى عمر يستمده، فكتب عمر إلى عمار بن ياسر يأمره بالمسير إليه في أهل الكوفة فقدّم عمار جرير بن عبداللَّه البجلي، وسار حتى تستر، وعلى ميمنته يعني ميمنة أبي موسى البراء بن مالك أخو أنس بن مالك، وعلى ميسرته مجزأة بن ثور السدوسي، وعلى الخيل أنس بن مالك. . .»[(٤)] وفيها صبر المسلمون لأعدائهم المشركين وحاصروهم نحوًا من سنة وزاحفوهم أكثر من ثمانين زحفا. . وأقرّ اللَّه أعين عباده المؤمنين بالنصر.

- **خادم رسول يسوق كبير الفرس وقائدهم في قيوده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

لما فُتحت تستر لجأ الهرمزان إلى القلعة، فتبعه جماعة من الأبطال،فلما حصروه في مكان من القلعة ولم يبق إلا تلفه أو تلفهم، قال لهم بعدما قتل البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور ـ رحمهما اللَّه ـ: إنّ معي جَعَبة فيها مائة سهم، وإنه يتقدّم إليّ أحد

(١) تاريخ دمشق: (٩/٣٦٢).

(٢) تاريخ دمشق: (٩/٣٦١).

(٣) سير أعلام النبلاء: (١/٤٠٢).

(٤) فتوح البلدان للبلاذري: ص ٣٧٣.

منكم إلا رميته بسهم فقتلتُه، ولا يسقط لي سهم إلّا في رجل منكم، فماذا ينفعكم إن أسرتموني بعدما قتلت منكم مائة رجل؟

قالوا: فماذا تريد؟ قال: تُؤمِّنوني حتى أُسلمكم يديّ فتذهبوا بي إلى عمر بن الخطاب، فيحكم فيّ بما يشاء. فأجابوه إلى ذلك، فألقى قوسه ونُشّابه وأسروه، فشدُّوه وثاقًا وأرصدوه ليبعثوه إلى أمير المؤمنين عمر[1]

عن أنس قال : حاصرنا تستر فنزل الهرمزان فكنتُ الذي أتيت به إلى عمر، بعث بي أبو موسى، فقال له عمر: تكلم، فقال: أكلام حي أم كلام ميت، فقال: تكلم لا بأس، فقال الهرمزان: كنا معشر العجم ما خلّى الله بيننا وبينكم نقصيكم ونقتلكم ، فلما كان الله معكم لم يكن لنا بكم يدان، فقال عمر: ما تقول يا أنس: قلت: تركت خلفي شوكة شديدة وعدوًّا كلبا، فإن قتلته يئس القوم من الحياة، فكان أشد لشوكتهم ، وإن استحييته طمع القوم في الحياة، فقال عمر: يا أنس سبحان الله، قاتل البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور، قلت: فليس لك إلى قتله سبيل، قال: ولم أعطاك أصبت منه، قلت: ولكنك قلت له: لا بأس، فقال: متى، لتجيئن معك بمن شهد، وإلا بدأت بعقوبتك، فقال: فخرجت من عنده فإذا الزبير بن العوام قد حفظ الذي حفظت ، فشهد لي، فخلى سبيل الهرمزان فأسلم وفرض له عمر[2] .

فرضي الله عن الإمام القدوة راوية الإسلام خادم رسول الله ﷺ والقائد مجاب الدعوة: أنس بن مالك رضي الله عنه

* * *

(١) البداية والنهاية: (١٠/٦١).

(٢) فتوح البلدان: ص ٢٧٤.

(٤١٠) الإمام القدوة الشهيد . .
صاحب رسول اللَّه ﷺ . . مَن كانت تُسَلمُ عليه الملائكة. .
قائد الخيل في فتح «إصطخر» مرة ثانية
أبو نُجَيْد عمران بن حُصَيْن الخزاعي رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل عمران بن حُصَيْن بن عُبيد بن خلف بن عَبْد نُهْم بن حذيفة بن جَهْمَة بن غاضرة بن حبشية بن كعب بن عمرو الخزاعي.

وعند أبي عمر: عبد نهم بن سالم بن غاضرة، ويُكنى أبا نُجَيْد[1].

- **إسلامه:**

كان إسلامه عام خيبر.

وقال الطبراني: أسلم قديما هو وأبوه وأخته، وكان ينزل ببلاد قومه، ثم تحوّل إلى البصرة إلى أن مات بها.

- **جهاده:**

غزا عدة غزوات، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح قاله البرقي.

عن أبي الأسود الدؤلي؛ قال: قدمت البصرة، وبها عمران بن حصين، وكان عمر بعثه ليفقه أهلها[2].

في سنة ٢٩هـ نقض أهل فارس عهدهم ونكثوا بعُبيد اللَّه بن معمر، فسار إليهم فالتقوا على باب إصطخر فقتل عبيداللَّه وانهزم المسلمون، وبلغ الخبر عبداللَّه بن عامر فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس إلى فارس فالتقوا بإصطخر، وكان على ميمنته أبو برزة الأسلمي، وعلى ميسرته معقل بن يسار، وعلى الخيل عمران بن

(١) الإصابة: (٤/٥٨٤) ت (٦٠٢٤)، وأسد الغابة: (٤/٢٦٩) ت (٤٠٤٨).

(٢) الإصابة: (٤/٥٨٥).

الحصين ولكلهم صحبة ـ واشتد القتال فانهزم الفرس، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وفتحت إصطخر عنوة، وأتى دارابجرد وقد غدر أهلها ففتحها، وسار إلى مدينة جور وهي أردشيرخرّة فانتقضت إصطخر فلم يرجع وتمم السير إلى جور وحاصرها وكان هرم بن حيان محاصرا لها.

وكان سبب فتحها أن بعض المسلمين قام يصلي ذات ليلة وإلى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجرّه وعَدَا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفيّ، فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منها وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد إلى إصطخر ففتحها عنوة بعد أن حاصرها واشتد القتال عليها؛ ورُميت بالمجانيق قتل بها خلقا كثيرا من الأعاجم وأفنى أكثر أهل البيوتات، ووجوه الأساورة وكانوا قد لجأوا إليها.

وقيل: إن أهل إصطخر لما نكثوا عاد إليها ابن عامر قبل وصوله إلى جور، فأتى إلى جور فملكها عنوة وعاد إلىجور، فأتى دارابجرد فملكها وكانت منتقضة أيضا، ووطئ أهل فارس وطأة لم يزالوا منها في ذلّ، وكتب إلى عثمان بالخبر(١).

وقال البلاذري: «توجه ابن عامر إلى إصطخر، ووجه مقدمته عبيد اللَّه بن معمر التيمي فاستقبله أهل إصطخر برامجرد فقاتلهم فقتلوه فدُفِن في بستان امجرد، وبلغ ابن عامر الخبر فأقبل مسرعا حتى واقعهم وعلى ميمنته أبو برزة نضلة بن عبداللَّه الأسلمي، وعلى ميسرته معقل بن يسار المزني، وعلى الخيل عمران بن الحصين الخزاعي وعلى الرجال خالد بن المعمر الذهبي فقاتلهم فهزمهم حتى أدخلهم إصطخر وفتحها اللَّه عنوة، فقُتل فيها نحوًا من مائة ألف، وأتى دارابجرد ففتحها وكانت منتقضة(٢).

---

(١) الكامل: (٢/٤٩٢ ـ ٤٩٣).
(٢) فتوح البلدان: ص ٣٨٢.

- **الإنسان:**

قال محمد بن سيرين: لم نر في البصرة أحدًا من أصحاب النبي ﷺ يُفَضَّل على عمران بن حصين وكان مجاب الدعوة ولم يشهد الفتنة، وكان في مرضه تُسلِّم عليه الملائكة فاكتوى ففقد التسليم ثم عادت إليه، وكان به استسقاء فطال به سنين كثيرة، وهو صابر عليه، وشُقّ بطنه، وأخذ منه شحم، وثُقب له سرير فبقى عليه ثلاثين سنة، ودخل عليه رجل[1] فقال: يا أبا نُجَيْد، والله إنه ليمنعني من عِيَادتك ما أرى بك! فقال: يا ابن أخي، فلا تفعل فوالله إن أحبّ ذلك إليّ أحبه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ[2].

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين قال: ما قدم البصرة أحد يفضَّل على عمران بن حصين[3].

وعن مطرف: قال لي عمران في مرضه: إنه قد كان يُسَلِّم عليّ، فإن عشتُ، فاكتم عليّ[4].

وقال ابن سيرين: سَقَى بطنُ عِمران بن حُصين ثلاثين سنة، كل ذلك يُعَرض عليه الكيّ، فيأبى، حتى كان قبل موته بسنتين، فاكتوى.

قال مطرف: قال لي عمران: أشعرتَ أن التسَليم عاد إليّ؟ قال: ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى مات[5].

وقضى عمران على رجل بقضية، فقال: والله، قضيتَ عليّ بِجَوْر، وما أَلَوْت. قال: وكيف؟ قال: شُهِدَ عليّ بزور: فهو في مالي، والله لا أجلس مجلسي هذا

---

(١) هو مطرف.

(٢) أسد الغابة: (٤/٢٦٩ - ٢٧٠).

(٣) طبقات ابن سعد: (٤/٢٨٧)، والطبراني بسند صحيح.

(٤) المستدرك: (٣/٤٧٢).

(٥) طبقات ابن سعد: (٤/٢٨٩).

أبدا[١].

وكان الحسن يحلف أنه ما قدم البصرة والسَّرْوَ[٢] خيرٌ لهم من عمران فرضي اللَّه عن الصحابي الولي مجاب الدعوة من كانت تُسَلِّم عليه الملائكة وقائد الخيل في فتح إصطخر ثانية عمران بن حُصَينْ الخزاعي.

- **وختم اللَّه لبطلنا بالشهادة:**

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**القتل في سبيل اللَّه شهادة، والطاعون شهادة، والبطن شهادة، والغرق شهادة، والنفساء شهادة**»[٣].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**الطاعون والغرق والبطن والحرق والنفساء شهادة لأمتي**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**»[٥].

❊ ❊ ❊

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٥١٠/٢)، وطبقات ابن سعد: (٢٨٧/٤).

(٢) السرو: منازل حمير، عدة مواضع: سرو حميْر، وسرو العلا، وسرو قَنْدَد، وسَرْو لبن، وسرو الملا، وسرو صنعا، وسرو السواد بالشام، وسرو الوعل.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٤١١) الصحابي البطل قائد الميمنة في فتح إصطخر ثانية أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه

هو صاحب النبي، نضلة بن عُبيد على الأصح. وقيل: نضلة بن عمرو، وقيل: نضلة بن عائذ، ويُقال: ابن عبد الله. وقيل: عبدالله بن نضلة. ويُقال: خالد بن نضلة[١].

وقال ابن سعد: اسمه فيما ذكر محمد بن عمر عن بعض ولد أبي برزة عبدالله ابن نضلة، وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره من أهل العلم: اسمه نضلة بن عبدالله[٢] وقال ابن الأثير: نضلة بن عُبيد بن الحارث بن جبال بن ربيعة ابن دعْبِل بن أنس بن خزيمة بن مالك بن تلامان بن أسلم بن أفصى الأسلمي[٣].

أسلم قديمًا.

- **جهاده:**

«شهد فتح خيبر، وفتح مكة، وحنينا، وغزا خراسان»[٤].

وقال ابن سعد: قال محمد بن عمر: لم يزل أبو برزة يغزو مع رسول الله ﷺ إلى أن قُبض، فتحول إلى البصرة فنزلها حين نزلها المسلمون، وبنى بها دارا، وله بها بقيّة، ثم غزا خراسان فمات بها[٥].

قال أبو نعيم: هو الذي قتل عبد العُزَّى[٦] بن خطل تحت أستار الكعبة بإذن

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٣/٤٠).

(٢) طبقات ابن سعد: (٤/٢٢٣).

(٣) الكامل: (٥/٣٠٥).

(٤) الكامل: (٥/٣٠٥).

(٥) ابن سعد: (٤/٢٢٤).

(٦) زاد المعاد: (٣/٤٤١)، وسير أعلام النبلاء: (٣/٤٠)، وسمّاه ابن هشام: (٢/٤٠٩)، والطبري: (٣/ ٥٩، ٦٠)، ومحمد بن سعد: عبدالله.

النبي[(١)] ﷺ.

وعن الأزرق قال: كنت مع أبي برزة بالأهواز، فقام يصلي العصر، وعنان فرسه بيده، فجَعَلَتْ ترجعُ، وجعل أبو برزة ينكص معها. قال: ورجل من الخوارج يشتمه، فلما فرغ، قال: إني غزوت مع رسول اللّه ﷺ ستًّا أو سبعا، وشهدت تيسيره»[(٢)].

وقد مرّ في ترجمة عمران بن حُصين. . أنه في سنة ٢٩ هـ نقض أهل فارس عهدهم، ونكثوا بعبيد اللّه بن معمر، فسار إليهم فالتقوا على باب إصطخر فقُتل عبيد اللّه وانهزم المسلمون، ولما بلغ الخبر ابن عامر استنفر أهل البصرة، وسار بالناس إلى فارس، فالتقوا بإصطخر، وكان على ميمنته أبو برزة الأسلمي، وعلى ميسرته معقل بن يسار، وعلى الخيل عمران بن الحصين، واشتد القتال فانهزم الفرس وقتلوا مقتلة عظيمة، وفتحوا إصطخر عنوة ثم فتحوا دارابجرد،ثم أردشيرخرة ثم لما نقضت إصطخر عادوا إليها ففتحوها عنوة، ورزق اللّه عباده النصر وذل أهل فارس مذلة عظيمة[(٣)].

وشهد أبو برزة حرب الحَرُورية الخوارج مع علي رضي الله عنه[(٤)] بالنهروان.

- **أبو برزة الإنسان:**

كان أبو برزة وأبو بكرة متواخيين[(٥)].

وكانت لأبي برزة رضي الله عنه حفنة من ثريد غُدْوة وجفْنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين[(٦)].

---

(١) ابن سعد: (٤/٢٢٣).

(٢) تاريخ دمشق: (٦٢/٩٤).

(٣) انظر الكامل: (٢/٤٩٢ - ٤٩٣)، وفتوح البلدان ص ٣٨٢.

(٤) سير أعلام النبلاء: (٣/٤١).

(٥) طبقات ابن سعد: (٤/٢٢٤).

(٦) المصدر السابق.

وكان يقوم إلى صلاة الليل، فيتوضأ ويوقظ أهله رضي الله عنه(١).

وكان أبو برزة رضي الله عنه عند يزيد بن معاوية لما أُتى برأس الحسين بن علي، فرآه أبو برزة وهو ينكتُ ثغر الحسين بقضيب في يده، فقال: لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذًا ربما رأيت رسول اللَّه ﷺ يرشفه، أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا ومحمد شفيعه ثم قام فولّى(٢).

فللّه دره من آمر بالمعروف، ناهٍ عن المنكر، ومن في الناس مثل أصحاب محمد ﷺ.

عن عبداللَّه بن بريدة قال: قال عبيد اللَّه بن زياد: من يخبرنا عن الحوض؟ فقال: ها هنا أبو برزة صاحب رسول اللَّه ﷺ، وكان أبو برزة رجلًا مسمنا فلما رآه قال: إن مُحَمَّدِيَّكُم هذا لدحداح. قال: فغضب أبو برزة وقال: الحمد لله الذي لم أمت حتى عُيِّرتُ بصحبة رسول اللَّه ﷺ، ثم جاء مغضبًا حتى قعد على سرير عبيداللَّه فسأله عن الحوض فقال: نعم، فمن كذب به فلا أورده اللَّه إياه، ولا سقاه اللَّه إياه، ثم انطلق مغضبًا(٣).

- **أما عن رحمته وشفقته على خدمه:**

فقالت أم الحسن بن حكيم الثقفي ـ وكانت أَمَة لأبي برزة: كان أبو برزة يقوم من جوف الليل إلى الماء، فيتوضأ لا يُوقظ أحدًا من خدمه، وهو شيخ كبير ثم يصلي(٤).

- **أما عن أدبه وتوقيره لإخوانه:**

فعن ثابت البناني أن أبا برزة كان يلبس الصوف، فقال رجل: إن أخاك عائذ

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٣/٤٢).

(٢) أسد الغابة: (٥/٣٠٥ ـ ٣٠٦).

(٣) ابن سعد: (٤/٢٢٤ ـ ٢٢٥).

(٤) تاريخ دمشق: (٦٢/٩٩).

ابن عمرو يلبس الخزّ وهو يرغب عن لباسك، قال: ويحك، ومن مثل عائذ، ليس مثله، ثم أتى عائذا فقال: إن أخاك أبا برزة يلبس الصوف ويرغب عن لباسك، قال: ويحك، مَن مِثل أبي برزة، وليس مثله، فمات أحدهما، فأوصى أن يصلي عليه الآخر.

قال الذهبي: هكذا كان العلماء يوقرون أقرانهم[1].

- **ورزقه اللَّه الشهادة:**

بموته في الغزو، وبقتاله للخوارج مع على في النهروان فقد قال رسول اللَّه ﷺ عن الخوارج: «**من قتلهم فله أجر شهيد، ومن قتلوه فله أجر شهيد**»[2]

أو بموته في خراسان بعد الغزو، كما جاء في طبقات ابن سعد: «**غزا خراسان فمات بها**»[3].

عن أبي مالك الأشعري: قال : قال رسول اللَّه ﷺ: «**من فصل في سبيل الله فمات، أو قُتل أو وَقَصته فرسه أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه، بأي حتف شاء الله؛ فإنه شهيد وإن له الجنة**»[4].

فرضي اللَّه عن أبي برزة الأسلمي صاحب رسول اللَّه ﷺ وجعل الجنة مثواه.

* * *

(١) تاريخ دمشق: (٦٢/٩٩)، وسير أعلام النبلاء: (٣/٤٢).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد وأبي هريرة وقال الحافظ في الفتح: (١٢/٣١٦)؛ بسند جيد.

(٣) ابن سعد: (٤/٢٢٤).

(٤) سبق تخريجه.

(٤١٢) الصحابي قائد الميسرة في فتح إصطخر ثانية أبو علي معقل بن يسار المزنيّ[١] رضي الله عنه

هو الصحابي معقل بن يسار بن عبداللَّه بن مُعبّر بن حُرّاق بن لأي بن كعب ابن عيد ثور بن هُذْمة بن لاطم بن عثمان بن مُزَينة ـ يُكنى أبا عبدالله، وأبا علي. ويُقال لولد عثمان وأوس ابني عمرو: مزينة، نُسبوا إلى أمهم مُزَيْنة بنت كلب بن وبرة وهو صاحب نهر معقل أمر عمر بن الخطاب بحفره فحفره.

أسلم قبل الحديبية.

- **جهاده:**

شهد رضي الله عنه بيعة الرضوان[٢]. . .وبايع النبي ﷺ ألا يفر[٣].

وفي سنة ٢٩ هـ برز اسم بطلنا كقائد من قواد جيش ابن عامر سنة ٢٩ هـ في فتح إصطخر، إذ أن أهل إصطخر نقضوا عهدهم مع المسلمين، فتوجه ابن عامر إلى إصطخر، ووجه على مقدمته عبيداللَّه بن معمر التيمي فاستقبله أهل إصطخر برامجرد فقاتلهم فقتلوه فدُفن في بستان رامجرد، وبلغ ابن عامر الخبر فأقبل مسرعا حتى واقعهم وعلى ميمنته أبو برزة نضلة بن عبداللَّه الأسلمي، وعلى ميسرته معقل بن يسار المزني، وعلى الخيل عمران بن الحصين الخزاعي، وعلى الرجال خالد بن المعمر الذهبي فقاتلهم فهزمهم حتى أدخلهم إصطخر وفتحها اللَّه عنوة، فقتل فيها نحوًا من مائة ألف، وأتى ابن عامر دارابجرد ففتحها[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد: (٧/١٠)، وأسد الغابة: (٥/٢٢٤) ت (٥٠٣٨)، والإصابة: (٦/١٤٦) ت (٨١٦٠)، وسير أعلام النبلاء: (٢/٥٧٦).

(٢) الإصابة: (٦/١٤٦).

(٣) أسد الغابة: (٥/٢٢٤).

(٤) فتوح البلدان: ص ٣٨٢، وانظر الكامل: (٢/٤٩٢ ـ ٤٩٣).

- **الإنسان:**

لله در أصحاب محمد ﷺ في جهادهم وفي أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

عن الحسن قال: عاد عبيد اللَّه بن زياد مَعِقل بن يسار في مرضه الذي قُبض فيه، فقال له معقل: إني محدثك حديثا لو علمتُ لي حياة ما حدّثتك، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: - «**ما مِن عبد يسترعيه اللَّه رعية يموت يوم يموت غاشًّا لرعيته إلا حرّم اللَّه عليه الجنة**»[1]. فأسكن اللَّه أعلى الجنان للصحابي معقل بن يسار المزني المبايع بيعة الرضوان ألا يفر عند الطعان.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة: (٢١) وهو عند البخاري: (٨٠/٩)، والدارمي: (٣٢٤/٢)، والبيهقي: (٤١/٩).

(٤١٣) الصحابي الشهيد القائد
الجارود بن المعلى العبدي
شهيد معركة طاوس رضي الله عنه

هو سيّد عبد القيس أبو المُنذر؛ ويُقال أبو غيّاث الجارود بن المعلى، واسمه بشر بن عمرو بن حَنَش بن المعلّى وهو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن خذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار.

ولُقّب بالجارود لأنه غزا بكر بن وائل فاستأصلهم، قال الشاعر:

فدُسناهُمُ بالخيل من كُلِّ جانب كما جرّد الجارودُ بكر بَن وائل

وحكى ابن السَّكَن أن سبب تلقيبه بذلك أن بلاد عبد القيس أجدبَت وبقي للجارود بقية من إبله، فتوجّه بها إلى بني قديد بن شيبان، وهم أخواله، فجربت إبل أخواله، فقال الناس: جردهم بشرب فلقب بالجارود(١) .

وأم الجارود درقلة بنت رويم أخت يزيد بن رُويم أبي حَوْشَب بن يزيد الشيباني وكان الجارود شريفا في الجاهلية.

- **إسلامه وجهاده:**

قدم الجارود سنة عشر في وفد عبد القيس الأخير وكان نصرانيا فأسلم وسُرَّ النبي ﷺ بإسلامه. وروى الطبراني من طريق زَرْبّى بن عبداللَّه بن أنس، قال: لما قدم الجارود وافدًا على رسول اللَّه ﷺ فرح به وقرّبه وأدناه.

وقال ابن إسحاق في المغازي: كان حسن الإسلام صليبا على دينه.

وروى الطبراني عن الجارود قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: إن لي دينًا فلي إن تركت ديني ودخلتُ في دينك ألا يعذبني الله؟ قال: نعم.

(١) طبقات ابن سعد: (٢١/٦)، والإصابة: (٥٥٢/١ ـ ٥٥٣) ت (١٠٤٤).

وكان الجارود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صهر أبي هريرة.

قال أبو عمر: من محاسن شعره:

شَهِدْتُ بأن اللَّه حقٌّ وسامَحَتْ ... بَنَاتُ فؤادي بالشَّهَادةِ والنَّهْضِ

فأبلغْ رسولَ اللَّه عني رسالةً ... بأني حَنِيفٌ حيث كُنتُ من الأَرْضِ

فإنْ تكنْ داري بيثربَ فيكُمُ ... فإني لكم عند الإقامة والخَفْضِ

وأجعل نفسي دُونَ كلِّ مُلِمَّةٍ ... لكم جُنّةً من دُونِ عرضكمُ عرضي[(١)]

وكان الجارود قد أدرك الرّدة فلما رجع قومه مع المعرور بن المنذر بن النعمان قام الجارود فشهد شهادة الحق ودعا إلى الإسلام وقال: يا أيها الناس إني أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا عبده ورسوله وأكفرُ من لم يشهد.

رضينا بدين اللَّه من كل حادثٍ ... وباللَّه الرحمن نرضى به ربًّا[(٢)]

- **بثبات الجارود نجىّ اللَّه عبد القيس من الردة:**

لما قدم الجارود بن المعلى العبدي على النبي ﷺ وتفقهّ ردّه إلى قومه عبد القيس فكان فيهم. فلما مات النبي ﷺ وكان المنذر بن ساوى العبدي مريضًا فمات بعد النبي بقليل، فلما مات المنذر بن ساوى ارتد بعده أهل البحرين، فأما بكر فتمت على ردتها، وأما عبد القيس فإنهم جمعهم الجارود، وكان بلغه أنهم قالوا: لو كان محمد نبيا لم يمت؛ فلما اجتمعوا إليه قال لهم: أتعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا قال: فإن محمدا ﷺ قد مات كما ماتوا؛ وأنا أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا رسول الله. فأسلموا وثبتوا على الإسلام[(٣)].

اجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة إلا الجارود ومن تبعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وثبت قدمه على

---

(١) الإصابة: (١/٥٥٢).

(٢) الطبقات الكبرى: (٧/٦٠).

(٣) الكامل (٢/٢٢٥).

الصراط كما ثبّت اللَّه به عبد القيس على الإسلام. وهذه فضيلة ومنقبة عظيمة للجارود ويليها مواقف أخر وخاتمتها الشهادة في سبيل اللَّه من صفا صُفِّي له ومن كَدَّر كُدِّر عليه ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله، وإنما يُكال للعبد كما كال، وكان له من الولد المنذر وحبيب وغيّاث وأمهم أمامة بنت النعمان من الخصفات من جذيمة، وعبداللَّه وسَلْم وأمّهمَا ابنة الجد أحد بني عائش من عبد القيس، ومسلم والحكم. وكان ولده أشرافا.

- **استشهاده:**

قال ابن سعد: «وجه الحكم بن أبي العاص الجارود على القتال يوم «**سُهْرَك**» فقُتِل في عقبة الطين شهيدًا سنة عشرين، ويُقال لها عقبة الجارود[(١)].

وقال ابن حجر: «قُتِل بأرض فارس بعقبة الطين، فصارت يُقال لها عقبة الجارود، وذلك سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر. وقيل: قُتِل بنهاوند مع النعمان بن مقرن[(٢)].

وقيل: إن عثمان بن أبي العاص بعث الجارود في بعث إلى ساحل فارس،فقُتِل بموضع يعرف بعقبة الجارود[(٣)].

- **استشهاده:**

في سنة سبع عشرة من الهجرة ندب العلاء بن الحضرمي الناس على حرب فارس فاستجاب له أهل بلاده، فجزّأهم أجزاءً، فعلى فرقة الجارود ابنَ المُعَلَّى، وعلى الأخرى السوار بن همام، وعلى الأخرى خُلَيْد بن المنذر بن ساوَى، وخُليد هو أمير الجماعة.

فحملهم في البحر إلى فارس، وذلك بغير إذن عمر له في ذلك ـ وكان عمر

---

(١) طبقات ابن سعد: (٨٣/٦، ٦٠/٧).
(٢) الإصابة: (٥٥٣/١).
(٣) أسد الغابة: (٤٩٩/١).

يكره ذلك؛ لأنه لا رسول الله ﷺ ولا أبا بكر أغزيا فيه المسلمين - فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا من عند إصطخر، فحالت فارس بينهم وبين سفنهم، فقام في الناس خُليْد بن المنذر، فقال: أيها الناس، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم، وأنتم إنما جئتم لمحاربتهم فاستعينوا بالله وقاتلوهم، فإنما الأرض والسفن لمن غلب ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥] فأجابوه إلى ذلك، فصلوا الظهر ثم ناهدوهم،فاقتتلوا قتالا شديدًا في مكان من الأرض يُدْعَى «**طاوس**» [فقُتِل سوار والجارود][١]، ثم أمر خُلَيْد المسلمين فترجّلوا، وقاتلوا فصبروا، ثم ظفروا، فقتلوا فارس مقتلة لم يُقتلوا قبلها مثلها ثم خرجوا يريدون البصرة فغرقت بهم سفنهم ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلا، وأخذ أهل إصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطرق، فعسكروا وامتنعوا من العدو»[٢] ثم جاءهم المدد من عتبة في إثنى عشر ألفا وعلى الجميع سبرة بن أبي رهم فأتوا إلى خليد أحوج ما كان إليهم، واستنقذوا خليدا ومن معه من المسلمين.

وختم الله حياة الجارود بالشهادة في سبيله فعاش شريفا ومات شريفا رضي الله عنه

* * *

(١) ما بين القوسين من الكامل: (٢/٣٨٣).

(٢) تاريخ الطبري: (٤/٧٩ - ٨٣)، والبداية والنهاية: (١٠/٥٤ - ٥٥)، والكامل: (٢/٣٨٢ - ٣٨٣).

(٤١٤) الصحابي القائد
خُليد بن المنذر بن ساوى العبدي
قائد الجيش في نصر «طاوس»

هو الصحابي خُلَيْد بن المنذر بن سَاوَى بن الأخنس بن بيان بن عمرو بن عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم التميمي الدارمي.

كان والده ملك البحرين أرسل إليه الرسول ﷺ العلاء بن الحضرمي بكتاب قبل فتح مكة فأسلم وحسن إسلامه والأكثرون من أهل العلم أنه لم يكن في الوفد الذي أتى النبي ﷺ، وإنما كُتب معهم بإسلامه. ولما استقدم النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي، واستخلف المنذر بن ساوى مكانه.

قال الرشاطي: لم يذكره ابن عبدالبر، وقال ابن حجر: هو على شرطه، ولو لم يثبت أنه وفد[١] أما بطلنا خليد فهو صحابي قال ابن حجر في ترجمته في الإصابة «ذكر الطبري أن العلاء بن الحضرمي أمّره على جماعة ووجّهه في البحر إلى فارس سنة سبع عشرة. . . قلت. وقد تقدم أنهم كانوا لا يؤمِّرون إلا الصحابة، فدلّ على أن لخُليد وفادة والله أعلم»[٢].

● **جهاده:**

قد ذكرنا في ترجمة الجارود ما كان من أمر العلاء بن الحضرمي سنة سبع عشرة من الهجرة وإرساله الناس إلى فارس، وتفريقه إياهم أجنادًا على أحدها الجارود بن المعلى، وعلى الآخر سوار بن همام، وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوَى، وخُليْد على جميع الناس. فعبروا من البحرين إلى فارس فخرجوا إلى

---

(١) انظر الإصابة: (٦/١٦٩ - ١٧٠).

(٢) الإصابة: (٢/٢٨٨) ت (٢٢٩٠).

إصطخر وبإزائهم أهل فارس وعليهم الهربذ، فحالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم، فقام خليد في الناس فخطبهم، ثم قال: «أما بعد فإن القوم لي يدعوكم إلى حربهم وإنما جئتم لمحاربتهم، والسفن والأرض لمن غلب ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥] فأجابوه إلى ذلك. ثم صلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديدًا بمكان يُدْعَى «**طاوس**» فقُتِل سوار الجارود، وكان خليد قد أمر أصحابه أن يقاتلوا رجّالة ففعلوا فقُتِل من أهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قبلها، ثم خرجوا يريدون البصرة ولم يجدوا في الرجوع في البحر سبيلا، وأخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا وامتنعوا في نشوبهم.

ولما بلغ عمر صنيع العلاء أرسل إلى عتبة بن غزوان بإنفاذ جيش كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا، وقال: «فإني قد أُلقِي في رَوعي كذا وكذا» نحو الذي كان، وأرسل عتبة جيشا كثيفا في اثني عشر ألف مقاتل، فيهم عاصم بن عمرو، وعرفجة بن هَرْثمة، وحذيفة بن محصن، والأحنف بن قيس، وغيرهم في اثني عشر ألفا، وعلى الجميع أبو سبرة بن أبي رُهْم. فخرجوا على البغال يُجنّبُون الخيل سراعات فساروا على الساحل لا يَلْقَون أحدًا، حتى انتهوْا إلى طاوس وإذا خُلَيد بن المنذر ومَن معه من المسلمين محصورون، قد أحاط بهم العدو من كل جانب، وقد تداعت عليهم تلك الأمم من كل وجه، وقد تكاملت أمدادُ المشركين، ولم يبق إلا القتال، فقدم المسلمون إليهم في أحوج ما هم فيه إليهم، فالتقوْا مع المشركين رأسا، فكسر أبو سبرة وخليد المشركين كسرةٍ عظيمة، وقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة جدا، وأخذوا منهم أموالًا جزيلة باهرة، وأعزّ اللَّه الإسلام وأهله، ودمغ الشرك وذلّه، ولله الحمد والمنة»[1].

---

(١) انظر تاريخ الطبري: (٤/٧٩ - ٨٣)، والبداية والنهاية: (١٠/٥٤ - ٥٥)، والكامل: (٢/٣٨٢ - ٣٨٣).

لله در خليد نبت في الشجاعة وفي بيت الشجاعة، و«**العُودُ قد ينبُت في أصل العود**».

وهل ينبت الخطيّ إلا وشيجه ويُزرع إلّا في منابته النخل

وسيذكر التاريخ لخُليد إقدامه وشجاعته ونصره العظيم في طاوس على جموع فارس وقتله إياهم مقتلة لم يقتلوا مثلها قبلها . . ويذكر صبره عند البأس، وحمايته لجنده حتى وصل مدد سبرة بنأبي رهم، ثم اشتراكه في المدد في قتل الفرس مقتلة عظيمة أيضا. فجزاه اللَّه خيرًا عن دينه، وشكر اللَّه له صنيعه ورضي عنه، وأسكنه أعالى الجنات.

❊ ❊ ❊

(٤١٥) الصحابي الشهيد بطل معركتي طاوس سوار بن همّام رضي الله عنه

هو الصحابي سَوّار بن همام من بني مُرّة بن همام رضي الله عنه.

ذكر الرَّشاطي عن المدائني، أنه وفد على النبي ﷺ ثم حضر الفتوح بالعراق وله فيها ذكر وولده عبداللَّه استعمله معاوية على بعض الهند، فاستشهد هناك[1].

● **جهاده:**

مرّ في الترجمتين السابقتين أن العلاء بن الحضرمي جعله على طائفة من جنده ساروا من البحرين إلى فارس، وأنه قاتل أهل فارس قتالا شديدًا في «**طاوس**» سنة ١٧ هـ، وأنّ اللَّه مَنّ عليه بالشهادة هو والجارود في ذلك اليوم فرضى اللَّه عنهما وأنزلهما منازل الشهداء.

❊ ❊ ❊

(١) الإصابة: (١٨٤/٣ ـ ١٨٥) ت (٣٦٠٣).

قادة فتح أفغانستان من الصحابة[1]

١ ـ الربيع بن زياد الحارثي[2]

٢ ـ عاصم بن عمرو التميمي[3]

٣ ـ عبد الرحمن بن سمرة العَبْشَمِيّ

٤ ـ الأقرع بن حابس التميمي

---

(١) هناك قادة من التابعين سيأتي ذكرهم على رأسهم الأحنف بن قيس التميمي، وعبدالله بن عامر بن كُرَيْز العَبْشَيميّ.

(٢) مرّت ترجمته من قبل.

(٣) سبقت ترجمته.



(٤١٦) الصحابي القائد الفاتح
عبدالرحمن بن سَمُرة بن حبيب القرشي العَبْشَمِيّ
فاتح بلاد الأفغان

هو الصحابي الجليل: أبو سعيد عبدالرحمن بن سَمُرة بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي العبشمي.

هكذا نسبه مُصْعَب الزبيري، والزبير بن بكّار، ونسبه جماعة سواهما، فأسقطوا من نسبه: ربيعة، منهم: أبو عُبيد القاسم بن سَلّام ويحيى بن معين، والبخاري وابن أبي حاتم، والحاكم أبو أحمد، وأبو عبدالله بن منده[١].

كان اسمه عبد كلال، وقيل عبد كلول، وقيل عبد الكعبة، فغيرّه النبي ﷺ وأمه أروى بنت أبي الفرعة أو الفارعة وهو حارثة بن قيس بن أعيا بن مالك بن علقمة.

ولعبد الرحمن بن سمرة من الأولاد عبدالله، وعُبيدالله، وعثمان، ومحمد، وعبدالملك، وشعيب وأمّهم: هند بنت أبي العاص بن نوفل بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ.

- **إسلامه وجهاده:**

أسلم يوم فتح مكة، وشهد فتوح العراق، وهو الذي افتتح سجستان.

شهد عبدالرحمن بن سمرة فتوح العراق وأبلى فيها أعظم البلاء.

وفي خلافة عثمان بن عفان وفي سنة تسع وعشرين من الهجرة (٦٤٩م) استعمل عبدالله بن عامر بن كُريْز على البصرة، فاستعمل عبدالله بن عامر

---

(١) انظر ترجمته في أُسد الغابة: (٣/ ٤٥٠) ت (٣٣٢٣)، والإصابة: (٤/) ت (٥١٤٩)، وسير أعلام النبلاء: (٢/ ٥٧١).

عبدالرحمن بن سمرة على «**سجستان**» سنة إحدى وثلاثين من الهجرة، وذلك بعد انتفاض أهل سجستان، ونكث عهدهم مع المسلمين وإخراجهم عامل المسلمين قسراً[١] .

سار عبدالرحمن على رأس جيشه إلى سجستان فأتى «**زرنج**» فحاصرها وحصر مرزبانها في قصره في يوم عيدٍ لهم فصالحه مرزبانها على ألفي ألف درهم وألفي وصيف.

وغلب ابن سمرة على ما بين «**زرنج**» و«**كش**» من ناحية الهند، وغلب من ناحية طريق «**الرخج**»[٢] على ما بينه وبين بلاد «**الداور**»[٣] فلما انتهى إلى بلاد «**الداور**» حصرهم في جبال «**الزور**»[٤] .

ثم صالحهم، ودخل على «**الزور**» وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده وأخذ الياقوتتين، ثم قال للمرزبان: دونك الذهب والجوهر، وإنما أردت أن أعلمك أنه لا يضر ولا ينفع.

وكان عدة من معه من المسلمين ثمانية آلاف فأصاب كل رجل منهم أربعة آلاف.

ثم سار عبدالرحمن ففتح (بُست)[٥] وكابل[٦] ، و(زابلستان)[٧] وهي ولاية (غزنة)[٨] ،ثم عاد إلى «**زرنج**» فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ص ٣٨٦.

(٢) مدينة كبيرة من نواحي كابل.

(٣) الداور: ولاية واسعة من أرض السند ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية (رخج) و(بست) والغور. انظر «معجم البلدان» (٢٨/٤) وسمّاها ابن الأثير الداون.

(٤) جبال الزور: جبال في بلاد الداور من أرض السند، أطلق عليها اسم صنم بهذا الاسم.

(٥) بُست: مدينة من أعمال كابل.

(٦) كابل: اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى، وهي ولاية ذات مروج بين الهند وغزنة.

(٧) زابلستان: كورة واسعة جنوب بلخ وطخارستان.

(٨) غزنة: اسمها الصحيح: غزنين، ويُقال لمجموع بلادها: زابلستان، وغزنة قصبتها، وغزنة مدينة عظيمة وولاية واسعة طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند.

أُمير بن أحمر اليشكري وانصرف، فأخرج أهلها أمير بن أحمر وامتنعوا[(١)].

واضطرب أمر «**سجستان**» والأفعان في أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لانشغال المسلمين وما درا بينهم من فتن.

وفي ولاية معاوية بن أبي سفيان وخلافته استعمل ابن عامر على البصرة، فولّى عبدالرحمن بن سمرة سجستان فأتاها وعلى شرطته «عباد بن الحصين» ومعه من الأشراف عمر بن عبيد اللَّه بن معمر التيمي، وعبداللَّه بن خازم السلمي، وقطرى ابن الفجاءة، والمهلب بن أبي صفرة، والحسن البصري وذلك سنة ثلاث وأربعين الهجرية، فكان يغزو البلد قد كفر أهله، فيفتحه عنوة أو يصالح أهله حتى بلغ كابل، فلما صار إليها نزل بها فحاصر أهلها أشهرا وكان يقاتلهم ويرميهم بالمنجنيق حتى ثلم سورها ثلمة عظيمة، فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين المدافعين عن كابل حتى أصبح دون أن يقردوا علىسدَّها، وقاتل عبداللَّه بن حازم معه عليها، فلما كان الغد خرج أهل كابل إلى العراء يقاتلون المسلمين، فضرب عبداللَّه بن حازم فيلًا كان معهم فسقط على الباب الذي خرجوا منه فلم يقدروا أن يغلقوه، فدخل المسلمون المدينة عَنْوة، وقال أبو مخنف: الذي عقر الفيل المهلب. وكان الحسن البصري يقول: ما ظننت أن رجلًا يقوم مقام ألفٍ حتى رأيت عبّاد بن الحصين.

ووجّه عبدالرحمن بن سمرة ببشارة الفتح عمر بن عبيداللَّه بن معمر، والمهلب بن أبي صفرة، ثم خرج عبدالرحمن فقطع وادي نسل، ثم أتى خواش وقوزان «**بُست**» ففتحها عنوة، وسار إلى «**رزان**»[(٢)]، فهرب أهلها وغلب عليها، ثم سار إلى «**خُشّك**»[(٣)]، فصالحه أهلها، ثم أتى (الرُّخّج) فقاتلوه فظفر بهم وفتحها، ثم

---

(١) فتوح البلدان»: ص ٣٨٦، والكامل: (٣/٢٣).

(٢) رزان: يظهر أنها مدينة في منطقة كابل.

(٣) خشك: اسم بلدة في نواحي كابل.

سار إلى (زابلستان) وهي (غزنة) وأعمالها، فقاتله أهلها ـ وقد كانوا نكثوا ـ ففتحها وأصاب سبْيا، وأتى كابل وقد نكث أهلها ففتحها[١]، وفتح عبدالرحمن مدينة (نسف) أيضا[٢].

وغزا خراسان وفتح بها فتوحا[٣].

ومات بطلنا بالبصرة سنة خمسين أرّخه غير واحد، وحكى بعضهم سنة إحدى وخمسين، وبه جزم ابن عبدالبر.

قال رسول اللَّه ﷺ لعبدالرحمن بن سمرة: **«يا عبدالرحمن، لا تَسْأَل الإمارة، فإن أُعطيتها عن مسألة وُكِلْت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعِنْت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها، فائت الذي هو خير، وكَفِّرْ عن يمينك»**[٤].

- **الإنسان:**

كان رضي الله عنه متواضعا، فإذا كان اليوم المطير يلبس بُرْنُسا وأخذ المِسْحاة يكنس الطريق[٥].

- **القائد:**

أهم ما تتميزّ به قيادة عبدالرحمن هي: سرعة القرار، وسرعة التنفيذ، وسرعة الحركة.

لقد استعاد فتح **«سجستان»** مرتين، وفتح الأفغان التي كان الأقدمون يعتبرونها

(١) فتوح البلدان: ص ٣٨٨.
(٢) المسالك والممالك لابن خلدون: (١٢/٣).
(٣) الإصابة: (٢٦٣/٤)، وتاريخ دمشق.
(٤) أخرجه أحمد: (٦٣/٥)، والبخاري: (١١٠/١٣) في الأحكام: باب من سأل الإمارة وُكِّل إليها و(٤٥٢/١١) في الأيمان و(٥٢٣)، ومسلم: (١٦٥٢) في الأيمان، وفي الإمارة: (١٤٥٦/٣) باب النهي عن طلب الإمارة، وأخرجه أبو داود: (٣٢٧٧)، والنسائي: (١٠/٧) في النذور: باب الكفارة قبل الحنث، والترمذي: (١٥٢٩)، وقال: حسن صحيح.
(٥) أسد الغابة: (٤٥١/٣).

جزءًا من (خراسان)، واستعاد فتحها بعد انتقاضها. و(سجستان) والأفغان مناطق شاسعة منيعة ليس من السهل فتحها أو استعادة فتحها بقوات قليلة نسبيًّا وفي وقت قصير.

إنه قائد متميز بدون شك، وكانت عقيدته الراسخة وإيمانه العميق، وشجاعته النادرة وإقدامه الثابت أركانا أساسية لقيادته.

هذا بالإضافة إلى عقليته المتزنة وشخصيته القوية وإرادته الصلبة وماضيه الناصع المجيد في الجهاد وخدمة الإسلام وتجربته الطويلة في الحروب.

لقد تهيأت له أسباب ومزايا القيادة: طبع موهوب، وعلم مكتسب، وتجربة عملية في القتال، لذلك حالف النصر راياته، فكان من القادة الذين لم يذوقوا طعم الهزيمة في حياته القتاليه. إنه من الطراز الرفيع للقادة العرب في الصدر الأول للإسلام وفي أيام الفتح الإسلامي المجيدة يُذكر عبدالرحمن كلما ذكر فتح «**سجستان**» والأفغان، وذكر رسوخ الإسلام في هذين البلدين الكبيريْن.

لقد كان عبدالرحمن من أوائل من نشر الإسلام في تلك الربوع كما أن بطولة شعب الأفغان ووعورة أرضه تزيد في أعجابنا بقيادة عبدالرحمن؛ لأنه استطاع أن يفتح الأفغان بقوات قليلة نسبيًّا ووقت قصير، رضي اللَّه عن القائد الفاتح، الصحابي الجليل، عبدالرحمن بن سمرة القرشي العبشمي [١].

❊ ❊ ❊

---

(١) قادة فتح السند وأفغانستان للواء محمود شيت خطاب ص: ٣٤١ - ٣٤٢ - دار ابن حزم - دار الأندلس الخضراء.

(٤١٧) الصحابي القائد الفاتح الشهيد الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فاتح الجُوْزجَان[(١)]

هو الصحابي سيد قومه الأقرع بن حابس بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم ثم المجاشعي.

واسم الأقرع فِرَاس وإنما سُمِّي بالأقرع لفرع كان برأسه وكان أعرج[(٢)].

وأمه: فطيمة بنت حوى بن سفيان بن مجاشع[(٣)].

كان الأقرع سيد قومه في الجاهلية، وكان حكما في الجاهلية، وكان شريفا في الجاهلية وفي الإسلام، وذكر ابن الكلبي أنه كان مجوسيا قبل أن يُسلم[(٤)].

- **إسلامه وجهاده:**

قال ابن إسحاق: وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحُنينا والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه.

وفي سنة ٩ هـ لما قدم وفد تميم على النبي ﷺ وقدموا المدينة كان معهم الأقرع ابن حابس.

وأعطى النبي ﷺ من غنائم حنين الأقرع بن حابس مائة من الإبل تأليفا لقلبه.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن حزم وغيره قالوا: كان من غطاء رسول الله ﷺ من أصحاب المئين من المؤلفة قلوبهم الأقرع بن حابس مائة

---

(١) الجوزجان: اسم للناحية، وهي كورة واسعة من كورة «بَلْخ» بخراسان تقع بين «مرو الرُّذ» وبلخ، وفيها عدة مدن منها مدينة (الجوزجان) التي أطلق اسمها على الكورة، وبين مدينة بلخ والجوزجان تسعة عشر فرسخا، وهي ناحية كثيرة الخصب.

(٢) انظر الإصابة: (١/٢٥٢) ت (٢٣١)، وأسد الغابة: (١/٢٦٤) ت (٢٠٨)، والطبقات الكبرى: (٧/٢٧) ت (٢٨٦١)، وتاريخ دمشق: (٩/١٨٤) ت (٧٩٧).

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: (١٧٨).

(٤) الإصابة: (١/٢٥٣، ٢٥٤)، وأسد العابة: (١/٢٦٧).

من الإبل[١].

ولما أصاب عُيينة بن حصن من بني العَنْبر قدم وفدهم، فذكر القصة، وفيها: فكلّم الأقرع بن حابس رسول الله ﷺ في السبي، وكان بالمدينة قبل قدوم السبي، فنازعه عيينة بن حصن، وفي ذلك يقول الفرزدق:

وعِندَ رسول الله قام ابن حابس   بَـخُـطّـةِ إسْـوَارٍ إلـى المجـد حـازم
له أطلق الأسرى التي في قيودها   مُـغَلَّـلةٌ أعناقها في الشَّكـائِـم[٢]

وقد نال الأقرع أعظم الشرف بقتاله مع النبي ﷺ وتحت لوائه.

شهد الأقرع قتال المرتدين مع خالد بن الوليد، وشهد مع اليمامة سنة ١١ هـ لقتال مسيلمة الكذّاب كما شهد غيرها من حروب الردّة.

وسار مع خالد إلى العراق وشهد معه المشاهد كلها، وفي فتح «**الأنبار**» كان على مقدمة جيش خالد، وسار مع خالد إلى عين التمر وشهد فتح «**دومة الجندل**».

وأولى الأقوال أنه سار مع خالد من العراق إلى الشام، ويؤيد هذا ما نقله ابن حجر في الإصابة وقوله: «وقرأت بخط الرضيّ الشاطبي قتل الأقرع بن حابس باليرموك في عشرة من بنيه»[٣] وهذا وإن لم يصح فإنه يعني في أقل حالاته شهود الأقرع اليرموك وذهابه مع خالد من العراق إلى الشام.

وقد كان لبني تميم أعظم البلاء في قتال فارس فلا بد أن الأقرع وهو من ساداتهم قد أبلى أحسن البلاء والدليل على ذلك اختيار الأحنف بن قيس للأقرع ابن حابس لتولي قيادة جيش من جيوش المسلمين سنة ٣١ هـ، جمع له أهل طخارستان، فاجتمع أهل الجَوْزجان والطالقان، والفارياب، ومَن حَوْلهم في خلق

---

(١) تاريخ دمشق: (١٩٤/٩).

(٢) الإصابة: (٢٥٣/١ ـ ٢٥٤)، وديوان الفرزدق.

(٣) الإصابة: (٢٥٤/١).

كثير فالتقوا، واقتتلوا، وحمل ملك الصغانيان على الأحنف فانتزع الأحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديدا فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتالًا ذريعًا كيف شاؤوا، وعاد إلى مرور الروذ، ولحق بعض العدو بالجوزجان، فوجّه إليهم الأحنف الأقرع بن حابس التميمي في خيل وقال: يا بني تميم تحابُّوا وتباذلوا تعدل أموركم، وابدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم، ولا تغلّوا يسلم لكم جهادكم.

فسار الأقرع فلقي العدو بالجوزجان فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عَنْوة، فقال ابن العزيزه النهشلي:

سقى صوب السحاب إذا اسْتَهَلَّتْ ... مصارعَ فتية بالجوزجان

إلى القصرين من رستاق خُوْط[1] ... أقادهم هناك الأقرعان[2]

وبعد ذلك استعمله عبدالله بن عامر على جيش سيّره إلى خراسان، فأصيب بالجوزجان هو والجيش[3] وذلك في زمن عثمان. ومعنى ذلك أن استشهاد الأقرع كان سنة ثلاث وثلاثين الهجرية أو أربع وثلاثين أو خمس وثلاثين الهجرية. ونال الأقرع الشهادة لتنتهي حياته أشرف وأعظم نهاية.

- **الأقرع قائدا:**

كان الأقرع رئيسا من رؤساء بني تميم، وهي من القبائل العربية الكبيرة ذات التاريخ العريق في المجال العسكري قبل الإسلام وبعده، وكانت القبائل تقاتل بقيادة رئيسها في الجاهلية وفي أيام الإسلام، فلا بد من أنّ الأقرع مارس القيادة العملية في ميادين القتال أيام الجاهلية، وفي ميادين الجهاد أيام الإسلام، ولكن الذين كتبوا عنه أهملوا تفاصيل المعارك التي خاضها وأثره القيادي فيها وتأثيره في نتائج القتال، ولم

---

(١) خوط: قرية من قرى بلخ.

(٢) الكامل: (٣/ ٢٠ - ٢١)، وانظر الطبري: (٤/ ٣١٢).

(٣) أسد الغابة: (١/ ٢٦٧)، والإصابة: (١/ ٢٥٤).

يذكروا له غير موقفينْ قياديينْ:

الأول: قيادة المقدمة لجيش خالد بن الوليد في فتح (الأنبار)، والثاني مطاردة فلول القوات الفارسية إلى(الجوزجان)، وفتح هذه المنطقة الواسعة الغنية تلك القوات التي كبدّها الأحنف بن قيس التميمي خسائر فادحة بالأرواح والمواد، فتركت ميدان المعركة وانسحبت إلى «**الجوزجان**».

إن تولى الأقرع القيادة للأحنف بن قيس وخالد بن الوليد لدليل على كفايته العالية، ما في ذلك أدنى شك، فليس كل قائد يستطيع العمل بإمرة خالد بن الوليد، ولا كل قائد يقدر على العمل بإمرته، ولا يوليّ خالد كلّ من هبّ ودبّ منصبا قياديا.

ومن المعلوم أن واجبات المقدّمة هي: الحصول على المعلومات المفصّلة عن العدو، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات المفصلة عن القوات، وحماية القوات في تقدمها، وفي معسكرها، وإدخال الجيش في المعركة بأمان.

وهذه الواجبات المعلومة بحاجة إلى قائد ماهر، تميّز بالذكاء، والشجاعة والإقدام، وحضور البديهة، وبمعرفة مبادئ الحرب؛ والاندفاع، وسرعة الحركة، والقابلية على تحمّل أعباء القتال، وبإتقان الفروسية إتقانًا متفوّقًا، وبتحمل المسؤولية كاملة بلا تردّد. هذا بالإضافة إلى قوة الشخصية، والإرادة القوية، والقابلية على إصدار القرارات السريعة السليمة، والماضي القيادي.

أما واجبات قوات المطاردة، فتحتاج إلى قائد قدير على قلب الانسحاب إلى هزيمة، وتحطيم قوة العدو ماديا ومعنويا لإجباره على الاستسلام والرضوخ لشروط المنتصر، وإلى قائد يتميز بحب المغامرة والاندفاع بسرعة فائقة عمقا، بالإضافة إلى صفات القائد الأخرى بصورة عامة، وإلى قائد المقدمة بصورة خاصة.

ونستطيع أن نستنتج أن الأقرع كان قائدا قديرًا على إصدار القرارات الصائبة السريعة، قادرًا على وضعها في حيّز التنفيذ، ذكيا ألمعيّ الذكاء، شجاعًا مقدامًا

جسورا، حاضر البديهة، عارفًا بمبادئ الحرب، مندفعًا سريع الحركة، مغامرًا من غير تهوّر، فارسًا لامعا. وهو فوق ذلك يتحمل المسؤولية كما يتحملها الرجال.

وأخيرًا، توّج الأقرع حياته بالشهادة، فرضي اللّه عن الفارس المغوار القائد الفاتح، الشهيد البطل الأقرع بن حابس التميمي[١].

* * *

(١) قادة فتح السند وأفغانستان: ص ٣٧٩ - ٣٨١.

(٤١٨) الصحابي القائد الفاتح الورع
الحكم بن عمرو الغِفَاري رضي الله عنه
فاتح الصَغَانيان[١] والرائد الأول لفتح بلاد ما وراء النهر

هو الصحابي الحكم بن عمرو بن مجدَّع بن جِذْيَم بن الحارث بن نُعيلة بن مُليك بن ضَمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ونُعيلة أخو غفار.

وهو أخو الصحابي رافع بن عمرو الغفاري.

صحب الحكم بن عمرو النبي ﷺ حتى قُبِض النبي ﷺ، ثم تحول إلى البصرة فنزلها[٢].

- **جهاده:**

في سنة ٤٥ هجرية ولىّ زياد بن أبي سفيان الحكم بن عمرو رضي الله عنه خراسان. وكان زياد قال لحاجبه: ادع لي الحكم - يريد الحكم بن أبي العاص الثقفي ليوليه خرسان، فخرج حاجبه فرأى الحكم بن عمرو الغفاري فاستدعاه، فحين رآه زياد قال له: ما أردتك ولكن اللَّه أرادك فولّاه خراسان، وجعل معه رجالًا على جباية الخراج.

وغزا الحكم (طخارستان)[٣] فغنم غنائم كثيرة.

- **غزوة الغور[٤]**

في سنة ٤٧ هـ سار الحكم بن عمرو إلى جبال «**الغور**» فغزا مَن بها وكانوا ارتدّوا فأخذهم بالسيف عَنْوة، وفتحها وأصاب منها مغانمة كثيرة وسبايا.

---

(١) الصَغَانيان: ولاية عظيمة بما وراء النهر «نهر جيحون» متصلة الأعمال بترمذ.

(٢) البطقات الكبرى لابن سعد: (٢١/٧).

(٣) طخارسان: ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان.

(٤) الغور: جبال وولاية بين هراة وغزنة.

وكان الحكم قد قطع النهر في ولايته ولم يفتح، وكان أول المسلمين شرب من النهر مولى للحكم اغترف بترسه فشرب وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين، وكان أول المسلمين فعل ذلك ثم رجع.

وكان المُهَلّب بن أبي صُفْرة مع الحكم بخراسان، فغزا معه بعض جبال الترك وغزا معه جبل (الأشل)[١] من جبال الترك إلا أن الترك أخذوا عليهم الشعاب والطُّرق، فعيي الحكم بالأمر، فولىّ المهلب الحرب، فلم يزل المهلب يحتال حتى أسر عظيما من عُظماء الترك فقال له: إمّا أن تُخرجنا من هذا الضيق أو لأقتلنك. فقال له: أوقِد النار حيال طريق من هذه الطرق وسيِّر الأثقال نحوه فإنهم سيجتمعون فيه ويخلون ما سواه من الطرق فبادرهم إلى طريق أخرى فما يدركونكم حتى تخرجوا منه.

ففعل ذلك فسَلِم الناس بما معهم من الغنائم[٢].

- **القائد مجاب الدعوة، الورع عن مال المجاهدين، الأمر بالمعروف:**

وفي سنة ٥٠ هـ تُوفيِّ الحكم بن عمرو الغفاري بمرو بعد انصرافه من غزوة جبل (الأشلّ) وكان زياد قد كتب إليه أن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسِّم بين الناس ذهبًا ولا فضّة، فكتب إليه الحكم: «بلغني ما أمر به أمير المؤمنين، وإني وجدتُ كتاب اللَّه قبل كتابه وإنه واللَّه لو أن السماوات والأرض كانتا رتقًا على عبد ثم اتقى اللَّه لجعل له فرجًا ومخرجًا» ثم قال للناس: «**اغدوا على أعطياتكم ومالكم**» فقسّمه بينهم ثم قال: «**اللهم إن كان لي عندك خيرٌ فاقبضني إليك**» فتوفي بمرو[٣].

---

(١) الأشل: جبل في ثغور خراسان، انظر معجم البلدان: (١/٢٦٠).

(٢) الكامل: (٣/٣٠٨، ٣١١ - ٣١٢).

(٣) الكامل: (٣/٣٢٤)، والطبري: (٤/١٨٧)، والبلاذري: (٤٠٠)، وصفة الصفوة: (١/٢٧٩)، وفي طبقات ابن سعد: (٧/٢١): ثم قال للناس: «أعدو على فيئكم فاقسموه».

كان الحكم أول من صلّى من وراء النهر وهو الذي فتح الصغانيان.

قال عبداللَّه بن المبارك لرجل من أهل الصغانيان كان يطلب الحديث: أتدري مَن فتح بلادك؟ قال: لا قال: فتحها الحكم بن عمرو والغفاري[١].

«ومن الواضح أن غزو (الصَغَانيان) كان سنة ثمان وأربعين الهجرية (٦٦٨م) أو سنة تسع وأربعين الهجرية (٦٦٩م)، لأن الحكم رجع من غزو جبال «**الغور**» سنة سبع وأربعين الهجرية (٦٦٧م)، ومات سنة خمسين الهجرية (٦٧٠م) على أرجح الأقوال، فكانت سنة ثمان وأربعين الهجرية وتسع وأربعين الهجرية هي المدة التي بقيت من حياته للنهوض بفتح «**الصغانيان**»، لأنه قضى سنة خمسين الهجرية آخر سنيّ حياته في غزو جبل «**الأشل**» ثانية، فلما عاد من غزوته مات»[٢].

- **الحكمُ قائدا:**

«كان الحكم رجلا قائدًا عقيديًّا، لا يخضع إلّا للحق والمصلحة العليا للمسلمين، ولا يُطيع مخلوقًا في معصية الخالق.

وكان يتحليّ بشخصية قوية ناقدة، له مبادئ يطبّقها ولا يحيد عنها.

وكان شجاعًا مقداما ومجاهدًا صادقًا، له إرادة صلبة، ولم يكن متسرِّعًا في قراراته، بل كان قائدًا مكيثا، له ماض ناصع مجيد.

وكان يستشير رجاله في الملمات، ويأخذ بآرائهم السديدة، ويولّي ذوي الكفايات القيادية العالية مهام القتال عند الحاجة، حتى ولو كان المعزول عن القيادة بأمره هو نفسه، غير متلفت إلى ما يجرّه تخليه عن القيادة لغيره في أحرج الظروف من تهم وتقوّلات.

ولم أجد غيره من القادة تخلّى عن قادته بمحض إرادته لغيره، وجعل نفسه

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ص ٤٠٠.

(٢) قادة فتح بلاد ما وراء النهر: ص ١١٨.

بإمرة القائد الذي اختاره عن طيب خاطر غير الحكم بن عمرو الغفاري، مما يدلّ على شدة إخلاصه للمصلحة العامة ومحاسبته نفسه قبل أن يحاسبه الآخرون.

لقد كان قائدًا يضع مصالح رجاله والمسلمين فوق مصالح نفسه، بل كان ينسى مصالح نفسه دائمًا من أجل مصالح رجاله المسلمين.

لقد كان قائدًا متميزا من طراز رفيع.

يذكر التاريخ للحكم أنه أول من عبر إلى ما وراء النهر من المسلمين، فكان الرائد الأول لفتح تلك المناطق الشاسعة.

ويذكر له أنه أول من عزل نفسه مختارًا عن القيادة، وولىّ غيره وخضع للقائد الجديد طائعًا مختارا.

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، القوي الأمين، الإداري الحازم، القائد الفاتح، الحكم بن عمرو الغفاري»[١].

* * *

(١) قادة فتح بلاد ما وراء النهر: ص ١٢٠، ١٢١.

قادة فتح إرمينية من الصحابة

١ - عياض بن غنم[١] فاتح الجزيرة وشطر إرمينية

٢ - عثمان بن أبي العاص[٢] فاتح إرمينية الرابعة

٣ - ذو النور سراقة بن عمرو[٣] فاتح باب الأبواب

٤- ذو النور عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي فاتح بلنجر والبيضاء بلاد الخزر

٥ - سلمان بن ربيعة الباهلي فاتح شطر إرْمينية

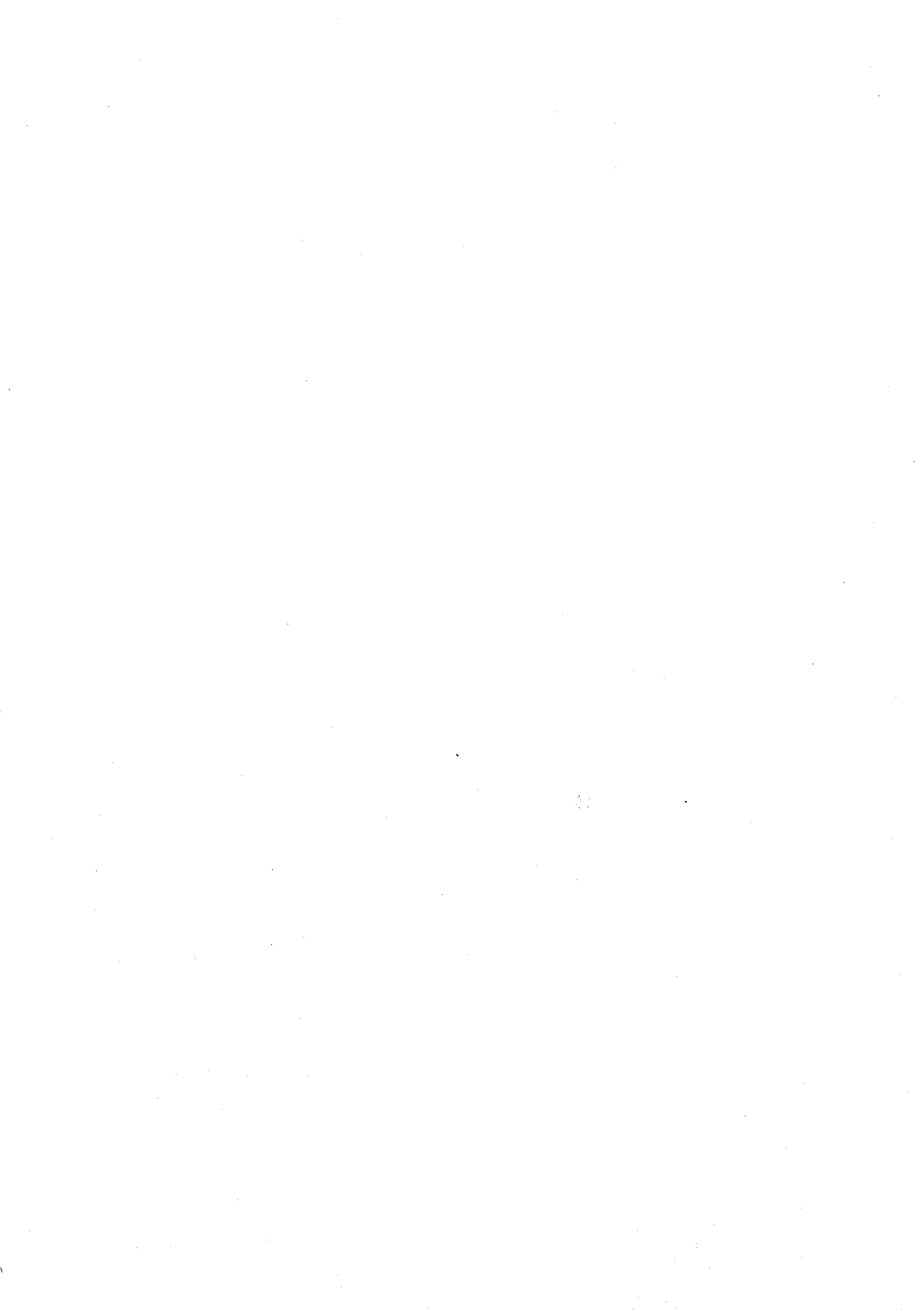
٦ - حبيب بن مسلمة الفِهْري فاتح شطر إرمينية وشطر بلاد الروم

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.



(٤١٩) الصحابي القائد الفاتح الشهيد ذو النور عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي فاتح بَلَنجر[١] والبيضاء من بلاد الخَزَر[٢]

هو الصحابي عبدالرحمن بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سَهْم بن ثعلبة بن غنم بن قتيبة بن معن الباهلي أخو سلمان بن ربيعة وهو أسن منه. نسبوا إلى باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة، نسب وَلَدُ مَعْن إليها.

قال أبو حاتم له صحبة، وذكره البخاري في الصحابة وابن عبدالبر. يُعرف عبدالرحمن بذي النور قال ابن حجر «**قلت: وقد ذكرنا غير مرّة أنهم ما كانوا يُؤمِّرون في الفتوح إلا الصحابة**»[٣].

- **جهاده:**

كان العراق ميدان جهاد عبدالرحمن بن ربيعة ولما وجّه عُمر سَعْدً على القادسية جعل على قضاء الناس عبدالرحمن بن ربيعة، وجعل إلى قسْم الفيء والأقباص، وهذا يدل على أمانته وعلمه وفقهه.

وظهرت بطولة عبدالرحمن في القادسية وحين فرّ الفرس بعد هزيمتهم ثبت أمام عبدالرحمن قائد من قوادهم وهو ابن الهربذ فنازله عبدالرحمن وصاوله وقتله[٤].

ثم استعمله عمر على «**الباب**» و«**الأبواب**» وقتال الترك[٥].

---

(١) بَلَنجر: مدينة ببلاد الخزر خلف مدينة باب الأبواب. . وهي من بلاد إرمينية.

(٢) بلاد الخزر: هي بلاد الترك خلف مدينة باب الأبواب، وهي من إرمينية.

(٣) الإصابة: (٤/٢٥٧ ـ ٢٥٨) ت (٥١٣٤)، وأسد الغابة: (٣/٤٤١) ت (٣٣٠٦)، والاستيعاب ت (١٤١٧).

(٤) الكامل: (٢/٣٣١).

(٥) أسد الغابة: (٣/٤٤٢)، والإصابة: (٤/٢٥٨).

في سنة ٢٢ هـ كان فتح «**الباب**» بعث عمر بن الخطاب سراقة بن عمرو وكان يُدْعَى ذا النور إلى «**الباب**»، وجعل على مقدمته عبدالرحمن بن ربيعة، وجعل على مجنبتيه حذيفة بن أسيد الغفاري وبكير بن عبدالله الليثي.

فلما أطلّ عبدالرحمن بن ربيعة على الباب والملك بها يومئذ «**شهربراز**»(١) وهو من ولد «**شهريار**» الذي أفسد بني إسرائيل وأغزى الشام بهم، فكاتبه شهريار واستأمنه على أن يأتيه، ففعل فأتاه فقال: «إني بإزاء عدوٍّ كَلِب وأمم مختلفة ليست لهم أحساب، ولا ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعينهم على ذي الحسب، ولست من «**القبج**»(٢) ولا الأرمن في شيء، وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي، فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم وجزيتي إليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسوموننا الجزية فتوهنونا بعدوكم» قال: فسيّره عبدالرحمن إلى سراقة فلقيه بمثل ذلك، فقبل منه سراقة ذلك وقال: «لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو» فأجابه إلى ذلك، وكتب سراقة في ذلك إلى عمر فأجازه عمر واستحسنه(٣).

وشهد على عقد سراقة مع شهريار عبدالرحمن بن ربيعة وأخوه سلمان بن ربيعة(٤).

ولما مات سراقة استخلف بعده عبدالرحمن بن ربيعة، فلما بلغ عمر ذلك أقرّ عبدالرحمن على فرْج(٥) الباب وأمره بغزو الترك(٦).

- **غزو عبدالرحمن الباهلي لإرمينية والترك:**

لمّا أمر عمر عبدالرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج الناس حتى قطع الباب فقال

---

(١) هو عند الطبري: «شهربراز» وفي الكامل: «شهريار».
(٢) القبج: أمة من الأمم في جبل «القَبْق» أو «القَبْج».
(٣) الكامل: (٢/٤٣٠).
(٤) تاريخ الطبري: (٣/٢٣٧).
(٥) الفرْج: الثغر المخوف. وفروج الأرض: نواحيها.
(٦) الطبري: (٣/٢٣٧)، والكامل: (٢/٤٣٠ - ٤٣١).

له شهريار: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد غزو «**بَلَنْجَر**» والترك.

فقال له الملك شهريار: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب.

قال عبدالرحمن: لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نغزوهم في ديارهم، وباللَّه إنّ معنا أقوامًا لو يأذن لهم أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الرّدم (١). قال: ما همه؟

قال: أقوام صَحِبوا رسول اللَّه ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بنيّة، كانوا أصحاب حياء وتكرّم في الجاهلية فازداد حياؤهم وتكرّمهم، ولا يزال هذا الأمر لهم دائما، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرّهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم.

فغزا (بلنجر) غزاة في زمن عمر فقال الترك: ما اجترأ علينا إلّا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت. فهربوا منه وتحصنوا، فرجع بالغنيمة والظفر، وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتي فرسخ من «**بلنجر**»، وعادوا ولم يُقتل منهم أحد.

ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر حتى تبدّل أهل الكوفة لاستعمال عثمان رضي الله عنه من كان ارتد استصلاحًا لهم، ولم يصلحهم ذلك، فزادهم فسادا، فغزا عبدالرحمن بن ربيعة بعد ذلك فتذامرت الترك واجتمعوا في الغياض فرمى رجل منهم رجلًا من المسلمين على غِرّة فقتله، وهرب عنه أصحابه فنادى التركي في قومه «**إن هؤلاء يموتون كما تموتون، فلمَ تخافوهم؟!**» (٢).

فخرج الترك عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم، ونادى منادٍ: «**صبرًا آل عبدالرحمن وموعدكم الجنة**».

فقاتل عبدالرحمن حتى قُتِل وانكشف أصحابه، وأخذ الراية سلمان بن ربيعة أخوه فقاتل بها، ونادى منادٍ: «**صبرًا آل سلمان**».

فقال سلمان: أو ترى جزعا؟!، وخرج سلمان بالناس معه أبو هريرة الدوسي

---

(١) عند الطبري: «الروم» والمقصود به «سد الصين» قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٤]. وفي الكامل: (٤٣١/٣): الروم.

(٢) الطبري: (٢٣٨/٣)، ومعجم البلدان: (٢٧٨/٢).

على «**جيلان**»[١] فقطعوها إلى «**جرجان**»[٢] واجترأ الترك بعدها[٣] ودُفِن عبدالرحمن بناحية من نواحي «**بلنجر**».

- **يا لفهم عبدالرحمن وبطولته:**

لقد فهم عبدالرحمن ما لم يفهمه غيره. . فهمه ووعى سبب النصر والهزيمة، فبعد أن أثنى على الصحابة الذين معهم قال: «**ولا يزال النصر معهم حتى يغيرّهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم**». . غزا سلمان بصحابة رسول اللّه الذين كان الإخلاص شارتهم وعنوانهم، وكان التجرد كل التجرد لله هو همّهم، فغزوا «**بلنجر**» غزاة لم تئم فيها مسلمة، ولم يُيَتَّم فيها صبي مسلم، ولهلع الترك ورعبهم . .ظنوا أن الملائكة تمنع المسلمين من الموت. . ونصر اللّه المسلمين بالرُّعب. . وبلغت خيول المسلمين «**البيضاء**» على مسافة مائتي فرسخ من «**بلنجر**» أي أكثر من ألف ومائة كيلو متر، هذا واللّه القصص الحق وإن كان أغرب من الخيال. .أحلى من الشهد . . وأفوحُ من شذا الورود وأضوأ من شعاع الشمس. . هذه صفحة بطولة من بطولات الجيل القرآني الفريد جيل الصحابة.

- **ورع الباهلي وعِفّته:**

وصف الباهلي إخوانه من الصحابة وصفًا بليغا ـ وهو منهم ـ فقال: «كانوا أصحاب حياء وتكرّم في الجاهلية فازداد حياؤهم وتكرّمهم بعد إسلامهم».

والحق أنّ تصرف عبدالرحمن مع المغلوبين كان له أكبر الأثر في استتباب الأمن واستقراره وانتشار الإسلام، فقد كان وفيًا غاية الوفاء، أمينًا غاية الأمانة.

فقد أرسل ملك (الباب) رسولًا إلى ملك «**الصين**» مع هدايا، وذلك قبل أن

---

(١) جيلان: اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان، وليس في جيلان مدينة كبيرة، إنما هي قرى في مروج بين جبال، والعجم يقولون: كيلان.

(٢) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وهي أكبر مدينة بنواحيها.

(٣) الطبري: (٣/٢٣٨)، والكامل لأبن الأثير: (٢/٤٣١ ـ ٤٣٢).

يفتح المسلمون بلاده، فعاد رسوله من رحلته بعد فتح المسلمين لتلك البلاد، وكان مع الرسول العائد هدايا من ملك الصين، بينها ياقوتة حمراء ثمينة، وكان ملك «**الباب**» حين عودة رسوله في مجلس عبدالرحمن؛ فتناول الملك من رسوله تلك الياقوتة ثم ناولها عبدالرحمن، ولكن عبدالرحمن ردّها فورًا إلى الملك بعد أن نظر إليها، فهتف الملك متأثرا وقال: «لَهَذه ـ يعني الياقوتة ـ خير من هذا البلد ـ أي باب الأبواب ـ وأيْمُ اللَّه لأنتم أحبّ إليّ حُكّامًا من آل كسرى، فلو كنتُ في سلطانهم، ثم بلغهم خبرها، لانتزعوها مني!!! وأيم اللَّه لا يقوم لكم شيء ما وفيّتم ووفى ملككم الأكبر»[١].

وبمثل هذا الورع والوفاء في أجمل صورة والأمانة في أبهى معانيها والبطولة في عنوانها الأكبر حكم عبدالرحمن الباهلي وظل واليا على «**الباب**» من سنة اثنتين وعشرين الهجرية حتى سنة اثنتين وثلاثين الهجرية في عهد عمر بن الخطاب ومن بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه. وتوّج خاتمة حياته بالشهادة أجمل خاتمة.

- **عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي قائدا:**

«كان عبدالرحمن قائدًا عَقَدِيًّا من الطراز الرفيع، وكان لتمسّكه الشديد بعقيدته موضع ثقة رؤسائه ومرؤوسيه على حد سواء، بالإضافة إلى شجاعته وإقدامه وعلمه بأمور الدين. لذلك بقى قائدًا لمنطقة «**باب الأبواب**» وواليا عليها منذ وفاة سراقة بن عمرو حتى استُشهد، لم يعزل من منصبه على الرغم من تبدّل الخلفاء وتغيّر الولاة والقادة في الكوفة مرجع عبدالرحمن المباشر.

وكان عبدالرحمن يُؤمن بوسائل حرب الفروسية الشريفة، فلا يخون ولا يغدر.

وكان رفيقًا حليما حتى بأعدائه في ساحة القتال ـ وذلك بعد أن تنهار مقاومتهم فلا يبقى لهم حول ولا قوة.

(١) تاريخ الطبري: (٢٣٩/٣).

وكان يكرم عزيز قوم ذلّ، فلا يدعه يشعر بالمهانة، وحسبنا أن نذكر معاملته الكريمة لملك «**باب الأبواب**»: يُحضره مجلسه، ويستشيره في أمره، ويتركه حرًّا طليقا كما يشاء بين قوم من غير رقيب ولا حسيب!

فمن يترك ملكا خسر ملكه في الحرب في مملكته بالذات وبين قومه ورعيتّه، غير الذين يعتمدون على أنفسهم ويثقون بها ويُراعون الجانب الخُلُقي في الحرب؟!!

تلك الأخلاق المحاربة التي كان يتحلّى بها عبدالرحمن، جعلته موضع ثقة قادته وجنوده وحتى الشعوب والحُكّام الذين غلبهم في الحرب، مما سهّل عليه مهمته القيادية والإدارية.

وأصبحت منطقة «**باب الأبواب**» وجنوب بحر الخزر وغربه لسيرة عبدالرحمن الباهلي الحسنة قاعدةً أمامية لنشر الإسلام والفتح شمالا، وثبت الإسلام في تلك الأصقاع النائية الشاسعة.

فرضي اللّه عن الصحابي الجليل، القاضي العادل، العامل الأمين، القائد الفاتح، الفارس الشهيد، ذي النور عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي[١].

* * *

(١) قادة الفتح الإسلامي في إرمينية: ص ١٥٥، ١٥٦.

(٤٢٠) الصحابي القائد الفاتح الشهيد سلمان الخيْل سلمان بن ربيعة الباهلي رضي الله عنه فاتح شطر أرمينية

هو الصحابي البطل أبو عبد اللَّه سلمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سَهْم بن نضْلة بن غنْم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصْر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر ابن نزار الباهلي الكوفي[١].

قال ابن حجر: مختلف في صحبته،قال أبو حاتم: له صحبة. وقال أبو عمر: ذكره العقيلي في الصحابة، وهو عندي كما قال أبو حاتم.

وقال ابن مندة: «ذكره البخاري في الصحابة، ولا يصح»[٢] والرأي الأقوى أنه صحابي فإنهم ما كانوا يؤمرون في عهد أبي بكر وعمر إلّا الصحابة.

ويُقال له: سلمان الخيل.

- **جهاده:**

قال الحافظ ابن عساكر: شهد فتوح الشام مع أبي أمامة الباهلي، ثم سكن العراق وولّاه عمر قضاء الكوفة، ثم ولي غزو أرمينية في خلافة عثمان فقُتِل ببَلَنْجر[٣].

- **سلمان بطل من أبطال القادسية:**

برز اسم سلمان في الجهاد في فتوحات العراق فقد ولّاه سعد بن أبي وقاص

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي: (١/٢٢٨)، و«جمهرة أنساب العرب»: (٢٤٥ ـ ٢٤٧).

(٢) الإصابة: (٣/١١٧) ت (٣٣٦٦)، وأسد الغابة: (/) ت (٢١٤٧)، والاستيعاب ت (١٠١٦)، وتاريخ دمشق: (٢١/٤٦٢) ت (٢٦٠٢).

(٣) تاريخ دمشق: (٢١/٤٦٢).

قيادة «المُجَرَّدة»[١] في مسير الاقتراب إلى القادسية وذلك سنة أربع عشرة الهجرية (٦٣٥م)[٢].

وأبلى سلمان أعظم البلاء في القادسية

قال ابن الأثير: «لحق سلمان بن ربيعة الباهلي، وعبدالرحمن بن ربيعة بطائفة من أبطال الفرس قد نصبوا راية، وقالوا: لا نبرح حتى نموت فقتلهم سلمان ومن معه[٣].

وعند ابن عساكر: أبصر سلمان بن ربيعة أناسا من الأعاجم تحت راية لهم قد حضروا لها وجلسوا تحتها، وقالوا: لا نبرح حتى نموت، فحمل عليهم فقتل من كان تحتها وسلبهم، وكان سلمان فارس الناس يوم القادسية، وكان أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت والآخر عبدالرحمن بن ربيعة ذو النور أخوه، ومال على آخرين قد تكتّبوا[٤] وتعبّوا[٥] للمسلمين فطحنهم بخيله[٦].

قال الشعبي: كان يُقال لَسلمان أبصرُ بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور[٧]

وقد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة استحيوا من الفرار وقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين لكل كتيبة منها رئيس، وكان قتال أهل الكتائب من الفرس على وجهينْ؛ منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى قُتِل، وكان ممن ثبت وقُتِل شهريار بن كنار، وكان بإزاء سلمان بن ربيعة[٨]

---

(١) المجردة: هي قوة عسكرية من الفرسان تتحرّك أمام المقدمة لاستطلاع قوات العدو والحصول على المعلومات عنه وحماية المقدمة.

(٢) تاريخ الطبري: (٣/٩).

(٣) الكامل: (٢/٣٣١).

(٤) تكتبّوا: أي اجتمعوا.

(٥) في الطبري: نصبوا.

(٦) تاريخ دمشق: (٢١/٤٧٠).

(٧) تاريخ دمشق: (٢١/٤٧٠).

(٨) الكامل: (٢/٣٣١).

وكان سعد بن أبي وقاص قد جعل على قسمة الغنائم سلمان، فجمع ما في القصر والإيوان[١] والدور، وأحصى ما يأتيه به الطلب، وكان أهل المدائن قد نهبوها عند الهزيمة وهربوا من كل وجه، فما أفلت أحدهم بشيء إلا أدركه الطلب وأخذوا ما معه.

وقُسِّمت الغنيمة وأصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب[٢]، وقيل: إن الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف فقسّمها سلمان بن ربيعة، وبعث سعد بالأخماس إلى عمر[٣] وذلك في سنة ١٦هـ.

وفي سنة ١٧ هـ حشد هرقل ملك الروم قوات كثيرة لما أرسل إليه أهل الجزيرة بأنهم سيعاونون الروم فلما علم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بذلك ضمّ إليه مسالحه وعسكر بفناء حمص، وكتب إلى عمر رضي الله عنه بذلك، وكان عمر قد اتخذ في كل مصر خيولًا على قدره من فضول أموال المسلمين عدة لكون إن كان، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس، وكان القيِّم عليها سلمان بن ربيعة الباهلي ونفر من أهل الكوفة، وفي كل مِصر من الأمصار الثمانية على قدره، فلما سمع عمر الخبر كتب إلى سعد أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرِّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى «**حمص**»، فإن أبا عُبيدة قد أُحيط به، وتقدّم إليهم في الجد والحث»[٤].

وتحرك القعقاع ومعه سلمان الباهلي على رأس أربعة آلاف فارس من الكوفة إلى حمص، وقدم القعقاع بعد ثلاثة أيام من قتال المسلمين للروم وانتصارهم، فكتبوا إلى عمر بالفتح، وبقدوم المدد عليهم، والحكم في ذلك، فكتب إليهم أنْ

---

(١) قصر كسرى وإيوان كسرى بالمدائن.
(٢) الكامل: ٢/٣٦٠.
(٣) الكامل: ٢/٣٦٦.
(٤) تاريخ الطبري: (٣/١٥٤)، والكامل: (٢/٣٧٧).

أشركوهم فإنهم نفروا إليكم، وانفرق لهم عدوكم، وقال: «**جزى اللّٰه أهل الكوفة خيرا، يكفون حوزتهم، ويمدون أهل الأمصار**»(١).

وفي سنة ١٥ هـ كان سلمان الباهلي في جيش أبي عبيدة، فبعثه إلى «**قورس**» بخيله فنزل في حصن بقورس(٢) فنسب إليه فهو يُعرف بحصن سلمان.

وكان لسلمان ذكر في فتوح الشام، وكان فتح (مَنْبج) على يد سلمان(٣).

ثم خرج إلى العراق فيمن خرج من المدد إلى القادسية فشهدها فولاه عمر قضاء المدائن، وهو أول من قضى بالعراق، وأول من قضى بالكوفة(٤).

عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: رأيت سلمان بن ربيعة جالسًا بالمدائن على قضائها، استقضاه عمر بن الخطاب أربعين يوما فما رأيت بين يديه رجليْن يختصمان بالقليل ولا بالكثير، فقيل لأبي وائل: مِمّ ذاكَ؟قال: من انتصاف الناس فيما بينهم(٥).

وترك سلمان القضاء لميدان الطعن والجهاد، ففي سنة ٢٢هـ بعث عمر سراقة ابن عمرو لفتح (الباب)، وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة(٦)، وأبلى سلمان أعظم البلاء في فتح «**الباب**» وأقرّ اللّٰه أعين المسلمين بالنصر والفتح.

ولما فرغ سراقة من فتح الباب أرسل قادته إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، فوجّه بكيرا إلى موقان، وحبيبًا إلى (تفليس)، وحذيفة إلى (جبال اللان)، وسلمان إلى الوجه الآخر، ولم يفتح أحد من أولئك القوّاد إلا بكير فإنه فضّ أهل موقان(٧).

---

(١) تاريخ الطبري: (٣/١٥٠)، والكامل: (٢/٣٧٧).
(٢) قورس: مدينة بها آثار قديمة وكورة من نواحي حلب. . الكامل: (٢/٣٤٣).
(٣) ابن خلدون: (٢/٩٤٧).
(٤) تاريخ دمشق: (٢١/٤٦٦).
(٥) المصدر السابق: (٢١/٤٦٨).
(٦) الكامل: (٢/٤٣٠).
(٧) الكامل: (٢/٤٣٠، ٤٣١).

● البطل الفاتح:

في سنة ٢٥ هـ استعمل عثمان بن عفّان رضي الله عنه الوليد على الكوفة فبعث سلمان بن ربيعة إلى أهل أرمينية في اثني عشر ألفا فسار في أرمينية يقتل ويسبي ويغنم، ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى أتى الوليد، فعاد الوليد وقد ظفر وغنم وجعل طريقه على الموصل. ثم أتى (الحديثة)[1] فنزلها، فأتاه بها كتاب عثمان فيه «أن معاوية بن أبي سفيان كتب إليّ يُخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين في جموع كثيرة، وقد رأيت أن يمدّهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابي هذا، فابعث إليهم رجلًا له نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام».

فقام الوليد في الناس وأعلمهم الحال وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي، فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم، وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري، وعلى جند أهل الكوفة سلمان ابن ربيعة، فشنوا الغارات على أرض الروم فأصابوا الناس ما شاؤوا من سبي ملأوا أيديهم من المغنم، وافتتحوا حصونا كثيرة.

وقيل: إن الذي أمدّ حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص، وكان سبب ذلك أن عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية فوجهه إليها فأتى قاليقلا فحصرها وضيّق على مَن بها فطلبوا الأمان على الجلاء أو الجزية، فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم، ثم بلغه أن بطريق أرمينا قس واسمه الموريان قد توجّه نحوه في ثامنين ألفًا من الروم والترك، فكتب حبيب بذلك إلى معاوية يخبره، فكتب معاوية إلى عثمان، فأرسل عثمان إلى سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب فأمدّه بسلمان بن ربيعة في ستة آلاف[2].

---

(١) الحديثة: هي حديثة الموصل، وهي بليدة كانت على دجلة على الجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى.
(٢) الكامل: (٢/٤٧٨).

وكان سلمان الساعد الأيمن لحبيب بن مسلمة في فتح مناطق شاسعة من أرمينية وهي: «**أرْميناقس**» وهي بلاد ملطية وسيواس وقونية وما والاها من البلاد إلى خليج القسطنطينية» ونفذ المسلمون هجومهم الليلي بنجاح منقطع النظير وهزموا الروم، ولما تمّ ذلك عاد حبيب وسلمان إلى «**قاليقلا**».

واستعاد حبيب بن مسلمة بمعاونة سلمان فتح مناطق شاسعة من إرمينية، وفتحا مناطق شاسعة جديدة لأول مرة، وكان هذا الفتح في سنة خمس وعشرين الهجرية (٦٤٥م). لقد كان التعاون وثيقا بين حبيب وسلمان، فكان هذا الفتح العظيم من ثمرات هذا التعاون الوثيق في هذه الغزوة العظيمة في تلك المناطق النائية عن قواعد المسلمين الرئيسية والمتقدمة.

وسار سلمان إلى (أرَّان)[١]، ففتح (البَيْلقان) صُلْحًا على أن أَمَّنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية والخراج.

ثم أتى سلمان مدينة (بَرْذَعَة)[٢] فعسكر على (الثُّرْثور)[٣] نهر بينه وبينها نحو فرسخ، فقاتله أهلها أياما، وشنَّ الغارات في قراها، فصالحوه على مثل صلح (البلقان) ودخلها.

ووجّه سلمان خيله، ففتحت رساتيق[٤] الولاية ولاية (أَرَّان) ودعا أكراد البلاشجان إلى الإسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقرّ بعضهم على الجزية وأدّى بعضهم الصدقة وهم قليل، ووجّه سرية إلى (شمكور) ففتحوها، وهي مدينة قديمة ولم تزل

---

(١) أرّان: اسم لولاية واسعة كبيرة، بينها وبين أذربيجان نهر يُقال له الرسّ فما جاوره من جهة المغرب والشمال فهو من أرّان، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان. من هذه الولاية جنزة وبرذعة وبيلقان. وهي من أصقاع إرمينية.

(٢) بَرْذَعة: بلد بأقصى أذربيجان، وقيل هي قصبة أذربيجان، وقيل هي مدينة أرّان.

(٣) الثرثور: نهر بينه وبين برذعة نحو فرسخ واحد.

(٤) رساتيق: جمع رستاق، وهي كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يُقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد، وهو أخص من الكورة.

معمورة حتى أخربها السناوردية وهم تجمعوا لما انصرف يزيد بن أسد عن أرمينية فعظم أمرهم فعمرها بغا سنة ٢٤٠هـ وسماها المتوكلية.

وسار سلمان إلى مجمع (الرَسّ) و(الكُرّ)[١]، ففتح قبلة، وصالحه صاحب سكر وغيرها على الإتاوة، وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال وأهلْ مسقط والشابران ومدينة الباب ثم امتنعت بعده[٢].

- **الشهيد:**

ولي سلمان الباهلي غزو أرمينية في زمن عثمان واستُشهد البطل سلمان الخيل ببلنجر من بلاد أرمينيا قبل الثلاثين أو بعدها[٣].

قال خليفة: وفيها ـ يعني سنة تسع وعشرين ـ غزا سعيد بن العاص أرمينية، وقدم سلمان بن ربيعة الباهلي إلى ناحية منها، فلقي سعيد عدوا وتقدم سلمان إلى (بَلَنْجَر) فأصيب بها رحمه الله[٤].

وقال خليفة: قال أبو البراء غزا سلمان البلقان فصالحه، ثم أتى برذعة فصالحوه، واستولى عليها، وبعث صاحب خيله إلى (جُرْزان)[٥] فصالحوه، ومضى سلمان إلى (حِيزان)[٦] فصالحوه، ثم انتهى إلى أرض مسقط فصالحه ملكها، وأصيب سلمان ببلنجر.

وقال خليفة[٧]: وفيها ـ يعني سنة ثلاثين ـ أصيب معضد الشيباني، ويقال: سلمان بن ربيعة فيها أيضًا.

---

(١) مجمع الرس والكرّ: ملتقى النهرين الرَسّ والكرّ والكرّ: نهر بين أرمينية وأرّان. والرسّ يمرّ بإران.
(٢) الكامل ٢/٤٧٩ ـ ٤٨٠.
(٣) الإصابة: (١١٧/٣).
(٤) تاريخ خليفة: ص ١٦٣.
(٥) جُرزان: اسم جامع لناحية أرمينية قصبتها تفليس.
(٦) حيزان: من مدن أرمينية قريبة من شروان.
(٧) تاريخ خليفة: ص ١٦٥.

وقال أبو الخطاب الأزدي: أصيب سلمان سنة إحدى وثلاثين.

- **العابد:**

كان سلمان صوّاما اشتهر ذلك عنه، فقد قال البراء بن قيس: أرسلني عمر إلى سلمان بن ربيعة آمره أن يفطر وهو محاصر(١).

قال ابن حبان عن سلمان: كان رجلًا صالحا يحج كل سنة(٢).

وقال الحافظ ابن عساكر: بلغني أنه كان يغزو سنة ويحج سنة(٣).

ونزل زيد بن صُوحان على سالم بن ربيعة كأنه ينظر ما يعمل، فكان إذا تعارّ من الليل قال: سبحان اللّٰه رب النبيين وإله المرسلين، قال: ثم يصلي ركعات ويقول: يا زيد اكفني نفسك يقظانا، أكفك نفسك نائما(٤).

- **سلمان الخيل القائد:**

لما بعث عثمان بن عفان ﵁، كتابًا إلى الوليد بن عقبة عامله على الكوفة يأمره أن يرسل نجدة من أهل الكوفة إلى أهل الشام بقيادة رجل «ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه» لم يتردّد الوليد لحظة في اختيار سلمان لهذا الواجب البالغ الخطورة، فاختاره من بين عدد كبير من القادة أصحاب الفتوح والأيام الذين كانوا معه أو كانوا في الكوفة، ذلك لأن سلمان كان حقا مثالا رائعا من أمثلة النجدة والبأس والشجاعة بالإضافة إلى ورعه وتقواه لقد كان شجاعا مقداما سريعًا إلى النجدة خبيرًا بفنون الحرب للمارسته الطويلة لها، وله تجارب طويلة في قيادة الرجال، وكان «أبصر بالمضارب من الجازر بمفاصل الجزور» مما يدلّ على أنه كان من الرماة الماهرين.

وكان ماهرًا في الفروسية، خبيرًا بالخيل، وكان يلي الخيل لعمر بن الخطاب ﵁

(١) تاريخ دمشق: (٢١/٤٦٥).
(٢) الإصابة: (٣/١١٧).
(٣) تاريخ دمشق: (٢١/٤٦٢).
(٤) تاريخ دمشق: (٢١/٤٧٣).

فكان يُقال له سلمان الخيل. . وكان سلمان يتولى الخيل بالكوفة.

وكان سلمان أوّل من فرّق بين العِتَاق والهُجُن[(١)] .

فعن أبي عمر وابن العلاء: أن عمر بن الخطاب شكَّ في العتاق والهجُن من الخيل، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي بطست من ماء، أو بترس فيه ماء فوضع بالأرض، فما ثنى سنبكه هجّنه، وما شرب ولم يثن سنبكه عرّبه، وذلك لأن في أعناق الهُجُن قصرًا، فهي لا تنال الماء غلّا على تلك الحال، وأعناق الخيل العتاق طوال فهي لا تثني سنبكها لطول أعناقها[(٢)] .

وكان شجاعًا في فروسية، وقال سلمان ﵁: «قتلتُ بسيفي هذا مائة مستلئم، كلهم يعبد غير الله، ما قتلتُ رجلًا منهم صبرا»[(٣)] .

إنه لا يقتل حتى عدوه الكافر بالله، ولا يقتله في ساحة القتال صبرا،بل يُنذره، ثم يصاوله مصاولة الأنداد، ويقتله عندما يجد فرصة لقتله، فلا يكون هذا القتل غدرًا، ولا يكون صبرًا.

وكان شديد الضبط، يفرض سيطرته الكاملة على رجاله، ولا يسكت أبدًا على مخالفة، وتلك مزية من أهم مزايا القائد الفذّ: التمسك بالضبط المتين، وحمل المرؤوسين على الطاعة وفرض السيطرة التامة. قال أبو وائل: «غزونا مع سلمان بن ربيعة (بلنجر) فحرّج علينا أن نحمل على دواب الغنيمة، ورخص لنا في الغربال والحبل والمنخل[(٤)]»، فهو قائد مسيطر، يتوخّى المصلحة العامة، ولا يفرّط فيها قيد أنملة.

وكان من القادة الذين يبيّتون عدوهم (يهاجمونه ليلا)، والهجوم الليلي يحتاج

---

(١) الإصابة: (١١٧/٣). والعتاق جمع عتق، وجواد عتيق: فرس أصيل رائع، والهُجُن: جمع هجين، والهجين: غير الأصيل، والهجنة في الناس والخيل إنما تكون من قبل الأم، فإذا كان الأب عتيقا أي كريما والأم ليست كذلك، كان الولد هجينا.

(٢) تاريخ دمشق: (٤٧٢/٢١ - ٤٧٣).

(٣) الاستيعاب: (٦٣٣/٢)، والمستلئم: الجندي الذي لبس عدّته وأصبح جاهزًا للقتال.

(٤) الاستيعاب: (٦٣٣/٢).

إلى تمتع القطع المقاتلة بالضبط المتين والتدريب الجيد، وتمتع القائد بالسيطرة الكاملة والمقدرة الفائقة والكفاية العالية.

كما أن الهجوم الليلي يؤمِّن مبدأ: (المباغتة) أهم مبادئ الحرب على الإطلاق.

كان يقود رجاله من الأمام يقول لهم: اتبعوني، ولا يقودهم من الخلف، يقول لهم: تقدموا، ثم يبقى هو في الخلف.

ولقد وُفّق في الانسحاب بجيش المسلمين بعد مقتل أخيه عبدالرحمن في بلنجر وحمى المسلمين من هزيمة كادت تأتي على كل الجيش، وأكمل الانسحاب تحت قيادته وسيطرته إلى جيلان وجرجان ليعيد المسلمين الكرة على العدو. فلله ما أبرعها من خطة رسمها سلمان الخيل.

لقد كان مثالًا للمجاهد الصادق المحتسب المجاهد لتكون كلمة اللَّه هي العليا لا يبالي على أيّ جنب كان في اللَّه مصرعا، وسقط البطل مضرجا في دمائه شهيدًا في سبيل الله.

❑ ويذكر التاريخ لبطلنا أنه:

- كان أول قاضٍ في العراق، قضى في القادسية والمدائن والكوفة.
- وأنه كان على القسمة في «**المدائن**» وباب الأبواب.
- ويذكر الآثار الجيدة في فتوح العراق (القادسية) وأرض الشام.
- يذكر له فتوحاته في (أذربيجان) و(إرمينية) وبلاد الخزر.
- يذكر له مسارعته في نجدة أهل الشام عندما أحدق بهم خطر الروم من الشمال.

فرضي اللَّه عن الفقيه المحدث، العابد الصوّام القوّام، القاضي العادل، الأمين النزية، الإداري الحازم، الفارس المغوار، البطل الشهيد، والقائد الفاتح سلمان بن ربيعة الباهلي(١).

---

(١) انظر قادة الفتح الإسلامي في أرمينية: ص ١٧٠ - ١٧٢ بتصرف.

(٤٢١) شهاب الحرب.. القائد الفاتح.. حبيب الروم
حبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرِيّ القرشي رضي الله عنه
فاتح شطر إرمينية وشِطر بلاد الروم

هو الصحابي أبو عبدالرحمن حبيب بن مَسْلمة بن مالك الأكبر بن وَهْب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك، أبو مسلمة، ويقال: أبو سلمة الفهريّ[١] قال البخاري له صحبة، وكذا قال الذهبي، وقال ابن معين: أهل الشام يثبتون صحبته، وأهل الشام يُنكرونها. والمثبت عند زيادة علم على النافي. قال ابن عساكر «**صحب النبي وروى عنه**». وكانوا لا يؤمرون إلا الصحابة.

روى ابن وهب عن مكحول، قال: سألت الفقهاء: هل كان لحبيب صحبة؟ فلم يعرفوا ذلك، فسألت قومه، فأخبروني أنه كان له صحبة[٢].

عن حبيب بن مسلمة الفهري أنه أتى النبي ﷺ وهو بالمدينة ليراه، فأدركه أبوه، فقال: يا رسول الله يدي ورجلي، فقال له: «**ارجع معه فإنه يوشك أن يهلك**»، فهلك في تلك السنة[٣] وفي رواية: أن حبيب بن مسلمة قدم على النبي ﷺ بالمدينة غازيًا، وأن أباه أدركه بالمدينة، فقال مسلمة للنبي ﷺ: يا نبي الله، إني ليس لي ولد غيره، يقوم في مالي وضيْعتي وعلى أهل بيتي، وأن رسول الله ﷺ ردّه معه، وقال: «**لعلك أن يخلو لك وجهك في عامِك، فارجع يا حبيب مع أبيك**» فرجع

(١) انظر أسد الغابة (٦٨٢/١) ت(١٠٦٨)، والإصابة (٢٢/٢) ت(١٦٠٥) وطبقات ابن سعد (٢٨٧/٧)، وطبقات خليفة ت(١٦٢)، (٢٨٣٠)، والاستيعاب ت(٤٨٨)، وتاريخ دمشق (٦٢/١٢) ت (١١٩٥)، وسير أعلام النبلاء (١٨٨/٣) ت(٣٧).

(٢) أسد الغابة (٦٨٢/١).

(٣) طبقات ابن سعد (٢٨٧/٧)، وتاريخ دمشق (٦٦/١٢).

فمات مسلمة في ذلك العام، وغزا حبيب فيه[١].

قال محمد بن عمر (الواقدي): «والذي عند أصحابنا في روايتنا أن رسول الله ﷺ، قُبِض ولحبيب بن مسلمة اثنتا عشر سنة، وأنه لم يغز معه شيئًا، وفي رواية غيرنا أنه قد غزا مع رسول الله ﷺ، وحفظ عنه أحاديث ورواها»[٢].

وفي رواية: أن النبي ﷺ قُبض وحبيب ابن اثنتين وعشرين[٣] وهي تتفق مع سير الحوادث، لأن حبيبًا لا يمكن أن يأتي النبي ﷺ للغزو وهو ابن عشر سنين، أو إحدى عشرة سنة، ولأنه لا يمكن أن يصرف أمور والده الإدارية في مثل هذه السن المبكرة ولأنه تولى قيادة كردوس في معركة اليرموك التي كانت في سنة ١٣هـ، ولا يمكن أن يتولى مثل هذه القيادة وهو ابن أربع عشرة سنة، لذلك فمن المعقول جدًّا أن يكون عمره حين قُبِض رسول الله ﷺ اثنتين وعشرين سنة.

والظاهر أنه أسلم عام الفتح وكان فتح مكة سنة ثمان الهجرية، فأتى النبي ﷺ في تلك السنة ليشارك في الجهاد تحت لوائه، ولكن النبي ﷺ ردّه، فمات أبوه، فحضر غزوة (تبوك) التي كانت سنة تسع الهجرية[٤].

وقال مصعب بن عبدالله الزبيري: كان شريفًا قد سمع من النبي ﷺ، يُقال له: حبيب الروم لكثرة دخوله عليهم. وقال الزبير بن بكار: كان يُقال له: «**حبيب الروم**» من كثرة دخوله عليهم وما ينال منهم من الفتوح.

وأمه: زينب بنت نافش بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: سنة اثنتين وأربعين توفى فيها حبيب بن مسلمة

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/٦٦).

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٢٨٧).

(٣) المحبر (٢٩٤).

(٤) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية ص (١٧٤).

الفهري[١] تُوفي وهو دون الخمسين سنة.

وقد نال حبيب رضي الله عنه شرف الصحبة والجهاد تحت راية رسول الله ﷺ.

- **جهاده:**

بعد وفاة رسول الله ﷺ خرج حبيب إلى الشام مجاهدًا في حياة أبي بكرن وشهد اليرموك أميرًا على بعض كراديسه، وعظم بلاؤه وظهرت بطولته وشجاعته في اليرموك وشهد أكثر معارك فتح أرض الشام.

وفي سنة ١٥هـ سار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية، وقد تحصّن بها كثير من الخلق من قِنَّسرين وغيرها، فلما فارقها لقيه جمع العدو فهزمهم وألجأهم إلى المدينة، وحاصرها من جميع نواحيها، ثم إنهم صالحوه على الجلاء أو الجزية فجلا بعض وأقام بعض فأمّنهم ثم نقضوا، فوجّه أبو عبيدة إليهم عياض بن غَنْم، وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الأول، وكانت أنطاكية عظيمة الذكر عند المسلمين، فلما فُتِحت كتب عمر إلى أبي عبيدة أنْ رتِّبْ بأنطاكية جماعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطة ولا تحسبن عنهم العطاء[٢].

وبعث أبو عبيدة جيشًا مع حبيب بن مسلمة إلى (قاصرين)[٣]، فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء، فجلا أكثرهم إلى بلد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج[٤]، ولم يكن الجسر يومئذ وإنما اتخذ في خلافة عثمان، واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية إلى الفرات.

واشترط مسلمة عليهم أن يخبِّروا المسلمين بخبر الروم.

وعاد أبو عبيدة إلى فلسطين، وكان بجبل اللكام مدينة يُقال لها: جُرجُرومة

(١) تاريخ دمشق (١٢/٨٠).

(٢) الكامل (٢/٣٤٢- ٣٤٣).

(٣) قاصرين: بلد كان بقرب بالس.

(٤) منبج: مدينة كبيرة بينها وبين حلب عشر فراسخ.

وأهلها يُقال لهم «**الجراجمة**»، فسار حبيب بن مسلمة إليها من أنطاكية فافتتحها صُلْحًا على أن يكونوا أعوانًا للمسلمين.

وسيّر أبو عبيدة جيشًا مع حبيب بن مسلمة إلى حصن «**الحدث**»(١) وإنما سُمِّي الحَدَث لأن المسلمين لقوا عليه غلامًا حدثًا فقاتلهم في أصحابه، وقيل: لأن المسلمين أصُيبوا به فقيل: درب الحدث، وكان بنو أمية يسمونه درب السلامة لهذا المعنى(٢)، ففتحه حبيب سنة ١٥هـ (٦٣٦م).

وفي سنة ١٧هـ أمدّ عمر بن الخطاب ﷺ عياض بن غَنْم بحبيب، فقدم على عياض في الجزيرة، وقاتل تحت لوائه، واستعمله عمر بن الخطاب على عجم الجريرة وحربها، والوليد بن عقبة على عربها(٣).

وسيّر عياض صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة على رأس عسكر إلى حران لحصرها وسار هو إلى الرها فلما انتصر على أهل الرها وصالحهم، عاد إلى حرّان فوجد صفوان وحبيبًا قد غلبا على حصون وقرى من أعمال حَرّان فصالحه أهلها على مثل صلح الرها(٤).

ولما فتح عياض سميساط بعث حبيب بن مسلمة إلى «**ملطية**» ففتحها عنوة، ثم نقض أهلها الصلح، فلما ولي معاوية الشام والجزيرة وجّه إليها حبيب بن مسلمة أيضًا ففتحها عنوة، ورتّب فيها جندًا مع المسلمين مع عاملها(٥).

وفي سنة ٢٢هـ لما بعث عمر سراقة بن عمرو ذا النور لفتح «**الباب**» أمدّه

---

(١) حصن الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، ويُقال لها الحمراء؛ لأن تربتها جميعًا حمراء، وقلعتها على جبل يُقال له: الأحيدب.

(٢) الكامل (٢/٣٤٤).

(٣) الكامل (٢/٣٧٨).

(٤) الكامل (٢/٣٧٨).

(٥) الكامل (٢/٣٨٠).

بحبيب بن مسلمة من الجزيرة، وجعل مكانه زياد بن حنظلة [١]، وشهد حبيب فتح «**باب الأبواب**»، وكان أحد الشهود الذين وقعّوا على وثيقة الصلح بين سراقة بن عمرو وملك «**باب الأبواب**» [٢].

ووجه سراقة إلى (تَفْلِيس) فلم يستطع حبيب فتحها في هذه المرة لأن قواته لم تكن كافية وكانت قليلة جدًّا بالنسبة إلى ضخامة قوات العدو.

❑ الفاتح: في خلافة عثمان

في سنة ٢٥هـ اضطربت الأمور في أرمينية، وكان على الوليد بن عقبة عاملًا على الكوفة فأتاه كتاب من أمير المؤمنين عثمان وهو بالحديثة فيه «أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين في جموع كثيرة، وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة فإذا أتاك كتابي هذا، فابعث إليهم رجلًا له نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام».

فقام الوليد في الناس وأعلمهم الحال، وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم، وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة فشنوا الغارات على أرض الروم فأصاب الناس ما شاؤوا من سبي وملأوا أيديهم من المغنم، وافتتحوا حصونًا كثيرة.

وقيل: إنّ الذي أمدّ حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص، والصواب أنه الوليد بن عقبة، لأن سعيدًا تولى الكوفة سنة ثلاثين الهجرية، والفتح جرى سنة خمس وعشرين الهجرية.

وكان سبب ذلك أنّ عثمان كتب إلى معاوية يأمره أنْ يغزي حبيب بن مسلمة

---

(١) الكامل (٢/٤٣٠).

(٢) الطبري (٣/٢٣٧).

في أهل الشام أرمينية فوجّهه إليها فأتى (قالقيلا) فحصرها وضيّق على مَنْ بها فطلبوا الأمان على الجلاء أو الجزية فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم، وأقام حبيب بها فيمن معه أشهرًا، وإنما سُمِّيت قاليقلا لأن امرأة بطريق أرميناقس كان اسمها قالى بنت هذه المدينة فسمّتها قالي قله تعني إحسان قالى، فعربتها العرب فقالت «قاليقلا».

وبلغ حبيب أن بطريق **«أرميناقس»** - وهي بلاد **«ملطية»** و(سيواس)[١] و(اقصرا) و(قونيّة)[٢]، وما والاها من البلاد إلى خليج القسطنطينية - واسمه **«الموريان»** قد توجّه نحوه في ثمانين ألفًا من الروم، والترك فكتب حبيب بذلك إلى معاوية يخبره، فكتب معاوية إلى عثمان، فأرسل عثمان إلى الوليد يأمره بإمداد حبيب، فأمده بسلمان.

وأجمع حبيب على تبييت الروم[٣] فسمعته امرأته أم عبداللّه بنت يزيد الكلبية فقالت: أين موعدك؟ فقال: سرادق الموريان أو الجنة.

ثم بيّتهم فقتل من وقف له، ثم أتى السرادق فوجد أمرأته قد سبقته إليه فكانت أول امرأة من العرب ضُرب عليها حجاب سرادق ومات عنها حبيب فخلفه عليها الضحاك بن قيس فهي أم ولده[٤].

● **ولنا وقفة:**

لَئِنْ كان النساءُ كما ذكرنا لفُضِّلَت النساء على الرجال

أمالكَ بالرجال أسوة؟ أتسبقك وأنت رجلٌ نِسوة؟

---

(١) سيواس: بلدة كبيرة تبعد عن القسطنطينية (٤٤٠) ميلا إلى شرق جنوبها الشرقي، وهي بلدة معروفة في تركيا.. انظر معجم البلدان (٢/٢٦٢).

(٢) قونية: من أكبر بلاد الروم، وهي قريبة من «سيواس» في تركيا.

(٣) أي الهجوم عليهم ليلا.

(٤) الكامل (٢/٤٧٨- ٤٧٩).

كذاك الفخرُ يا هِممَ الرجالِ تعاليْ فانظري كيف التعالي

هذي ثمار باسقات من حديث المجاهدات الصالحات.. فتعالى يا ابنة الإسلام والعرب فاقطفي الثمار الدانيات، ولا تستبدليها بثمار الحنظل والمُرِّ من شجر الغرب الكريه الريح والرائحة والثمار كثير الشوك.

يا دره حفظت بالأمس غالية واليوم يرجونها للهو واللعب

ولما انهزمت الروم عاد حبيب إلى قاليقلا، ثم سار منها فنزل (مربالا) فأتاه بطريق (خلاط)[1] بكتاب عياض بن غنم بأمانه فأجراه عليه وحمل إليه البطريق ما عليه من المال ونزل حبيب خلاط.

ثم سار منها فلقيه صاحب (مُكس) وهي من (البُسْفُرْجان)، فقاطعه على بلاده. ثم سار منها إلى (أزدَشاط) وهي القرية التي يكون فيها القرمذ الذي يُصبغ به فنزل على نهر دبيل وسرّح الخيول إلى (دبيل) فَحصرها فتحصن أهلها، فنصب عليهم منجنيقا فطلبوا الأمان فأجابهم إليه. وجالت خيوله فنزلت جرنى وبلغت أشوش وذات اللجم ووادي الأحرار وغلبت على جميع قرى دبيل.

ووجه سرية إلى (سِرَاج طيْر) و(بَغْرَوَنْد)، فصالحه بطريقها على أتاوة يؤديها وعلى مناصحة المسلمين وقِراهم ومعاونتهم على أعدائهم، وكان كتاب صلح دبيل:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم: هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها شاهدهم وغائبهم: إني أمّنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبيعكم وسور مدينتكم فأنتم آمنون الوفاء لكم بالعهد ما وفَّيتم وأديتم الجزية والخراج شهد الله، وكفى باللَّه شهيدًا» وختم حبيب بن مسلمة.

وقدم على حبيب بطريق (البُسْفُرَّجان)، فصالحه على جميع بلاده على خراج

---

(١) خِلاط: قصبة أرمينية الوسطى، فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة، وببردها في الشتاء يُضرب المثل.

يؤديه في كل سنه.

ثم أتى حبيب (النشوى) ففتحها على مثل صلح دبيل.

ثم أتى حبيب (السِيْسجان)، فحاربه أهلها فهزمهم وغلب على حصونهم، وصالح أهل القلاع بالسيسجان على خرج يؤدونه ثم سار إلى (جُرْزان) فلما انتهوا إلى «**ذات اللجم**»[١] سرّحوا بعض دوابهم وجمعوا لجمها، فخرج إليهم قوم من العلوج فأعجلوهم عن الألجام، ثم إنهم كروا عليهم فقتلوهم وارتجعوا ما أخذوا منهم فسُمِّي الموضع ذات اللجم.

وأتى حبيبًا رسوُل بطريق[٢] جرزان وأهلها وهو يريدها فأدّى إليه رسالتهم، وسأله كتاب صلح وأمان لهم فكتب حبيب إليهم: «**أما بعد، فإن نقلي رسولكم قدم عليّ وعلى الذين معي من المؤمنين فذكر عنكم أنا أمة أكرمنا اللَّه وفضّلنا، وكذلك فعل اللَّه وله الحمد كثيرا، وصلى اللَّه على محمد نبيه وخيرته من خلقه وعليه السلام، وذكرتم أنكم أحببتم سلمنا وقد قوّمت هديتكم وحسبتها من جزيتكم وكتبت لكم أمانًا واشترطت فيه شرطًا فإن قبلتموه ووفّيتم به وإلّا فأذنوا بحرب من اللَّه ورسوله والسلام على من اتبع الهدى**».

وسار إلى (تَفْليس)[٣] فصالحه أهلها وهي من جرزان وكتب لهم:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم: هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تفليس من منجليس من جرزان القرمز بالأمان على أنفسهم وبيعهم وصوامعهم وصلواتهم ودينهم على إقرار بالصغار والجزية على كل أهل بيت دينار، وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفًا للجزية، ولا لنا أن نفرق بينهم استكثارًا منها، ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء اللَّه ورسوله ﷺ ما استطعتم، وقري المسلم المحتاج

---

(١) ذات اللجم: موضع بأرض جُرزان من نواحي تفليس.

(٢) البِطْريق: القائد من قوّاد الروم، وهو أيضًا: رئيس رؤساء الأساقفة.

(٣) تَفْليس: بلد بأرمينية الأولى، وهي قصبة ناحية جُرزان قرب الباب.

ليلة بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب لنا، وإن انقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم أداؤه إلى أدنى فئة من المؤمنين إلا أن يُحال دونهم، وإن أنبتم وأقمتم الصلاة فإخواننا في الدين، وإلّا فالجزية عليكم، وإنْ عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهدكم، هذا لكم وهذا عليكم شهد اللَّه وملائكته وكفى باللَّه شهيدا».

وفتح حبيب عدة حصون ومدن تجاورها صلحا[1].

فتح حبيب حوارح وكسفربيس وكسال وخنان وسمسخي والجردمان وكستسجي وشوشت وبازليت صلحًا على حقن دماء أهلها وإقرار مصلياتهم وحيطانهم وعلى أن يؤدوا أتاوة عن أرضهم ورؤوسهم. وصالح أهل قلرجيت، وأهل ثريا ليت وخاخيط وخوخيط وإرطهال وباب اللات، وصالح الصنارية والدودانية على إتاوة[2].

وبعث حبيب سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أرّان ففتح (البَيْلقان) صلحًا على أن أَمَّنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم أداء الجزية والخراج، ثم أتى سلمان برذعة فعسكر على الثرثور وهو نهر منها على أقل من فرسخ فأغلق أهلها دونه أبوابًا فعاناها أيامًا وشن الغارات في قراها، وكانت زروعها مستحصدة فصالحوه على مثل صلح البيلقان، وفتحوا له أبوابها فدخلها وأقام بها، ووجّه خيله ففتحت شفشين والمسفوان، وأود والمصريان والهرحليان وتبار وهي رساتيق وفتح غيرها ووجه سرية إلى (شمكور) ففتحها، وسار إلى مجمع (الرس) و(الكُرّ) ففتح تلك المناطق وصالح صاحب «**شرْوان**» وسائر ملوك الجبال وأهل (مسقط) و(الشابران) ومدينة باب الأبواب، ولقيه خاقان في خيوله خلف نهر البلنجر فقُتِل ـ رحمه اللَّه ـ وكتب حبيب إلى عثمان بن عفان بالفتح فوافاه كتابه وقد نُعي إليه

---

(١) الكامل (٤٧٩/٢)، وفتوح البلدان ص (٢٠٢- ٢٠٥).
(٢) فتوح البلدان ص (٢٠٥).

سلمان جاءه بالنعي قرظة بن كعب فهمّ عثمان أن يوليه جميع أرمينية ثم رأى أن يجعله غازيًا بثغور الشام والجزيرة لغنائه فيما كان ينهض له، وعاد حبيب إلى الشام[(١)].

لله در حبيب فقد «كان ذا أثر جميل في فتوح الشام وغزو الروم، قد علم ذلك منه عمر ثم عثمان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ ثم من بعده»[(٢)]، ورضي اللَّه عن سلمان الخيل فقد كان خيرًا فاضلًا غَزّاء»[(٣)].

وما أجمل قول أهل الشام في ثنائهم على حبيب الروم، قال شريح بن الحارث:

ألاكلّ من يُدْعَى حبيبًا ولو بدت ... مروءته يَفْدِي حبيب بني فِهْر
همام يقود الخيل حتى كأنما ... يطأن برَضْرَاض[(٤)] الحصى جاحِمَ الجَمْرْ[(٥)]

ويُروى أيضًا:

شهاب يقود الخيل حتى يُزيرَها ... حيا المنايا لا يشيب على وتر
تهبطن فاستصعدن حتى كأنما ... يطأن برضراض الحصى جاحم الجمرْ[(٦)]

وفي سنة ٣٥هـ ولّاه معاوية «قِنّسرين»[(٧)]، ولكنه لم يكد يستقرّ في المدينة حتى بعثه معاوية على رأس جيش لنجدة الخليفة عثمان وفي هذا يقول حسّان بن ثابت.

إلا تُنيبوا لأمر اللَّه تعترفوا ... كتائبًا عُصَبًا من خلفِها عُصبُ[(٨)]

---

(١) فتوح البلدان ص (٢٠٦، ٢٠٧).
(٢) فتوح البلدان ص (٢٠٠).
(٣) المصدر السابق ص (٢٠١).
(٤) الرضراض: الحصى الصغار في مجاري المياه.
(٥) الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال. ـ انظر الاستيعاب (١/٣٢٠ـ ٣٢١).
(٦) تاريخ دمشق (١٢/).
(٧) قنسرين: مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص.
(٨) ديوان حسّان بن ثابت (١/١٢٠) تحقيق د. عرفات، وتاريخ دمشق (١٢/٧٣) والبيت الأول في تاريخ دمشق (١٢/٧٣). هكذا

أَلّا تبوؤا بحق الله تعترفوا ... بغارة غضب من خلفها غضب

فيهم (حبيب) شهاب الموت يقدمهم مُشمِّرًا قد بَدَا في وجهه الغضبُ

فلما بلغ وادي القرى بلغه مقتل عثمان بن عفان فرجع.

- **الإنسان:**

قال سعيد بن عبدالعزيز: استبان فضل حبيب بن مسلمة بالشام ولم يكن عمر يثبته حتى قدم عليه حاجا فلما رآه سلّم عليه، فقال عمر: إنك لفي قناة رجل، قال: إي واللَّه وفي سنانه، قال: افتحوا له الخزائن فليأخذ ما شاء. قال: فأعرض عن الأموال وأخذ السلاح[1].

قال سعيد بن عبدالعزيز: كان مجاب الدعوة[2].

وقال شريح بن الحارث: «**كان حبيب بن مسلمة فاضلًا مجاب الدعوة**»[3].

وعن سعيد بن عبدالعزيز قال: دخل الضحّاك بن قيس على حبيب بن مسلمة في مرضه الذي قُبض فيه فقال: ما كان بدء مرضك؟ قال: دخلت الحمام فأوتيت غفلة فجعلت على نفسي ألا أخرج منه حتى أذكر اللَّه ـ تَعَالَى ـ كذا وكذا مرة، فمرضت[4].

وعن ابن رغبان: أن حبيب بن مسلمة دخل العُلْيا بحمص فقال: وهذا من نعيم ما ينعم به أهل الدنيا ولو مكثت فيه ساعة لهلكت، ما أنا بخارج منه حتى أستغفر اللَّه ـ تَعَالَى ـ فيه ألف مرة، قال: فما فرغ حتى ألقي الماء على وجهه مرارًا. وأُري رجل في منامه رؤيا فقيل له: بشر حبيبًا حبيب اللَّه بالوصيفين[5].

- **القائد:**

ليس هناك شك في كفاية حبيب قائدًا متميزًا، فقد كان على صغر سنه ينتقل

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/٧٣).
(٢) الإصابة (٢/٢٢).
(٣) الاستيعاب (١/٣٢٠، ٣٢١).
(٤)، (٥) تاريخ دمشق (١٢/٧٩).

من ساحة عمليات إلى ساحة عمليات أخرى، فاتحا مرة، ومددا مرّة أخرى، وكان النصر حليفة في كل معركة خاضها.

وبدأ جهاده بغزوة تبوك وهو يناهز العشرين من عمره القصير.

وحين رآه عمر بن الخطاب صلب العود قوي البدن، جرّبه تجربة عملية ليرى أيّ نوع من الرجال هو فعرض عليه خزائن المال وخزائن السلاح، فاختار السلاح وعفّ عن المال.

وتفضيل السلاح على المال من مزايا القائد الذي يتغلغل حب الجنديّة في أعماق نفسه.

وقد تولى قيادة كردوس في معركة اليرموك الحاسمة وهو ابن أربع وعشرين سنة، مما يدلّ على ظهور سماته القيادية مبكّرا وهو في ريعان الشباب.

وولّاه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عجم الجزيرة إداريا وقائدًا وليس من السهل أن يولي عمر كل إنسان مثل هذا المنصب الرفيع، لأن عمر كان يلتزم بصفات معينة في القائد قلّ أن تتوفّر في الرجال.

وأخيرًا ولّاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إرمينية) و(أذربيجان) وهي مناطق شاسعة وقيادة مهمة للغاية، نظرًا لشدة شكيمة أهلها ولبعدها عن قواعد المسلمين الرئيسية والمتقدمة، وكان عمر حبيب حين تولى إرمينية وأذربيجان ثلاثًا وثلاثين سنة ومارس القيادة والإدارة معًا بعد عمر بن الخطاب حتى توفّاه اللّه وهو قائد أخطر منطقة في حدود الدوله الإسلامية الشمالية إرمينية.

ولقد كان شجاعًا غاية الشجاعة، مقدامًا غاية الإقدام: حدّث سعيد بن عبدالعزيز أن حبيب بن مسلمة لقي (الموريان) وحبيب في ستة آلاف والموريان في سبعين ألفًا، فقال حبيب: إن يصبروا تصبروا فأنتم أولى باللّه منهم، وإن يصبروا وتجزعوا فإن اللّه مع الصابرين، ولقيهم ليلا فقال: اللهم ابْدلنا قمرها واحبس عنا مطرها واحقن دماء أصحابي واكتبهم شهداء، ففتح اللّه ـ تَعَالَى ـ له. وتواعد

الجلندح العبسي وعتبة بن جحدم قبة الموريان فوُجدا قتيلين على بابها[١].

ففتح اللَّه له، فكان من أسباب انتصاره على عدوه بالإضافة إلى عامل الإيمان - الهجوم الليلي الذي باغت به العدو وجعل معنوياته تنهار ثم يولى الأدبار.

وكان مثالا شخصيًا حيًا لرجاله في الشجاعة والإقدام، لا يبقى في الصفوف الخلفية مؤثرا السلامة، وإنما يقود رجاله ويكون أمامهم.

وحين عزم أن يُبيِّت الموريان سمعته امرأته يذكر ذلك، فقالت له: «**وأين الموعد؟**» فقال: «**سرادق الموريان أو الجنة**». وبيّت حبيب عدّوه، وقتل من صادفه في طريقه، فلما أتى السرادق وجد امرأته قد سبقته إليه»[٢].

قال ابن أبي ذئب: بلغنا أن حبيب بن مسلمة غزا الروم فأخذوا رجلا فاتّهموه فأخبرهم أنه عين فقال: هذا ملك الروم في الناس، وراءهم الخيل، فقال لأصحابه: شيروا عليّ، فقال بعضهم: نرى أن تقيم حتى تلحق بك الناس - وكانوا منقطعين -، وقال بعضهم: نرى أن نرجع إلى نيترا ولا تقدم على هؤلاء، فإنه لا طاقة لنا بهم قال: أما أنا فأعطى اللَّه عهدا لا أخنس به لأخالطنّهم، فلما ارتفع النهار حمل وحمل أصحابه وانهزم العدو وأصابوا غنائم كثيرة[٣].

وكان يستشير رجاله ويتقبّل مشورتهم، وكان لا يستأثر بالرأي دونهم، بل كان يتصنّت ليتلقّف آراء رجاله ويطبّق ما يره حسنا، وينفّذ ما يجده صوابًا، بالإضافة إلى عقد مؤتمرات الشورى قبل المعارك وفي أثنائها وبعدها.

لما دنا منه الموريان الرومي فغشي عسكره وهم يتحدثون على نيرانهم وسمع قائلًا يقول لأصحابه: لو كنت ممَّن يسمع حبيب مشورته لأشرت عليه بأمرٍ يجعل اللَّه لنا وله نصرًا وفرجًا إن شاء الله. فاستمع حبيب لقولهن فقال أصحابه.

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/٧٤).

(٢) الطبري (٣/٣٠٩)، والبلاذري (٣٠٩).

(٣) تاريخ دمشق (١٢/٧٥).

وما مشورتك؟ قال: كنتُ مشيرًا عليه ينادي في الخيول فيقدمها ثم يرتحل بعسكره يتبع خيله فتوافيهم الخيل في جوف الليل، وينشب القتال ويأتيهم حبيب بسواء عسكره مع الفجر، فيظنون أن المدد قد جاءهم، فيرعبهم الله، فيهزمهم بالرعب. فانصرف ونادى في الخيول فوجّهها في ليلة مقمرة مطيرة فقال: اللهم خَلِّ لنا قمرها واحبس عنا مطرها، واحقن لي دماء أصحابي، واكتبهم عندك شهداء. قال سعيد بن عبدالعزيز: فحبس اللَّه ـ تَعَالَى ـ عنهم مطرها، وجلالهم قمرها ووافاهم من السحر[1].

فهو حين بعث خيوله ليلًا ثم سار على أثر الخيل مبتعدًا عن ساحة المعركة، ظنّ العدو أن قوات حبيب قد انسحبت بعيدًا عنهم، لذلك لجأوا إلى الراحة والاطمئنان واستمتعوا بالأمن والدعة. ولكنهم لم يكادوا يستقرون إلّا وفاجأهم حبيب بهجومه الليلي، قاتلت خيوله أولا، ثم دخلت قواته الأخرى المعركة كأنها مدد جديد، مما فتّ في عضد عدوّه، واضطره إلى الفرار. وتلك خطة عسكرية بارعة، تيسّر فيها مبدأ (المباغتة)، وهو أهم مبدأ من مبادئ الحرب على الإطلاق.

وكان حبيب صاحب كيد[2]: يفكرّ ويقدّر ثم يستشير رجاله ويستطلع ساحة القتال، ويحصل على المعلومات المستفيضة عن العدو، ثم يبني من بعد ذلك خطته العسكرية على هدى وبصيرة.

غزا حبيب الروم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان على جماعة من المسلمين فاهتمّ عمر بأمرهم، فلما بلغه خبر خروج حبيب ومَن معه، خرّ ساجدا[3] ومن الواضح أن جيش المسلمين يومذاك كان في خطر داهم، لذلك اهتمّ عمر بمصيرهم وأهمّه أمرهم.

(١) تاريخ دمشق (١٢/٧٤، ٧٥).
(٢) الطبري (٣/٣٠٩).
(٣) تاريخ دمشق (١٢/٧٤).

ولكن قيادة حبيب الواعية الحكيمة، أدت إلى خروج جيش المسلمين من المأزق الذي كان فيه ونجاته من الخطر الذي يُحدِق به.

إن أعمال حبيب العسكرية خطط مدبَّرة، ولم تكن خططا ارتجالية، لذلك رافق النصر أعلامه في أخطر ساحات القتال في الفتح.

وبالإضافة إلى هذا كان حبيب مؤمنًا حقًّا صادق الإيمان،

كان رضي الله عنه يستحب إذا لقي عدوا أو ناهض حصنًا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنه ناهض يومًا حصنًا، فانهزم الروم، فقالها المسلمون فانصدع الحصن.

وروي الطبراني عن ابن هبيرة، عن حبيب بن مسلمة الفهري ـ وكان مستجابا ـ أنه أُمِّر على جيش بدرب الدروب فلما لقي العدو قال للناس: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمِّن سائرهم إلاّ أجابهم الله ـ تَعَالَى ـ**»، ثم إنه حمد الله ـ تَعَالَى ـ وأثنى عليه وقال: اللهم احقن دماءنا، واجعل أجورنا أجور الشهداء. فبينا هم على ذلك إذْ نزل الهنبَاط ـ أمير العدو ـ وقد دخل على حبيب سرادقه، قال الطبراني: الهنباط بالرومية قائد الجيش(١).

وكان ذكيًّا المعيّ الذكاء، خبيرًا بالحروب لطول ممارسته لها، يطبِّق أكثر مبادئ الحروب أهمية، وكان صحيح القرار سريعه، يثق برجاله ويثقون به، وكان ذا شخصية قوية نافذة، وقابلية بدنية متفوقة، وكان كالمشرف من دابّة لطوله.

لقد كان حبيب قائدا فذًّا جمع مزايا القائد الفذّ: الطبع الموهوب، والعلم المكتسب، والتجربة العملية.

- **حبيب في التاريخ:**

فتح حبيب المناطق التي يسكنها غير العرب من الجزيرة، وقد كانت (الجزيرة)

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/٧٧).

تُسكن من العرب ومن غيرهم قبل الفتح الإسلامي، و لا تزال كذلك حتى اليوم.

وفتح معظم (أرمينية) واستعاد فتحها أكثر من مرة حتى بلغ قريبًا من ساحل البحر الأسود.

وهذه الفتوح لسرعة إنجازها، وسعة رقعتها، وقلة تكاليفها المادية والمعنوية، تُعتَبر من الأعمال العسكرية الباهرة.

إن حبيب بن مسلمة، أسدى للفتح الإسلامي ـ قائدًا وإداريًّا ـ خدمات لا تُنسى، فهو بدون شك من ألمع قادة العرب والمسلمين، ومن ألمع إداريّيهم أيضًا.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصحابي الجليل، الإداريّ الحازم، السياسي المحنّك، القائد الفاتح، حبيب بن مسلمة الفهري[١].

* * *

---

(١) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية ص (١٨٨ـ ١٩٢) بتصرف.

قادة فتح أرمينية

م	القائد الفاتح	البلاد المفتوحة	الإقليم	التاريخ هـ	التاريخ م	الخليفة
١	عياض بن غنم الفِهري	١- بَدْلِيس. ٢- خِلاط. ٣- العين الحامضة	أرمينية الرابعة.	١٧	٦٣٨	عمر بن الخطاب
٢	عثمان بن أبي العاص الثقفي	إرمينية الرابعة.	إرمينية الرابعة.	١٩	٦٤٠	عمر بن الخطاب
٣	سراقة بن عمرو	باب الأبواب	إرمينية الأولى	٢٢	٦٤٢	عمر بن الخطاب
٤	سلمان بن ربيعة الباهلي	١- البَيْلَقان. ٢- بَرْذَعة. ٣- ولاية أرّان. ٤- شمكور. ٥- مجمع نهري الرسّ والكرّ. ٦- شروان. ٧- مَسقط. ٨- الشَّابِران.	إرمينية الأولى	٢٥	٦٤٥	عثمان بن عفان
٥	حبيب بن مسلمة الفهري	١- شِمْشاط. ٢- قاليِقَلا. ٣- مِربالا. ٤- فُكس. ٥- أزجيش. ٦- باجنيْش. ٧- أرْدَشاط. ٨- دَبِيل. ٩- النَّشْوَى. ١٠- البُسْفَرْجان. ١١- جُرزان. ١٢- تفليس.	أرمينية الرابعة أرمينية الرابعة أرمينية الرابعة أرمينية الرابعة أرمينية الرابعة أرمينية الرابعة أرمينية الثالثة أرمينية الثالثة أرمينية الثالثة أرمينية الثالثة أرمينية الثانية. أرمينية الأولى.	١٩ ١٩ ١٩ ١٩ ١٩ ١٩ ٢٥ ٢٥ ٢٥ ٢٥ ٢٥ ٢٥	٦٤٠ ٦٤٥	عمر بن الخطاب عثمان بن عفان عثمان بن عفان عثمان بن عفان



(٤٢٢) الصحابي البطل قائد الميسرة في القادسية أبو يزيد شُرَحبيل بن السَّمْط الكِنْدِيّ رضي الله عنه

هو الصحابي أبو يزيد، ويُقال أبو السَّمْط شُرحبيل بن السمط بن شرحبيل بن الأسود بن جَبَلة بن عَدِيّ بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع ابن كنده الكِندي رضي الله عنه.

قال محمد بن سعد في الطبقة الرابعة: شرحبيل بن السّمط بن الأسود بن جبلة ابن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين جاهلي إسلامي، وفد إلى النبي ﷺ وأسلم، وقد شهد القادسية وولي حمص، وهو الذي افتتحها وقسّمها منازل(١).

والده هو السمط بن الأسود الكندي خرج في جماعة من المسلمين قبل فتح حمص ولقوا جمعا من الروم بين بيت لهيا والثنية فولّى الروم منهزمين نحو حمص على طريق قارا وأتبعوهم حتى وافوا حمص فألفوهم قد عدلوا عنها ورآهم الحمصيون وكانوا منخوبين لهرب هرقل عنهم وما كان يبلغهم من قوة كيد المسلمين وبأسهم وظفرهم فأعطوا بأيديهم وهتفوا بطلب الأمان، فأمّنهم المسلمون وكفّوا أيديهم عنهم فأخرجوا إليهم العلف والطعام وأقاموا على الأرند ـ وهو النهر الذي يأتي أنطاكية ثم يصب في البحر بساحلها ـ وكان على المسلمين السمط بن الأسود الكندي، فلما فرغ أبو عبيدة من أمر دمشق قدم حمص وصالحه أهلها.

وذكر بعض الرواة أن السمط بن الأسود الكندي كان صالح أهل حمص، فلما قدم أبو عبيدة أمضى صلحه، وأن السمط قسم حمص خططا بين المسلمين حتى نزلوها، وأسكنهم في كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة(٢).

---

(١) تاريخ دمشق (٢٢/٤٥٧، ٤٥٨). انظر ترجمته في أسد الغابة (٢/) ت ( ) والإصابة (٣/) ت ( ) وتاريخ دمشق (٢٢/٤٥٥) ت (٢٧٢٨)، وطبقات ابن سعد (٧/٣٠٩) ت (٣٨٢٦).

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص (١٣٦- ١٣٧).

وفي الكامل في أحداث سنة ١٥هـ أنه (لما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار إلى حلب، فبلغه أن أهل قنسرين نقضوا وغدروا فوجّه إليهم السمط الكندي فحصرهم وفتحها وأصاب فيها بقرًا وغنمًا، فقسم بعضه في جيشه، وجعل بقيته في المغنم)[١].

هذا ما كان من شأن الأب البطل، أما الابن فهو شرحبيل بن السمط.

قال البخاري: له صحبة، وتبعة أبو أحمد الحاكم. وأما ابن السّكن فقال: زعم البخاري أن له صحبة، ثم قال: يقال إنه وفد على رسول اللَّه ﷺ، ثم شهد القادسية، ثم نزل حمص فقسمها منازل.

وذكره البغوي وابن حبان في الصحابة ثم أعاده في التابعين.

ومما يقوى أن له صحبة أنه كان على الميسرة في القادسية وكانوا لا يُؤمِّرون إلا الصحابة.

● **جهاده:**

ثبت شرحبيل ووالده وابنه على الإسلام حين ارتدت كنده.. وكان له نكاية في جهاد المرتدين.

لما طابقت معاوية كلها على منح الصّدقة وأجمعوا على الردّة إلا ما كان من شرحبيل بن السمط وابنه، قاما في معاوية فقالا: واللَّه إن هذا القبيح بأقوام أحراز التنقّل، وإن الكرام ليكونون على الشبهة فيتكرّمون أن ينتقلوا عنها إلى أوضح منها مخافة العار، فكيف بالرجوع عن الجميل، وعن الحق إلى القبيح والباطل، اللهم إنا لا نمالئ قومنا على هذا، وإنّا لنادمون على مجامعتهم إلى يومنا هذا. وخرج شرحبيل والسّمط حتى أتيا زياد بن لبيد فانضما إليه.

قال سيف: واستعمل - يعني سعد بن أبي وقاص - على الميسرة يوم القادسية

---

(١) الكامل (٢/٣٤٢).

شرحبيل بن السمط بن شُرحبيلِ الكِنْدي، وكان غلامًا شابًّا، كان قد قاتل أهل الردة، ووفّى لله فعُرف له ذلك، وكان أبوه ممن تقدم إلى الشام مع أبي عبيدة.

وقال الشعبي: كان شُرحبيل بن السمط قد أراد أن يتبع أباه السمط، وكان السَّمْط ممن شهد اليرموك فلما ندب عمر كِنْدة إلى العراق وأَتَوْا إلى الشام انتدب فعجله عمر إلى سعد وأوصى سعدًا به في كتابه، وكان شُرحبيل رجلًا فنزع حين قدم على سعد فدفعه، فارتفع حتى غلب الأشعث على شرف كندة، وولي عليه في ذلك المسير، فكان شُرَحبيل من فرسان أهل القادسية المعلومين[1].

وفي الكامل في أحداث سنة ١٤هـ في المسير إلى القادسية: «جعل سعد على الرايات رجالًا من أهل السابقة، ووليّ الحروب رجالًا على ساقتها، ومقدمتها، ورجلها، وطلائعها، ومجنباتها، ولم يفصل إلا بكتاب عمر، فجعل على المقدمة زهرة بن عبدالله بن قتادة بن الحوّية فانتهى إلى العذيب ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وجعل على الميمنة عبدالله بن المعتم ـ وكان من الصحابة أيضًا ـ واستعمل على الميسرة شرحبيل بن السمط الكندي، وكان غلامًا شابًّا وكان قد قاتل أهل الردة[2]. وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢/٤٥٩): أن شرحبيل قدم مصر لغزو المغرب».

قال خليفة بن خياط في تسمية عُمال معاوية على حمص: شرحبيل بن السمط نحو من عشرين سنة[3]. ولما مات بحمص ﷺ حبيب بن مسلمة الفهري.

قال عبدالله بن يحيى الهوزني: حضرت مع حبيب بن مسلمة جنازة شرحبيل ابن السمط وهو الذي قسم حمص القِسمة الآخرة، أو قال الثانية في زمن عثمان، فتقدم حبيب بن مسلمة الفهري فأقبل علينا حبيب بوجهه كالمشرف على دابّة

---

(١) تاريخ دمشق (٢٢/٤٦٠).

(٢) الكامل (٢/٣٠١).

(٣) تهذيب التهذيب (٢/٤٨٩)، وتاريخ دمشق (٢٢/٤٦١).

لطوله يقول: صَلّوا على أخيكم واجتهدوا له في الدعاء وليكن من دعائكم له: «**اللهم اغفر لهذه النفس الحنيفة المسلمة واجعلها من الذين تابوا واتبعوا سبيلك وقِها عذاب الجحيم، واستنصروا اللَّه على عدوكم**»[1]. فرضي اللَّه عن الصحابي القائد البطل شرحبيل بن السمط الكندي.

* * *

(١) ابن سعد (٣٠٩/٧).

قادة فتح الشام

١ـ أسامة بن زيد بن حارثة[١].

٢ـ أبو عبيدة بن الجرّاح[٢].

٣ـ خالد بن الوليد المخزومي[٣].

٤ـ عكرمة بن أبي جهل المخزومي قائد فتح سورية.

٥ـ يزيد بن أبي سفيان الأموي قائد فتح لبنان.

٦ـ سفيان بن مجيب الأزدي (فتح لبنان).

٧ـ شرحبيل بن حسنة الكندي (قائد فتح الأردن).

٨ـ عمرو بن العاص السهمي[٤] (قائد فتح فلسطين).

٩ـ أبو أمامة الباهلي (فتح فلسطين).

١٠ـ أبو الأعور السلمي (فتح فلسطين).

١١ـ معاوية بن أبي سفيان الأموي (فتح فلسطين).

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) سبقت الترجمة له.

(٣) سبقت الترجمة له.

(٤) سبقت الترجمة له.



(٤٢٣) القائد الشريف، الرئيس الشهيد قائد أحد الكراديس في اليرموك أبو عثمان القرشي المخزومي المكي عِكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه

هو الصحابي أبو عثمان عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرَّة بن كعب بن لؤي.

أبوه أبو الحكم عمرو بن هشام رأس الكفر والعداوة لله ولرسوله والمؤمنين. كنّاه رسول اللّه والمسلمون أبا جهل، فبقي عليه ونُسي اسمه وكنيته لعنه الله.

وأمه أم مجالد إحدى نساء بني هلال بن عامر.

كان عكرمة شديد العداوة لرسول اللّه في الجاهلية، ومن أشبه أباه فما ظلم، وكان فارسًا مشهورا حارب الرسول في بدر وأحد والخندق. وكان فارسًا مشهورًا.

وكان عكرمة ممن جمع ناسًا بالخندمة[١] ليقاتلوا المسلمين وليصدوهم عن فتح مكة، ولكن خالد بن الوليد قضى على مقاومتهم بسرعة خاطفة، ففرّ عكرمة إلى اليمن، لأنه كان من النفر الذين أباح رسول اللّه ﷺ دماءهم[٢].

- **إسلامه:**

أسلم بعد فتح مكة بقليل.

لما فتح رسول اللّه ﷺ مكة هرب منها ولحق باليمن، وكان رسول اللّه ﷺ لمّا سار إلى مكة أمر بقتل عكرمة ونفر معه. نفر إلى اليمن «فركب البحر فأصابهم

---

(١) الخندمة: اسم جبل بمكة.

(٢) أسد الغابة (٤/٦٧) ت (٣٧٤١)، والإصابة (٤/٤٤٣) ت (٥٦٥٤).

عاصف، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا ها هنا. فقال عكرمة: إن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره. اللهم لك عليّ عهد إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده، فلأجدنّه عفوًّا كريمًا. ثم جاء فأسلم.

وقيل: إن زوجته أم حكيم بنت عمه الحارث بن هشام، سارت إليه وهو باليمن بأمان رسول اللَّه ﷺ وكانت أسلمت قبله يوم الفتح، فردّته إلى رسول اللَّه ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه.

وكان من صالحي المسلمين. واستعمله رسول اللَّه ﷺ على صدقات هوازن عام حج[١] فكان موضع ثقة النبي ﷺ.

قال ابن أبي مليكة: كان عكرمة إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نجّاني يوم بدر[٢] قال ابن كثير: يُقال: أنه لا يُعرَف له ذنب بعدما أسلم[٣].

❑ جهاده:

قال الشافعي كان عكرمة محمود البلاء في الإسلام[٤] عقد أبو بكر الصديق أحد عشر لواء لقتال المرتدين منها لواء لعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة[٥].

أرسل الصديق عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مسيلمة، وأتبعه شرحبيل بن حسنة، فعجل عكرمة ليذهب بصوتها، فواقعهم فنكبوه وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر، وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالخبر، فكتب إليه أبو بكر «لا أرينَّك ولا تراني، لا ترجع فتوُهِن الناس، امض إلى حذيفة، وعرفجة فقاتل أهل عمان

---

(١) أسد الغابة (٤/٦٨).
(٢) السير (١/٣٢٣).
(٣) البداية والنهاية (٩/٦١١).
(٤) البداية والنهاية (٩/٦١١).
(٥) الكامل (٢/٢٠٨).

ومهرة، ثم تسير أنت وجندك تستبرئون الناس حتى تلقى المهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت[١] ولحق عكرمة حذيفة بن محصن الغلفاني، وعرفجة البارقي، قبَل عمان. فلما وصلوا رجاما ـ وهي قريب من عمان ـ كاتبوا جيفرا و عبادا، وجمع ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي كبير المرتدين جموعه، وعسكر بدبا، وخرج جيفر وعباد وعسكرا بصحار[٢]، وأرسلا إلى حذيفة وعكرمة وعرفجة في القدوم عليهما، فقدموا عليهما، ثم التقوا على دَبَا فاقتتلوا قتالا شديدًا، واستعلى لقيط، ورأى المسلمون الخلل، ورأى المشركون الظفر، فبينما هم كذلك جاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية وعليهم الخريت بن راشد، ومن عبدالقيس، وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم فقوّى اللّه المسلمين بهم ووهن بهم أهل الشرك، فولّى المشركون الأدبار، فقُتِل منهم في المعركة عشرة آلاف، وركبوهم حتى أثخنوا فيهم، وسبوا الدراري، وقسّموا الأموال وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفجة، وأقام حذيفة بعمان حتى يوطئ الأمور ويسكن الناس.

وسار عكرمة إلى مهرة لما فرغ من عمان ومعه من استنصر من ناجية، وعبد القيس، وراسب وسعد، فاقتحم عليهم بلادهم، فوافق بها جمعينْ من مهرة أحدهما مع سخريت[٣] رجل منهم، والثاني مع المصبح أحد بني محارب ومعظم الناس معه، وكانا مختلفينْ، فكاتب عكرمة سخريتا فأجابه وأسلم، وكاتب المصبح يدعوه فلم يجب؛ فقاتله قتالا شديدًا أشد من قتال دَبَا فانهزم المرتدون وقُتِل رئيسهم، وركبهم المسلمون فقتلوا من شاؤوا منهم وأصابوا من شاؤوا من الغنائم، وبعث الأخماس إلى أبي بكر مع سخريت وازداد عكرمة وجنده قوة بالظهر والمتاع، وأقام عكرمة حتى اجتمع الناس على الذي يحب وبايعوا على الإسلام[٤].

---

(١) الكامل (٢/٢١٩).

(٢) صحار: هضبة عمان مما يلي الجبل، وكانت مدنية.

(٣) في الطبري: شخريت. وفي الإصابة شحريب.

(٤) الكامل (٢/٢٢٩ـ ٢٣٠).

وسار عكرمة من «مَهْرَة» إلى اليمن ومعه بشر كثير فأعاد النخع وحمير إلى الإسلام.

وسار عكرمة إلى (حضرموت) كما سار إليها المهاجر حتى اقتحماها، ثم سارا إلى كندة، فاستخلف المهاجر على الجند عكرمة، وتعجّل في سرعان الناس، فلما قدم عكرمة وجد المسلمين قد حاصروا كندة فاشتد الحصر على كندة، وتفرّقت السرايا في طلبهم، حتى استسلمت كِندة[١].

وعادت كندة وحضرموت إلى رحاب الإسلام. قال ابن الأثير عن عكرمة: «وله في قتال الردة أثر عظيم»[٢]، لقد بذل عكرمة في عمان ومهرة واليمن وحضرموت وكِندة جهودًا مُشَرَّفة كان من آثارها توطيد أركان الإسلام في هذه المناطق وإعادة وحدتها.

- عكرمة البطل في أرض الشام:

لما فرغ عكرمة من قتال أهل الردة سار إلى الشام مجاهدًا أيام أبي بكر مع جيوش المسلمين فلما عسكروا بالجُرْف على ميلينْ من المدينة، خرج أبو بكر يطوف في معسكرهم، فبصر بخباء عظيم حوله ثمانية أفراس ورماح وعده ظاهرة فانتهى إليه، فإذا بالخباء عكرمة، فسلّم عليه أبو بكر، وجزاه خيرًا، وعرض عليه المعونة، فقال: لا حاجة لي فيها، معي ألفا دينار. فدعا له بخير، فسار إلى الشام»[٣].

وخرج عكرمة غازيًا لأرض الشام فيمن كان معه من تهامة، وعمان، والبحرين، والسرو[٤].

ولما نُكب خالد بن سعيد بمرج الصفر وانهزم ووصل في هزيمته إلى ذي المروة

---

(١) الطبري (٢/٥٤٦).
(٢) أسد الغابة (٤/٦٩).
(٣) أسد الغابة (٤/٦٩).
(٤) الكامل (٢/٢٥٢- ٢٥٣).

قريب المدينة، فأمره أبو بكر بالمقام بها، بقي عكرمة في الناس ردءًا يمنع من يطلبهم[١].

- **يوم اليرموك يوم عكرمة البطل الذي يُبايع على الموت:**

لما اجتمعت جحافل الشرك باليرموك، واستعد المسلمون للقتال كان عكرمة رضي الله عنه على كردوس من الكراديس ومعه ستة آلاف رجل[٢] فأمر خالد عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو - وكانا على مجنّبتي القلب - فأنشبا القتال[٣]، فبدرا يرتجزان وَدَعَوَا إلى البراز، وتنازل الأبطال، وتجاولوا وحَمِيَ الحرب، وقامت على ساق، فلم يُر يوم مثل يوم اليرموك أكثر قَحْفًا[٤] ساقطًا، ومعصما نادرا[٥]، وكفًّا طائرة، وحمى الوطيس، واشتد القتال، وهنا تبرز شجاعة البطل المشتاق للشهادة وغفران الذنوب، السبّاق إلى الجنان.

«**قال عكرمة يومئذ - يعني يوم اليرموك:** قاتلتُ رسول اللّه ﷺ في كل مَوْطن، وأفرّ منكم اليوم. ثم نادى: مَن يبايعني على الموت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربع مئة وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدّام فسطاط خالد حتى اثبتوا جميعًا جراحة وقُتِلوا إلا ضرار بن الأزور.

قال الزهري: إن عكرمة بن أبي جهل يومئذ كان أعظم الناس بلاءً، وأنه كان يركب الأسنة حتى جرحت صدره ووجهه، فقيل له: اتق الله، وارفُق بنفسك.

فقال: كنت أجاهد بنفسي عن اللات والعزّى، فابذلها لهان أفأستبقيها الآن عن اللّه ورسوله! لا واللّه أبدا. قالوا: فلم يزدد إلا إقدامًا حتى قُتِل رحمه اللّه

---

(١) الكامل (٢/٢٥٤).

(٢) الكامل (٢/٢٦٠)، والبداية والنهاية (٩/٥٥٧- ٥٥٨).

(٣) الطبري (٢/٥٩٢).

(٤) القحف: ما انفلق من الجمجمة فبان.

(٥) نادرًا: ساقطا.

تَعَالَى[(١)].

أتى خالد بعكرمة بن أبي جهل جريحًا فوضع رأسه على فخذه، وبعمرو بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه، ومسح وجوههما، وقطر في حلوقهما الماء، وقال: زعم ابن حنتمة - يعني عمر - أنا لا نُستشهد»[(٢)].

قال أبو إسحاق السَّبيعيّ: نزل عكرمة يوم اليرموك، فقاتل قتالًا شديدًا، ثم استُشهد، فوجدوا به بضعًا وسبعين من طعنة ورمية وضربة[(٣)].

هكذا يُحسن الأبطال صناعة الموت، وهكذا يكون موت الرجال، فلا نامت أعين الجبناء.. هكذا يكون الشوق إلى الجنان.. وهكذا يتغلغل حب الشهادة في نفس التوّاق إلى الجنة فيبايع على الموت، وينيل موقفه وصنعه في يوم تندر فيه الرؤوس.

«ذكر الطبري أنه قُتل بأجنادين، وكذا قال الجمهور، حتى قال الواقدي: لا اختلاف بين أصحابنا في ذلك. وقال ابن إسحاق، والزبير بن بكار: قُتِل يوم اليرموك. وقيل قتل يوم مرج الصفر[(٤)]

❑ **تنبيه:**

ورد حديثان في فضل ومناقب عكرمة وهما لا يصحان مع ما لعكرمة مآثر وفضائل ومناقب.

الأول: عن عكرمة أن النبي ﷺ، قال له: مرحبًا بالراكب المهاجر، قال: فقلتُ يا رسول الله! والله لا أدع نفقة أنفقتها عليك، إلا أنفقت مثلها في سبيل الله[(٥)].

---

(١) أسد الغابة (٦٩/٤).

(٢) الكامل (٢٦١/٢). أنا لا نستشهد: يعني بني مخزوم، وكان منهم خالد، وكان لعكرمة رئاسة بني مخزوم بعد قتل أبيه أبي جهل.

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٢٤/١).

(٤) الإصابة (٤٤٣/٤).

(٥) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٧٣٦) في الاستئذان، باب: ما جاء في مرحبا، وقال: ليس إسناده بصحيح. وموسى بن مسعود ضعيف، والحاكم (٢٤٢/٣) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: منقطع.

والثاني: عن أم سلمة زوج رسول اللَّه ﷺ قالت: قال رسول اللَّه «**رأيت لأبي جهل عِذْقًا في الجنة**» فلما أسلم عكرمة بن أبي جهل قال: يا أم سلمة، هذا هو»[١].

● **القائد:**

كان عكرمة فارسًا مشهورًا[٢] شجاعًا مقدامًا، أثبت شجاعته وإقدامه في كل معركة خاضها، كما كان قائدًا مجربًا حيث قاد كثيرًا من المعارك في الجاهلية والإسلام.

والظاهر أنه لم يكن قائدًا ناجحًا في معاركه الأولى، إذ لم يُظهر أي أثر بارز لقيادته في الجاهلية وفي حروب أهل الردّة ضد مسيلمة؛ ولكنه برز قائدًا لامعًا بعد فشله في معركته ضد بني حنيفة، إذ كان له أثر أي أثر في حروب أهل الردة الأخرى: في عُمان ومهرة واليمن وحضرموت وكندة، وفي أرض الشام أيضًا حين أصبح ردءًا للمسلمين، وفي معركة اليرموك الحاسمة بالذات.

ولست ألوم عكرمة في تسرعه لقتال أصحاب مسيلمة مما أدى إلى فشله، إذ أن تسرعه هذا كان من جراء حرصه الشديد على القضاء على فتنة مسيلمة بسرعة قبل أن يستفحل أمرها ويستشري خطرها؛ ومع ذلك فإن فشل عكرمة هذا أفاد المسلمين، إذ أدّى إلى استهانة مسيلمة بالمسلمين وأدى إلى غروره واعتقاده بأنه لا يغلب!! وهذا سهّل مهمة خالد بن الوليد في تحطيم بني حنيفة فيما بعد!! لأن الغرور ركبهم فلم يعدوا كافة متطلبات القتال.

لقد كان قائدًا عقائديًا يقاتل من أجل مبدأ يؤمن به، وكان في كل معاركه قائدًا: إذا لم يؤمّره مرجعه الأعلى أمّر هو نفسه بأفعاله المشرفة من شجاعة وإقدام

---

(١) ضعيف: أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٢٤٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي وقال: لا فيه ضعيفان. وأورده المتقى الهندي في كنز العمال رقم (٣٣٦٢١)، (٣٧٤٢٠).

(٢) الاستيعاب (٣/١٠٨٢).

وتضحية بالمال والنفس.

إنه كان قائدًا له قابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح، ذا إرادة قوية ثابتة وشخصية نافذة قوية وكان قائدًا تعرضيًا سريع الحركة والتنقل، وبذلك يباغت عدوه بالمكان والزمان.

❑ عكرمة في التاريخ:

- يذكر التاريخ لعكرمة جهاده المشرف في حروب أهل الردة خاصة في عمان ومهرة واليمن وحضرموت وكندة.
- ويذكر له موقفه الحازم في حماية انسحاب المسلمين بعد اندحارهم أمام الروم في معركة (مرج الصُفر)، مما حرم الروم من مطاردة المسلمين وتكبيدهم خسائر فادحة بالأرواح.
- ويذكر له بذله ماله وروحه في سبيل عقيدته، وكأنه بذلك أراد أن يكفّر عن ذنوبه الماضية على الرغم من أن الإسلام يَجُبّ ما قبله.
- إن صرخته في أحرج ساعات (اليرموك): «**من يبايعني على الموت**» وتضحيته وتضحية أكثر رجاله بأرواحهم لإحراز النصر، كان له أكبر الأثر في انتصار المسلمين على الروم في معركة (اليرموك) الحاسمة، تلك المعركة التي فتحت أبواب أرض الشام للفاتحين من العرب المسلمين.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ المجاهد الصادق، الصحابي الجليل، القائد الشهيد عكرمة بن أبي جهل المخزومي[1].

* * *

(١) قادة فتح الشام ومصر ص (٩٤، ٩٥).

(٤٢٤) القائد الفاتح الشهيد يزيد الخير يزيد بن أبي سفيان الأموي رضي الله عنه قائد أحد جيوش الشام، وقائد الميسرة في معركة اليرموك وفاتح لبنان[١].

هو الصحابي الجليل أبو خالد يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أخو معاوية لأبيه، وهو أخو أم المؤمنين حبيبة، ويُقال له: يزيد الخير.

وأمه: أم الحكم، زينب بنت نوفل بن خلف من بني حلّاس، ثم من بني كنانة.

وأخواه لأمه: عمرو بن أمية، وكثنة بنت أمية بن أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس.

وكان أفضل بني أبي سفيان. وكان من فضلاء الصحابة.

- **إسلامه:**

أسلم يزيد يوم فتح مكة، وشهد مع رسول اللَّه ﷺ حُنَينا، وأعطاه رسول اللَّه ﷺ من غنائم حُنين مئة من الإبل، وأربعين أوقيّة فضة ولم يزل يُذكر بخير، واستعمله النبي ﷺ على صدقات بني فراس، وكانوا أخواله. استعمله رسول اللَّه ﷺ على (تيْماء)[٢]، وكان أحد من كتب للنبي ﷺ[٣].

---

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢٨٤/٧) ت (٣٧١٧)، وأسد الغابة (٤٥٦/٥) ت (٥٥٥٧)، وتاريخ دمشق (٢٣٩/٦٥) ت (٨٢٩٢)، والإصابة (١٥٦/٦) ت (٩٢٨٥)، والسير (٣٩٨/١).

(٢) تيماء: بُليدة في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق. انظر حول تولية يزيد تيماء ص (٢٣) من جوامع السيرة لابن حزم.

(٣) جوامع السيرة لابن حزم ص (٢٦)، والسيرة الحلبية (٣٦٤/٣).

- **جهاده:**

كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من العقلاء الألبّاء، والشجعان المذكورين، شهد حنينًا، وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر، ومشى معه تحت ركابه يسايره، ويودِّعه، ويوصيه، وما ذاك إلا لشرفه وكمال دينه(١).

قال مصعب بن عبدالله : ولّاه أبو بكر الصديق رُبع أجناد الشام، ولما عزل أبو بكر خالد بن سعيد بن العاص، وليّ يزيد بن أبي سفيان جنده، ودفع لواءه إلى يزيد.

عقد له أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع أمراء الجيوش إلى الشام وقال: «إن اجتمعتم في كيد فيزيد على الناس، وإن تفرّقتم فمن كانت الوقعة ممّا يلي عسكره فهو على أصحابه، وشيّعه أبو بكر الصديق راجلا وقال: إني أحتسب خُطاي هذه في سبيل اللَّه وجعل أبو بكر يوصيه(٢).

قال له: يا يزيد، إنك شاب، تُذكر بخير، قد رُئِيَ منك، وذلك شيء خلوت به في نفسك، وقد أردت أن أبلوك وأستخرجك من أهلك، فانظر كيف أنت وكيف ولايتك، وأخبرك: فإن أحسنت زدتك، وإن أسأت عزلتك، وقد وليتك عمل خالد ابن سعيد، ثم أوصاه بما يعمل به في وجهه، وقال له: أوصيك بأبي عبيدة بن الجراح خيرا، فقد عرفت مكانه من الإسلام، وإن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»، فاعرف له فضله وسابقته، وانظر إلى معاذ بن جبل فقد عرفت مشاهده مع رسول اللَّه ﷺ، وإن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يأتي أمام العلماء يوم القيامة برتوة**» فلا تقطع أمرًا دونهما، فإنهما لن يألواك خيرًا، فقال يزيد: يا خليفة رسول اللَّه أوصهما بي كما أوصيتني بهما، فأنا إليهما أحوج منهما إليّ، قال أبو بكر: لن أدع أن أوصيهما بك، فقال يزيد: يرحمك الله،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٢٩).
(٢) طبقات ابن سعد (٧/٢٨٤-٢٨٥).

وجزاك عن الإسلام خيرا[١].

- **وصية الصديق للأمير يزيد بن أبي سفيان:**

أمرّ الصديق يزيد على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه فيهم سهيل بن عمرو وأمثاله من أهل مكة وأوصاه وغيره من الأمراء فكان مما قال ليزيد: «إني قد وليتك لأبلوك، وأجرّبك، وأخرّجك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى اللَّه فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس باللَّه أشدّهم تولّيا له، وأقرب الناس من اللَّه أشدهم تقرّبًا إليه بعمله، وقد ولّيتك عمل خالد فإياك وعبية الجاهلية فإن اللَّه يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير، وَعِدْهم إياه، وإذا وعظتهم فأوْجز فإن كثير الكلام يُنسي بعضه بعضا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم، وأقلل لبْثهم حتى يخرجوا من عسكرك، وهم جاهلون به، ولا ترينهم فيروا خللك، ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع مَن قِبلك من محادثتهم، وكن أنت المُتوليّ لكلامهم، ولا تجعل سِرَّك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تُصدَق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتي مِن قِبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتِك الأخبار، وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك، وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه، وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجَّنَّ[٢] فيها، ولا تُسرع إليها ولا تخذلها مدفعا.

---

(١) تاريخ دمشق (٦٥/٢٤٤، ٢٤٥).

(٢) من اللجاج.

ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتف بعلانيتهم ولا تجالس العبّاثين وجالس أهل الصدق والوفاء، وأصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرّب الفقر، ويدفع النصر. وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع. فدعهم وما حبسوا أنفسهم له»[1].

وكان مما قاله أيضًا ليزيد: «إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وستجد قومًا فحصوا عن أوساط رؤوسهم من الشعر، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف، وإني موصيك بعشر: لا تقتلنّ امرأة، ولا صبيًّا، ولا كبيرا هَرِمًا، ولا تقطعنّ شجرا مثمرا، ولا تخربنّ عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلّا لمأكله، ولا تحرقنَّ نخلا، ولا تعرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن.

وقال: «واستظهر الزاد، وسر بالأدلّاء، ولا تقاتل بمجروح؛ فإن بعضه ليس معه، واحترس من البيات، فإن في العرب غرّة، واقلل من الكلام، فإنما لك ما وعي عنك، فإذا أتاك كتابي فأنفذه، فإنما أعلم على حسب إنفاذه... وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

رضِي اللَّه عن أبي بكر، فقد أبلغ في وصيّته، وبالغ في نصيحته، ومن حفظ عنه ما علمه، واحتذي ما أشار به ورسمه، كان سالكًا محجة الرشاد في المعيشة والمعاد، ونسأل اللّه التوفيق للسداد، وحسن الاستعداد[2].

عن العتبى قال: استعمل أبو بكر الصديق يزيد بن أبي سفيان على ربع من أرباع الشام، فلما صعد المنبر ارتجّ عليه الكلام، فقال: يا أهل الشام، عسى اللَّه أن يجعل بعد عسر يُسرًا، وبعد غيّ بيانا، واعلموا أنكم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى

---

(١) الكامل (٢/٢٥٣- ٢٥٤).

(٢) تاريخ دمشق (٦٥/٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩).

إمام قاتل، ثم نزل. فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه[١].

أمر أبو بكر يزيد أن يسلك طريق تبوك، وكتب إلى شرحبيل أن يسلك أيضًا طريق تبوك، وكان العقد لكل أمير في بدء الأمر على ثلاثة آلاف رجل فلم يزل أبو بكر يتبعهم الأمداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمس مئة.

وَلَّى أبو بكر عَمْرًا فلسطين، وشرحبيل الأردن، ويزيد دمشق[٢].

واجتمع للروم جمع بالعربة من أرض فلسطين فوجّه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة الباهلي فهزمهم، فكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد ثم أتوا (الداثن)[٣] فهزمهم أبو أمامة أيضًا[٤].

واجتمع إلى أبي بكر ناس فأرسلهم مع معاوية بن أبي سفيان، وأمره باللحاق بأخيه يزيد. ونزل أبو عبيدة الجابية[٥]، ونزل يزيد البلقاء[٦].

وشهد يزيد فتح «**بُصرى**» مع أبي عبيدة وخالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة قال البلاذري: لما قدم خالد بن الوليد بصرى اجتمعوا عليها وأمّروا خالدًا في حربها، ثم ألصقوا بها وحاربوا بطريقها حتى ألجأوه وكماة أصحابه إليها، ويقال: بل كان يزيد بن أبي سفيان المتقلّد لأمر الحرب لأن ولايتها وإمرتها كانت إليه، لأنها دمشق[٧].

وشهد أجنادين مع خالد بن الوليد، وشرحبيل بن حسنة، وأميرها عمرو بن العاص وكانت أول وقعة بين المسلمين وبين الروم وهي إحدى ملاحم الروم التي

---

(١) المصدر السابق (٢٤٩/٦٥).

(٢) فتوح البلدان (١١٦).

(٣) الداثن: ناحية قرب غزة من فلسطين.

(٤) الكامل (٢٥٤/٢).

(٥) الجابية: قرية من أعمال دمشق، ناحية الجولان، قرب مرج الصفر.

(٦) البلقاء: كورة من أعمال دمشق من الشام ووادي القرى، وقصبتها عمان.

(٧) فتوح البلدان ص (١٢٠).

أيدوا فيها[١].

اشترك يزيد بن أبي سفيان في حصار دمشق بجيشه ونزل على الباب الصغير[٢]، واشترك في فتحها.

وقال ابن كثير (٧/٢٥): والمشهور أن خالد فتح الباب قسرًا (الباب الشرقي)، وقال آخرون: بل فتحها عنوة أبو عبيدة، وقيل: يزيد بن أبي سفيان.

قال أبو عثمان الصنعاني: «دخلها يزيد بن أبي سفيان قَسْرًا من باب الصغير حتى ركبها وعن سعيد بن عبدالعزيز أن يزيد بن أبي سفيان دخل من باب الصغير قسرا[٣].

وشهد يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وقضاعى بن عامر على كتاب الصلح لأهل دمشق[٤].

ولما فُتحت دمشق أمّر عمر يزيد بن أبي سفيان عليها[٥].

وفي يوم اليرموك سنة ١٣هـ وهو يوم من أيام اللَّه له ما بعده، كان على قلب جيش المسلمين أبا عبيدة، وكان على الميمنة بكراديسها عمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة، وعلى الميسرة بكراديسها يزيد بن أبي سفيان[٦] فأبلى أحسن البلاء وأعزّ اللَّه دينه ونصر جنده.

وفي سنة ١٣هـ بعد فتح دمشق لما استخلف أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان على دمشق، وسار إلى فِحْل؛ سار يزيد إلى مدينة «**صيدا**»[٧] و«**عرقة**»[٨] و«**جبيل**»[٩]

---

(١) تاريخ دمشق (٢/١٠٠، ١٠٣).

(٢) أصغر أبواب دمشق، من الجنوب.

(٣) تاريخ دمشق (٢/١١٦، ١١٧).

(٤) تاريخ دمشق (٢/١١٨).

(٥) طبقات ابن سعد، والاستيعاب (١١/٧٠)، وأسد الغابة.

(٦) انظر الكامل (٢/٢٥٩، ٢٦٠).

(٧) صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ست فراسخ، وهي الآن من لبنان.

(٨) عرقة: بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ.

(٩) جبيل. بلد في سواحل دمشق (لبنان)، شرقي بيروت وعلى ثمانية فراسخ من بيروت.

وبيروت، وهي سواحل دمشق على مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحًا يسيرا وجلا كثيرًا من أهلها، وتولى فتح «**عرقة**» معاوية بنفسه في ولاية يزيد[(١)].

فهل يتذكر أهل لبنان يزيد أبي سفيان الفاتح العظيم لبلادهم أم نسوه كما نسي غيرهم من فتح بلادهم.

وفي فتوح البلدان للبلاذري: «سار يزيد إلى عمان ففتحها فتحًا يسيرا بصلح على مثل صلح بصرى، وتوجه يزيد في ولاية أبي عبيدة ففتح «**عرندل**» صلحًا وغلب على أرض الشراة وجبالها[(٢)].

وفي سنة ١٥هـ توذر البطريق الرومي يطلب دمشق، فسار خالد وراءه في جريدة[(٣)]، وبلغ يزيد بن أبي سفيان فِعْل توذر فاستقبله فاقتتلوا، ولحق بهم خالد وهم يقتلون فأخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم إلّا الشريد، وغنم المسلمون ما معهم فقسمه يزيد في أصحابه، وأصحاب خالد، وعاد يزيد إلى دمشق، ورجع خالد إلى أبي عبيدة وقد قتل توذر[(٤)].

قال الحافظ الذهبي في ترجمة يزيد بن أبي سفيان: «وعلى يده كان فتح قيسارية[(٥)] التي بالشام»[(٦)].

قال ابن الأثير في أحداث سنة ١٥هـ: «في هذه السنة فُتِحت قيسارية، وقيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين.

وكان سببها أن عُمر كتب إلى يزيد أبي سفيان أَنْ يُرسل معاوية إلى قيسارية

---

(١) الكامل (٢/٢٨٠)، وفتوح البلدان ص (١٣٣).

(٢) البلاذري ص (١٣٢، ١٣٣).

(٣) الجريدة: خيل لا رجالة فيها.

(٤) الكامل (٢/٣٣٨).

(٥) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين، قريبة من طبرية، وكانت قديمًا من أعيان أمهات المدن.

(٦) سير أعلام النبلاء (١/٣٢٩).

وكتب عمر إلى معاوية يأمره بذلك، فسار معاوية إليها فحصر أهلها فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم إلى حصنهم. ثم زاحفوه آخر ذلك مستميتين وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفًا وكملها في هزيمتهم مئة ألف وفتحها»[١].

ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل، فمات معاذ واستخلف يزيد بن أبي سفيان، فمات يزيد، واستخلف أخاه معاوية فأقرّه عمر[٢].

- **الشهيد:**

وأكرم اللَّه يزيد بن أبي سفيان بالشهادة فمات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة قال محمد بن سعد: يزيد بن أبي سفيان بن حرب، مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وقال خليفة بن خياط في تاريخه: وفيها - يعني - سنة ثمان عشرة - طاعون عمواس، مات بالشام فيه يزيد بن أبي سفيان[٣].

و«جزع عمر على يزيد أبي سفيان جزعًا شديدًا، وكتب إلى معاوية بولايته على الشام»[٤].

قال أبو زرعة:

توفي يزيد بن أبي سفيان فأمّر عمر مكانه معاوية، ثم نعاه عمر لأبي سفيان، ثم قال: يا أبا سفيان، احتسب يزيد، فقال أبو سفيان: يرحمه الله، فمن أمّرت بعده مكانه؟ فقال: معاوية، قال: وصلتك رحم[٥].

هذه سطور من سيرة بطلنا المجاهد الذي كان موضع ثقة الرسول والشيخين من بعده.

---

(١) الكامل (٢/٣٤٤).
(٢) تاريخ دمشق (٦٥/٢٥١).
(٣) تاريخ دمشق (٦٥/٢٥٣)، وتاريخ خليفة بن خياط ص (١٣٨).
(٤) تاريخ دمشق (٦٥/٢٥٢).
(٥) تاريخ دمشق (٦٥/٢٥١)، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/٢١٨).

- **يزيد القائد:**

قاد يزيد مجاهدي مكة وأكثرهم من قريش وبعضهم من ساداتها في معارك أرض الشام، وتوليته على هذه الكتلة البشرية التي كانت تضم كثيرًا ممن كان لا يزال يعتد بحسبه ونسبه، دليل على قوة شخصيته وقابليته على السيطرة وثقة الناس به.

وقد أثبتت الحوادث الحربية فيما بعد أنه كان حريًّا بكل هذه الثقة، إذ أنه نجح في قيادته، فلم يفشل في أية معركة خاضها منذ نشب القتال بين المسلمين والروم في أرض الشام حتى توفاه اللَّه وهو يجاهد الروم في أرض فلسطين.

لقد اشتبكت قواته بالروم (بالعربة)، فكان اشتباكه هذا أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد، وكان لانتصاره على الروم أثر كبير على رفع معنويات المسلمين من جهة وتحطيم معنويات الروم من جهة أخرى. وكان على (الميسرة) في معركة اليرموك، فكان أحد ستة قادة[1]، لهم أثر حاسم في انتصار المسلمين بهذه المعركة الحاسمة في التاريخ.

وقد كان ليزيد أثر في فتح (بصرى) ودمشق، وكان هو القائد المسؤول عن فتح صيدا وعرقة وجبيل وبيروت.

ولما أراد الروم استعادة (دمشق) وحشدوا لهذه الغاية أضخم قوة وأقدر قادة، أعطاهم يزيد بمساعدة خالد بن الوليد درسًا قاسيًا جعلهم يحسبون للمسلمين ألف حساب قبل أن يقدموا على محاولة استعادة جزء من أرض الشام.

وكان الغرض من إقدامه على فتح قيسارية - وهي ثغر جليل الخطر حصين الموقع تحميه قوة كبيرة من الروم - هو حرمان الروم من إرسال الإمدادات إلى قائدهم (أرطبون) من البحر عن طريقها، وكان أرطبون يخوض حينذاك معركة حياة أو

---

(١) القادة الستة هم:
١- القائد العام. ٢- قائد المقدمة. ٣- قائد المؤخرة. ٤- قائد الميمنة. ٥- قائد الميسرة. ٦- قائد القلب.

موت ضد قوات المسلمين بقيادة عمرو بن العاص؛ وبذلك استطاع المسلمون دحر الروم بسهولة فتقرر مصير فلسطين لأجيال وأجيال.

إن أسباب انتصارات يزيد، تعود لمزايا قيادته الحكيمة الرصينة، فقد كان ذكيًا ألمعي الذكاء فكانت قراراته صائبة، وكان ذا إرادة قوية وشخصية نافذة، يتحمل المسؤولية برحابة صدر، يتمتع بمزية سبق النظر، يحب رجاله ويثق بهم ويحبونه ويثقون به، وله سمعة طيبة وماض مجيد.

وكان قائدًا (تعرضيًا) ينجز (تحشد قوته) قبل الإقدام على عمل حربي ويفكر كثيرًا في إعداد خططه فتكون مثالية في أغلب الأحيان، وكان (يقتصد بقوته) ولا يُقدّم خسائر فادحة في معاركه دون مبرّر.

ولست أشك أن سمعته إنسانًا طيبًا يتمتع بمزايا الخلق الكريم، كانت من أسباب انتصاراته، إذ سبقته سمعته الطيبة إلى عدوه، ففتح بهذه السمعة الطيبة قلوب أعدائه قبل أن يفتح بلادهم.

- **يزيد في التاريخ:**

يذكر التاريخ ليزيد، أنه كان أحد القادة المعدودين الذين كان لهم أثر عظيم في انتصار المسلمين على الروم في أرض الشام.

ويذكره بصورة خاصة أنه فتح ساحل دمشق أو ما يسمى في الوقت الحاضر: (لبنان).

رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، القائد الحكيم»[1].

رضِي اللَّه عن الشهيد البطل يزيد بن أبي سفيان الأموي يزيد الخير.

* * *

---

(١) قادة فتح الشام ومصر ص (١٠٥- ١٠٧).

(٤٢٥) الصحابي القائد الفاتح
سفيان بن مجيب الأزدي
ويقال: نُفَيْر بن مجيب الأزدي رضي الله عنه فاتح طرابلس

هو الصحابي سفيان بن مجيب ويُقال: نُفَير بن مجيب الأزدي الثُّمَالي، وسفيان أصح قاله ابن عساكر[(١)].

قال الخطيب: ومجيب هو الصواب، وقال أبو اليمان وغيره: نفير بن مجيب، وقال الهيثم بن خارجة: سفيان، ورجّح أبو حاتم وغيره سفيان على نفير، وكذا ذكره ابن الأثير في الكامل، والبلاذري في «**فتوح البلدان**». وانفرد الدارقطني فرجّح نفيرا. وقيل: سفيان بن بُخيْت[(٢)].

وقال ابن أبي حاتم: نفير بن مجيب له صحبة قديمة[(٣)]، وقال أبو عبدالله بن منده: نُفير بن مجيب له صحبة قديمًا ورواية عن النبي ﷺ.

وشهد مع النبي ﷺ حجة الوداع فنال شرف الصحبة والجهاد تحت لواء الرسول ﷺ.

- **جهاده:**

أبلى سفيان في الجهاد بأرض الشام أعظم البلاء واستحق شرف قيادة جيش من جيوش المسلمين.. وهو الجيش الذي توجه لفتح طرابلس[(٤)].

قال البلاذري: «لما استخلف عثمان وولى معاوية الشام وجّه معاوية سفيان بن

---

(١) تاريخ دمشق (٢١/٣٥٢) ت (٢٥٨٩)، وأسد الغابة (٢/٤٩٩) ت (٢١٢٣)، والإصابة (٣/١٠٨) ت (٣٣٣٩).

(٢) تاريخ دمشق (٢١/٣٥٢)، والإصابة (٣/١٠٨).

(٣) الجرح والتعديل (٨/٥٠٤).

(٤) طرابلس: مدينة من ثلاث مدن على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، عليها سور صخري.

مجيب الأزدي إلى طرابلس، وهي ثلاث مدن مجتمعة فبنى في مرج على أميال منها حصنًا سُمِّي حصن سفيان وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره وحاصرهم، فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة، وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدَّهم أو يبعث إليهم بمراكب كثيرة، فركبوها ليلًا وهربوا، فلما أصبح سفيان، وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه ثم يغدو على العدو وجد الحصن الذي كانوا فيه خاليًا، فدخله وكتب بالفتح إلى معاوية. فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود، وهو الذي فيه الميناء اليوم، وكان معاوية يوجه في كل عام إلى طرابلس جماعة كثيفة من الجند يشحنها بهم ويوليها عاملا»[١].

وفي تاريخ ابن عساكر: «أن معاوية بن أبي سفيان وجّه إليها سفيان بن مجيب الثمالي في جماعة وعسكر عظيم، فعسكر في مَرْج (السلسلة) بينه وبين مدينة أطرابلس خمسة أميال في أصل جبل يُقال له (طربل)، فكانوا هنالك يسير إليهم منه. فحاصرهم سفيان ومَن معه أشهرًا حتى انحاز أهلها إلى حصنها الخرب اليوم عند كنيستها الخارجة منها قبل مدينة أطرابلس اليوم، فكتب إليه معاوية يأمره أن يبني له ولأصحابه حصنًا يأوي إليه ليلًا، ويغازيهم نهارًا، فبنى سفيان حصنًا يُقال له حصن سفيان، وهو اليوم يُسمَّى كفر قدح من مدينة أطرابُلس على ميلين ونحو ذلك، فلما رأى ذلك أهلها واشتد عليهم الحصار كتبوا إلى طاغية الروم فوجّه إليه مراكب كثيرة فأتوهم ليلا فاحتملوهم فيها جميعًا صغيرهم وكبيرهم وحرقوها، وصبّح سفيان وأصحابه الحصن فلم يجدوا فيه أحدًا إلا يهوديًا تحصن من النار في سربٍ فيها، فخرج من السرب فأخبرهم خبر الروم ومسيرها في السفن»[٢].

ولّاه معاوية (بَعْلبَك) وزوجه حفصة بنت أمية بن حرب[٣].

---

(١) «فتوح البلدان» للبلاذري ص (١٣٣).

(٢) تاريخ دمشق (٢١/٣٥٦).

(٣) الإصابة وتاريخ دمشق.

- **القائد:**

كانت طرابلس مدينة حصينة، وكان المدافعون عنها يتصلون بالروم عن طريق البحر الذي كان الروم متفوقين فيه على المسلمين بأساطيلهم، إذ لم يكن لدى المسلمين حينذاك أسطول قوي ينافس الأسطول الرومي، لذلك استطاع الروم الصمود فيها طويلًا، فكان على المسلمين أن يصبروا طويلًا على متطلبات الحصار.

إن الحصار يحتاج إلى قائد يتمتع بمزيتي الضبط الشديد والصبر الجميل، كما يحتاج إلى جنود مدربين يتمتعون بالضبط والطاعة؛ وانتصار المسلمين على الروم بعد حصار طويل يدل على شدة ضبط سفيان ومقدار صبره، وحسن تدريب رجاله وتكامل ضبطهم.

ولقد أعان سفيان على الروم بناءه حصنًا يبيت هو والمسلمون فيه ليلًا ويغدون على العدو نهارًا، مما جعل المسلمين يصبرون على الحصار الطويل بسهولة ويسر.

إن تفكير سفيان ببناء هذا الحصن دليل على تمتعه بقابليات إدارية ممتازة، وعمله هذا يصعب إنجازه في العصر الحاضر، فكيف أنجزه سفيان في تلك الأيام؟

لقد كان يتمتع بعقلية متزنة وتفكير صائب، لذلك كانت قراراته صحيحة، وكان ذا شخصية قوية وإرادة صلبة، لا تتبدل نفسيته في حالتي النصر والاندحار، يحب رجاله ويثق بهم ويحبونه ويثقون به، وكان شجاعًا مقدامًا ذا ماض مشرف.

- **سفيان في التاريخ:**

يذكر التاريخ لسفيان أنه فاتح طرابلس الشام، تلك المدينة التي كان يسكنها الروم واليهود، فأصبحت معقلًا من معاقل العروبة والإسلام.

ويذكر له أنه أول قائد عربي مسلم فكَّر بإنشاء حصن يلجأ إليه المسلمون ليلًا فيأمنون فيه غائلة التقلبات الجوية ومباغتة العدو لهم، كما أن هذا الحصن حطم معنويات الروم، لأنهم يئسوا من نزوح المسلمين عنهم قبل فتح مدينتهم الحصينة.

رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، المجاهد الصابر، القائد الفاتح سفيان بن مجيب الأزدي[١].

* * *

(٤٢٦) الصحابي القائد الفاتح الشهيد أبو عبداللَّه شرحبيل بن حسنة الكِنْدِيّ[٢] رضي الله عنه فاتح الأردن

هو الصحابي الجليل شرحبيل بن حَسنَة: وهي أمه على ما جزم به غير واحد. وقال أبو عمر: بل تبنّته. وأبوه عبداللَّه بن المطاع (أو المُطاح)[٣] بن عمرو من كندة.

ويقال: المطاع بن عبدالعزّى بن قَطَن بن الغوث بن مُرّ.

ويقال: عبداللَّه بن المطاع بن عبداللَّه الغطريف بن عبدالعزّى بن جَثّامة بن مالك الكندي. ويقال: التميمي، ويُقال: إنه من ولد الغوث بن مرّ أخي تميم بن مرّ فقيل له: التميمي لذلك.

وكنيته أبو عبدالله، ويقال: أبو عبدالرحمن، ويقال: أبو واثلة الكندي.

حليف بني زهرة صاحب رسول اللَّه ﷺ، وأخو عبدالرحمن بن حسنة.

وحسنة أمه هي من عَدْوَل ساحل اليمن، وهي من المهاجرات، وكانت مولاة، وكانت تحت سفيان بن معمر بن حبيب الجُمحي[٤].

قال ابن سعد عنه: «شرحبيل بن حسنة.. أسلم قديمًا بمكة، وهو من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية، وكان مِن عِلْيَة أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وغزا معه

(١) قادة فتح الشام ومصر، ص ١٠٩ - ١١٠.
(٢) انظر الترجمة في طبقات ابن سعد (٩٤/٤)، (٢٧٦/٧) ت (٣٨٥)، (٣٦٩٨)، وأسد الغابة (٢/ ٦١٩) ت (٢٤١٠)، والإصابة (/) ت (٣٨٨٨)، وتاريخ دمشق (٤٦٤/٢٢) ت (٢٧٢٩).
(٣) المطاح كذا في طبقات ابن سعد (٢٧٦/٧).
(٤) تاريخ دمشق (٤٦٥/٢٢).

غزوات[١].

قال محمد بن إسحاق: كانت حسنة أمّ شرحبيل امرأة سفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمح، وكان له منها من الولد خالد وجنادة ابنا سفيان فهاجر سفيان بن معمر إلى أرض الحبشة فخرج بامرأته حسنة معه، وخرج بولده خالد وجنادة معه، وأخرج معهم أخاهم لأمهم شُرَحبيل ابن حسنة في الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة[٢].

- **جهاده:**

نال شرحبيل بن حسنة شرف الجهاد تحت لواء رسول اللَّه ﷺ وكان رضي الله عنه له أثر في قتال المرتدين:

بعث الصديق عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى اليمامة، وأتبعه شرحبيل بن حسنة وقال له:

إذا فرغت من اليمامة فالحق بقضاعة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة»[٣]، فعجل عكرمة ليذهب بصوتها، فواقعهم فنكبوه، وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر، فكتب الصديق إلى شرحبيل يأمره بالمقام إلى أن يأتي خالد، فإذا فرغوا من مسيلمة تلحق بعمرو بن العاص تعينه على قضاعة، وسار خالد إلى اليمامة، وبنو حنيفة يومئذ كثيرون، وكانت عدّتهم أربعين ألف مقاتل في قراها وحجرها، وعجّل شرحبيل بن حسنة، وفعل فعل عكرمة، وبادر خالدًا بقتال مسيلمة قبل قدوم خالد عليه، فنُكِب، فحاجز، فلما قدم عليه خالد لامه، وأمد أبو بكر خالدًا بسليط ليكون ردءًا له لئلا يؤتي من خلفه[٤] وسار خالد نحو مسيلمة،

(١) طبقات ابن سعد (٧٦/٤)، (٩٥/٧).
(٢) طبقات ابن سعد (٩٥/٧).
(٣) الكامل (٢٠٨/٢).
(٤) الكامل (٢١٩/٢).

وتوليّ هو بنفسه قيادة المقدمة ومعه شرحبيل[١]، فكان شرحبيل على رأس قوات المسلمين الأولى التي اصطدمت بقوات مسيلمة من بني حنيفة وحلفائهم في (عقرباء)[٢] حيث أبلى في هذه المعركة أحسن البلاء.

- **شرحبيل أحد قوّاد الجيوش في أرض الشام:**

الظاهر أن شرحبيل بقي مع خالد بن الوليد بعد معركة اليمامة التي تمَّ القضاء بها على فتنة مسيلمة ورافقه إلى العراق وشهد معه كافة معاركه في العراق خلال سنة اثنتي عشرة للهجرة[٣]؛ فلما قدم شرحبيل من عند خالد إلى أبي بكر وافدًا، أمرَّه أبو بكر بالشام وندب معه الناس[٤]، وبذلك تولى قيادة أحد جيوش المسلمين في الشام سنة ثلاث عشرة للهجرة[٥].

كان مع شرحبيل ثلاثة آلاف رجل سلك بهم طريق (تَبُوك)، فلم يزل أبو بكر يمد أمراءه في الشام بالرجال، حتى صار مع شرحبيل سبعة الآف وخمس مئة رجل وكان أبو بكر قد ولَّاه الأردن[٦].

وما كادت جيوش المسلمين تصل الشام، حتى أرسل (هرقل) قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين[٧]؛ ليشغل جيوش المسلمين عن بعض، وحتى يحول دون تعاون قادة المسلمين فيما بينهم، ولتضعف كل فرقة من المسلمين عمّن بإزائها من الروم؛ ولكن قادة المسلمين فوتوا على (هرقل) هذه الفرصة، إذ كتبوا إلى عمرو ابن العاص يسألونه الرأي، فكاتبهم بالاجتماع في (اليرموك)، وأيدّ أبو بكر هذا

(١) الطبري (٢/٥٠٨).
(٢) عقرباء: منزل من أرض اليمامة.
(٣) الطبري (٢/٥٧٧). ورد لشرحبيل ذكر في معركة «عين التمر».
(٤) الطبري (٢/٥٨٩)، والبلاذري ص (١١٥).
(٥) الطبري (٢/٥٨٩).
(٦) البلاذري ص (١١٦).
(٧) الطبري (٢/٥٩٠).

الرأي[١].

وفي معركة (اليرموك) الحاسمة، كان شرحبيل أحد مئة من أبطال المسلمين من المهاجرين والأنصار الذين اختارهم خالد فدائيين: كل فارس منهم يرد جيشًا[٢]، حتى يؤثِّر بهؤلاء المغاوير على معنويات الروم، في ابتداء نشوب القتال. وفي هذه المعركة تولى شرحبيل قيادة أحد كراديس الميمنة[٣] وكان له أثر مرموق في انتصار المسلمين على الروم.

وشهد بطلنا فتح «**بصرى**» صلحًا مع خالد بن الوليد وأبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان[٤].

وشهد شرحبيل بن حسنة (أجنادين) مع خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان، وأميرها عمرو بن العاص وكانت ملحمة من ملاحم الروم التي أبيدوا فيها[٥]، وانتصر فيها المسلمون انتصارًا عظيمًا.

- **الفاتح:**

كان بطلنا أحد أمراء الأجناد الذين عقد لهم الصديق وولّاه جيشًا كبيرًا وهو أهل لذلك. «لما عزل الصديق خالد بن سعيد عن الإمرة كتب إليه: أيّ الأمراء أحبّ إليك؟ فقال: ابن عميّ أحبّ إليّ في قرابته وهذا ـ أي شرحبيل ـ أحبّ إليّ في ديني، قال: هذا أخي في ديني على عهد رسول اللَّه ﷺ وناصري على ابن عمي، فاستحبّ أن يكون مع شرحبيل بن حسنة»[٦].

---

(١) الطبري (٢/٥٩٠).
(٢) فتوح الشام للواقدي (١/١٢٠).
(٣) الطبري (٢/٥٩٣).
(٤) فتوح البلدان ص (١٢٠).
(٥) تاريخ دمشق (٢/١٠٠، ١٠٣). وأجنادين موضع من نواحي فلسطين قريب من الرملة من كورة «بيت جبرين».
(٦) تاريخ دمشق (٢٢/٤٧٢).

«افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عَنْوة ما خلا طبرية، فإن أهلها صالحوه، وذلك بأمر أبي عبيدة بن الجراح»[١].

وقبل فتح الأردن كان شرحبيل بن حسنة بجيشه مشاركًا في حصار دمشق وفتحها، وكان على باب الفراديس[٢].

- **بطل «فِحْل» وفاتح الأردن:**

لما فُتحت دمشق سار أبو عبيدة إلى **«فِحْل»**[٣]، وبعث خالدًا على المقدمة، وعلى الناس شرحبيل بن حسنة، وكان على المجنّبتين أبو عبيدة، وعمرو بن العاص، وعلى الخيل ضرار بن الأزور، وعلى الرجال عياض بن غنم، وكان أهل فحل قد قصدوا **«بيسان»**[٤] فهَمّ بها فنزل شرحبيل بالناس فحلًا وبينهم وبين الروم تلك المياه والأوحال، وكتبوا إلى عمر بالخبر وهم يحدثون أنفسهم بالمقام، ولا يريدون أن يرموا فحلًا حتى يرجع كتابهم من عند عمر، ولا يستطيعون الإقدام على عدوهم في مكانهم لما دونهم من الأوحال، وكانت العرب تسمى تلك الغزاة **«ذات الردغة»** و**«بيسان»** و**«فحل»**، وأقام الناس ينتظرون كتاب عمر، فاغترّهم الروم فخرجوا، وعليهم سقلار بن مخراق، ورجوا أن يكونوا على غرّة، فأتْوهم والمسلمون حذرون، وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبية، فلما هجموا على المسلمين لم يناظروهم، فاقتتلوا أشد قتال، كان لهم ليلتهم ويومهم إلى الليل، وأظلم الليل عليهم وقد حاروا فانهزم الروم وهم حيارى، وقد أُصيب رئيسهم صقلار، والذي يليه فيهم تسطوس، وظفر المسلمون بهم أحسن ظفر وأهنأه، وركبوهم، ولم تعرف الروم مأخذهم، فانتهت بهم الهزيمة إلى الوحل فركبوه،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الطبري (٢/٦٢٦).

(٣) فِحْل: اسم موضع بأرض الشام من ناحية الأردن.

(٤) بيسان: مدينة بالأردن بالغور الشمالي.

ولحقهم المسلمون فأخذوهم، ولا يمنعون يَدَ لامسٍ، فوخزوهم بالروح، فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالرداغ فأُصيب الروم وهم ثمانون ألفا لم يفلت منهم إلا الشريد، وقد كان اللَّه يصنع للمسلمين وهم كارهون، كرهوا البثوق والوحل فكانت عونًا لهم على عدوهم، وأناة من اللَّه ليزدادوا بصيرة وجدًّا، وغنموا أموالهم فاقتسموها [(١)].

● فتح بيسان وطبرية[(٢)] سنة ١٣هـ:

لما قصد أبو عبيدة حِمْصِ من فِحْل أرسل شرحبيل ومن معه إلى «**بيسان**» فقاتلوا أهلها فقتلوا منهم خلْقًا كثيرًا، ثم صالحه مَنْ بقي على صلح دمشق فقبل ذلك منهم، وكان أبو عبيدة قد بعث بالأعور إلى طبرية يحاصرها، فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضًا وأن يشاطروا المسلمين المنازل فنزلها القواد وخيولها وكتبوا بالفتح إلى عمر [(٣)].

وعند الطبري: بلغ أهل «**طبرية**» خبر «**بيسان**»، فصالحوا شرحبيل على مثل صلح دمشق [(٤)].

وقال البلاذري: «افتتح شرحبيل بن حسنة «**الأردن**» عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه على انصاف منازلهم وكنائسهم».

وقال: «فتح شرحبيل بن حسنة طبرية صلحًا بعد حصار أيام على أَن أَمَّن أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ومنازلهم إلّا ما جلوْا عنه وخلوّه، واستثنى لمسجد المسلمين موضعا، ثم أنهم نقضوا في خلافة عمر، واجتمع إليهم قوم من الروم وغيرهم، فأمر أبو عبيدة عمرو بن العاص بغزوهم فسار إليهم في أربعة آلاف

---

(١) الكامل (٢/٢٧٩، ٢٨٠).

(٢) طبرية: بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور.

(٣) الكامل (٢/٨١).

(٤) الطبري (٢/٦٣٠).

ففتحها على مثل صلح شرحبيل، ويقال: بل فتحها شرحبيل ثانية، وفتح شرحبيل جميع مدن الأردن وحصونها على هذا الصلح فتحًا يسيرا بغير قتال ففتح بيسان، وفتح «سوسية»، وفتح أفيق، وجرش، وبيت رأس وقدس والجولان، وغلب على سواد الأردن وجميع أرضها.

وفتح شرحبيل عكا وصور، وصفورية[١].

- **الإنسان:**

كان شرحبيل من عِلْية أصحاب رسول اللَّه ﷺ، أوفده رسول اللَّه ﷺ إلى مصر رسولا فمات النبي ﷺ وشرحبيل بمصر[٢]، وكان معدودًا من وجوه قريش[٣]. وله رواية عن رسول اللَّه ﷺ، وهو أحد كتّاب الوحي[٤].

- **وكان صريحًا لا يخشى في اللَّه لومة لائم:**

لما وقع الطاعون بالشام خطب عمرو بن العاص الناس، فقال إن هذا الطاعون رجس، فتفرّقوا عنه في هذه الشعاب، وفي هذه الأودية، فبلغ ذلك شرحبيل بن حسنة، فغضب، فجاء وهو يجرّ ثوبه معلّق نعله بيده، فقال: صحبت رسول اللَّه ﷺ، وعمرو أضلُّ من حمار أهله، ولكن رحمة رُبكم ودعوة نبيكم، ووفاة الصالحين قبلكم[٥].

ومَنَّ اللهُ على البطل شرحبيل بن حسنة بالشهادة، فَطُعِن أبو عبيدة، وشرحبيل ابن حسنة وأبو مالك جميعًا في يوم واحد[٦]. في سنة ثماني عشرة وشرحبيل ابن سبع وستين سنة.. مات بطلنا شهيدًا بطاعون عمواس.

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (١٢٢- ١٢٣).

(٢) تاريخ دمشق (٤٧١/٢٢). (٣) الاستيعاب (٦٩٩/٢).

(٤) فتوح الشام للواقدي (٦/١).

(٥) الاستيعاب (٦٢٠/٢). صحيح: أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي.

(٦) تاريخ دمشق (٤٧٧/٢٢).

- **القائد:**

لما نُكب شرحبيل بن حسنة في لقاء مسيلمة أوّلًا من جراء تسرّعه، كان هذا أعظم درس تعلمّه، ومن يومها أصبحت قيادة شرحبيل تتسم بالتريّث الشديد والحذر والحيطة واليقظة، فكان لا يسير ولا يبيت ولا يصبح إلا على تعبية، وذلك ليحرم العدو من مباغتة قوات المسلمين.

لقد أصبح بعد الدرس القاسي الذي تلقاه في اليمامة، ينجز تحشيد قواته ويكمل أمورها الإدارية ويُعد كافة قضايا الاستطلاع والحصول على المعلومات قبل أن يخوض غمار القتال، لذلك استطاع فتح الأردن كله بخسائر طفيفة نتيجة لحذره وحرصه الشديد على الأرواح تسفك بدون مبرّر.

لقد كان يتحلَّى بالعقيدة الراسخة والضبط المتين والشجاعة والإقدام، له عقلية متزّنة وشخصية نافذة وإرادة قوية، يحب رجاله ويحبونه ويثق بهم ويثقون به وله ماض مشرف ناصع[١].

- **شرحبيل في التاريخ:**

يذكر التاريخ لشرحبيل أنه أمضى حياته مهاجرا مجاهدًا في حياة النبي، ومجاهدًا للمرتدين بعد وفاته وأنه فاتح الأردن والجولان فهل يذكر هذا أهل الأردن وسكّان الجولان. وما أعظم أثره وجهاده في اندحار الروم ونشر الإسلام في الشام، فرضي اللَّه عن الصحابي القائد الفاتح الشهيد شرحبيل بن حسنة الكندي.

* * *

---

(١) قادة فتح الشام ومصر ص (١١٩).

(٤٢٧) الصحابي الوليّ القائد
أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه
أول فاتح لفلسطين فاتح العربة[١] والداثن[٢] من أرض فلسطين

هو صاحب رسول اللّه ونزيل حمص أبو أمامة الباهلي

قال خليفة: ومن قيس عَيْلان، ثم من بني أعصُر، صُدَيٌّ بن عجْلان بن وهب بن عريب بن وهب بن رياح بن الحارث بن مَعْن بن مالك بن أعصُر، مشهور بكُنيته أخرج الطبراني ما يدلُّ على أنه شهد أُحُد لكن بسند ضعيف[٣].

وروي أنه بَايع تحت الشجرة.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ الآية [الفتح: ١٨]، فقلت: يا رسول الله، أنا ممن بايعك تحت الشجرة قال: (أنت مني وأنا منك)[٤].

فهو من صحابة رسول اللّه ﷺ الذين شرفوا بصحبة رسول اللّه ﷺ والجهاد معه.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أرسلني النبي ﷺ إلى باهلة، فأتيتُـهم فرحَّبوا بي[٥]، فقلتُ: جئت لأنهاكُم عن هذا الطعام، وأنا رسولُ رسولِ اللّه لتؤمنوا به، فكذّبوني، وردوني فانطلقت وأنا جائع ظمآن فنمت فأتيت في منامي بشربة من لبن فشربت، فشبعتُ، فعَظُم بطني. فقال القوم: أتاكم رجل من أشرافكم

---

(١) عربة: موضع في أرض فلسطين.

(٢) الداثن: ناحية قرب غزة بأعمال فلسطين.

(٣) أسد الغابة: (١٥/٣) ت (٢٤٩٧)، والإصابة (٣٣٩/٣) - (٤٠٧٩)، وطبقات ابن سعد ٢٨٨/٧، وسير أعلام النبلاء (٣٥٩/٣).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢٠٤/٥، والطبراني في الكبير ٨٩/١٩، والبيهقي في دلائل النبوة ١٨٦/٢.

(٥) وعند أبي يعلى: (فانتهيت إليهم وانا طاو وهم يأكلون الدم) زيادة على ما ها هنا.

وخيار كم، فرددتموه؟ قال: فأتوْني بطعام وشراب، فقلتُ: لا حاجة لي فيه، إن اللَّه قد أطعمني وسقاني، فنظروا إلى حالي، فآمنوا»(١).

- **جهاده:**

كان أبو أمامة رضي الله عنه مجاهدًا فَذًّا لا يُشَقُّ له غبار، ويتطلّع إلى بطولته الفرسان ولذلك تولىّ أول قتال للروم بالشام. وكان رضي الله عنه قائدًا مرؤسا من قوّاد يزيد بن أبي سفيان. فلما اجتمع للروم جمع بالعربة من أرض فلسطين [سنة ١٣هـ] وجَّه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة الباهلي فهزمهم، فكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد.

ثم أتَوْا الداثن فهزمهم أبو أمامة أيضًا»(٢).

وقال البلاذري: «أول وقعة كانت بين المسلمين وعدوهم بقرية من قرى غزّة يُقال لها: داثن، كانت بينهم وبين بطريق غزة.

فاقتتلوا فيها قتالًا شديدا، ثم إن اللَّه أظهر أولياءه وهزم أعداءه وفضّ جمعهم وذلك قبل قدوم خالد بن الوليد الشام، وتوجه يزيد بن أبي سفيان في طلب ذلك البطريق فبلغه أن بالعربة من أرض فلسطين جَمْعًا للروم فوجّه إليهم أبا أمامة الصُّدى بن عجلان الباهلي فأوقع بهم، وقتل عظيمهم ثم انصرف.

وروى أبو مخنف في يوم العربة أن ستة قوّاد من قُوّاد الروم نزلوا العربة في ثلاثة آلاف فسار إليهم أبو أمامة في كثف من المسلمين فهزمهم وقتل أحد القوّاد ثم اتبعهم فصاروا إلى الدبية - وهي الدابية - فهزموهم وغنم المسلمون غنما حَسَنا.

وحدثني أبو حفص الشامي عن مشايخ الشام قالوا: كانت أول وقائع المسلمين

(١) حسن : قال الهيثمي في المجمع (٣٨٧/٩): رواه الطبراني بإسنادين، وإسناد الأولى حسن، فيها أبو غالب وقد وُثّق، ونسبه الحافظ في «الإصابة» (١٨٢/٢) إلى أبي يعلى وللبيهقي في «الدلائل» وهو عند ابن عساكر.

(٢) الكامل ٢٥٤/٢.

وقعة العربة ولم يُقاتلوا قبل ذلك مُذْ فصلوا من الحجاز، ولم يمرّوا بشيء من الأرض فيما بين الحجاز وموضع هذه الوقعة إلا غلبوا عليه بغير حرب وصار في أيديهم»[١].

وقاتل أبو أمامة ﷺ مع أبي عبيدة في كافة معاركه، فقد كان معه حين سار أبو عبيدة يريد قورس، وقدّم أبو عبيدة أمامه عياضًا فتلقّاه راهب من رهبانها يسأل الصلح عن أهلها، فبعث به إلى أبي عبيدة وهو بين جبرين وتل أعزاز فصالحه، ثم أتى قورس فعقد لأهلها عهدًا وأعطاهم مثل الذي أعطى أنطاكية وكتب للراهب كتابا، وبث خيله فغلب على جميع أرض قورس إلى آخر حد نقابلس، قالوا: وكانت قورس كالمسلحة لأنطاكية يأيتها في كل عام طالعة من جند أنطاكية ومقاتلتها، ثم حوّل إليها ربع من أرباع أنطاكية وقُطعت الطوالع عنها[٢].

- **أبو أمامة العابد المحدث الوَلِيّ:**

اكتملت في أبي أمامة كل جوانب السيادة والريادة. . .فهو المحدِّث المكثر في الرواية عن رسول اللَّه ﷺ وهو الصوّام، وهو المتصدق صاحب الكرامة، وهو القائد المجندل للأبطال. . وهو الخبير بالقلوب وما يحفظ عليها إخلاصها.

قال محمد بن زياد: رأيت أبا أمامة أتى على رجل في المسجد، وهو ساجد يبكي، ويدعو، فقال: أنت أنت! لو كان هذا في بيتك[٣].

وعن رجاء بن حيوة عن أبي أمامة ﷺ أنشأ رسول الله ﷺ جيشًا فأتيتُه، فقلتُ: يا رسول اللَّه ادعُ اللَّه لي بالشهادة، قال: «**اللهم سلمِّهم وغنِّمهم**» فغزونا فسلمنا وغنمنا، حتى ذكر ذلك ثلاث مرات، قال: ثم أتيته فقلتُ: يا رسول الله، إني أتيتك تترى ثلاث مرات، أسألك أن تدعو لي بالشهادة فقلت: «**اللهم**

---

(١) «فتوح البلدان» للبلاذري ص ١١٧.
(٢) فتوح البلدان ص ١٥٤.
(٣) سير أعلام النبلاء ٣/٣٦١.

سلمِّهم وغنِّمهم»، فَسَلِمنا وغنمنا يا رسول الله، فمُرني بعمل أدخل به الجنة، فقال: «**عليك بالصوم فإنه لا مِثل له**» قال: فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهارًا إلّا إذا نزل بهم ضيف، فإذا رأوا الدخان نهارًا عرفوا أنه قد اعتراهم ضيف.»(١) كان أبو أمامة، وامرأته، وخادمه لا يُلْفَون إلا صيامًا(٢).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول اللَّه مُرْني بعمل، قال: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا عدل له**». قلت: يا رسول الله: مرني بعمل، قال: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا عدل له**»(٣).

قال الذهبي: «ولأبي أمامة كرامة باهرة جزع هو منها، وهي في كرامات الدكاليّ وأنه تصدق بثلاثة دنانير، فلقى تحت كراجته ثلاث مائة دينار».

وفي تاريخ الذهبي: عن مولاة لأبي أمامة قالت: «كان أبو أمامة يحبُّ الصدقة ولا يقف به سائل إلا أعطاه، فأصبحنا يومًا وليس عنده إلّا ثلاثة دنانير، فوقف به سائل، فأعطاه دينارًا، ثم آخر، فكذلك، ثم آخر، فكذلك، قلتُ: لم يبق لنا شيء، ثم راح إلى مسجده صائما، فرققت له واقترضت له ثمن عشاء، وأصلحت فراشه، فإذا تحت المرفقة ثلاث مائة دينار، فلما دخل ورأى ما هيّأت له جئت بما جئت به، ثم تركته بموضع وضيعه! قال: وما ذاك؟ قلت: الذهب ورفعتُ المرفقة، ففزع لما رأى، وقال: ما هذا ويحك؟ قلتُ: لا علم لي، فكثر فزعه»(٤).

- **وأليك أخرى أجمل وأحلى:**

وعند البيهقي: «جاء رجل إلى أبي أمامة فقال: إني رأيتُ في منامي الملائكة

---

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٩٣٠)، وابن أبي شيبة، والنسائي، (١٦٥/٤)، والطبراني (٧٤٦٣)، وعبدالرزاق، والحاكم (٤٢١/١).

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٦٠/٣، انظر: مسند أحمد (٢٤٨/٥، ٢٤٩).

(٣) صحيح: رواه النسائي، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٩٣)، (هكذا بالتكرار وبدونه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤١٣/١).

(٤) تاريخ الإسلام «للذهبي» (٣١٥/٣).

تصلي عليك كلَّما دخلت وكلما خرجت، وكلما قمت وكلّما جلست[١].

سكن رضي الله عنه حمص، ومات بها، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة سنة ست وثمانين هجرية (٧٠٥)م.

- **أبو أمامة القائد:**

الظاهر أن أبا أمامة كان من أولئك القادة المشبعين بروح التعرض والمباغتة، وكان من القادة الشجعان الذين تستهويهم المغامرة ولا تخيفهم الأهوال، يدلنا على ذلك إقدام أبي أمامة على مهاجمة الروم في معركتين كبيرتين داخل بلادهم وفي عقر دارهم؛ إذ لا بد أن يكون الروم حينذاك قد حشدوا قواتهم واستحضروا للقتال، لأن الروم كان لها الوقت الكافي لتحشيد قواتهم وإعداد كافة متطلباتها الإدارية لتكون مستعدة لخوض معركة مدبّرة؛ ولأن كل جيش يبذل قصارى جهده لإحراز النصر في المعارك الأولى التي ترفع معنويات المنتصر وتحطّم معنويات المندحر.

لقد كان لأبي أمامة شرف رفع معنويات المسلمين في المعارك الأولى ضد الروم، ورفع المعنويات معناه إحراز نصف النصر كما يقولون.

إن انتصار أبي أمامة على الروم دليل على تمتعه بعقلية جوالة وتفكير صائب وإرادة قوية وشخصية نافذة وشجاعة نادرة وإقدام فذ، كما أنه كان قديرًا على إصدار القرارات السريعة الجريئة الصائبة، وكان موضع ثقة وحب رجاله ورؤسائه على حد سواء، كما أن تكليفه بهذا الواجب دليل قاطع على ماضيه الناصع المجيد.

- **أبو أمامة في التاريخ:**

لقد بخل التاريخ حقًا على أبي أمامة في إعطائه حقه من التقدير والذكر، ومن المؤلم ألا نجد في التاريخ تفاصيل تلقي ضوءًا ولو قليلًا على حياة هذا القائد العظيم.

---

(١) الإصابة: (٣/٣٤٠، ٣٤١)، وقال الحافظ ابن حجر: الحديث سنده صحيح.

إن أسامة بن زيد كان أول من جَرّأ العرب على مهاجمة الروم فكان صاحب الفضل الأول في فتح أرض الشام. أما أبو أمامة فكان صاحب الفضل بعد أسامة في إثبات مقدرة العرب عمليًا على دحر الروم، وكان صاحب الفضل في رفع معنوياتهم وجعلهم يستهينون بالروم غير مكترثين بتفوق الروم عدديًّا عليهم وأن الروم يقاتلون في بلادهم ويستندون على قواعد قريبة، بينما جاء العرب المسلمون من مكان بعيد في عَدد قليل وعُدد بالية بالنسبة لعَدد وعُدَد الروم.

أليس من العقوق ألا نعرف أبا أمامة وفضله الكبير على فتح الشام؟

إن أبا أمامة فتح بمعاركه قلوب أهل الشام، وقد فتح القادة الآخرون في معاركهم التالية ديار أهل الشام.

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، القائد الفاتح، الفقيه المحَدّث، أبي أمامة الباهلي [1].

❊ ❊ ❊

---

(١) قادة فتح الشام ومصر ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٤٢٨) الصحابي القائد الفاتح أبو الأعور السُّلَمي رضي الله عنه فاتح طبرية[١]

هو الصحابي أبو الأعور عَمْرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن الأوقص بن مُرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن سليم. مشهور بكنيته[٢].

قال مسلم، وأبو أحمد في الحاكم في الكُنى: لهُ صحبة، وذكره البغوي، وابن قانع، وابن شُمَيع، وابن منده وغيرهم في الصحابة.

وقال عبّاس الدُّوري في تاريخ يحيى بن معين: سمعتُ يحيى يقول: أبو الأعور السلمي رجل من أصحاب النبي ﷺ، وكان مع معاوية.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: أدرك الجاهلية، ولا صحبة له، وتبعه أبو أحمد العسكري. ولم يذكره البخاري في الصحابة[٣].

وأولى الأقوال أنه من الصحابة فإنهم ما كانوا يُؤَمِّرون إلا الصحابة وخاصة في عهد أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ قال أبو عُمر: شهد حُنينا وهو مشرك مع مالك بن عوف ثم أسلم.

والظاهر أنه شهد تحت راية الرسول القائد غزواته الأخرى بعد حُنينْ.

- **جهاده:**

شهد أبو الأعور أكثر معارك الفتح في أرض الشام، وكان على كردوس في

---

(١) طبرية: بليدة مُطلّة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهي في طرق جبل، وجبل الطور يُطلُّ عليها، وبينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وكذلك بينها وبين بيت المقدس.

(٢) انظر الإصابة: (٥٢٩/٤) ت (٥٨٦٧)، وأسد الغابة (٢٢٠/٤) ت(٣٩٤٦)، والاستيعاب ت (١٩٤٢).

(٣) الإصابة: (٥٢٩/٤ ـ ٥٣٠).

معركة اليرموك الحاسمة[١]، وشهد فتح دمشق ثم سرّحه أبو عبيدة مع عشرة قواد آخرين إلى «**فحل**»[٢]، فتقدم جيوش المسلمين إليها، فلما نزلها تركها أهلها وقصدوا (بيسان)، فلما وصلت قوات المسلمين بقيادة شرحبيل بن حسنة، قدّم أبا الأعور إلى (طبرية)[٣].

ولما فرغ شرحبيل من معركة (فحل) هاجم (بيسان) فحاصرها أيامًا فخرج المدافعون عنها ولكنهم هُزموا، فصالح شرحبيل أهل (بيسان) على مثل صلح دمشق. وبلغ أهل (طبرية) الخبر، فصالحوا أبا الأعور على أن يبلغهم شرحبيل؛ فصالح شرحبيل أهلها على صلح دمشق أيضًا على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن وما أحاط بها مما يصلها، فيدعون لهم نصفًا ويجتمعون في النصف الآخر، وعن كل رأس دينار كل سنة، وعن كل جريب أرض جريب بر أو شعير أي ذلك حرث. . . إلخ[٤].

وفي الكامل: في أحداث سنة ١٣هـ: «وكان أبو عبيدة قد بعث بالأعور إلى طبرية يحاصرها، فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضًا، وأن يشاطروا المسلمين المنازل، فنزلها القوّاد وخيولهم، وكتبوا بالفتح إلى عمر»[٥].

ولما أنجز المسلمون فتح (الأردن)، انصرف أبو عبيدة وخالد بن الوليد إلى (حمص)، وتوجّه عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة لإكمال فتح فلسطين، فاستخلفا على الأردن أبا الأعور[٦] حتى لا يؤتى المسلمون من الخلف أو من الجانب وحتى يكون الأردن قاعدة أمينة للمسلمين يندفعون منها لإكمال فتح

---

(١) الطبري: (٢/٥٩٣).
(٢) فِحْل: اسم موضع بأرض الشام في الأردن.
(٣) الطبري: (٢/٦٢٩).
(٤) الطبري: (٢/٦٣٠).
(٥) الكامل: (٢/٢٨١).
(٦) الكامل: (٢/٣٤٥).

أرض الشام؛ فسيطر أبو الأعور على الأردن سيطرة كاملة، فلم يلحق جيوش المسلمين من جهته أيُ ضرر.

ويكفي أبو الأعور السلمي شرفًا قيادته لجيش الشام في غزوة (عمورية) فقد ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه عن الليث بن سعد، قال: ثم كانت غزوة (عمورية) سنة ثلاث وعشرين، وأمير جيش مصر وَهْب بن عُمَير الجمحي، وأمير جيش الشام أبو الأعور السلمي.

وروى أبو زرعة الدمشقي في تاريخه أنّ أبا الأعور غزا قبرص سنة ست وعشرين[١].

- **الإنسان:**

قال البرقي: كان أبو الأعور السلمي حليف أبي سفيان بن حرب. وأمه: قريبة بنت قيس بن عبدالله بن سعد بن سهم القرشية.

وقال محمد بن حبيب: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الآفاق أن يبعثوا إليه من كل عمل رجلًا من صالحيها، فبعثوا إليه أربعة من البصرة والكوفة والشام ومصر، فاتفق أن الأربعة من بني سليم؛ وهم الحجاج بن علاط، وزيد بن الأخنث، ومجاشع بن مسعود، وأبو الأعور[٢] وكان من أعيان الشام ورجال معاوية.

واستخلفه عمرو بن العاص وشرحبيل على الأردن في أحرج الظروف وهي أيام الفتح، كما كان على الأردن في أيام عثمان بن عفان[٣] بعد أن جمع عثمان أرض الشام لمعاوية.

- **القائد:**

من الواضح أن أبا الأعور كان شجاعًا مقدامًا جريئًا، وكان إلى جانب ذلك ذا

---

(١) الإصابة: (٤/٥٣٠).
(٢) الإصابة: (٤/٥٣٠).
(٣) الطبري: (٣/٤٤٦).

عقلية راجحة وذكاء لماع وقابلية على إدارة الرجال.

هذه المزايا هي التي جعلته موضع ثقة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان، فكان عليه مدار الحرب، أيام فتح الشام وأيام الفتح البحري، كما كان عليه مدار الحرب في صفين[١].

وهذه المزايا هي التي جعلته موضع ثقة رجاله، وجعلت قراراته وخططه صحيحة صائبة، فلم يفشل في أية معركة خاضها قائدًا مسؤولًا أو قائدًا مرؤوسًا.

أنه كان شخصية قوية لها إرادة صلبة، وكان يقاتل بسلاحين: عقله وسيفه.

- **أبو الأعور في التاريخ:**

يذكر التاريخ لأبي الأعور جهاده المشرف في أرض الشام خاصة في معركة اليرموك وفي فتح طبرية وفي إدارة بلاد الأردن مدة طويلة تميزت بالهدوء والاطمئنان.

فهل تذكره اليوم (طبرية)، أم نسته في خضم مأساتها القاصمة التي تعيشها في ظل إسرائيل؟!

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، الإداري الحازم، القائد الفاتح، أبي الأعور السلمي[٢].

* * *

(١) أسد الغابة: (٤/٢٢٠).

(٢) قادة فتح الشام ومصر ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٤٢٩) القائد الفاتح خال المسلمين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فاتح عرقة وقيسارية وعسقلان وقبرص، وهازم الروم في غزوة ذات الصواري

هو أمير المؤمنين، ملك الإسلام، وخال المسلمين، وكاتب وحي رب العالمين: أبو عبدالرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي المكي.

وأمه هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصّي.

قيل: إنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، وبقي يخاف من اللحاق بالنبي ﷺ من أبيه، ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح[(١)]. أسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة.

أسلم والده أبو سفيان وحسن إسلامه وفُقئت عينه يوم الطائف، والأخرى في معركة اليرموك، وأسلمت أمه هند وحسن إسلامها[(٢)].

كان رضي الله عنه وهو غلام يمشي مع أمه هند، فعثر، فقالت: قُمْ لا رفعك الله، وأعرابي ينظر، فقال: لم تقولين له؟ فواللَّه إني لأظنه سيسود قومه، قالت: لا رفعه إن لم يَسُد إلا قومه[(٣)].

ونظر أبو سفيان يومًا إلى معاوية وهو غلام، فقال لهند: إنّ ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه، فقالت هند: قومه فقط، ثكلته إن لم يسد العرب

---

(١) انظر طبقات ابن سعد (٣٢/٣، ٤٠٦/٧)، ونسب قريش: ١٢٤ وما بعدها، وطبقات خليفة ت (٥١، ٩٦٩ و٢٨٠٩)، وسير أعلام النبلاء (١١٩/٣)، والبداية والنهاية (٢٠/٨، ١١٧)، والاستيعاب (١٤١٦)، والإصابة (١٢٠/٦) ت (٨٠٨٧)، وأسد الغابة (٢٠١/٥)، ت(٤٩٨٤).

(٢) تاريخ ابن عساكر: (٦٢/٥٩).

(٣) تاريخ ابن عساكر: (٦٥/٥٩).

قاطبة[١].

عن ابن عباس ﷺ قال: كنتُ ألعبُ مع الغلمان، فدعاني النبي ﷺ وقال: «**ادعُ لي معاوية**» وكان يكتب الوحي» رواه أحمد في «**مسنده**»[٢]. وزاد فيه الحاكم «**قال: فدعوتُه، فقيل: إنه يأكل. فأتيتُ، فقلتُ: يا رسول الله، هو يأكل. قال:** «**اذهب فادعه**» فأتيته الثانية، فقيل: إنه يأكل فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال في الثالثة: «**لا أشبع اللَّه بطنه**» قال: فما شبع بعدها»[٣].

وهذه فضيلة لمعاوية ﷺ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اللهم إنما أنا بشر، فأيُّما رجل من المسلمين سببتُه، أو لعنتُه، أو جَلَدْتُه، فاجعلها له زكاة ورحمه**»[٤].

وعن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال في معاوية: «**اللهم اجعله هاديًا مَهْديًّا، واهده، واهد به. يعني معاوية**»[٥].

---

(١) تاريخ دمشق (٦٦/٥٩).

(٢) سنده قوي: أخرجه أحمد (٣٣٥/١)، (٢٤٠/١، ٣٣٨)، والحاكم في المستدرك.

(٣) الطيالسي في مسنده: (٢٧٤٦)، ومسلم (٢٦٠٤) في البر والصلة: باب من لعنه النبي ﷺأو سبّه أو دعا عليه ليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرًا ورحمة.

(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٢٦٠١)، وعائشة (٢٦٠٠)، جابر بن عبدالله (٢٦٠٢).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري في «التاريخ» (٣٢٧/١/٤)، والترمذي (٣١٦/٢ ـ بولاق) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨١/٥٩) وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٦٩) : رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، فكان حقه أن يصحح، فلعل الترمذي اقتصر على تحسينه لأن سعيد بن عبد العزيز كان قد اختلط قبل موته، كما قال أبو مسهر وابن معين، لكن الظاهر أن هذا الحديث تلقاه عنه أبو مسهر قبل اختلاطه وإلا لم يروه عنه لو سمعه في حال اختلاطه لا سيما وقد قال أبو حاتم: « كان مسهر يقدم سعيد بن عبد العزيز على الأوزاعي» قلت: أفتراه يقدمه على الإمام الأوزاعي وهو يروي عنه في اختلاطه؟!. وقد تابعه جمع: مروان بن محمد الدمشقي، والوليد بن مسلم، وعمر بن عبد الواحد، ومحمد بن سليمان الحراني... وبالجملة فالحديث صحيح، وهذه الطرق تزيده قوة على قوة.

وعن عبدالرحمن بن أبي عُميرة المزني[١] أن النبي ﷺ قال لمعاوية: «**اللهم علِّمه الكتاب، والحساب، وَقِهِ العذاب**»[٢].

وهاجر معاوية إلى المدينة وآخى النبي ﷺ بينه وبين الحتات بن يزيد المجاشعي[٣]، وكان زيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان ملازمين للكتابة بين يدي رسول اللَّه ﷺ في الوحي وغير ذلك، لا عمل لهما غير ذلك[٤].

- **جهاده:** شهد معاوية مع النبي ﷺ المشاهد التي بعد فتح مكة ومنها يوم «**حُنين**» و«**الطائف**».

وفي سنة ١٣ هـ اجتمع إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ناس فأرسلهم مع معاوية بن أبي سفيان، وأمره باللحاق بأخيه يزيد، فلما مرّ بخالد فصل عنه بباقي أصحابه[٥]

وفي سنة ١٥ هـ فُتحت قيسارية، وقيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين وكان سببها أن عمر بن الخطاب كتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يُرسل معاوية إلى قيسارية، وكتب عمر إلى معاوية يأمره بذلك: «أما بعد فإني قد وليّتك قيسارية فَسِرْ إليها، واستنصر اللَّه عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، اللَّه ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير»[٦]، فسار معاوية إليها فحصر أهلها، فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم إلى حصنهم، ثم زاحفوه آخر ذلك مستميتين وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفا وكملها في هزيمتهم مائة ألف وفتحها»[٧].

---

(١) جزم بصحبته ابن سعد والبخاري، وأبو حاتم، وابن السكن ، وابن حبان، وعبد الصمد بن سعيد في «الصحابة»، وأبو الحسن بن سميع والحافظ بن حجر في الإصابة . انظر السلسلة الصحيحة (٤/٦١٧).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وما يقال عن الحديث السابق له يقال عن هذا الحديث.

(٣) سيرة ابن هشام (٤/٢٢٣).

(٤) جوامع السيرة لابن حزم (٢٦ - ٢٧)، والسيرة الحلبية (٣/٣٦٤).

(٥) الكامل: (٢/٢٥٥).

(٦) ، (٧) الطبري، والكامل: (٢/٣٤٤).

قال البلاذري (١٤٧، ١٤٨): «وكانت قيسارية قد حاصرها المسلمون نحوًا من سبع سنين وفتحها معاوية قسرًا، فوجد بها من المرتزقة سبعمائة ألف، ومن السامرة ثلاثين ألفا، ومن اليهود مائتي ألف، ووجد بها ثلاثمائة سوق قائمة كلها، وكان يحرسها في كل ليلة على سورها مائة ألف.

وكان سبب فتحها أن يهوديا يُقال له يوسف أتى المسلمين ليلًا فدلّهم على طريق في سرب فيه الماء إلى حقو الرجل على أن أمنّوه وأهله، وأنفذ معاوية ذلك، ودخلها المسلمون في الليل، وكبّروا فيها، فأراد الروم أن يهربوا من السِّرْب، فوجدوا المسلمين عليه، وفتح المسلمون الباب، فدخل معاوية ومن معه، وكان بها خلق من العرب.

ولما بلغ عمر فتحها نادى أن قيسارية فُتحت قسرًا وكبّر وكبّر المسلمون. اهـ.

وشهد معاوية تحت راية أخيه يزيد بن أبي سفيان معركة «**اليرموك**» وفتح «**بُصرى**» وفتح «**دمشق**»، وكان على مقدمة يزيد عند فتح «**صَيْدَاء**» و(**عِرْقَة**) و(**جُبيل**) و(**بيروت**)[١].

وتولى معاوية نفسه فتح «**عِرْقَة**»[٢] في ولاية أخيه يزيد[٣].

وبعد موت يزيد في طاعون عمواس، ولىّ عمر بن الخطاب معاوية مكان أخيه.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى معاوية يأمره بتتبّع ما بقى من فلسطين، ففتح عسقلان صلحًا بعد كيد. ويُقال: إن عمرو بن العاص كان فتحها، ثم نقض أهلها وأمدّهم الروم ففتحها معاوية وأسكنها الروابط ووكل بها الحفظة[٤].

وفي آخر خلافة عمر أوْ أوّل خلافة عثمان بن عفّان غلب الروم على بعض

---

(١) البلاذري: ص ١٣٣.

(٢) عِرْقَة: بلدة في شرقي طرابلس الشام بينهما أربعة فراسخ.

(٣) البلاذري: ص ١٣٣.

(٤) البلاذري: ص ١٤٨.

السواحل، فقصد لهم معاوية حتى فتحها، ثم رمّها، وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع[١].

فلما استخلف عثمان وولى معاوية الشام وجمعها له وجّه معاوية سفيان بن مجيب الأزدي إلى طرابلس[٢] ففتحها كما ذكرنا فيما سبق.

- **غزو معاوية الروم:**

وفي سنة ٢٥ الهجرية غزا معاوية الروم فبلغ عَمُّورية فوجد الحصون التي بين أنطاكية وطرسوس خالية، فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته. هذا في أيام عثمان.

لله در معاوية من مجاهد يغزو الروم في عقر دارهم، فيغزو مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة أو فاختة ابنة قرظة[٣]، ويؤثر على معنويات الروم أسوأ تأثير، فقد أصبحت عاصمتهم مهدّدة بالغزو، ثم عاد بعد عام فغزا «**حصن المرأة**» من أرض الروم بناحية «**ملطية**»[٤] سنة ثلاث وثلاثين كما قال ابن الأثير في «**الكامل**».

وأغزى بعد ذلك يزيد بن الحر العبسي الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك، ولما خرج هدم الحصون إلى أنطاكية[٥].

- **معاوية الفاتح لقبرص (قبرس):**

وذلك في سنة ثمان وعشرين وقيل سنة تسع وعشرين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين.

كان معاوية قد ألحّ على عمر في غزو البحر وقرب الروم من حمص، وقال: إن

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٣.

(٢) البلاذري: ١٢٣.

(٣) تاريخ الطبري: (٣/٣٥٠).

(٤) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام.

(٥) الكامل: ٢/٤٨٠، ٣/٣٠.

قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم[١]، حتى كاد يأخذ بقلب عمر، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص «صف لي البحر وراكبه، فإن نفسي تنازعني إليه»، فكتب إليه عمرو بن العاص: «إني رأيت خلقًا كبيرًا يركبه خْلق صغير، وليس إلا السماء والماء إنْ ركد خرق القلوب، وإن تحرَّك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلّة، والشك كثرة هم فيه كدود على عود، إنْ مال غرق، وإن نجا برق. فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية «والذي بعث محمدا ﷺ بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا، . . فكيف أحمل بالجنود على هذا الكافر[٢] المستصعب! وباللَّه لمسلم واحد أحبّ إليّ مما حوت الروم، وإياك أن تعرض إليّ وقد تقدّمت إليك، فقد علمتَ ما لقي العلاء مني، ولم أتقدّم إليه بمثل ذلك[٣].

فلما ولى عثمان بن عفان كتب إليه معاوية يستأذنه في غزو البحر مرارا فكتب إليه أن قد شهدت ما ردّ عليك عمر حين استأمرته في غزو البحر، فلما دخلت سنة سبع وعشرين كتب إليه يهوِّن عليه ركوب البحر إلى قبرص فأجابه بآخرة إلى ذلك وقال له: إن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذونًا لك وإلا فلا، وقال له: لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خَيِّرهم، فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعينه ففعل وركب المسلمون بحر الروم، في غزوة قبرص الأولى، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها، ركب معاوية البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة، وحمل امرأته فاختة بنت قرطة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصيّ، وحمل عبادة بن الصامت امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية، وغزا مع معاوية أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري وواثلة الأسقع الكناني، وعبداللَّه بن بشر المازني، وشداد بن أوس بن ثابت، وهو ابن أخي حسان بن ثابت، والمقداد،

---

(١) هي ليست قبرص ولكنها جزيرة أرواد.
(٢) كفر: أي غطّى، وهذا لأن البحر يغطي ويخفي ما تحته.
(٣) الكامل: (٢/٤٨٨).

وكعب الحبر بن مانع، وجبير بن نفير الحضرمي.

سار معاوية من الشام إلى قبرص، وسار إليها عبدالله بن سعد من مصر، فبعث إليهم أركونها يطلب الصلح وقد أذعن أهلها به فصالحهم على سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدونها في كل عام، وصالحهم الروم على مثل ذلك، فهم يؤدون خراجينْ واشترطوا أن لا يمنعهم المسلمون أداء الصلح إلى الروم، واشترط عليهم المسلمون أن لا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم، وأن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوّهم من الروم، فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرص ولم ينصروا عليهم.

وكانت هذه هي غزوة قبرص الأولى. وفي هذه الغزاة ماتت أم حرام بنت ملحان الأنصارية ألقتها بغلتها بجزيرة قبرص فاندقَّتْ عنقها فماتت تصديقًا للنبي ﷺ حيث أخبرها أنها في أول من يغزو البحر إذ نام النبي ﷺ في بيتها فاستيقظ وهو يضحك وقال: عُرض عليّ ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر كالملوك على الأسِرَّة. قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال: إنك منهم. ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقلتُ: يا رسول الله ما يضحكك؟

فقال: عُرض عليّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسِرَّة. قلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**أنت من الأولين**»[1].

قال جبير بن نفير: لما فُتحت قبرس ونهب منها السبي نظرتُ إلى أبي الدرداء يبكي، فقلت: ما يُبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله، وأذلّ فيه الكفر وأهله؟ قال: فضرب منكبي بيده وقال: ثكلتك أمك يا جُبير، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره، بينما هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم المُلْك إذْ تركوا أمر الله فصاروا

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده (٤٢٣١٦) وقد سبق تخريجه.

إلى ما ترى فسلّط عليهم السباء، وإذا سلطّ السباء على قوم فليس له فيهم حاجة[١].

فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعانوا الروم على الغزاة في البحر بمراكب أعطوهم إياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين في خمسمائة مركب ففتح قبرص عنْوة فقتل وسبى، ثم أقرّهم على صلحهم وبعث إليها باثني عشر ألفًا كلهم أهل ديوان فبنوا بها المساجد ونقل إليها جماعة من بعلبك وبنى بها مدينة وأقاموا يعطون الأعطية إلى أن توفي معاوية[٢].

- **معاوية والمسلمون يقهرون الروم في غزوة «ذات الصواري» سنة إحدى وثلاثين الهجرية**

وقيل: كانت سنة أربع وثلاثين.

وكان على المسلمين معاوية. أما سبب هذه الغزوة فإنّ المسلمين لما أصابوا من أهل إفريقية وقتلوهم وسبوْهم خرج قسطنطين بن هرقل في جمع له تجمع الروم مثله مُذ كان الإسلام فخرجوا في خمسمائة مركب أو ستمائة، وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية بن أبي سفيان، وعلى البحر عبدالله بن مسعد بن أبي سرح، وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم فأرسى المسلمون والروم وسكنت الريح، فقال المسلمون: الأمان بيننا وبينكم فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرأون القرآن ويُصلون ويدعون، والروم يضربون بالنواقيس، وقرّبوا من الغد سفنهم، وقرّب المسلمون سفنهم، فربطوا بعضها مع بعض، واقتتلوا بالسيوف والخناجر، وقُتِل من المسلمين بشر كثير، وقُتِل من الروم ما لا يُحصَى، وصبروا يومئذ صبرًا لم يصبروا في موطن قط مثله، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحًا، ولم ينج من الروم إلا الشريد، وسار قسطنطين في مركبه إلى

(١) الكامل: (٢/٤٨٨ - ٤٩٠).
(٢) البلاذري: ص ١٥٧ - ١٥٨.

صقلية[١] فسأله أهلها عن حاله فأخبرهم فقالوا: أهلكت النصرانية وأفنيت رجالها لو أتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم، ثم أدخلوه الحمام وقتلوه، وتركوا من كان معه في المركب، وأذنوا لهم في المسير إلى القسطنطينية[٢].

- **لله در معاوية من فاتح شرقًا وغربًا وشمالًا:**

توقّف الفتح الإسلامي في أواخر أيام عثمان بن عفان وفي أيام الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية، فأصبحت البلاد الإسلامية مهدّدة بالغزو من الروم.

ولما ولي معاوية الخلافة، أستأنف الفتح في أيامه، فسارت رايات الفاتحين شرقًا وغربًا: شرقًا أعيد فتح (سِجسْتَان) وفتحت (كابل)، كما اجتازت رايات المسلمين نهر (جيَحُون)، ففتحت (بُخارى) و(سَمرَقْند) و(تِرْمِذ)[٣] وغربًا افتتح عُقبة بن نافع شمالي (إفريقية) واختط مدينة (القِيْرَوَان) وسكن المسلمون إفريقية وأسلم البربر وكانوا نصارى، وفشا الإسلام إلى أن اتّصل ببلاد السودان وبالمحيط الأطلسي.

وفي الشمال حاصر المسلمون القسطنطينية، وهناك مات أبو أيوب الأنصاري صاحب رَحْل رسول الله ﷺ، وقبره هناك محفوظ مشهور إلى اليوم.

وفتح المسلمون في عهده جزيرة «**أرواد**» قرب القسطنطينية سنة ٥٤هـ وأقاموا بها سبع سنين[٤].

وسلوا المجاهدين عن مشتاهم والصائفة في أرض الروم يعلم الناس أي رجل كان معاوية.

---

(١) جزيرة من جزر البحر الأبيض مقابل تونس (إفريقية).
(٢) الكامل: ٣/١٣ - ١٤.
(٣) جوامع السيرة لابن حزم ص ٣٤٨ - ٣٤٩.
(٤) الكامل: (٣/٣٤٤).

لقد فُتحت كل هذه البلاد الشاسعة في أيام خلافته، وذلك لأن العالم الإسلامي كان يعيش في استقرار نسبي لا تشوبه إلا ثورات الخوارج بين حين وآخر، وهكذا فإن الوحدة قوة والتفرقة خراب.

لقد مهّد معاوية بهذه الفتوحات للمسلمين من بعده، وأن يفتحوا الأندلس غربًا والهند شرقًا وتركستان كلها شمالًا، وبذلك أسدى للفتح الإسلامي أعظم الخدمات.

- **الإنسان:**

ذكرنا دعاء النبي ﷺ لمعاوية رضي الله عنه، وكيف أنه كان كاتبه وموضع ثقة النبي ﷺ.

وكان موضع ثقة أبي بكر الصديق أيضًا إذْ ولّاه جيشًا من جيوش المسلمين وبعثه إلى أرض الشام مددًا لأخيه يزيد.

وكان موضع ثقة الفاروق إذ ولّاه مكان أخيه يزيد بعد موته، وكان موضع ثقة ذي النورين عثمان من بعده إذْ أقرّه على الشام جميعه.

لقد كان معاوية رجل دولة يحرص على الضبط والنظام، وقد عمل على تطوير الحكم فنظّم الشرطة وجعل عليها مسؤولًا يدير شؤونها ويسهر على أمر قيامها بواجباتها، وكان له كاتب خاص وحرس خاص وحجّاب خاصون، وكان له قضاة يقضون بين الناس، وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم من قبل[1]، وأول من وضع البريد.

وكان من دهاة العرب المشهورين، بل كان داهية العرب رأيًا وحزمًا ولسانًا، وكان له حلم ودهاء وجود بالمال، قال يومًا: «لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما

(١) الطبري: (٤/٣٤٣ - ٢٤٤).

انقطعت»؛ فقيل: وكيف يا أمير المؤمنين؟! قال: «إذا مدّوها خليّتها، وإذا خلوّها مددتها». وكان إذا بلغه عن رجل ما يكره قطع لسانه بالعطاء.

ومن دهائه، أن عمر لما دخل الشام ورأى معاوية قال: «هذا كسرى العرب»، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما دنا منه قال: «أنت صاحب الموكب العظيم؟!» قال: «نعم يا أمير المؤمنين!» قال: «مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك!»، قال: «مع ما يبلغك من ذلك!»، قال: «ولم تفعل هذا؟!»، قال: «نحن بأرضٍ، جواسيسُ العدو بها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به، فأن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت»، فقال عمر: «ما سألتك عن شيء إلاّ تركتني في مثل رواجب الضرس! إن كان قلتَ حقًّا إنه لرأي أريب، وإن كان باطلًا إنه لخدعة أديب!»، قال: «فمرني يا أمير المؤمنين»، فقال عمر: «لا آمرك ولا أنهاك!»، فقال عمرو ابن العاص: «ما أحسن ما صدَر الفتى عما أوردته فيه!» فقال عمر: «لحسن مصادره وموارده جشّمناه ما جشّمناه!».

وذُم معاوية عند عمر يومًا، فقال: «دعونا من ذم فتى قريش: من يضحك في الغضب ولا ينُال ما عنده إلا على الرضا، ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه[١].

وكان يضرب بحلمه المثل: كان الرجل يقول لمعاوية: «والله لتستقيمن بنا يا معاوية أو لنقوّمنك!»، فيقول: «**بماذا؟**»، فيقول: بالخشب!!، فيقول: «**إذن نستقيم!**»، وقال قبيصة بن جابر: «**صحبت معاوية، فما رأيت رجلًا أثقل حلمًا ولا أبطأ جهلًا ولا أبعد أناة منه**»[٢].

ودخل شاب من قريش على معاوية فأغلظ عليه، فقال له: «يا ابن أخي! أنهاك عن السلطان. إن السلطان يغضب غضب الصبي ويأخذ أخذ الأسد». قال زياد بن

---

(١) الاستيعاب (٣/١٤١٧ - ١٤١٨).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٠، وشذرات الذهب (١/٦٥).

أبي سفيان: «استعملت رجلًا فكثر خراجه فخشي أن أعاقبه ففرّ إلى معاوية، فكتبت إليه: إن هذا أدب سوء لمن قِبلي، فكتب إليّ: إنه ليس ينبغي لي ولا لك أن نسوس الناس بسياسة واحدة: أن نلين جميعًا فتمرح الناس في المعصية، ولا أن نشد جميعًا فنحمل الناس على المهالك؛ ولكن تكون للشدة والفظاظة، وأكون للين والرأفة»[١].

وقال معاوية: «إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكبر من حلمي، وعورة لا أواريها بستري، وإساءة أكثر من إحساني». وقال لعبدالرحمن بن الحكم: «يا ابن أخي، إنك قد لهجت بالشعر، فإياك والتشبب بالنساء فتُعِر الشريفة؛ والهجاء، فتُعْر كريمًا وتستثير لئيمًا؛ والمدح، فإنه طعمة الوقاح؛ ولكن افخر بمفاخر قومك وقل من الأمثال ما تزيّن به نفسك وتؤدّب به غيرك». وسئل معاوية أي الناس أحب إليك؟ قال: «أشدهم لي تحبيبًا إلى الناس». وقال: «العقل والحلم والعلم أفضل ما أعطي العباد، فإذا ذُكّر ذكر، وإذا أُعطي شكر، وغذا ابتلي صبر، وإذا غضب كظم، وإذا قدر غفر، وإذا أساء استغفر، وإذا وعد أنجز». واغلظ لمعاوية رجل فأكثر، فقيل له: أتحلم عن هذا؟! فقال: «إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا»[٢].

والحق أنه كان حليمًا حازمًا داهية عالمًا بسياسة الملك، وكان حلمه قاهرًا لغضبه وجوده غالبًا على منعه، يصل ولا يقطع؛ لذلك قال عنه عمر بن الخطاب: «تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية؟!»[٣].

وكان عبدالله بن العباس يقول عنه: «ما رأيت أحدًا أخلق للملك من معاوية: إن كان يرد الناس منه على أرجاء وادٍ رحب»[٤]. . .وقال ابن عمر: «ما رأيت

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٣٥.
(٢) تاريخ الطبري: (٤/٢٤٩).
(٣) تاريخ الطبري: (٤/٢٤٤).
(٤) الطبري: (٤/٢٤٩).

أحدًا بعد رسول اللَّه ﷺ أسود[١] من معاوية»، فقيل له: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟؟!! فقال: «**كانوا واللَّه خيرًا من معاوية وأفضل، ومعاوية أسود**»[٢].

وكان ابن العباس يقول عنه: «**إنه فقيه**»؛ إذ أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس، فأتى ابن عباس وأخبره بذلك فقال: «دعه فإنه قد صحب رسول اللَّه ﷺ». وقيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة، فقال: «**إنه فقيه**»[٣]، وقد روى عن النبي ﷺ مائة حديث وثلاثة وستين حديثًا[٤] كما كان معدودًا من أصحاب الفتيا من الصحابة[٥].

وعلى الرغم من فضله ومزاياه الرفيعة، فقد نازع علي بن أبي طالب الخلافة، فلم يبايع عليًا ثم حاربه واستقل بالشام، ثم أضاف لها مصر ثم تسمى بالخلافة بعد الحكَميْن، ثم استقل بالملك لما صالح الحسن بن علي، فسمي ذلك العام: عام الجماعة[٦]، إذ لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي كما قال الإمام أحمد بن حنبل[٧]؛ فكان من آثار الفتنة الداخلية التي حدثت بين المسلمين إراقة كثير من دماء المسلمين وتوقف الفتح الإسلامي وطمع أعداء الإسلام بالمسلمين، فزحف قيصر الروم في جموع كثيرة وخلق عظيم على بلاد الشام، فخاف معاوية أن يشغله ذلك عما يحتاج إلى تدبيره وإحكامه، فوجّه إليه فصالحه على مائة ألف دينار، فكان معاوية أول من صالح الروم؛ فلما استقام الأمر له أغزى أمراء الشام على الصوائف، فسبوا في بلاد الروم سنة بعد سنة، فطلب صاحب الروم الصلح

---

(١) أسود: من السيادة، أي فيه سمات السيادة والمُلْك.

(٢) أسد الغابة: (٥/٢٠٢).

(٣) فتح الباري: (٧/٨١)، والإصابة (٦/١٢١).

(٤) أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد (لابن حزم ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص ٢٧٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (١٣٠)

(٥) أصحاب الفتيا من الصحابة لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة ص ٣٢٠ .

(٦) الإصابة: (٦/١٢٠).

(٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي.

على أن يضعف المال فلم يجبه معاوية إلى طلبه(١).

«دخل معاوية على عمر بن الخطاب وعليه حُلّة خضراء، فنظر إليه الصحابة، فلما رأى ذلك عمر قام ومعه الدُّرة، فجعل ضربًا بمعاوية، ومعاوية يقول: اللَّه اللَّه يا أمير المؤمنين! فِيمَ! فِيمَ! فلم يكلّمه حتى رجع فجلس في مجلسه؛ فقالوا له: لم ضربت الفتى، وما في قومك مثله؟ فقال: ما رأيتُ إلاّ خيرا، وما بلغني إلّا خير؛ ولكني رأيته ـ وأشار بيده ـ يعني إلى فوق فأردت أن أضع منه(٢).

أمضى معاوية رضي الله عنه أول ملوك العرب بعد الإسلام في الشام عشرين سنة أميرًا وعشرين سنة خليفة(٣).

لقد أدركت خلافة معاوية جماعة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ ولم ينزعوا يدًا من طاعة ولا فارقوا جماعة، وكان زيد بن ثابت يأخذ العطاء من معاوية(٤).

ووفد عليه المسوّر بن مخرمة، فلما دخل عليه قال له معاوية: «**ما فعل طعنك على الأئمة يا مسوّر؟**»؛ فقال: «**دعنا من هذا وأحْسِن فيما قَدِمنا له**». قال: «**واللَّه لتكلمن بذات نفسك**»، فلم يدع المسوّر شيئًا يعيبه عليه إلّا بيّنه له. فقال معاوية: «لا أتبرأ من الذنوب، فما لك يا مسوّر ذنوب تخاف أن تهلك إن لم يغفر اللَّه لك؟!»، فقال المسوّر: «**بلى**»؛ فقال معاوية: «فما جعلك أحق أن ترجو المغفرة مني؟ فواللَّه لما آلي الإصلاح بين الناس وإقامة الحدود والجهاد في سبيل اللَّه والأمور العظام التي لست أحصيها ولا تحصيها أكثر مما تلي، وإني لعلى دين يُقبل فيه العمل، ويُجزى فيه بالحسنات، ويُجزى فيه بالذنوب إلّا أن يعفو اللَّه عنها. قال: فخصمني.

---

(١) تاريخ اليعقوبي لليعقوبي (١٩٣/٢).

(٢) الإصابة: (١٢٢/٦).

(٣) الاستيعاب: (١٤١٨/٣).

(٤) الاستيعاب: (١٤٢٠/٣).

قال عروة بن الزبير: فلم أسمع المِسْوَر ذكر معاوية إلا صَلّى عليه»[١].

وفي رواية «يقبل اللَّه فيه الحسنات، ويعفو عن السيئات. واللَّه لعَلى ذلك ما كنت لأُخيّر بين اللَّه وبين ما سواه إلّا اخترتُ اللَّه على ما سواه.

وفي رواية قال معاوية: فما يجعلك أحقّ أن ترجو المغفرة مني؟ فواللَّه لما ألى من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكني واللَّه لا أُخَيَّرُ بين أمرين بين اللَّه وبين غيره إلا اخترت اللَّه على ما سواه، وأنا على دين يقبل اللَّه فيه العمل، ويجزي فيه بالحسنات، ويجزي فيه بالذنوب، إلا أن يعفو عمن شاء، فأنا أحتسب كل حسنة عملتها بأضعافها، وأوازي أمورًا عظامًا لا أُحصيها ولا تحصيها من عمل اللَّه في إقامة صلوات المسلمين، والجهاد في سبيل الله، والحكم بما أنزل الله، والأمور التي ليست تحصيها، وإن عددتها لك، فتفكّر في ذلك.

قال المسور: فعرفتُ أن معاوية قد خصمني حين ذكر لي ما ذكر.

قال عروة: فكم يُسمع بعد ذلك يذكر معاوية إلا صلى عليه.

وفي تاريخ بغداد: إلا استغفر له[٢].

ولم يجلد عمر بن عبدالعزيز سوطًا في خلافته إلا رجلًا شتم معاوية عنده، فجلده ثلاثة أسواط.

ومرّ عبدالملك بن مروان بقبر معاوية، فوقف عليه وترحّم، فقال رجل: قبر من هذا؟ فقال: «قبر رجل كان واللَّه فيما علمته ينطق عن علم ويسكت عن فهم. إذا أعطى أغنى، وإذا حارب أفنى، ثم عجّل له الدهر ما أخّره لغيره ممن بعده. . هذا قبر أبي عبدالرحمن بن معاوية»[٣].

---

(١) رجاله ثقات: انظر سير أعلام النبلاء: (١٥١/٣)، وتاريخ الإسلام (٨٠/٣)، وتاريخ بغداد ٢٠٨/١، والبداية والنهاية (١٣٣/٨).

(٢) تاريخ بغداد: (٢٠٨/١)، وتاريخ دمشق (١٦٢/٥٩).

(٣) الاستيعاب (١٤٢١/٣ - ١٤٢٢).

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: «خلف معاوية خلق كثير يحبّونه ويتغالوْن فيه ويُفضّلونه، إمّا قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، وإمّا قد وُلِدوا في الشام على حبِّه، وتربَّى أولادهم على ذلك، وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة، وعدد كثير من التابعين والفضلاء، وحاربوا معه أهل العراق، ونشؤوا على النَّصْب[(١)]، نعوذ باللَّه من الهوى. كما قد نشأ جيش عليّ ﷺ إلا الخوارج منهم ـ على حبّه والقيام معه، وبُغض من بَغَى عليه والتبري منهم، وغلا خلق منهم في التشيّع. فباللَّه كيف يكون حال من نشأ في إقليم، ولا يكاد يُشاهد فيه إلّا غاليا في الحب، مُفرطا في البغض، ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟.

فنحمد اللَّه على العافية الذي أوجدنا في زمان قد انمحص فيه الحق، واتضح من الطرفين وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين، وتبصرنا، فعذرنا، واستغفرنا، وأحببنا باقتصار، وتَرحَّمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة، أو بخطأ إن شاء اللَّه مغفور، وقلنا كما علّمنا اللَّه ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠]، وتَرَضَّيْنا أيضًا عمن اعتزل الفريقيْن، كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعيد بن زيد، وخلْق، وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا عليا، وكفّروا الفريقين فالخوارج كلاب النار، قد مرقوا من الدين، ومع هذا فلا نقطع لهم بخلود النار، كما نقطع به لعبدة الأصنام والصلبان»[(٢)].

وقال الذهبي أيضًا عن معاوية: «حسبُك بمن يؤمِّره عمر ثم عثمان على إقليم ـ وهو ثغر فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويرضى الناس بسخائه وحلمه وإن كان بعضهم تألّم مرّة منه، وكذلك فليكن الملك، وإن كان غيره من أصحاب رسول اللَّه ﷺ خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجل ساد، وساس العالم بكمال

(١) الناصبي: هو الذي يبغض عليا.
(٢) سير أعلام النبلاء: (١٢٨/٣).

عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه، وله هنات وأمور، والله الموعد.

وكان مُحببا إلى رعيته. عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يَهِجْهُ أحد من دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم، وكان ملكه على الحرمين، مصر، والشام، والعراق، وخراسان، وفارس، والجزيرة، واليمن، والمغرب، وغير ذلك»[١].

سأل رجل الحسن البصري عن علي ومعاوية، فقال: كان لهذا قرابة، ولهذا قرابة، ولهذا سابقة وليس لهذا سابقة، وابتُليا جميعا.

قال الذهبي: «قلتُ: قتل بين الفريقين نحو من ستين ألفا. وقيل: سبعون ألفا، وقُتل عمار مع علي، وتبيّن للناس قول رسول الله ﷺ: «**تقتله الفئة الباغية**» ا هـ.

وهذا الحديث حديث صحيح مشهور بل متواتر، ولمّا لم يقدر معاوية رضي الله عنه على إنكاره، قال: إنما قتله الذين جاؤوا به، كما في «**المسند**» (٢/ ١٦١) بسند صحيح، فأجابه عليّ رضي الله عنه بأن رسول الله إذَنْ قتل حمزة حين أخرجه، وهذا منه رضي الله عنه إلزامٌ مُفِحم لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها.

وعلي رضي الله عنه أفضل من معاوية ـ وأحق بالخلافة منه لسابقته في الإسلام وفضله الذي لا يجاريه ولا يدانيه فيه معاوية رضي الله عنه اجتهد عليٌّ فأصاب فله أجران، واجتهد معاوية فأخطأ فله أجر واحد، وقد قال ﷺ عن الخوارج «**تقاتلهم الفئة الأقرب إلى الحق**» فعُلِم بهذا أن عليًا رضي الله عنه كان أقرب إلى الحق من معاوية.

وما ذهب إليه الذهبي من كون طائفة معاوية هي الباغية أي الخارجة على الإمام هو مذهب فقهاء الحجاز والعراق من فريقيْ الحديث والرأي، منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي، وغيرهم كما قال الإمام عبدالقاهر الجرجاني في

---

(١) المصدر السابق: (٣/١٣٢ - ١٣٣).

كتاب «**الإمامة**» نقله عنه المناوي في «**فيض القدير**» ٦/ ٦٦٣. وقال الإمام أحمد: «لم يكن أحد أحقّ بالخلافة في زمان عليّ من عليّ ﷺ، ورحم اللَّه معاوية»[(١)].

- **معاوية أفضل أم عمر بن عبدالعزيز؟:**

سُئل الإمام أحمد بن حنبل: أيُّما أفضل، معاوية أو عمر بن عبدالعزيز؟ فقال: **«لغبار لحِق بأنف جواد معاوية بين يديْ رسول اللَّه ﷺ خيرٌ من عمر بن عبدالعزيز»**[(٢)].

وسُئل ابن المبارك عن معاوية فقيل له: ما تقول فيه؟ قال: ما أقول في رجل قال رسول اللَّه ﷺ: «**سمع اللَّه لمن حمده**»، فقال معاوية من خلفه: ربنا ولك الحمد، فقيل له: ما تقول في معاوية؟ هو عندك أفضل أم عمر بن عبدالعزيز؟ فقال: لترابُ في منخريّ معاوية مع رسول اللَّه خيرٌ أو أفضل من عمر بن عبدالعزيز»[(٣)]. وفي البداية والنهاية: خير وأفضل.

وسُئِل ياقوتة العلم والعباد المعافى بن عمران: أيما أفضل معاوية بن أبي سفيان أو عمر بن عبدالعزيز؟ فكأنه غضب، وقال: يوم من معاوية أفضل من عمر بن عبدالعزيز ثم التفت إلى الرجل فقال: تجعل رجلًا من أصحاب محمد ﷺ مثل رجل من التابعين؟!»[(٤)].

وسأل رجل المعافى بن عمران، فقال: لا يُقاس بأصحاب رسول اللَّه ﷺ أحد، معاوية صاحبه، وصهره وكاتبه، وأمينه على وحي اللَّه عَزَّ وَجَلَّ»[(٥)].

وسُئل الفضل بن عنبسة: معاوية أفضل أم عمر بن عبدالعزيز؟ فعجب من

---

(١) تاريخ دمشق: (١٣٨/٥٩).
(٢) شذرات الذهب: (٦٥/١).
(٣) تاريخ دمشق: (٢٠٧/٥٩ - ٢٠٨).
(٤) تاريخ دمشق: (٢٠٨/٥٩).
(٥) تاريخ بغداد: (٢٠٩/١، ٢١٠)، وتاريخ دمشق (٢٠٨/٥٩)، والبداية والنهاية: (١٤٨/٨).

ذلك، وقال: سبحان الله، أأجعل من رأى رسول اللَّه ﷺ كمن لم يره؟! قالها ثلاثا [١].

وقال أبو إسحاق السبيعي: كان معاوية وكان ما رأينا مثله، وما استثنى أبو إسحاق عمر بن عبدالعزيز.

وقال ابن المبارك: معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إلى معاوية شَزْرًا، اتهمناه على القوم، أغني على أصحاب محمد ﷺ [٢].

وقال الربيع بن نافع: معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب النبي ﷺ فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه [٣]

وقال أحمد بن حنبل: «إذا رأيت رجلا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتّهمه على الإسلام [٤].

وقال معاوية بن أبي سفيان: إني لست بخيركم، وإنّ فيكم مَن هو خير مني، عبداللَّه بن عمر، وعبداللَّه بن عمرو، وغيرهما الأفاضل، ولكني عسيت أن أكون أنكاكم في عدوّكم، وأنفعكم لكم ولاية وأحسنُكم خُلقا [٥].

وعن قتادة قال: لما انتهى كتاب الحكم بن عمرو إلى زياد كتب بذلك إلى معاوية، وجعل كتاب الحكم في جوف كتابه، فلما قدم الكتاب على معاوية خرج إلى الناس، فأخبرهم بكتاب زياد، وصنيع الحكم، فقال: ما ترون؟ فقال بعضهم: أرى أن تصلبه، وقال بعضهم: أرى أن تقطع يديه ورجليه، وقال بعضهم: أرى أن تغرمه المال الذي أعطى، فقال معاوية: بئس الوزراء أنتم، أتأمروني أن أعمد إلى

---

(١) تاريخ دمشق: (٢٠٨/٥٩).

(٢) البداية والنهاية: (١٤٨/٨)، وتاريخ دمشق: (٢٠٩/٥٩).

(٣) تاريخ بغداد: (٢٠٩/١)، وتاريخ دمشق: (٢٠٩/٥٩).

(٤) تاريخ دمشق: (٢٠٩/٥٩).

(٥) تاريخ دمشق: (١٦٢/٥٩ - ١٦٣)، وسير أعلام النبلاء (١٥٠/٣).

رجل آثر كتاب اللَّه تعالى على كتابي، وسنة رسول اللَّه ﷺ على سُنتي فأقطع يديه ورجليه!!، بل أحسن، وأجمل، وأصاب فكانت هذه مما تُعدُّ من مناقب معاوية(١).

وقال مجاهد: لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي(٢).

قال ابن عون: كان الرجل يقول لمعاوية: واللَّه لتستقيمن يا معاوية أو لنقوّمنّك، فيقول لهم: بماذا؟ فيقولون: بالخُشُب(٣) فيقول لهم: إذًا نستقيم(٤).

وقال عبداللَّه بن الزبير ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن معاوية: «لله درّ ابن هند، أما واللَّه إن كنا نتخدّعه فيخادع لنا، وما ابن ليلة بأدهى منه، لله در ابن هند، أما واللَّه إن كنا لنفرّقه(٥) فيتفارق لنا، وما الليث الحَرِب(٦) بأجرأ منه. كان واللَّه كما قالت بنت رقيقة:

أَلَا أبكيه أَلَا أبكيه ... أَلَا كلُّ الفتى فيه(٧)

وقال ابن عباس: قد علمتُ بما كان معاوية يغلب الناس، كانوا إذا طاروا وقع، وإذا وقعوا طار(٨).

ولما جاء قَتْل عليّ إلى معاوية جعل يبكي ويسترجع، فقالت له امرأته: تبكي عليه وقد كنت تقاتله؟ فقال لها: ويحك، إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل، والفقه والعلم(٩).

---

(١) تاريخ دمشق: (١٧٠/٥٩).

(٢) البداية والنهاية: (١٤٣/٨)، وتاريخ دمشق: (١٧٢/٥٩).

(٣) الخشب: هي السيوف المصقولة.

(٤) تاريخ دمشق: (١٨٤/٥٩).

(٥) نفرّقه: أي نخوّفه. مِنَ الفَرَق وهو الخوف.

(٦) الحَرِب: الشديد الغضب.

(٧) تاريخ دمشق: (١٨٥/٥٩ ـ ١٨٦).

(٨) تاريخ دمشق (١٨٧/٥٩)، والبداية والنهاية: (١٤٥/٨)، وسير أعلام النبلاء (١٥٤/٣)، وأنساب الأشراف: (٩٣/٥).

(٩) البداية والنهاية: (١٣٩/٨)، وتاريخ دمشق: (١٤٢/٥٩).

وقال علي بن أبي طالب: لا تكرهوا إمْرَة معاوية، فلو قد فقدتموه لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها[١].

وجاء رجل إلى أبي زرعة الرازي فقال له: يا أبا زرعة أنا أبغض معاوية، قال: لِمَ؟ قال: لأنه قاتل علي بن أبي طالب، فقال له أبو زرعة: إن رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فأيش دخولك أنت بينهما رضي الله عنهم أجمعين[٢].

وسأل رجل الإمام أحمد عما جرى بين علي ومعاوية، فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبدالله، هو رجل من بني هاشم، فأقبل عليه فقال: اقرأ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾[٣] [البقرة: ١٣٤]

- **معاوية قائدا**

قال معاوية: «أُعِنتُ على عليٍّ بثلاث: كان رجلا ربما أظهر سره وكنت كتومًا لسرِّي؛ وكان في أخبث جندٍ وأشدّه خلافًا عليه، وكنت أطوع جند وأقله خلافًا عليَّ؛ ولما ظفر بأصحاب الجمل لم أشك أن بعض جنده سيعدّ ذلك وهنًا في دينه، ولو ظفروا به كان وهنًا في شوكته؛ ومع هذا فكنت أحبّ إلى قريش منه، لأني كنت أعطيهم ويمنعهم، فكم سبب من قاطع إلي ونافر عنه»[٤].

هذا الكلام يعطي فكرة واضحة عن بعض سمات قيادة معاوية، فقد كان كتومًا لا يبيح بنواياه لأحد، فيبقى خصمه في جهل مطبق لنواياه.

إن كشف نوايا الخصم من أهم عوامل إعداد الخطط المناسبة لإحباطها، لذلك

---

(١) السير: (٣/١٤٤)، وأنساب الأشراف: (٤/٢)، والبداية والنهاية: (٨/١٣١)، وتاريخ الإسلام: (٢/٣٢٠)، تندر: تقع.

(٢) تاريخ دمشق: (٥٩/١٤١).

(٣) البداية والنهاية: (٨/١٣٩)، وتاريخ دمشق: (٥٩/١٤١).

(٤) الاستيعاب: (٣/١٤٢٢).

نصت الكتب العسكرية على: «أن الكتمان من أهم عوامل المباغتة أهم مبادئ الحرب».

لقد كان معاوية إذًا، كتومًا، يؤمن بأن: الحرب خدعة، ويتّخذ كافة الوسائل التي تؤمن له التغلّب على عدوه، وكان محبوبًا من قومه، وكان ذكيًا يستشير رجاله ويبث عيونه وأرصاده - كل ذلك أدى إلى أن تكون خططه سليمة صائبة. وكان شجاعًا مقدامًا، أقدم على خوض معارك قاسية في البحار؛ وكان ذا إرادة قوية وشخصية نافذة.

وعند تطبيق أعماله العسكرية على مبادئ الحرب، نجد أنه (يختار مقصده ويديمه)، و(يتعرّض) بخصمه و(يباغته)، وللنجاح بالتعرض والمباغتة (يحشد قوته ويحرص على (أمنها) و(يديم معنوياتها) ويؤمّن لها (أمورها الإدارية).

إنه كان قائدًا ممتازًا من كافة الوجوه.

- **معاوية في التاريخ:**

يجمع التاريخ على تقدير معاوية القائد.

فقد شهد أكثر معارك فتح أرض الشام، وفتح بنفسه (عِرْقَة) و(قَيْسَارية) و(عَسْقَلان) و(قبرس)، وقاد غزوة (ذات الصواري) وغزوة مضيق (القسطنطينية).

وفُتح في أيامه أكثر شمالي (إفريقية) وأكثر بلاد السودان وفتحت (كابل) وبعض أراضي (السند) و(بخارى) و(سمرقند) و(ترمذ)، كما فتحت جزيرة (أرْوَاد)[١] و(رُودِس)[٢] كما حوصرت القسطنطينية، وأديم زخم الهجوم على الروم بصورة خاصة صيفًا وشتاءً!!

---

(١) أرواد: جزيرة في البحر غزاها المسلمون وفتحوها سنة ٥٤ هـ. راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/ ٢٠٧).

(٢) رودس: جزيرة للروم مقابل الإسكندرية على ليلة منها في البحر. راجع التفاصيل في معجم البلدان: (٤/ ٣٠).

تلك فتوحات عظيمة، تجعله ثاني الخلفاء فتحًا بعد عمر بن الخطاب من وجهة سعة المناطق المفتوحة برًّا، وأول الخلفاء فتحًا من وجهة سعة المناطق المفتوحة بحرًا.

فهل تشفع له هذه الفتوحات التي نشرت الإسلام في بلاد شاسعة شرقًا وغربًا وفي البر والبحر عند من يُنحي باللوم على سيرته إنسانًا، أم أن كل هذه الأعمال المجيدة غير كافية لتخفيف غلواء لومه ونقده عند هؤلاء[(١)]؟!.

واللَّه ما ينتقص معاوية أعدل ملوك المسلمين إلا صاحب بدعة.

قال أحمد بن حنبل: فُتحت قيسارية سنة تسع عشرة وأميرها معاوية[(٢)].

وقال يزيد بن عبيدة: غزا معاوية قبرص سنة خمس وعشرين[(٣)].

وقال خليفة بن خياط: وفيها ـ يعني ـ سنة اثنتين وثلاثين: غزا معاوية المضيق من القسطنطينية وفيها ـ يعني سنة ثلاث وثلاثين: غزا معاوية بن أبي سفيان مَلَطْية، وإفريقية، وغزا أيضًا حصن المرأة من أرض الروم[(٤)].

فرضي اللَّه عن الصحابي الجليل، الحليم الداهية، القائد الفاتح، خال المسلمين معاوية بن أبي سفيان الأموي.

ولما جاء الموت هذا العبد الصالح معاوية قال: «قد قيل: من أحب لقاء اللَّه أحبّ اللَّه لقاءه، اللهم إني أحببت لقاءك فأحبّ لقائي»[(٥)].

وقال لابنه يزيد موصيا له: «اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي، وقراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القُراضة أنفي وأذني وعيني، واجعل الثوب يلي جلدي دون أكفاني، ويا يزيد احفظ وصية اللَّه في الوالدين، فإذا

---

(١) انظر قادة فتح الشام ومصر: ص ١٨٩ ـ ١٩٤ باختصار.
(٢) تاريخ دمشق لأبي زرعة (١/١٧٩، ١/١٨٤) على التوالي، وسير أعلام النبلاء: (٣/١٣٥).
(٣) تاريخ دمشق لأبي زرعة (١/١٧٩، ١/١٨٤) على التوالي، وسير أعلام النبلاء: (٣/١٣٥).
(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٦٧.
(٥) تاريخ دمشق: (٥٩/٢١٦).

أدرجتموني في جريدتي ووضعتموني في حفرتي، فخلّوا معاوية وارحم الراحمين
وقال رحمه اللَّه ورضي عنه عند الموت: اللهم أَقِل العثرة، واعف عن الزلّة، وعُدْ بحلمك على من لا يرجو غيرك فإنك واسع المغفرة، ليس من خطيئة مهرب إلا إليك، فما وراءك مذهب.

رضي اللَّه عن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان.

أودى ابن هند وأودى المجدُ يتبعه   كانا جميعًا فماتا قاطِنَين معا[1]

* * *

(١) الكامل: (٣/٣٧١).

(٤٣٠) الصحابي القائد
قَبّاثُ[١] بن أَشْيَم الليثي رضي الله عنه
بطل عظيم من أبطال اليرموك، وقائد أحد الكراديس

هو الصحابي قَبّاث بن أَشْيَم بن عامر بن المُلَوَّح بن يَعمُر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث، من بني كنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مضر، ثم من بني ليث بن بكر.

وأمه البرصاء بنت ربيعة بن ذي البردين من بني هلال[٢].

«شهد بدرًا مع المشركين وكان له فيها ذكر، ثم أسلم بعد ذلك وشهد مع النبي ﷺ بعض المشاهد، وكان على مجنبتهِ أبي عبيدة يوم اليرموك[٣]، وبذا قال ابن الكلبي أيضًا وقال ابن عساكر: شهد اليرموك وكان أميرًا على كُرْدُوس وسكن حمص.

وقد نال قباث شرف الصحبة والجهاد تحت لواء الرسول ﷺ، فقد أسلم بعد الخندق، وشهد حنينا مع رسول اللَّه ﷺ.

سأل عثمان بن عفان[٤] قباث بن أشيم أخا بني يعمر بن ليث، فقال: أنت أكبر أم رسول اللَّه ﷺ فقال: رسول اللَّه أكبر مني وأنا أسنُّ منه»[٥] فلله دره ما أعظم أدبه مع الرسول ﷺ.

---

(١) قباث بضم القاف وبالباء الموحدة وآخره ثاء مثلثة، قاله ابن ماكولا، والصواب فتح القاف كما في أسد الغابة والإصابة.

(٢) انظر: «أسد الغابة» (٤/٣٥٩) ت(٤٢٥٦) والإصابة (٥/٣١٠) ت (٧٠٧١)، وتاريخ دمشق (٤٩/ ٢٢٣) ت (٥٦٩٦)، والاستيعاب ت (٢١٨٩).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: (٧/٤١١).

(٤) وفي رواية أخرى في تاريخ دمشق سأله عبدالملك بن مروان.

(٥) الإصابة: (٥/٣١٠).

- **إسلامه:**

قال قُباث بن أشيم الكناني: شهدت مع المشركين بدرا، وإني لأنظر إلى قلّة أصحاب محمد في عيني وكثرة من معنا من الخيل والرجال، فانهزمتُ فيمن انهزم فلقد رأيتني وإني لأنظر إلى المشركين في كل وجه، وإني لأقول في نفسي: ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء، وصاحبني رجل، فبينا هو يسير معي إذْ لحقنا مَنْ خلفنا، فقلتُ لصاحبي: أبك نهوض؟ قال: لا واللَّه ما هو بي قال: وعقر[١] فترفعت[٢] فلقد صبحت غيقة[٣] قبل الشمس، كنت هاديا بالطريق ولم أسلك المحاج، وخفت من الطلب فتنكبت عنها، فلقيني رجل من قومي بغيقةَ فقال: ما وراءك؟ قلت: لا شيء، قُتِلنا وأُسِرنا وانهزمنا فهل عندك من حملان؟ قال: فحملني على بعير، وزوّدني زادًا حتى لقيت الطريق بالجُحفة، ثم مضيت حتى دخلت مكة، وإني لأنظر إلى الحَيْسمان بن حابس الخزاعي بالغميم[٤] فعرفت أنه يقدم ينعي بمكة قريشا، فلو أردت أن أسبقه لسبقته، فنكّبت عنه حتى سبقني ببعض النهار، فقدمت وقد انتهى إلى مكة خبر قتلاهم، وهم يلعنون الخزاعي، ويقولون: ما جاءنا بخير، فمكثت بمكة، فلما كان بعد الخندق قلتُ: لو قدمتُ المدينة فنظرت ما يقول محمد، وقد وقع في قلبي الإسلام، فقدمت المدينة فسألت عن رسول اللَّه ﷺ فقالوا: هو ذاك في ظلّ المسجد مع ملأ من أصحابه، فأتيته، وأنا لا أعرفه من بينهم، فسلّمت، فقال: يا قُبَاث بن أشيم أنت القائل يوم بدر: ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء. فقلتُ: أشهد أنك رسول اللَّه وأن هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط، وما تَرَمْرَمت به إلا شيئًا حدَّثت به نفسي، فلولا أنك نبي

---

(١) عُقِر: أي حبس بحيث أنه لم يستطع مواصلة السير.
(٢) ترفعت: من رفع البعير في السير إذا بالغ.
(٣) غيقة: موضع بساحل البحر يصب فيها وادي ينبع ورضوى.
(٤) الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

ما أطعلك اللَّه عليه، هلمّ حتى أبايعك، فعرض على الإسلام فأسلمت[١].

● **جهاده:**

أشار خالد بن الوليد على أبي عبيدة بن الجرّاح بتوليته قائدًا للميسرة في اليرموك، وقاتل قبّاث يومئذٍ قتالًا شديدا، وأخذ يقول:

إن تفقدوني تفقدُوا خير فارسٍ ... لدى الغَمَرَات والرئيس المُحامِيَا
وذَا فَخْرٍ لا يَمْلأُ الهولُ قلبَه ... ضَروبًا بنصل السيف أروعَ ماضيا

وكسر في الروم ثلاثة رماح وقطع سيفين، وكان كُلما كسر رمحًا أو سيفًا يقول: من يُعير سيفًا أو رمحا ـ في سبيل اللَّه ـ رجلا قد حبس نفسه مع أولياء اللَّه وقد عاهد اللَّه لا يفرّ ولا يبرح، يقاتل المشركين حتى يظهر المسلمون أو يموت، فكان من أحسن الناس بلاءً في ذلك اليوم.

فلله دره من قائد بطل، صدق عند اللقاء،

ورضي اللَّه عنه من صحابي قبّاث بن أشيم الليثي.

* * *

(١) الطريق إلى دمشق: لأحمد عادل كمال ص ٣٤٣، ٤٨٤.

قادة الفتح الإسلامي لِمِصْرَ

١ـ عمرو بن العاص السهمي[١]

٢ـ الزبير بن العوام الأسدي[٢]

٣ـ عبدالله بن حذافة السهمي

٤ـ خارجة بن حذافة العدوي

٥ـ عمير بن وهب الجمحي

٦ـ عقبة بن عامر الجهني

٧ـ عبادة بن الصامت الخزرجي

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.



(٤٣١) عبدالله بن حُذَافة القرشي السهمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاتح عين شمس[١]

هو الصحابي عبدالله بن حُذافة بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم بن عمرو ابن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، أبو حذافة القرشي السهمي صحب رسول الله ﷺ، أحد السابقين، أسلم قديمًا وهاجر إلى الحبشة.

وأمه تميمة بنت حُرْثان، من بني الحارث بن عبد مناة، وأخوه خُنيس بن حذافة، زوج حفصة بنت عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَبْل النبي ﷺ.

قال أبو سعيد بن يونس، وابن مندة: شهد بدرًا[٢]، ولم يصحّ، ولم يذكره موسى بن عقبة، ولا عروة، ولا ابن شهاب، ولا ابن إسحاق في البدريين[٣].

وفي صحيح البخاري، عن ابن عباس، قال: نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] في عبدالله بن حُذافة؛ بعثه النبي ﷺ في سَريّة[٤].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث رسول الله ﷺ سَرِيّة، عليهم علقمة بن مُجَزِّز، وأنا فيهم فخرجنا، حتى إذا كُنَّا ببعض الطريق، استأذنه طائفة. فأذِن لهم وأمّر عليهم عبدالله بن حذافة، وكان من أهل بدر، وكانت فيه دعابة. فبينا نحن في الطريق، فأوقد القوم نارًا يصطلون بها، ويصنعون عليها صنيعًا لهم، إذْ قال: أليس لي عَليكم السمع والطاعة؟

---

(١) عين شمس: اسم حي كبير من أحياء القاهرة، كانت مدينة بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/٢).

(٣) أسد الغابة (٢١٣/٣).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٩١/٨) في التفسير، ومسلم (١٨٣٤) في الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وأحمد (٣١٢٤).

قالوا: بلى. قال: فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلّا ثواثبتم في هذه النار، فقام ناس فتحجزوا حتى إذا ظن أنهم واقعون فيها قال: أمسكوا، إنما كنتُ أضحك معكم.

فلما قدموا على رسول اللَّه ﷺ، ذكروا ذلك له. فقال: «مَن أمركم بمعصية فلا تُطيعوه»[١].

وبعثه رسول اللَّه ﷺ إلى كسرى ملك فارس بكتاب يدعوه إلى الإسلام، فمزّق كسرى الكتاب، فقال رسول اللَّه ﷺ: «اللهم مزِّق ملكه»[٢] وكان نص كتاب الرسول ﷺ إلى كسرى: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم. من محمد رسول اللَّه إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن باللَّه ورسوله وشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبده ورسوله، وأني أدعوك إليّ بدعاء الله، وإني رسول اللَّه إلى الناس كافة لأنذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن توليت فإن إثم المجوس عليك»[٣].

وشهد عبداللَّه كافة غزوات النبي ﷺ بعد «خيبر» وكان معه في الحج، فأمره أن ينادي في أهل «منى»: «ألا لا يصوم هذه الأيام أحد»[٤].

❑ الفاتح:

خرج إلى الشام مجاهدًا، فأُسِرَ على قَيْسارية، وحملوه إلى طاغيتهم، فراوده عن دينه، فلم يُفتَتَن. وسنذكر ذلك بعد قليل.

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» وأحمد في مسنده (٣/٦٧)، وابن ماجه (٢٨٦٣) في الجهاد: باب لا طاعة في معصية الله، وابن خزيمة، وصححه ابن حبان (١٥٥٢) والحاكم (٣/٦٣٠، ٦٣١)، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح، وأشار إليه البخاري في «صحيحه» (٨/٤٦) في المغازي في الترجمة، فقال: باب سرية عبدالله بن حذافة السهمي، وعلقمة بن مجزر المدلجي.

(٢) طبقات ابن سعد (٤/٨٨٩).

(٣) الطبري (٢/٢٩٦).

(٤) الإصابة (٤/٥١) ت (٤٦٤١)، وأُسْد الغابة ت (٢٨٩١).

وشهد مع عمرو بن العاص فتح مصر، و«لما فتح عمرو الفسطاط وجّه عبدالله ابن حذافة السهمي إلى عين شمس فغلب على أرضها، وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط»[١].

وبعد فتح مدينة الإسكندرية استخلف عمرو بن العاص عليها عبدالله في رابطة من المسلمين، وانصرف عمرو إلى الفسطاط، فكتب الروم إلى قسطنطين بن هرقل الذي كان ملك الروم حينذاك يخبرونه بقلة عدد المسلمين في الإسكندرية، فبعث ملك الروم أحد قادته على رأس قوة مشحونة في ثلاث مئة مركب فدخل الإسكندرية، ولكن المسلمين أعادوا فتح الإسكندرية مرة ثانية»[٢].

❑ قصة عبدالله بن حذافة السهمي في أسر الروم[٣]:

هذه القصة مشهورة جدًّا ـ كما سيأتي ـ، وتختلف المصادر والمراجع في حيثياتها وتفصيلاتها، ولذا نرجئ ذكرها ـ التفصيلي ـ إلى الكلام على (تخريجها وطرقها)، ولكن مفاد ما فيها:

أنّ ملك الروم قال لعبدالله بن حذافة ـ وهو أحد الصحابة ـ لما أسر: تنصَّر! وهدَّده بالقتل بإلقائه في بقرة (إناء كبير مصنوع من نحاس)؛ فأبى الصحابي الجليل، فأراد ملك الروم أن يعطي ابن حذافة درسًا عمليًّا على عقاب الممتنع، فدعا بالبقرة، فملئت زيتًا وأغليت، ودعا برجلٍ من أسرى المسلمين، فعرض عليه النصرانية، فأبى، فألقاه في البقرة؛ فإذا عظامه تلوح.

والتفت ملك الروم لعبدالله بن حذافة، وقال له: تنصَّر وإلا ألقيتُك. فأبى الصحابي الجليل؛ فأمر به أن يلقى، فبكى عبدالله؛ فقيل له: قد جزع، قد بكى.

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (٢١٨).

(٢) البلاذري ص (٢٢٢- ٢٢٣).

(٣) هذا النقل كاملًا من كتاب «قصص لا تثبت» لمشهور بن حسن آل سلمان ـ الجزء الثالث ص (٧٣- ٩٢).

قال ملك الروم: ردوه. فلما ردوه، قال الصحابي الجليل: لا ترى أني بكيتُ جزعًا مما تريد أن تصنع بي، ولكني بكيتُ حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنتُ أحبّ أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيّ، ثم تسلط عليّ فتفعل بي هذا.

فأعجب ملك الروم بهذه النفس الأبيّة، وأحبّ أن يطلقه؛ فقال: قبّل رأسي وأطلقك. فأبى عبدالله بن حذافة، فقال ملك الروم: قبل رأسي وأطلق معك ثمانين من المسلمين. قال عبدالله: أما هذه؛ فنعم. فقبّل رأسه، وأطلقه وأطلق معه ثمانين من المسلمين.

فلما قدموا على عمر بن الخطاب ـ وكان خليفة للمسلمين ـ؛ قام فقبَّل رأس عبدالله، وقال: حقٌّ على كل مسلم أن يقبّل رأس عبدالله بن حذافة، وأنا أبدأ. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبدالله؛ فيقولون: قبَّلت رأس علج. فيقول لهم: أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين.

هكذا يردد بعض الخطباء والوعاظ هذه القصّة، وقد أطلتُ النفس في تتبعها من مصادرها، فلم أظفر بما يورده بعضهم في هذه القصة من تفصيلات(١)؛ وقمتُ بدراسة أسانيدها؛ فلم أجد شيئًا يفرح به، مع أنّ هذه القصة فيها كثير من المعاني السامية، والصبر على الابتلاء، والتسامي على الأعداء، ولا سيما في هذا الزمان الذي يتهافت فيه كثير من المسلمين ـ اليوم ـ لإرضاء أعداء الله من كل جنس ولون، ويفقدون في سبيل ذلك دينهم أو بعضه، كما يفقدون كذلك كثيرًا من خيرات بلادهم، ويتمنى من يقرأ هذه القصة ـ لما يقارن بين وضع أمة الإسلام في ماضيها وحاضرها ـ أن يكتفي هؤلاء بتقبيل رؤوس أعدائهم حتى ولو لم يكن في تقبيلها أي مصلحة للإسلام والمسلمين، ولكن هذه الأمنية ـ على انحطاطها ـ قد لا

---

(١) كما فعل صاحب «مواقف بطولة من صنع الإسلام» (١٥١) عندما ذكر أن الملك صلب عبدالله بن حذافة، وأمر أحد رماته المهرة فرماه بسهمينْ أحاط برأسه عن يمين وعن شمال.

تتحقق اليوم؛ فهل ننتبه ونعقل؟!

ولكن؛ هذا شيء، والبحث العلمي والحقائق الثابتة بالأدلة الصحيحة شيء آخر.

● شهرة القصة:

هذه القصّة مشهورة جدًّا، يردّدها الوعاظ، ويدوّنها من يكتب عن مآثر الأسلاف، وبطولاتهم، وامتحانهم، وثباتهم، وتعتني بها كتب التاريخ والتراجم؛ فها هو ابن حجر يذكرها في «الإصابة» (٢/٢٩٦- ٢٩٧) - وتكلّم عليها، كما سيأتي -، و«التهذيب» (٥/١٦٢)، وقبله المزي في «تهذيب الكمال» (١٤/٤١٣)، وذكرها ابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/١٤٣)، وابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٢/ ٢٨٤)، والذهبي في «السير» (٢/١٤، ١٥)، و«تاريخ الإسلام» (ص ٣٤٣ - عهد الخلفاء الراشدين)، وقبلهم كثير، ويذكرها بعض الفقهاء؛ كابن ضويان في «منار السبيل» (٢/٤١٨) مستدلًّا بها على مشروعية شرب الخمر للمضطر، وأن الأحسن الثبات وعدم ذلك.

وذكرها أيضًا ابن كثير في «تفسيره» (٢/٦٠٩- ٦١٠) عند آية: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقال قبلها: «والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه، ولو أفضى إلى قتله»، ثم ذكرها، وتابعه من اختصره من المعاصرين، مثل: شيخنا محمد نسيب الرفاعي - رحمه اللَّه تَعَالَى - في «تيسير العلي القدير» (٢/٦٠٧)، ومحمد علي الصابوني في «مختصر تفسير ابن كثير» (٢/٣٤٨- ٣٤٩).

أما المعاصرون؛ فلا تقل شهرتها عندهم عمن قبلهم؛ فها هو اللواء الركن محمود شيت خطاب يذكرها في كتابه «قادة فتح الشام ومصر» (٢٣٠- ٢٣١)، ومحمد بن علي الهرفي يذكرها في «خواطر العزّة للإسلام» (٩٥- ٩٦)، ومحمد أبو فارس يذكرها في «الابتلاء والمحن في الدعوات» (٩٠)، وزياد أبو غنيمة في

كتابه «مواقف بطولة من صنع الإسلام»[١] (١٥٠- ١٥٣)، وعبدالرحمن رأفت الباشا رحمه اللَّه ـ تَعَالَى ـ في كتابه «صور من حياة الصحابة» (١/٥١- ٥٦، ومحمود شاكر الحرستاني في كتابه عن «عبداللَّه بن حذافة السهمي» الذي أودعه فيما بعد ضمن سلسلة «بناة دولة الإسلام» (الجزء ١١- ٢٠/ ص ١٠١- ١٠٦)، وعنون لها: «استعلاء الإيمان»، وأخونا سليم الهلالي يذكرها في كتابه «الثبات على الإسلام» (١٤٨- ١٥٠)، وفي مقالته: «كرهت أن أُشمِتك في الإسلام» المنشورة في مجلتنا «الأصالة» (العدد الرابع، ص ٢٧)، وغيرهم كثير.

● **تخريجها وطرقها:**

لهذه القصة طرق كثيرة شديدة الضعف، وهذا البيان:

أخرج أبو إسحاق الفزاري في «السير» (رقم ٣٥٤)؛ قال: «عن الأوزاعي قال: أسر عبداللَّه بن حذافة السهمي بقيسارية، فأراده صاحبهم على الكفر؛ فأتي، فأمر برجل فألقي في البقرة[٢] التي من نحاس ليخوفوه بذلك، فأتي فأمر به، فجعل في بيت فَطيِّن عليه ثلاثًا، فجعل معه لحم خنزير وخمر، ثم فتح عنه فوجدوه لم يذق منه شيئًا، فأُتي؛ فقيل له: إنه لم يذق شيئًا وهو ميت إن تركته. فدعا به فقال: ما منعك أن تأكل؟ قال: ما منعني من ذلك إلا أكون أعلم أن الضرورة إليهما قد حلتهما لي، ولكني[٣] أن أشمتك بالإسلام. قال: نعم، فقبل رأسي، فأتي، قال: فقبل رأسي وأرسل لك ثمانين من أصحابك؟ قال: أما هذه؛ فنعم. فقبل رأسه؛

---

(١) هذا الكتاب فيه غيرة وحمية على مواقف الصحابة والمجاهدين والعلماء ولكنه نسج على منوال كتاب خالد محمد خالد «رجال حول الرسول»؛ إذ أدخل المصنف خياله في صنع أحداث وقول عبارات لم تقع، ولم ترد في أي مصدر من المصادر، وأكبر غلطة فيه ذكره (ص ١٦٢- ١٦٣) اجتماع النووي مع شيخ الإسلام ابن تيمية! وهذا لم يقع البتة، ولا يتصوّر.

(٢) كذا هنا، وفي بعضها: «النُّقرة»، وهما بمعنى، وهو قدر كبير يسخَّن فيه الماء وغيره. انظر: «اللسان» (مادة بقر، نقر)، و«النهاية في غريب الحديث» (١/١٠٧ و٤/١٨٠).

(٣) كذا في مطبوعه، وسقط منه بعدها: «كرهت».

فأرسل له ثمانين من المسلمين، قال: فكان بعد ذلك يمازح ويقال له: قبلت رأسه، فيقول: نجَّى اللَّه بها ثمانين من المسلمين».

وهذا منقطع؛ فإن الأوزاعي لم يدرك عبداللَّه بن حذافة، ولم يشهد هذه الحادثة، فأرسلها دون إسناد.

وأخرج أبو العرب التميمي في كتاب «المحن» (٣٨٣- ٣٨٤)؛ قال: «حدثني يحيى بن عبدالعزيز عن بقي بن مخلد عن عبيداللَّه بن عائشة؛ قال: حدثني عبدالعزيز بن مسلم أن عبداللَّه بن محمد من ولد عبداللَّه بن حذافة أخبره أن عبداللَّه بن حذافة كان بالشام؛ فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية بن أبي سفيان: اغز الروم ووَلِّ عليهم عبداللَّه بن حذافة السهمي قال: فخرج عبداللَّه بن حذافة على الناس، قال: فقيل له في طريق الروم: إن في ناحية كذا وكذا رجلًا من أصحاب هذا الرجل فيهم، قال: فحملت الروم على طائفة من المسلمين فاقتطعوهم ومنهم عبداللَّه بن حذافة السهمي، قال: فلما دخل الروم على هرقل؛ قالوا له: إن هذا الرجل من قريش (يعنون عبداللَّه بن حذافة) وهو ابن عم محمد قال فدفعه إلى رجل فقال: أجعْهُ. قال: فأجاعه الرجل، فكان يأتيه في كل يوم بلحم خنزير فيضعه بين يديه، فيعرض عنه عبداللَّه بن حذافة، وقال: هذا طعام لا يحل لنا أكله، قال: فدخل الرجل على هرقل فقال له أتيته بلحم خنزير وخمر فأعرض عنه، وقال: هذا طعام لا يحل لنا أكله؛ فإن كان لك في الرجل حاجة فأطعمه. قال: فاذهب فأطعمه شيئًا. قال: فذهب وأتاه بطعام فأكله، قال: فلما أخبر هرقل بذلك، فقال: قد بلوته بالضراء فابتليه بالسراء. فأتاه بالجواري وبألطاف وملاءٍ، قال: فلم يلتفت عبداللَّه بن حذافة إلى شيء من ذلك، قال: فأتاه الرجل فأخبره بذلك؛ فقال للجواري: ما كان منه إليكن حركة. فقلن: لا والله، ما التفت إلينا. فأرسل إليه هرقل فأتاه؛ فقال له هرقل: قد بلوتك بالسراء والضراء فصبرت؛ فهل لك أن تُقَبِّل رأسي وتنجو بنفسك. قال: لا. قال: فهل لك أن تقبل رأسي وأدفع لك كل أسير

من المسلمين عندي؟ قال: نعم. فقبل رأسه عبداللَّه بن حذافة فدفع إليه كل أسير عنده من المسلمين، قال: فقدم على عمر؛ فسعى به ساعٍ إلى عمر وقال: إن هرقل قد بعث إليك معه مالًا فخزنه عنك. فدعاه عمر؛ فقال: أين المال الذي بعث معك إلينا؟ قال: يا أمير المؤمنين! ما بعث إليك هرقل شيئًا. قال: فكتب عمر إلى معاوية أن استخرج لي خبره وافحص عن أمره.

قال: فاستخرج معاوية خبر عبداللَّه بن حذافة، قال: فكتب به إلى عمر، قال: فلما قرأ عمر كتاب معاوية؛ قام إلى عبداللَّه بن حذافة فقبل رأسه، ثم قال له عمر: يرحمك الله، ما منعك إذ بلغ بك الجهد ما بلغ أن تأكل لحم الخنزير؟ فقال له عبداللَّه بن حذافة: واللَّه يا أمير المؤمنين؛ لقد علمت أن ذلك موسوعًا لي، ولكنني كرهت أن يُشْمَت بالإِسلام وأهله».

وهذا إسناد ضعيفٌ جدًّا، عبداللَّه بن محمد مجهول، وعبيداللَّه بن عائشة مثله، وهما غير معروفين بالرواية، وللأَخير ذكر في ترجمة عمه (عبيداللَّه بن عمر بن موسى) في «الجرح والتعديل» (٥/٣٢٧)؛ إذ فيه أن هذا (عم عبيداللَّه بن عائشة)، وكذا في «التاريخ الكبير» (٥/٣٩٥) مع سقط وقع فيه، نبه عليه العلامة المعلِّمي اليماني رحمه اللَّه ـ تَعَالَى ـ.

وعبدالعزيز بن مسلم شيخ فيه جهالة، وقوّاه بعضهم كذا في «الميزان» (٢/ ٦٣٥).

وأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ١٣٣ـ ١٣٤، ترجمة عبداللَّه بن حذافة، القسيم المطبوع)، ومن طريقه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/١٤٣)؛ قال: «أنبأنا أبو سعد المطرز وأبو علي الحداد؛ قالا: أنا أبو نُعيم أنا ثابت بن بُندار بن أسدنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الاستراباذي نا عبد الملك ابن محمد بن نعيم نا صالح بن علي النوفلي نا عبداللَّه بن محمد بن ربيعة القُدامي نا عمر بن المغيرة عن عطاء بن عجلان عن عكرمة عن ابن عباس؛ قال: أسرت الروم عبداللَّه بن حذافة

السهمي صاحب النبي ﷺ؛ فقال له الطاغية: تنصَّر، وإلا ألقيتك في النُّقرة من نحاس. قال: ما أفعل. فدعا بالبقْرة النُّحاس فملئت زيتًا وغُلِي!، ودعا برجل من أسارى المسلمين فعرض عليه النصرانية فأبى؛ فألقاه في النقرة فإذا عظامه تلوح، وقال لعبدالله: تنصر، وإلا ألقيتك. قال: ما أفعل. فأمر به أن يلقى في النُّقرة؛ فكتفوه فبكى. فقالوا: قد جزع، قد بكى. قال: ردوه. قال له: لا ترى أني بكيت جزعًا مما تريد أن تصنع بي، ولكني بكيت حين لي[1] إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيَّ، ثم تسلَّط عليَّ فتفعل بي هذا. قال: فأعجب منه وأحب أن يطلقه؛ فقال: قبِّل رأسي وأطلقك. قال: ما أفعل. قال: تنصَّرْ وأزَوِّجك ابنتي وأقاسمك ملكي. قال: ما أفعل. قال: قبل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين. قال: أما هذه؛ فنعم. قال: فقبَّل رأسه وأطلق معه ثمانين من المسلمين، فلما قدموا على عمر بن الخطاب؛ قام إليه عمر فقبّل رأسه، قال: فكان أصحاب رسول اللَّه ﷺ يمازحون عبدالله؛ فيقولون: قبلتَ رأس عِلْجٍ. فيقول لهم: أطلق اللَّه بتلك القبلة ثمانين من المسلمين».

وأخرجه ابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص ٥٣) من طريق زاهر بن طاهر: ثنا أبو نعيم عبدالملك بن محمد بن نعيم به.

وهذا إسناد ضعيف جدًّا، مسلسل بالمجاهيل والضعفاء، فيه عبداللَّه بن محمد بن ربيعة، القدامي، قال الذهبي في «الميزان» (٤٨٨/٢): «أحد الضعفاء، أتى عن مالك بمصائب»، وقال: «ضعّفه ابن عدي وغيره».

وعمر بن المغيرة، قال البخاري عنه: «منكر الحديث، مجهول»، كذا في «الميزان» (٢٢٤/٣).

---

(١) كذا في «تاريخ دمشق»، وفي «أسد الغابة»: «بكيت حيث ليس لي إلا نفس...».

وعطاء بن عجلان متروك، بل أطلق عليه ابن معين والفلَّاس وغيرهما الكذب، كما في «التقريب»، وانظر: «الميزان» (٣/٧٥)؛ فهذا الإِسناد واهٍ بمرَّة، لا يفرح به البتّة.

وأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ١٣٤- ١٣٥)؛ قال: «أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلَّم الفرضي نا عبدالعزيز بن أحمد. ح وأخبرنا أبو الحسن بن أبي الحديد أن جدي أبو عبد الله؛ قالا: أنا محمد بن عوف: أنا محمد بن موسى بن الحسين الحافظ: أنا محمد بن خُرَيْم: نا هشام بن عمار: نا يزيد بن سمرة: نا سليمان بن حبيب؛ أنه سمع الزهري قال: ما اخْتُبِر من رجلٍ من المسلمين ما اخْتُبِرَ من عبداللَّه بن حذافة السهمي، وكان قد شُكِيَ إلى رسول اللَّه ﷺ أنه صاحب مُزاح باطل، فقال: اتركوه فإن له بطانةً تحبُّ اللَّه ورسوله، وكان رمي على قَيْسارِيَّة[1]؛ فوقذوه[2]؛ فأفاق وهو في أيديهم، فبعثوا به إلى طاغيتهم بالقسطنطينية؛ فقال: تنصر وأنكحك ابنتي وأشركك في ملكي. فأبى، قال: إذن أقتلك، قال: فضحك. فأتي بأسارى فضرب أعناقهم، ومد عنقه، قال: أضرب، ثم أتي بآخرين فرموا حتى ماتوا، ونصبوه فقال: ارموا. ثم أتي ببقرة نحاس قد صارت جمرة؛ فعلّق رجلًا ببكرةٍ فألقي فيها، ثم جُرِّدَ بسفودٍ فخرج عظامه من دُبرِها؛ فعلقوها رجلين قبله ثم علقوه؛ فقال: ألقوا، ألقوا.

فقال: أتركوه واجعلوه في بيت ومعه لحم خنزير مشوي وخمر ممزوج. فلم يأكل ولم يشرب، وأشفقوا أن يموت، فقال: أما إن اللَّه ﷻ قد كان أحله لي ولكن لم أكن لأُشَمِّتَكَ بالإِسلام. قال: قبِّل رأسي وأعتقك. قال: معاذ الله. قال:

---

(١) قيْساريَّة: مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم، وكانت عاصمة آل سلجوق، فتحت في عهد عمر على يد معاوية بن أبي سفيان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ. انظر «معجم البلدان» (٤/٢١) وتاريخ الطبري (٣/ ٦٠٤).

(٢) وقذوه: أي ضربوه حتى أغمي عليه... انظر «اللسان» مادة «وقذ».

وأعتقك ومن في يدي من المسلمين. قال: أما هذه؛ فنعم. فقبل رأسه فأعتقهم. فكان يُعيَّر بعد ذلك؛ فيخبر بالخبر».

وهذا إسناد ضعيف جدًّا، وفيه علل:

الأول: الانقطاع بين الزهري وعبدالله بن حذافة.

الثانية: يزيد بن سمرة، قال ابن حبان: «ربما أخطأ».

الثالثة: هشام بن عمار، فيه ضعف.

أفاد شيخنا الألباني في «الإرواء» (١٥٧/٨/ رقم ٢٥١٥).

وذكر ابن حجر في «الإصابة» (٢٩٧/٢) أن القصة في «فوائد هشام بن عمار» ـ وفي مطبوعه: «ابن عثمان»؛ فليصحح ـ من مرسل الزهري.

وللقصة طريق أخرى مقطوعة، قال الذهبي في «السير» (١٥/٢): «الوليد بن مسلم: حدثنا أبو عمرو ومالك بن أنس أن أهل قيسارية أسروا ابن حذافة؛ فأمر به ملكهم، فجُرِّب بأشياء صبر عليها، ثم جعلوا له في بيت معه الخمر ولحم الخنزير ثلاثًا لا يأكل، فاطلعوا عليه؛ فقالوا للملك: قد انثنى عُنُقه، فإن أخرجته وإلا مات. فأخرجه وقال: ما منعك أن تأكل وتشرب؟ قال: أما إنَّ الضرورة كانت قد أحلتها لي، ولكن كرهت أن أشمتك بالإسلام. قال: فقبِّل رأسي، وأُخلِّي لك مئة أسير. قال: أما هذا؛ فنعم. فقبَّل رأسه؛ فخلَّى له مئة، وخلَّى سبيله».

وقد روى ابن عائذ قصة ابن حُذافة؛ فقال: «حدثنا الوليد بن محمد أن ابن حذافة أسر» فذكر القصة مطولة، وفيها: «أطلق له ثلاث مئة أسير، وأجازه بثلاثين ألف دينار، وثلاثين وصيفة، وثلاثين وصيفًا».

والعجب منه ـ رحمه الله ـ تَعَالَى ـ؛ فإنه قال على إثرها: «ولعل هذا الملك قد أسلم سرًّا»، ويدل على ذلك مبالغته في إكرام ابن حذافة.

وكذا القول في هرقل؛ إذ عَرَضَ على قومه الدخول في الدين، فلما خافهم؛

قال: إنما كنت أختبر شدتكم في دينكم.

فمن أسلم في باطنه هكذا؛ فيرجى له الخلاص من خلود النار، إذ قد حصل في باطنه إيمانًا ما، وإنما يُخاف أن يكون قد خضع للإسلام وللرسول، وأعتقد أنهما حق مع كونه أنه على دين صحيح؛ فتراه يعظم للدينين، كما قد فعله كثيرٌ من المسلمين الدواوين؛ فهذا لا ينفعه الإسلام حتى يتبرأ من الشرك».

قلت: احتمال إسلام هذا الملك ـ وهو هرقل، كما في الطرق الأخرى ـ مبنيٌّ على إجازته ابن حذافة رضي الله عنه بثلاثين ألف دينار، وثلاثين وصيفة، وثلاثين وصيفًا، ولم يذكر هذا إلا عند ابن عائذ، وإسناده مقطوع، ومثل هذا الأمر لو وقع حقًّا؛ لنُقِل واشتُهِر، ولم يبق مكتومًا مخبَّأً حتى يظهر مثل هذا الخبر، والله الموفق.

فهذه الأسانيد جميعها ضعيفة؛ لا تنهض بالقصّة، ولا تقوى على عدّها حقيقة تاريخية لا شك فيها؛ فهي شديدة الضَّعف، ولذا لما سمع بعض العلماء راويًا يحدِّث بها؛ استغربها.

أخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ١٣٢ـ ١٣٣)؛ قال: «أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر، أنا أحمد بن الحسين الحافظ، أنا أبو الحسين محمد بن الفضل القطان، أنا أبو سهل بن زياد القطان، نا سعيد بن عثمان الأهوازي، نا عبدالله بن معاوية الجمحي.

قال البيهقي: وأنا أبو نصر عمر بن عبدالعزيز بن عمر بن قتادة أنا أبو محمد يحيى بن منصور القاضي نا أبو الفضل أحمد بن سلمة نا عبدالله بن معاوية الجمحي نا عبدالعزيز بن مسلم القسملي نا ضرار بن عمرو عن أبي رافع؛ قال: وجَّه عمر بن الخطاب جيشًا إلى الروم وفيهم رجلٌ يقال له عبدالله بن حُذافة من أصحاب النبي ﷺ؛ فأسره الروم، فذهبوا به إلى ملكهم فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد. فقال له الطاغية: هل لك أن تنصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟ قال له عبدالله: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما ملكته العرب ـ وفي رواية القطان:

وجميع مملكة العرب ـ على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت قال: إذًا أقتلك! قال: أنت وذاك. قال: فأمر به فصلب، وقال للرماة: ارموه قريبًا من يديه قريبًا من رجليه، وهو يعرض عليه وهو يأبى، ثم أمر به فأنزل، ثم دعا بقدر؛ فصب فيها ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين؛ فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم أمر به أن يلقى بها، فلما ذُهِب به بكى، فقيل له: إنه قد بكى. فظن أنه جزع، فقال: ردوه يعرض عليه النصرانية؛ فأبى. قال: فما أبكاك إذًا؟ قال: أبكاني أني قتلت، هي نفس واحدة تلقى الساعة في هذه القدر فتذهب فكنت أشتهي أن تكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تلقى هذا في الله. قال له الطاغية: هل لك أن تقبّل رأسي وأخلّي عنك؟ قال له عبدالله: وعن جميع أسارى المسلمين. قال: وعن جميع أسارى المسلمين. قال عبدالله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله أقبل رأسه يخلي عني وعن أسارى المسلمين؛ لا أبالي. قال: فدنا منه فقبل رأسه. قال: فدفع إليه الأسارى؛ فقدم بهم على عمر، فأخبر عمر بخبره؛ فقال: حقٌّ على كل مسلم أن يقبّل رأس عبدالله بن حذافة وأنا أبدأ. فقام عمر فقبّل رأسه».

ثم قال: «قال أحمد بن سلمة: سألني عن هذا الحديث محمد بن مسلم ومحمد بن إدريس، وقالا لي: ما سمعنا بهذا الحديث قط».

وهذا إسنادٌ ضعيف جدًّا، فيه ضرار بن عمرو[1]، وهو ضعيف جدًّا، قال عنه ابن معين: «لا شيء»، وقال الدُّولابي: «فيه نظر»، كذا في «الميزان» (٢/٣٢٨)، وأخشى أن يكون عبدالعزيز بن مسلم قد وهم فيه، وأدخل إسنادًا في إسنادٍ؛ فإنه رواه كما أخرجه أبو العرب في «المحن» (٣٨٣-٣٨٤) عن عبدالله بن محمد من

---

(١) ظن الأستاذ الأبياري أن «ابن عمرو» تصحيف، وصوابه: «ابن مرة»! وهو خطأ؛ فابن عمرو هذا مترجم في «التاريخ الكبير» (٤/٣٤٠)، و«الجرح والتعديل» (٤/٤٦٥).

ولد عبدالله بن حذافة[1]، وعلى أيِّ حال؛ الإِسناد ضعيف جدًّا، ولا يستشهد به.

بقي أن أَشير إلى أنَّ مقولة أحمد بن سلمة في آخر هذا الطريق: «سألني عن هذا الحديث محمد بن مسلم ومحمد بن إدريس، وقالا لي: ما سمعنا بهذا الحديث قطّ» فيه إيماء إلى عدم شهرة هذه القصّة واستغرابها ممن حدث بها ممن هو فوق أحمد بن سلمة من قبل حافظين كبيرين، هما:

الأول: محمد بن مسلم، وهو ابن وارة، «الإِمام، الحافظ، المجوِّد، أحد الأعلام»؛ كما في «السير» (١٣/ ٢٨).

والآخر: محمد بن إدريس، أبو حاتم الرازي، «الإِمام، الحافظ، النَّاقد، شيخ المحدّثين، كان من بحور العلم، طوَّف البلاد، وبرع في المتن والإِسناد، وجمع وصنَّف، وجرح وعدَّل، وصحَّح وعلَّل»، كذا في «السير» (١٣/ ٢٤٧).

❑ **ملاحظات مهمَّة:**

وأخيرًا نلفتُ نظر القارئ إلى الملاحظات التالية:

أولًا: نصَّ شيخنا الألباني حفظه الله ـ تَعَالَى ـ على ضعف القصة في كتابه القيم «إرواء الغليل» (٨/ ١٥٦ـ ١٥٧/ رقم ٢٥١٥)، ولم يعزها إلا لابن عساكر.

ثانيًا: لا يستلزم من ضعف القصة عدم أسر عبدالله بن حذافة من قبل الروم؛ فقد ذكر ذلك خليفة في «تاريخه» (١٤٢) ـ وعنه الذهبي في «تاريخ الإِسلام» (ص ١٨٧ ـ عهد الخلفاء الراشدين» ـ، قال في أحداث سنة تسع عشرة: «وفيها أسرت الروم عبدالله بن حذافة السهمي».

وأسند ذلك الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٣١) عقب حديث أبي سعيد الخدري؛ قال: «وكان الروم قد أسروه في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأرادوه على الكفر؛ فعصمه الله عز وجل حتى أنجاه الله تبارك وتعالى منهم».

---

(١) وتقدم ذلك.

وقال ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/١٩٠): «وقال محمد بن عمر[1]: وكانت الروم قد أسرت عبدالله بن حذافة؛ فكتب فيه عمر بن الخطاب إلى قسطنطين، فخلَّى عنه، ومات عبدالله بن حذافة في خلافة عثمان بن عفان».

ثالثًا: وفي مقولة الواقدي الأخيرة إضعاف ضمني لهذه القصة؛ إذ فيها أن فكاك عبدالله بن حذافة من الأسر كان هو سبب كتابة عمر إلى ملك الروم، وعبارة البلاذري في «أنساب الأشراف» (١/٢١٥) أوضح في ذلك، قال: «إن عمر بن الخطاب كتب إلى قسطنطين ملك الروم لما أسرته بشأنه؛ فأطلق سراحه».

اللهم؛ إلا أن يُتَكَلَّف فيقال: ولعل امتحانه من قبل الروم وتخويفه واختبار إيمانه جاء عقب كتاب عمر؛ ليرى ذلك ملك الروم!

ويغنينا عن كل ما قدّمنا أن هذه القصّة لو كانت ثابتة لوردت بأسانيد نظيفة، فإن هِمم العدول والثقات تتداعى على حمل مثلها، وحينئذٍ لا تفوت الحفاظ الكبار والأئمة العظام كأبي حاتم وغيره». اهـ.

يذكر التاريخ للصحابي الجليل عبدالله بن حذافة قيادته لسرية من سرايا النبي وثقة النبي ﷺ فيه، ويذكر له جهاده المشرف في فتح بلاد الشام وأرض مصر، وخاصة فتحه «عين الشمس» فهل يذكره أهل «عين شمس» اليوم أم نسوه من جملة ما نسوا من تاريخ العظماء السابقين؟

* * *

---

(١) هو الواقدي.

(٤٣٢) الصحابي الفارس الشهيد خارجة بن حذافة العَدَوي فاتح الفيوم والصعيد

هو الصحابي خارجة بن حُذافة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عبيد بن عَوِيج بن عدي بن كعب بن لؤي، القرشي العدويّ، أمُّه فاطمة بنت عمرو بن بُجْرة العدوية.

كان أحد فرسان قريش، يُقال: إنه يعدل بألف فارس، كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستمده بثلاثة آلاف فارس، فأمدّه بخارجة بن حذافة، والزبير بن العوّام، والمقداد بن الأسود[(١)].

قال الحافظ بن حجر في «الإصابة»: وهو من مسلمة الفتح[(٢)]. وجعله ابن سعد في طبقاته من المهاجرين الذين لم يشهدوا بدرًا ولهم إسلام قديم.

❑ **جهاده:**

شهد خارجة فتح مصر مع عمرو بن العاص، فقد أشفق عمر بن الخطاب على عمرو فأمدّه بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وخارجة بن حذافة، وقال عمر: «إني قد أمددتك بأرْبعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم مقام ألف»[(٣)].

وكان على رأس كمين قوّته خمس مئة رجل سار قبيل الصبح إلى «أم دنين» وهي حي «الأزبكية» الحالي، فكان لكمينه أثر في تحطيم مقاومة المدافعي عن

---

(١) أسد الغابة ت (١٣٢٧)، والإصابة ت (٢١٣٧)، والاستيعاب ت (٦٠٩).

(٢) الإصابة (١٨٩/٢).

(٣) معجم البلدان (٣٧٨/٦).

«حصن بابليون».

ولما سار عمرو لفتح الإسكندرية، خلّف في حصن «بابليون» مَسْلَحة من المسلمين[١] جعل عليها خارجة[٢].

الفاتح:

لما فتح عمرو بن العاص الفسطاط وجّه خارجة بن حذافة العدوي إلى الفيوم[٣] والأشمونين[٤] وأخميم[٥]، و«البشرودات»[٦] وقرى الصعيد فغلب على أرضها، وصالح أهل قراها على مثل صلح الفسطاط[٧]، وبذلك فتح خارجة بلاد الصعيد إلى حدود «طيبة»[٨].

عن يزيد بن أبي حبيب إنّ عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص أن افْرض لكلّ مَن بايع تحت الشجرة في مئتين من العطاء، وأبلغ ذلك لنفسك لإمارتك، وافرض لخارجة بن حذافة في الشرف لشجاعته، وافرض لعثمان بن قيس السهمي في الشرف لضيافته»[٩].

وكان خارجة رضي الله عنه موضع ثقة عمرو فولّاه القضاء، وقيل: كان على

---

(١) الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/١٠٨- ١٠٩).

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص (٢٢١).

(٣) الفيوم: هي محافظة الفيوم الآن.. وكانت أيام الفتح ولاية في الغرب بينها وبين الفسطاط أربعة أيام، بينها مفازة لا ماء بها ولا مرعى.

(٤) الأشمونين: اسمها أشمون، وهي مدينة قديمة، عامرة، آهلة، وهي قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل.

(٥) أخميم: بلد بالصعيد... تابعة لمحافظة سوهاج، وهو بلد قديم على شاطئ النيل.

(٦) البشرُودَات، هكذا وردت في «البلاذري» ص ٢١٧، وقد وردت في «معجم البلدان» (٢/١٩٠) البشرود، وهي الصحيح، وهي كورة من كور بطن الريف بمصر من كور أسفل الأرض.

(٧) «فتوح البلدان» للبلاذري ص (٢١٨).

(٨) الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/١٣٩).

(٩) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/٣٤٤).

الشرطة[١] . قال ابن سعد: «وكان خارجة بن حذافة قاضيًا بمصر لعمرو بن العاص، فلما كان صبيحة يوم وافى الخارجيّ ليضرب عمرو بن العاص، فلم يخرج عمرو يومئذ للصلاة، وأمر خارجة يصلي بالناس، فتقدّم الخارجيّ فضرب خارجة وهو يظنّ أنه عمرو بن العاص، فأُخِذَ به فأُدخِل على عمرو وقالوا: واللَّه ما ضربتَ عَمْرًا وإنما ضربتَ خارجة»، فقال: أردتُ عَمْرًا وأراد اللَّه خارجة. فذهبت مثلاً[٢] .

وهكذا متنّ اللَّه على خارجة بثواب الشهداء بقتل الخوارج له، فهنيئًا له بالشهادة.

وكان لخارجة من الولد عبدالرحمن وأبان وأمهما امرأة من كندة، وعبداللَّه وعون وأمهما أم ولد[٣] .

فهل يذكر أهل الصعيد ـ وأنا منهم ـ خارجة بن حذافة فاتح بلادهم ـ وهو من شجعان الصحابة وفرسانهم.. رضي الله عنه؟!.

* * *

(١) الإصابة ٢/١٨٩

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٤٣/٤).

(٣) المصدر السابق.

(٤٣٣) عُمَيْر بن وَهْب الجُمَحي[١]
فاتح تنيس[٢] ودمياط[٣] وتونة[٤] ودميرة[٥] وشطا[٦] ودقهلة[٧] وبنا[٨] وبوصير[٩]

هو الصحابي عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح القرشي الجمحي، يكنى أبا أمية. وأمه سُخيلة بنت هاشم بن سعيد بن سهم. وكان لعمير من الولد وهب بن عمير، وأميّة وأُبيّ وأمهم رقيقة، ويُقال خالدة، بنت كَلَدَة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح.

كان عمير سيد بني جمح، وكان له قدر وشرف في قريش. وهو ابن عم صفوان بن أمية بن خلف، وشهد عمير بدرًا مع المشركين، وبعثوه طليعة ليَحْزُرَ أصحاب رسول اللَّه ﷺ، ويأتيهم بعددهم وعدّتهم ففعل، وقد كان حريصًا على ردّ قريش عن لُقِيّ رسول اللَّه ببدر، وهو القائل يومئذ لقريش عن الأنصار: أرى وجوهًا كوجوه الحيّات: لا يموتون ظمأً أو يقتلون منا أعدادهم، فلا تعرضوا لهم وجوهًا كأنها المصابيح» فقالوا: «دع عنك هذا وحرّش بين القوم» فكان أول من

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ١٥٠) ت (٤١٨)، وأسد الغابة ت (٤٠٩٦)، والإصابة ت (٦٠٧٣).

(٢) تنيس: جزيرة في بحر مصر، قريبة من البرما بين الفرما ودمياط، والفرما في شرقيها.

(٣) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر. والمقصود بها مدينة دمياط الآن.

(٤) تونة: جزيرة قرب تنيس ودمياط من الديار المصرية.

(٥) دميرة: قرية كبيرة بمصر قرب دمياط، وهما دميرتان إحداهما تقابل الأخرى على شاطئ النيل في طريق من يريد دمياط.

(٦) شطا: بُلَيْد بمصر على بعد ثلاثة أميال من دمياط على ضفة البحر الملح.

(٧) دقهلة: بلد بمصر على شعبة من النيل بينها وبين دمياط أربعة فراسخ، وبينها وبين دميرة ستة فراسخ.

(٨) بنا: بلدة قديمة بمصر، بينها وبين الفسطاط ثمانية عشر ميلا. يطلق عليها الآن بنها.

(٩) بوصير: اسم لأربع قرى بمصر، والمقصود بهذه بوصير بنا، واليوم تعرف باسم: أبو صير.

رمى بنفسه عن فرسه بين أصحاب رسول اللَّه ﷺ وأنشب القتال». وقبل نشوب القتال، لشجاعته استجال حول عسكر المسلمين بفرسه، ثم رجع إلى قريش فقال لهم: «ثلاث مئة رجل، يزيدون قليلا أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر للقوم كمين أو مدد»، فصرب في الوادي حتى أبعد، فلم ير شيئًا، فرجع إليهم فقال: «ما وجدت شيئًا، ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس معهم مَنَعَة ولا ملجأ إلّا سيوفهم، واللَّه ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يقتل رجلًا منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك؟ فَرَوْا رأيكم؟»[(١)].

قال عكرمة: أن عمير خرج يوم بدر فوقع في القتلى، فأخذ الذي جرحه السيف فوضعه في بطنه حتى سمع صريف السيف في الحصى حتى ظنّ أنه قد قتله. فلما وجد عمير بَرْد الليل أفاق إفاقة فجعل يحبو حتى خرج من بين القتلى فرجع إلى مكة فبرأ منه[(٢)].

وأُسِر ابنه وهب بن عُمير فيمن أُسِر يوم بدر، أسره رفاعة بن رافع بن مالك الزّرَقيّ[(٣)]، فرجع عمير إلى مكة فقال له صفوان بن أمية وهو معه في الحِجْر: قبّح اللَّه العيش بعد قتلى بدر، قال: أجل، واللَّه ما في العيش خير بعدهم، ولولا ديْن عليّ لا أحد له قضاءً، وعيالٌ لا أدع لهم شيئًا، لرحلتُ إلى محمد فقتلته إنْ ملأتُ عيني منه، فإن لي عنده علة أعتل بها عليه؛ أقول: قدمت من أجل ابني هذا الأسير. ففرح صفوان، وقال له: عليّ دينك، وعيالك أسوة عيالي في النفقة، لا يسعني شيء فأعجز عنهم. فاتفقا، وحمله صفوان وجهّزه، وأمر بسيف عمير فصُقِل

(١) سيرة ابن هشام (٢/٢٦١- ٢٦٢). والبلايا: جمع بليّة، وهي القناة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تُسقى حتى تموت.
والنواضح: الإبل التي يُسقى عليها الماء. والناقع: الثابت.
(٢) طبقات ابن سعد (٤/١٥١).
(٣) المصدر السابق.

وسُمّ، وقال عمير لصفوان: اكتم خبري أيامًا. وقدم عمير المدينة، فنزل باب المسجد، وعقل راحلته، وأخذ السيف وعمد إلى رسول اللَّه ﷺ، فنظر إليه عمرو وهو في نفر من الأنصار، ففزع ودخل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول الله، لا تأمنه على شيء. فقال: «أدخله عليّ» فخرج عمر فأمر أصحابه أن يدخلوا على رسول اللَّه ﷺ ويحترسوا من عُمير.

وأقبل عمر وعمير حتى دخلا على رسول اللَّه ﷺ ومع عُمير سيفه، فقال رسول اللَّه ﷺ لعمر: «تأخّر عنه». فلما دنا عُمير قال: أنعموا صباحًا ـ وهي تحية الجاهلية، فقال رسول اللَّه ﷺ: «قد أكرمنا اللَّه عن تحيتك، وجعل تحيتنا تحية أهل الجنة وهو السلام». فقال عمير: إن عهدك بها لحديث. فقال: «ما أقدمك يا عُمير؟» قال: قدمت على أسيري عندكم، تفادونا في أسرانا، فإنكم العشيرة والأهل. فقال: «ما بال السيف في عنقك؟» فقال: قبحّها اللَّه من سيوف! وهل أغنت عنا شيئًا؟ إنما نسيته في عنقي حين نزلت. فقال رسول اللَّه ﷺ: «أصدقني ما أقدمك يا عمير؟».

قال: ما قدمتُ إلا في طلب أسيري؟ قال: «فماذا شرطت لصفوان في الحِجْر؟» ففزع عمير وقال: ماذا شرطت له؟ قال: «تحمَّلتَ له بقتلي على أن يعول أولادك ويقضى دينك، واللَّه حائل بينك وبين ذلك». فقال عمير: «أشهد أنك رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، كُنّا يا رسول اللَّه نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء، وإن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر كما قلت، لم يطّلع عليه أحد، فأخبرك اللَّه به، فالحمدُ لله الذي ساقني هذا السياق. ففرح به المسلمون حين هداه الله. قال عمر: والذي نفسي بيده لخنزير كان أحبّ إليّ من عُمير حين طلع، ولَهُو اليوم أحبّ إليّ من بعض ولدي» وقال له رسول اللَّه ﷺ: «اجلس يا عمير نُواسِك» وقال لأصحابه: «علِّموا أخاكم القرآن»، وأطلق له أسيره. فقال عمير: يا رسول الله، قد كنتُ جاهدًا ما استطعتُ على إطفاء نور الله، والحمد لله الذي هداني من

الهَلَكة، فائذن لي يا رسول اللَّه فألحق بقريش فأدعوهم إلى اللَّه ـ تَعَالَى ـ وإلى الإسلام، لعلّ اللَّه أن يهديهم ويستنقذهم من الهلكة. فأذن له رسول اللَّه ﷺ فلحِق بمكة، وجعل صفوان بن أمية يقول لقريش: أبشروا بفتح يُنسيكم وقعة بدر، وجعل يسأل كل من قدِم من المدينة: هل كان بها من حَدَث؟ حتى قدم عليه رجل فأخبره أن عُميرًا أسلم، فلعنه المشركون، وقالوا: صبأ، وحلف صفوان لا ينفعه بنفع أبدًا، ولا يكلمه كلمة أبدا. فقدم عليهم عمير، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلم بسببه بشر كثير[1].

وفي مغازي الواقدي أن عمر قال لعُمَير: أنت الذي حزرتنا يوم بدر؟ قال: نعم، وأنا الذي حَرَّشت بين الناس؛ ولكن جاء اللَّه بالإسلام وما كنا فيه من الشرك أعظم من ذلك.

فقال عمر: صدقت.

وهاجر عمير، وأدرك أُحُدًا فشهدها وما بعدها وشهد الفتح. وشهد معه غزوة تبوك.

- **وعلى يديه أسلم صفوان بن أمية ابن عمه:**

فبعد فتح مكة خرج صفوان بن أمية يريد جُدّة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير: «يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هاربًا منك ليقذف نفسه في البحر، فأمَّنه رسول اللَّه ﷺ وقال: «هو آمن»، فقال عمير: «يا رسول الله! فأعطني آية يعرف بها أمانك»، فأعطاه رسول اللَّه ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر فقال: «يا صفوان، فداك أبي وأمي، اللَّه اللَّه في نفسك: أتهلكها!، فهذا أمان من رسول اللَّه ﷺ قد جئتك

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٦/١٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (١٤٨/٣)، وذكره أبو الأسود عن عروة مرسلًا، وأورده ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلا، وجاء موصولا عن أنس عند ابن منده، والطبراني.

به، فقال صفوان: ويحك!! أغْرُب عني فلا تكلمني، فقال: «أي صفوان، فداك أبي وأمي، أفضل الناس وأبرّ الناس وأحلم الناس وخير الناس... ابن عمك: عزّه عزّك، وشرفه شرفك وملكه ملكك». قال: «إني أخافه على نفسي» فقال: «هو أحلم من ذلك وأكرم، فرجع معه حتى وقف به على رسول اللَّه ﷺ، فقال صفوان: «إن هذا يزعم أنك قد أمّنْتني»، قال: «صدق». قال: «فاجعلني فيه بالخيار شهرين»، قال «أنت فيه بالخيار أربعة أشهر»[1].

وأعطى النبي ﷺ من فيء هوازن عمير أقل من مئة بعير فيما أعطاه من رجالات مكة[2].

❑ جهاده:

شهد عمير أُحُدًا وما بعدها، ونال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء رسول اللَّه ﷺ، فلما توفى الرسول ﷺ، شارك عمير في جهاد المرتدين، وبعد انتهاء حروب الردة، توجه للجهاد في أرض الشام: وحين قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها أمدّه عمر بن الخطاب بأبطال المسلمين المعروفين بالشجاعة والفروسية، وكان عمير أحد هؤلاء الأبطال، وكان لعمير وإخوانه أثر كبير في انتصار المسلمين على الروم في معركة «حصن بابليون».

«ووجه عمرو بن العاص عمير بن الجمحي إلى تنيس وتونة ودميرة وشطا ودقهلة وبنا وبوصير»[3] فغلب على أرضها وصالح قواها على مثل حكم الفسطاط وصارت أرضها أرض خراج. وكان فتح هذه المناطق على يد البطل الفارس عمير ابن وهب الجمحي رضي الله عنه.

---

(١) سيرة ابن هشام (٣٨/٤)، وجوامع السيرة لابن حزم (٢٣٥).
(٢) سيرة ابن هشام (١٤٠/٤، ١٤٣).
(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص (٢١٨).

❑ عُمَير القائد:

قال اللواء ركن محمود شيت خطاب: «من دراسة حياة عمير العسكرية، يتضح لنا أنه كان يُحسن الاستطلاع، فقد حزر بالضبط عدد المسلمين في «بدر» ولكنه لم يكتف بذلك بل دقّق في استطلاعه ليطمئن إلى عدم وجود مدد أو كمين للمسلمين. وكان يُحسن تقدير الموقف، فقد نصح قريشًا ألا تقاتل المسلمين على الرغم من تفوّق قريش بالقدر والعُدد على المسلمين تفوّقًا ساحقًا، مما يدلّ على بُعد نظره وذكائه الخارق.

وبالإضافة إلى ذلك، كان من أبطال قريش المعدودين؛ ذهب وحده لاستطلاع عدد المسلمين وعُدّتهم في «بدر» على الرغم من خطورة هذا الواجب، وجازف بالإقدام على اغتيال النبي ﷺ وهو في المدينة حصنه الحصين وبين أصحابه الذين يفدونه بأرواحهم وأولادهم وكان أول من أنسب الحرب يوم بدر، وأقدم - بعد إسلامه - على الذهاب وحده إلى مكة معقل المشركين يومذاك ليدعو الناس إلى الإسلام!

والقائد الذكي الذي يُحسن تقدير الموقف والاستطلاع، ويحسن نتيجة لذلك إعطاء القرارات الصائبة السريعة. كما أن شجاعته الخارقة ومكانته وقدره بين قريش دليلٌ على تمتعه بشخصية فذّة وإرادة قوية.

إن مزايا قيادة عمير جعلت مجرد وجوده بين الرجال من عوامل رفع معنوّياتهم واطمئنانهم إلى النصر. لقد كان عُمير قائدًا فذًّا بكل مزايا القيادة الفذّة.

يذكر التاريخ لعمير جهوده المثمرة في سبيل نشر الإسلام في مكة، ويذكر له شجاعته النادرة وبطولته الفذّة وجهاده لإعلاء كلمة الله. ويذكر له فتحه منطقة واسعة جدا من أرض الكنانه ونشره الإسلام ولغة القرآن في ربوعها. رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، القائد الفاتح، البطل المجاهد عمير بن وهب الجمحي القرشي»[1].

---

(١) قادة فتح الشام ص (٢٤٧- ٢٤٨).

(٤٣٤) عقبة بن عامر الجهني
فاتح أسفل أرض مصر «جنوبي مصر»

هو الإمام الصحابي المقري المجاهد عقبة بن عامر بن عَبْس بن عمرو بن عديّ ابن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عديّ بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة. ويكنى أبا عبْس، وأبا حماد، وأبا عامر وأبا الأسد، وأبا سعاد عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قدم رسول اللَّه ﷺ المدينة وأنا في غنم لي أرعاها، فتركتها ثم ذهبت إليه، فقلت: بايعني، فبايعني على الهجرة»[١].

كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الصحابي المشهورين، ولم يشهد بدرًا ولكنه شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد. قال عقبة: خرج علينا رسول اللَّه ﷺ ونحن في الصُّفَّة، وكنت من أصحاب الصُّفَّة. وكان عقبة من الرماة المذكورين. وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من رفعاء أصحاب محمد ﷺ.

وبعد وفاة النبي ﷺ شارك في جهاد المرتدين، وشهد فتوح الشام، وكان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق[٢]. وهو أحد من جمع القرآن.

قال ابن يونس: شهد فتح مصر[٣].

❑ **الفاتح:**

«وجه عمرو بن العاص عقبة بن عامر الجهني إلى سائر قرى أسفل الأرض»[٤]،

---

(١) أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي.
(٢) الإصابة (٤/٤٢٩) ت (٥٦١٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٤٦٨).
(٤) البلاذري ص (٢١٨).

فغلب على أرضها، وفتحها، وصالح أهل القرى على مثل حكم الفسطاط.

وقال أبو عمر الكندي: جمع له معاوية في إمرة مصر بين الخراج والصلاة، فلما أراد عزله كتب إليه أن يغزو رودس[١]، فلما توجه سائرًا استولى مسلمة، فبلغ عقبة، فقال: أغربةً وعَزْلًا؟ وذلك في سنة سبع وأربعين.

قال ابن يونس: ولي الجند بمصر لمعاوية بن أبي سفيان بعد عتبة بن أبي سفيان سنة أربع وأربعين، ثم أغزاه معاوية البحر سنة سبع وأربعين، وكتب إلى مَسْلمة بن مخلد بولايته على مصر، فلم يُظهر مَسْلَمة ولايته حتى رفع عقبة غازيًا في البحر، فأظهر مسلمة ولايته، فبلغ ذلك عقبة، فقال: ما أنصفنا أمير المؤمنين عزلنا وغرّبنا[٢].

عن عبدالله بن الأزرق قال: كان عقبة بن عامر الجهني يخرج كل يوم ويتّبعه فكأنه كاد أن يملّ فقال: ألم أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول؟ قال: بلى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يُدخِل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه الذي يحتسب في صنعته الخير، والذي يجهز به في سبيل الله، والذي يرمي به في سبيل الله»[٣].

وقال: «ارموا، واركبوا، وأن ترموا خير من أن تركبوا»، وقال: «كل شيء يلهو به ابن آدم باطل إلا ثلاث: رمية عن قوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق»[٤]. قال: وتوفي عقبة وله بضعة وسبعون قوسًا، مع كل قوس قرن ونَبْل، فأوصى بهن في سبيل الله[٥] رضِي الله عن عقبة فكم كان عاشقًا للجهاد يروي الأحاديث عن رسول الله ﷺ في الرمي وفضل الرباط، وضاع الناس لما ضيّعوا ما

---

(١) هي جزيرة ببلاد الروم.

(٢) تاريخ دمشق (٤٠/٤٩١).

(٣) أي يخرج للرمي، فكاد ابن الأزرق أن يملّ.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) تاريخ دمشق (٤٠/٤٩٧).

حفظ عقبة:

كسرنا قوس عقبة عن جهالة وحطّمنا بلا وعي نباله
فشرّدنا العدو ولا جهادٌ ومزّقنا الطغاة ولا عدالة

عن أبي عبدالرحمن الحُبْلي أن عقبة بن عامر كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن، فقال له عمر بن الخطّاب: أعرض عليّ، فقرأ عليه سورة براءة فبكى عمر[(١)]. فرضي اللّه عن الإمام المقرئ المجاهد الفاتح الصحابي عقبة بن عامر الجهني.

أُتي رجل في المنام فقيل له: اذهب إلى عقبة بن عامر صاحب رسول اللّه ﷺ فقل له: إنك من أهل النار، فكَرِه أن يقول له ذلك، فقال ثلاث مرات أو أربع، وقال في آخر ذلك: لئن لم تفعل ما أقول لك فعلتُ بك شرًّا، فأتَى عقبة بن عامر فأخبره، فقال له عقبة بن عامر: أخبرني ما قال لك؟ قال: قال لي: قل لعقبة إنك من أهل النار فوضع عقبة بن عامر كفّيْه في الأرض، فقبض بكل كفّ قبضة من تراب ثم رمى بها على عاتقه إلى وراء ظهره ثم قال: كذب الشيطان، ثم قبض الثانية فرمى بها وراء ظهره فقال: كذب الشيطان، ثم قبض الثالثة، فرمى بها وراء ظهره ثم قال: كذب الشيطان، فلما رقد الرجل جاء الذي كان يأتيه كل ليلة في المنام، فقال: هل قلتَ لعقبة ما أمرتك؟ فقال الرجل: نعم، قال: فما قال لك؟ فأخبره: صدق، ما كان يرمي رمية إلا وقعتْ تلك الرمية في وجهي وعيني.

عن سفيان بن وهب الخولاني قال: بينما نحن نسير مع عمرو بن العاص في سفح هذا الجبل[(٢)]، ومعنا المقوقس، فقال له: يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو من جبال الشام؟ قال: ما أدري، ولكن اللّه أغني أهله بهذا النيل عن ذلك، ولكنا نجد تحته ما هو خير من ذلك، قال: وما هو؟

---

(١) تاريخ دمشق (٤٠/٤٩٩- ٥٠٠).
(٢) يعني جبل المقطم، وفي سفحه كانت مقبرة أهل مصر.

قال: ليدفنن تحته - أو ليقبرنّ قوم يبعثهم اللَّه يوم القيامة لا حساب عليهم، فقال عمرو: اللهم اجعلني منهم.

قال حرملة: فرأيت أنا قبر عمرو بن العاص فيه، وفيه قبر أبي بصرة الغفاري، وعقبة بن عامر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -.

❊ ❊ ❊

(٤٣٥) الصحابي النقيب العقبي البدري عُبادة بن الصامت الخزرجي رضي الله عنه

فاتح مدينة إنطرطوس[١] من أرض الشام، والإسكندرية من مصر

هو الصحابي الجليل عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وهو من القواقلة، ويُكنَى أبا الوليد، وأمّه قرّة العين بنت عبادة بن نضلة بن مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج. وكان لعبادة بن الصامت من الولد: الوليد وأمه جميلة بنت أبي صعصعة ومحمد وأمه أم حرام بنت ملحان النجارية حميدة البر، شهيدة البحر، خالة النبي ﷺ من الرضاعة.

شهد عبادة رضي الله عنه العقبة مع السبعين من الأنصار، وهو أحد النقباء الإثنى عشر.

وآخى رسول اللَّه ﷺ بين عبادة بن الصامت وأبي مرثد الغنوي. وشهد عبادة بدرًا وأُحُدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول اللَّه ﷺ. وكان عبادة عَقَبيا نقيبا بدريًّا أنصاريًا[٢]. كان رضي الله عنه يقول: «أنا من النقباء الذين بايعوا رسول اللَّه ﷺ ليلة العقبة كما في الصحيحة وروى ابن سعد في ترجمته من طريق محمد بن كعب القرظي أنه ممن جمع القرآن في عهد النبي ﷺ وروى ابن سعد في ترجمته أنه كان طُوالا جميلا جسيما. قال سعيد بن غفير: كان طوله عشرة أشبار أي أنه كان يزيد عن ٢٠٠سم، فهو مديد القامة طويلها[٣].

---

(١) انطرطوس: بلد من سواحل بحر الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص، وهي مطلة على البحر في شرقي عرقة بينهما ثمانية فراسخ، ولها برجان حصينان كالقلعتينْ.

(٢) طبقات ابن سعد (٥٤٦/٣).

(٣) عبادة بن الصامت للدكتور وهبة الزحيلي ص (٢٦) ـ سلسلة أعلام المسلمين.

قال النووي: «كان من سادات الصحابة»[١].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ أي ليلة العقبة - على السمع والطاعة في العُسْر واليُسْر، والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول أو نقوم بالحق حيث كُنّا، لا نخاف في اللَّه لومة لائم»[٢].

وثمّة بيعة أخرى، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ في مجلس، فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا باللَّه شيئًا، ولا تزنوا ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم اللَّه إلا بالحق، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئًا من ذلك فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب شيئًا من ذلك، فستره اللَّه عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذّبه»[٣] وفي رواية: فتلا علينا آية النساء، وفي رواية: أخذ علينا رسول اللَّه ﷺ كما أخذ على النساء.

❑ إيمانه العظيم وولاؤه لله ورسوله وبراءته من اليهود:

عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حارب بنو قينقاع بسبب ما أمرهم عبداللَّه بن أُبيّ، وكانوا حلفاءه، فمشى عبادة بن الصامت، وكان له من الحلف مثل الذي لعبداللَّه بن أبيّ، فخلعهم وتبرّأ إلى اللَّه ورسوله من حِلفهم، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾[٤] [المائدة: ٥١].

استعمل النبي ﷺ عبادة على جباية الصدقات وقال له: «اتق اللَّه يا أبا الوليد، اتق اللَّه لا تأتي يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء، أو بقرة لها خوار أو شاة لها

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣١٤)، والبخاري (١٣/١٦٧)، في الأحكام: باب كيف يبايع الناس الإمام، والنسائي (٧/١٣٧، ١٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٢/٧٤)، ومسلم (١٧٠٩) كلاهما في الحدود: باب الحدود كفارة وهذه البيعة تمت بعد فتح مكة.

(٤) الإصابة (/٥٦).

ثؤاج[١]، فقال: يا رسول الله، إنّ ذلك كذلك؟ قال: إي والذي نفسي بيده، إن ذلك لكذلك، إلا من رحم الله ﷻ، قال: فوالذي بعثك بالحق لا أعمل على اثنين أبدا».

❑ القائد الفاتح:

كان عبادة ﷺ من أشهر قادة الفتوح في الشام ومصر، وكان مجرد وجوده في جيش يرفع معنويات الجيش الفاتح. وقد شهد له عمر بن الخطاب بأنه يعدل ألف رجل، لروحه العالية في التضحية، وقدرته الفائقة على القتال والإقدام، وشجاعته النادرة في المعارك، وعقليته الراجحة في التخطيط والتقدير، وفهم أسرار العدو وتحركاته، وحبه للموت في سبيل الله، وإيمانه العميق بالقضاء والقدر، وتفانيه في سبيل نصرة الإسلام.

كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب: «قد احتاج أهل الشام إلى مَن يعلّمهم القرآن ويفقّهم»، فأرسل عمر معاذ بن جبل وعبادة وأبا الدرداء، فأقام عبادة بحمص فاستخلفه عليها أبو عبيدة بن الجراح عندما سار لفتح «اللاذقية» ثم صرفه لفتح «أنطرطوس» ففتحها.

قال البلاذري: «استخلف أبو عبيدة عبادة بن الصامت الأنصاري على حمص، فأتى اللاذقية، فقاتله أهلها فكان بها باب عظيم لا يفتحه إلا جماعة من الناس، فلما رأى صعوبة مرامها عسكر على بعد من المدينة ثم أمر أن تُحفر حفائر كالأسراب يستتر الرجل وفرسه في الواحدة منها، فاجتهد المسلمون في حفرها حتى فرغوا منها، ثم إنهم أظهروا القفول إلى حمص، فلما جَنّ عليهم الليل عادوا إلى معسكرهم وحفائرهم وأهل اللاذقية غارون يرون أنهم قد انصرفوا عنهم، فلما أصبحوا فتحوا بابهم وأخرجوا سرحهم، فلم يرعهم إلا تصبيح المسلمين إياهم

(١) الثؤاج: صيام الغنم.

ودخولهم من باب المدينة ففُتحت عنوة، ودخل عبادة الحصن، ثم علا حائطه فكبّر عليه، وهرب قوم من نصارى اللاذقية، ثم طلبوا الأمان على أن يتراجعوا إلى أرضهم فقوطعوا على خراج يؤدونه قلّوا أو كثروا وتُركت لهم كنيستهم، وبنى المسلمون باللاذقية مسجد جامعًا بأمر عبادة ثم إنه وَسّع بعد»[١].

وقال أيضًا: «فتح عبادة والمسلمون معه أنطرطوس، وكان حصنًا»[٢].

وقال: «افتتح أبو عبيدة اللاذقية وجبلة وأنطرطوس على يد عبادة بن الصامت»[٣].

أما شهادة عمر له، فقد تواترت بها أخبار التاريخ: «لما أبطأ فتح مصر على عمرو، كتب إلى عمر بن الخطاب ﷺ يستمدّه، ويعلمه بذلك، فأمدّه بأربعة آلاف، على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومَسْلمة بن مُخَلَّد ـ وقيل: خارجة بن حُذافة ـ وقال عمر له: اعلم أن معك إثنى عشر ألفًا، ولن تُغلب اثنا عشر ألفًا من قِلّة»[٤].

وأخرج ابن عبدالحكم عن زيد بن أسلم قال: لما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر، كتب إلى عمرو بن العاص، «أما بعد: فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، إنكم تقاتلونهم منذ سنتين، وما ذاك إلّا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبّ عدوّكم، وإن اللّه تبارك وتعالى لا ينصر قومًا إلّا بصدق نيّاتهم، وقد كنت وجّهت إليك أربعة نفر، وأعلمتُك أن الرجل منهم مقام ألف رجل، على ما كنت أعرف، إلّا أن يكون غيرّهم ما غيرّهم! فإذا أتاك كتابي، فاخطب الناس، وحضّهم على

---

(١) البلاذري ص (١٣٨- ١٣٩).
(٢) البلاذري ص (١٣٩).
(٣) البلاذري ص (١٣٩).
(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (٨/١)، و«فتوح مصر وأخبارها» لابن عبدالحكم ص (٦١) ـ مكتبة المثنى ببغداد، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة «السيوطي» (١/ ١٠٧، ١٠٨، ١٢٠) طبع عيسى الحلبي بمصر، والفتوحات الإسلامية لدحلان (٦٨/١)، وما بعدها.

قتال عدوّهم، ورغبّهم في الصبر والنيّة، وقدِّم أولئك الأربعة في صدور الناس، ومُرِ الناس جميعًا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل الرحمة فيها، ووقت الإجابة، وليعجّ[1] الناس إلى الله، ويسألوه النصر على عدوِّهم. فلما أتى عَمْرًا الكتاب، جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر، ثم دعا أولئك النفر، فقدّمهم أمام الناس، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين، ثم يرغبوا إلى اللَّه ـ تَعَالَى ـ، ويسألوه النصر على عدوهم، ففعلوا ففتح اللَّه عليهم[2].

نعم كان عبادة بن الصامت أمير ربع العدد لفتح مصر[3].

وكان عبادة ﷺ قائد فتح الإسكندرية سنة ٢٥هـ[4]. قال ابن عبدالحكم: لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الإسكندرية. استلقى على ظهره، ثم جلس فقال: إني فكّرت في هذا الأمر، فإنه لا يصلح آخره إلّا من أصلح أوّله ـ يريد الأنصار ـ فدعا عبادة بن الصامت فعقد له، ففتح اللَّه على يده الإسكندرية من يومهم ذلك»[5].

وعاد رضي إلى الشام، وشهد مع معاوية بن أبي سفيان فتح جزيرة قبرص في خلافة عثمان سنة ٢٨هـ، وكان معه أبو ذر وأبو الدرداء، وفي هذه الغزوة استشهدت زوجة عبادة أم حرام بنت ملحان أثناء فتحها ودُفِنت فيها[6].

وغزا أرض الروم مع معاوية[7].

---

(١) العجيج: رفع الصوت بالدعاء.

(٢) حسن المحاضرة (١/١٢٠)، وفتوح مصر لابن عبدالحكم ص (٨٩).

(٣) الإصابة (٣/٥٠٦)، وفتوح مصر ص (٦٢)، وحسن المحاضرة (١/٢١١)، والنجوم الزاهرة (١/٢١).

(٤) حسن المحاضرة (١/١٢٠)، وفتوح مصر ص (٧٣، ٨٠)، وقد سار لفتحها عمرو بن العاص بعد استئذان عمر سنة ٢١هـ. وفي معجم البلدان (١/١٨٨): تم فتحها سنة ٢٠هـ.

(٥) حسن المحاضرة (١/١٢٠).

(٦) البداية والنهاية (٧/١٥٣)، وفتوح البلدان للبلاذري ص (١٥٨)، والفتوحات لدحلان (١/١٧٣).

(٧) سنن ابن ماجه (١/٨).

❑ أعماله العمرانية:

اشترك عبادة مع قادة الفتح في الشام ومصر في بناء الحصون والمساجد، فبنى مع معاوية أنطرطوس وحصنها، وبنى باللاذقية مسجدًا جامعًا، ثم وسّع فيه، وبنى مع عمرو بن العاص الفسطاط، وأول جامع في مصر سنة ٢١هـ هو جامع عمرو بن العاص الذي ما يزال إلى الآن. وقد قام على إقامة قبلته ثمانون صحابيًّا منهم الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري [١].

❑ ما جرى بين عبادة والمقوقس كان فتحًا حقيقيًا لمصر:

هذه سفارة من أهم السفارات في التاريخ السياسي الإسلامي، كان عبادة من أنجح السفراء فيها، حتى أن أكثر علماء مصر قالوا: إن مصر فُتِحت صلحًا، وإن الأمر لم يتم إلا بما جرى بين عبادة بن الصامت وبين المقوقس [٢]. ولأهمية هذا الجوار وملابساته نذكره بإسهاب وتفصيل:

حينما حاصر المسلمون حصن بابليون لفتح مصر، وكان به جماعة من الروم، وأكابِرْ القبط ورؤسائهم، وعليهم المقوقس - حاكم مصر - قاتلوهم بها شهرًا [٣]. فلما رأى القوم الجِدَّ منهم على فتحه، والحرص، ورأوا مَنْ صبرهم على القتال ورغبتهم فيه، خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحّى المقوقس وجماعة من أكابر القبط، وخرجوا من باب القصر القبلي، وتركوا به جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة، وأمروا بقطع الجسر وذلك في جَرْيِ النيل، وبقي في الحصن أمير الحصن الذي يُقال له: «الأعيرج» من قبل المقوقس. فلما خاف فتح الحصن، ركب هو

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص (٢٣٧).
(٢) النجوم الزاهرة (١/١٩).
(٣) انظر فتوح مصر لابن عبدالحكم، وحسن المحاضرة (١/١٠٩-١١٤)، والنجوم الزاهرة (١/١٠-١٢). والفتوحات الإسلامية لدحلان (١/٧٠-٧١).

وأهل القوة والشرف، وكانت سفنهم ملصقة بالحصن، ثم لحقوا المقوقس في الجزيرة.

وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص رسالة جاء فيها: «إنكم قد ولجتم في بلادنا، وألححتم على قتالنا، وطال مقامكم في أرضنا، وإنما أنتم عصبة يسيرة، وقد أظلّتكم الروم وجهّزوا إليكم، ومعهم من العُدّة والسلاح، وقد أحاط بكم هذا النيل، وإنما أنتم أسارى في أيدينا، فأرسلوا إلينا رجالًا منكم نسمع من كلامهم، فلعلّه أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبّون ونحب، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم، فلا ينفعنا الكلام، ولا يُقدر عليه. ولعلّكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفًا لمطلبكم ورجائكم، فابعثوا إلينا رجالًا من أصحابكم، نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء». فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس، حبسهم عنده يومين وليلتين، حتى خاف عليهم المقوقس، فقال لأصحابه: أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم، ويستحلّون ذلك في دينهم»! وإنما أراد عمرو بذلك أن يروْا حال المسلمين.

فردّ عليهم عمرو مع رسلهم: إنه ليس بيني وبينك إلا إحدى خصال ثلاث:

- إما أن دخلتم في الإسلام، فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا.
- وإن أبيتم أعطيتم الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون.
- وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال، حتى يحكم اللَّه بيننا وهو خير الحاكمين.

فلما جاءت رسل المقوقس إليه، قال: كيف رأيتموهم؟ قالوا: رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحبّ إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نَهْمة، وإنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحدٍ منهم، ما يعرفُ رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويتخشّعون في صلاتهم.

فقال عند ذلك المقوقس: والذي يُحلَف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم، وهم محصورون بهذا النيل، لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض، وقوُوا على الخروج من موضعهم.

فردّ إليهم المقوقس رسله، وقال: ابعثوا إلينا رُسُلًا منكم نعاملهم، ونتداعى نحن وهم إلى ما عسى أن يكون فيه صلاحٌ لنا ولكم.

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر، وأحدهم عبادة بن الصامت ـ وطوله عشرة أشبار ـ وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم، وألّا يجيبهم إلى شيء دعوه إلى إحدى هذه الثلاث خصال[١]؛ فإن أمير المؤمنين قد تقدّم في ذلك إليّ، وأمرني ألا أقبل شيئًا سوى خصلة من هذه الثلاث خصال.

وكان عبادة بن الصامت أسود[٢]، فلما ركبوا السفن إلى المقوقس، ودخلوا عليه، تقدّم عبادة، فهابه المقوقس لسوادة، فقال: نحُّوا عني هذا الأسود، وقدِّموا غيره يكلمني. فقالوا: إن هذا الأسود أفضلنا رأيًا وعلمًا، وهو سيِّدنا وخيرنا، والمقدّم علينا، وإنا نرجع جميعًا إلى قوله ورأيه، وقد أمّره الأمير دوننا بما أمره به، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله.

فقال المقوقس للوفد: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغي أن يكون دونكم؟

قالوا: كلا! إنه وإن كان أسود كما ترى، فإنه من أفضلنا موضعًا وأفضلنا سابقة وعقلًا ورأيًا، وليس يُنكر السواد فينا.

فقال المقوقس لعبادة: تقدّم يا أسود وكلّمني برفق، فإني أهاب سوادك، وإن

(١) وهي: الإسلام، أو الجزية، أو القتال.

(٢) جاء في وصف عبادة أنه كان جميلا طويلا، وأما سواده فهو عن عروبته، ولا يعد ذلك بين العرب قُبحًا، وأما عند الروم الشُّقر فالسواد غريب فيهم.

اشتد عليّ كلامك، ازددت لك هيبة. فتقدم إليه عبادة فقال: «قد سمعت مقالتك، وإن فيمن خلَّفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم مثلي، واشد سوادًا مني وأفظع منظرًا، ولو رأيتهم لكنتَ أهيب لهم مني، وأنا قد وليت، وأدبر شبابي، وإني مع ذلك بحمد اللَّه ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعًا، وكذلك أصحابي. وذلك إنما رغبتنا وبغيتنا الجهاد في سبيل اللَّه - تَعَالَى -، واتباع رضوان الله، وليس غزونا عدّونا ممن حارب اللَّه لرغبة في الدنيا، ولا طلبًا للاستكثار منها، إلا أن اللَّه عَزَّوَجَلَّ قد أحلّ ذلك لنا، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالًا، وما يبالي أحدنا: أكان له قنطار من ذهب، أم كان لا يملك إلا درهمًا!؛ لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها، يسدُّ بها جَوْعته، وشَمْلةً يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة اللَّه - تَعَالَى -، واقتصر على هذا الذي بيده، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم، ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة، وبذلك أمرنا ربنا، وأمرنا به نبينا، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا فيما يُمسك جَوْعته، ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضا ربه، وجهاد عدوه.

فلما سمع المقوقس ذلك منه، قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط!

لقد هبتُ منظره؛ وإن قوله لأهيب عندي من منظره، إن هذا وأصحابه أخرجهم اللَّه لخراب الأرض، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها.

ثم أقبل المقوقس على عُبادة فقال: أيها الرجل قد سمعت مقالتك، وما ذكرتَ عنك وعن أصحابك، ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت، ولا ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا بحبهم الدنيا ورغبتهم فيها، وقد توجّه إلينا لقتالكم مِن جمْع الروم مما لا يحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يُبالى أحدهم من لقي ولا مَن قاتل، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم،

وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا، وأنتم في ضيق وشدة في معاشكم وحالكم، ونحن نرقُّ عليكم لضعفكم وقلّتكم وقلّة ما بأيديكم، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين، ولأميركم مئة دينار، ولخليفتكم ألف دينار، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوّة لكم به.

فقال عبادة بن الصامت ﵁: يا هذا؛ لا تغرّنّ نفسك ولا أصحابك. أمّا ما تخوِّفنا به من جَمْع الروم وعددهم وكثرتهم، وأنّا لا نقوى عليهم، فلعمْري ما هذا الذي تخوّفنا به، ولا بالذي يكسِرنا عما نحن فيه، فإنْ كان ما قلتم حقًّا فذلك واللَّه أرغب ما يكون في قتالهم، وأشدُّ لحرصنا عليهم؛ لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه، وإن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجَنّته، وما من شيء أقرّ لأعيننا، ولا أحبّ إلينا من ذلك، وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسنَيَيْنْ:

إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، وإنها لأحب الخصلتينْ إلينا بعد الاجتهاد منا، وإن اللَّه ـ تَعَالَى ـ قال لنا في كتابه ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحًا ومساء: أن يرزقه الشهادة، وألا يُردّ إلى بلده، ولا إلىأهله وولده، وليس لأحد منا هَمٌّ فيما خَلَّفَه، وقد استودع كل واحد منا ربّه أهله وولده؛ وإنما همّنا ما أمامنا.

وأمّا قولك: إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا، فنحن في أوسع السّعة، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا لأنفسنا منها أكثر مما نحن فيه. فأنظر الذي تريد، فبيّنه لنا، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم، ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيها شئت، ولا تُطِمع نفسك في الباطل؛ بذلك أمرني الأمير، وبها أمره أمير المؤمنين؛ وهو عهد رسول اللَّه ﷺ من قبلُ إلينا.

أما إن أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل اللَّه غيره، وهو دين

أنبيائه ورسله وملائكته، أمرنا اللَّه أن نقاتل مَنْ خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك، فقد سعدتم في الدنيا والآخرة، ورجعنا عن قتالكم، ولم نستحلّ أذاكم ولا التعرّض لكم.

وإن أبيتم إلا الجزية، فأدُّوا إلينا الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدًا ما بقينا وبقيتم، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم، إذْ كنتم في ذمّتنا، وكان لكم به عهد اللَّه علينا.

وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما نريد منكم.

هذا ديننا الذي ندين اللَّه ـ تَعَالَى ـ به، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره، فانظروا لأنفسكم.

فقال المقوقس: هذاىما لا يكون أبدا، ما تريدون إلّا أن تتخذونا عبيدًا ما كانت الدنيا.

فقال له عبادة: هو ذاك، فاختر ما شئت.

فقال المقوقس: أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الخصال الثلاث؟ فرفع عُباده يديه، وقال: لا، ورب السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء، ما لكم عندنا خصلة غيرها، فاختاروا لأنفسكم.

فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه وقال: قد فرغ القول فما ترون؟ فقالوا: أَوَ يرضى أحدٌ بهذا الذل؟! أمّاما أرادوا مِن دخولنا في دينهم؛ فهذا لا يكون أبدًا، ولا نترك دين المسيح بن مريم، وندخل في دين لا نعرفه، وأمّاما أرادوا من أن يسْبونا ويجعلونا عبيدًا أبدا، فالموت أيسر من ذلك، لو رضوا منا أن نُضعف لهم ما أعطيناهم مرارًا كان أهون علينا.

فقال المقوقس لعبادة: قد أَبَى القوم، فما ترى؟ فراجع صاحبك، على أن نعطيكم في مَرّتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون. فقام عبادة وأصحابه.

فقال المقوقس لمن حوله عند ذلك: أطيعوني، وأجيبوا القوم إلى خصلة واحدة من هذه الثلاث، فواللَّه ما لكم بهم طاقة! وإن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم منها كارهين.

فقالوا: أي خصلة نجيبهم إليها؟ قال: إذًا أُخبركم.. أما دخولكم في غير دينكم، فلا آمركم به؛ وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقدروا عليهم، ولن تصبروا صبرهم، ولا بد من الثالثة.

قالوا: فنكون لهم عبيدًا أبدًا؟

قال: نعم تكونون عبيدًا مُسلّطين في بلادكم، آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم، خير لكم من أن تموتوا عن آخركم، وتكونوا عبيدًان وتُباعوا وتمزّقوا في البلاد مستعبدين أبدًا أنتم وأهلوكم وذراريكم.

قالوا: فالموت أهون علينا، وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط والجزيرة، وبالقَصْر من جمع الروم والقبط جمع كثير.

فألحّ المسلمون عند ذلك بالقتال على مَن بالقصر حتى ظفروا بهم، وأمكن اللَّه منهم، فقُتِل منهم خلق كثير، وأُسِر مَن أُسِر منهم، وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة.

وبه تبيّن أن فتح مصر كان عنوة أي قهرًا وهو الراجح.

ثم طلب المقوقس وأصحابه عقد صلح مع المسلمين، فتم الصلح على فرض جزية دينارين على جميع مَن بمصر أعلاها وأسفلها»[1].

---

(١) آثار الحرب للدكتور وهبة الزحيلي ص (٦٠٠- ٦٠٦).

● **عبادة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:**

عن قبيصة بن ذؤيب: أن عُبادة أنكر على معاوية شيئًا، فقال: لا أساكنك بأرض، فرحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره بفعل معاوية. فقال له: ارحل إلى مكانك، فقبّح اللَّه أرضًا لست فيها وأمثالك، فلا إمرة له عليك(١).

ولعبادة قصص متعددة مع معاوية، وإنكاره عليه أشياء، وفي بعضها رجوع معاوية له، وفي بعضها شكواه إلى عثمان منه، تدلُّ على قوته في دين الله، وقيامه في الأمر بالمعروف(٢).

عن يعلى بن شداد، قال: ذكر معاوية الفرار من الطاعون، فذكر قصة له مع عبادة، فقام معاوية عند المنبر بعد صلاة العصر، فقال: الحديث كما حدّثنى عبادة، فاقتبسوا منه؛ فهو أفقه مني.

وعن مجاهد، عن جُنادة: دخلتُ على عُبادة، وكان قد تفقّه في دين الله(٣).

وعبادة ﵁ هو أول من ولي قضاء فلسطين(٤).

وانظر إلى ورعه ﵁: مرّ عبادة بقرية دُمَّر، فأمر غلامه أن يقطع له سِواكًا من صفصاف على نهر بَرَدي، فمضى ليفعل، ثم قال له: ارجع، فإنه إنْ لا يكن بثمن، فإنه ييبس، فيعود حطبًا بثمن(٥).

● **وانظر إلى البطل وترفّعه:**

«حينما كان المسلمون يحاصرون حصن بابليون في أم دُنَين(٦)، وأبطأ عليهم الفتح، وبينما عبادة بن الصامت في ناحية يصلى، وفرسه عنده، رآه قوم من الروم،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٧) ورجاله ثقات.

(٢)، (٣) الإصابة (٣/٥٠٧).

(٤) الإصابة (٣/٥٠٦).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/١٠).

(٦) أم دنين: كانت تُطلق قبل الإسلام على المقس. وكانت واقعة على النيل ويقع فيها الآن جامع أولاد عنان (جامع الفتح) بميدان رمسيس، وشارع كامل، وحديقة الأزبكية.

فخرجوا إليه، وعليهم حلية وبِزَّة، فلما دنوا منه، سلمّ من الصلاة، ووثب على فرسه، ثم حمل عليهم، فلما رأوه وَلوَّا هاربين وتبعهم، فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلقهم؛ فصار لا يلتفت إليه حتى دخلوا إلى الحصن، ورُمي عبادة من فوق الحصن بالحجارة، فرجع ولم يتعرّض لشيء مما طرحوه من متاعهم، حتى رجع إلى موضعه الذي كان فيه، فاستقبل الصلاة، وخرج الروم إلى متاعهم وجمعوه[١].

❑ **القائد:**

«كان عبادة رجلًا معدودًا بألف رجل، وقيمته المرموقة هذه لها سببان: شجاعته الشخصية وإقدامه أوّلًا، وعقيدته الراسخة وإيمانه العميق ثانيا.

كان وجوده ـ مجرد وجوده ـ في جيش من جيوش المسلمين كافيًا لرفع معنويات ذلك الجيش وإقدامه على تحمل أشق أعباء القتال.. إذْ كان يثير في نفوسهم النخوة والنجدة بمثاله الشخصي في التضحية والإقدام، كما كان يفجِّر في نفوسهم ينابيع الإيمان بالقضاء والقدر، والتطلع إلى الشهادة في سبيل الله.

لم يكن عبادة يكترث بالموت، بل كان يسعى إليه سعيًا حثيثًا، وكان شعوره هذا ينتقل إلى نفوس من يحيط به فيعمل في نفوسهم عمل السحر الحلال.

لقد كان بالإضافة إلى تمسكه الشديد بعقيدته وتفانيه في خدمتها، راجح العقل ألمعي الذكاء، يبذل قصارى جهده للحصول على معلومات كافية عن عدوه، لذلك كانت خططه صائبة دائمًا، كما كان لماضية المجيد في خدمة الإسلام أثر كبير في حبّ رجاله له وثقتهم الكاملة به، وكان بدوره يبادلهم حبًّا بحب وثقة بثقة.

وكان يدقق كثيرًا في «اختيار مقصده وإدامته»، ويبذل كل جهده لإنجاز

---

(١) النجوم الزاهرة (٩/١).

«تحشيد قوته»، ويحرص غاية الحرص على عدم إعطاء خسائر لا مبرر لها بالأرواح وذلك باتخاذ تدابير «الأمن»، وكان «يديم معنويات» رجاله ويؤمن لهم احتياجاتهم «الإدارية».

إن عُبادة قائد عقائدي من الطراز النادر.

إنه أمه في رجل.. إنه مدرسة كاملة.. إنه نسيج وحده.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصحابي الجليل، النقيب الأمين، المحدث الفقيه، القاضي العادل، القائد الفاتح، عبادة بن الصامت الأنصاري[١] مات بالرملة سنة أربع وثلاثين. وكذا ذكره ابن سعد والمدائني، وخليفة بن خيّاط.

ومنهم من قال: مات ببيت المقدس.

وأورد ابن عساكر أخبارًا له مع معاوية تدلُّ على أنه عاش بعد ولاية معاوية، وبذلك جزم الهيثم بن عدي. وقيل إنه عاش إلى سنة خمس وأربعين[٢]. فرضي اللَّه عن الإمام الكبير المقرئ المجاهد النقيب العقبى البدري.

* * *

(١) قادة فتح الشام ومصر (٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣).
(٢) الإصابة (٣/٥٠٧).

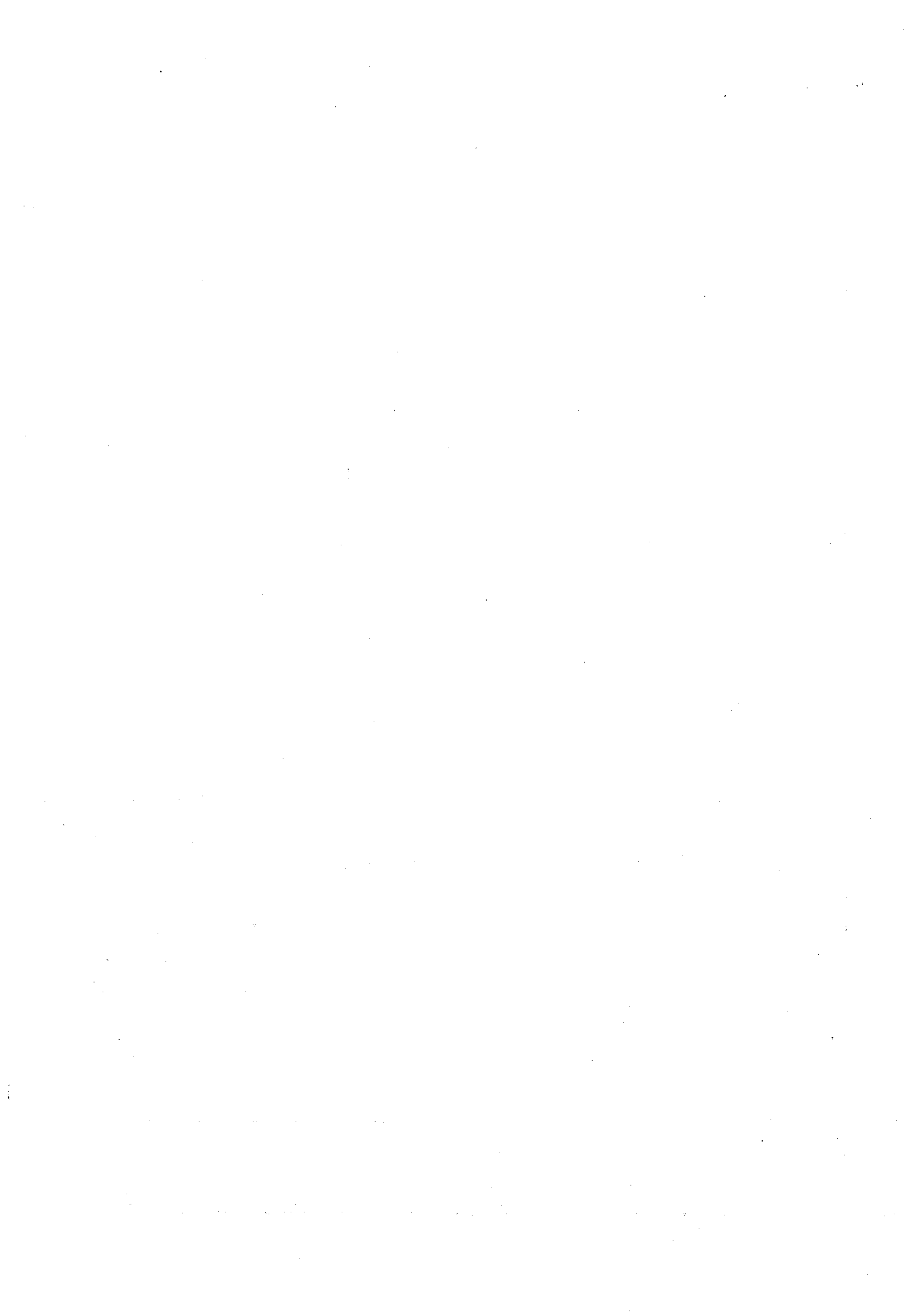


قادة فتح المَغْرِب العَرَبي من الصحابة

- عمرو بن العاص[1]
- عبـدالله بن سعد بن أبي سرح
- معاوية بن حُدَيْج السكوني
- عقبة بن نافع الفهري
- بسر بن أبي أرطاة العامري
- عبدالله بن الزبير بن العوّام
- رويفع بن ثابت الأنصاري
- زهير بن قيس البلوي

---

(١) سبقت ترجمته.



(٤٣٦) عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح العامريّ رضي الله عنه فاتح إفريقية[١] وبطل موقعة ذات الصَّوَاري

هو عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح، واسم أبي سرح الحسام - بن الحارث بن حُبَيِّب بن جَذِيمة بن مالك، ويقال: جَذِيمة بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك. أبو يحيى القرشي العامري[٢] الأمير قائد الجيوش.

كان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة، وكانت أمّه أشعريه؛ قاله الزبير بن بكار واسمها مهابة بنت جابر أرضعت عثمان بن عفان.

عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: كان ابن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزلّه الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به النبي ﷺ أن يُقتل فاستجار له عثمان.

وقال الدارقطني: ارتد، فأهدر النبي ﷺ دمه، ثم عاد مسلمًا، واستوهبه عثمان. أسلم قديمًا، قبل فتح مكة، وهاجر إلى المدينة، فهو من السابقين الأولين، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم افتتن وخرج من المدينة إلى قريش مرتدا. فأهدر النبي ﷺ دمه.

ولما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر: عكرمة بن أبي جهل وعبدالله بن خَطَل، ومِقْيس بن صُبَابة، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح.

عن مصعب بن سعد عن سعد قال: «لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبدالله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان، فجاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال:

(١) إفريقية: أي تونس الآن.

(٢) طبقات ابن سعد (٤٩٦/٧)، نسب قريش (٤٣٣)، وطبقات خليفة ت (٧٠٨، ٢٧١٣)، وتاريخ بن عساكر (١٩/٢٩)، وأسد الغابة ت (٢٩٧٦)، والاستيعاب ت (١٥٧١)، والإصابة (٩٤/٤-٩٦) ت (٤٧٢٩)، وسير أعلام النبلاء (٣٣/٣) ت (٨)، والنجوم الزاهرة (٧٩/١)، وحسن المحاضرة (٥٧٩/١)، وشذرات الذهب (٤٤/١).

يا رسول اللَّه بايعْ عبدالله، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثًا، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد، يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟» فقالوا: ما ندري يا رسول اللَّه ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك. قال: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين»[1].

وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك ﷺ «أمَّن رسول اللَّه ﷺ يعني الناس يوم فتح مكة إلّا أربعة من الناس: عبدالعُزّى بن خَطَل، ومِقْيَس بن صُبَابة الكِناني، وعبداللَّه بن سعد بن أبي سَرْح، وسارة.

قال: فأما عبدالعُزّى فإنه قُتِل وهو آخذ بأستار الكعبة، قال: ونذر رجل من الأنصار أن يقتل عبداللَّه بن سعد إذا رآه قال: وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة، قال: فأتى به رسول اللَّه ﷺ ليشفع له، فلما بصر به الأنصاري اشتمل السيف ثم خرج في طلبه ـ يعني فوجده عند رسول اللَّه ﷺ فهاب قتله، فجاء الأنصاري يتردّد ويكره أن يقدم عليه لأنه في حلقة النبي ﷺ وبسط النبي ﷺ يده فبايعه، قال للأنصاري «انتظرتك أن توفي بنذرك»، قال: يا رسول اللَّه هبتك، أفلا أومضت.

قال: «إنه ليس لنبي أن يُومض»[2].

قال ابن يونس: كان صاحب ميمنة عمرو بن العاص، وكان فارس بني عامر المعدود فيهم. غزا إفريقية[3].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٨٣، ٤٣٥٩)، والنسائي (١٧٠/٢)، والحاكم (٤٥/٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢١٦/١، ٢١٧)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٢٣)، وصحيح الجامع رقم (٢٤٢٢).

(٢) أخرجه ابن عساكر (٢٩/٢٩) ومتن الحديث ثابت، وورد له شاهد بسند حسن أخرجه أبو داود (٣١٩٤)، وأحمد (١٥١/٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٤٠٨)، وحسنه في السلسلة الصحيحة رقم (١٧٢٣) - (٣٠٢/٤).

(٣) فتوح مصر لابن عبدالحكم ص (١٨٣)، وتاريخ دمشق لابن أبي زرعة (١٨٥/١، ٢٩٠) لأبي زرعة.

❑ جهاده:

١- في مصر:

كان عبداللَّه مع جيوش المسلمين التي فتحت أرض الشام، ولما سار عمرو بن العاص لفتح مصر، كان عبداللَّه معه قائد للميمنة منذ توجه من «قيسارية» إلى أن فرغ من حروبه[١]، فشهد فتح مصر وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص في فتوحاته[٢] وفي حروبه هناك كلها[٣].

قال الليث: وكان ابن أبي سرح على الصعيد في زمن عمر، ثم ضمّ إليه عثمان مصر كلها، وكان محمودًا في ولايته، وغزا ثلاث غزوات: إفريقية وذات الصواري والأساور[٤] وعقد عثمان بن عفان لعبداللَّه على مصر كلها مضافا للصعيد غيره[٥]، وعزل عمرو بن العاص عن مصر، وكان ذلك سنة خمس وعشرين الهجرية[٦].

٢- فتحه إفريقية سنة سبع وعشرين الهجرية:

قال ابن الأثير في أحداث سنة ٢٥هـ: «في هذه السنة سيّر عمرو بن العاص عبداللَّه بن سعد بن أبي سرح إلى أطراف إفريقية غازيًا بأمر عثمان، وكان عبداللَّه من جند مصر، فلما سار إليها أمدّه عمرو بالجنود فغنم هو وجنده، فلما عاد عبداللَّه كتب إلى عثمان يستأذنه في غزو إفريقية فأذن له في ذلك[٧].

قال البلاذري: «لما ولى عبداللَّه بن سعد بن أبي سرح مصر والمغرب بعث

(١) فتح مصر والمغرب ص (٨٥).
(٢) الإصابة (٤/٩٥).
(٣) أسد الغابة (٣/٢٦١).
(٤) الإصابة (٤/٩٦).
(٥) النجوم الزاهرة (١/٦٦).
(٦) النجوم الزاهرة (١/٧٩).
(٧) الكامل لابن الأثير (٢/٤٨٠).

المسلمين في جرائد خيل فأصابوا من أطراف أفريقية وغنموا. وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه متوقفًا عن غزوها ثم إنه عزم على ذلك بعد أن استشار فيه، وكتب إلى عبدالله في سنة سبع وعشرين، ويقال في سنة ثمان وعشرين، ويُقال في سنه تسع وعشرين يأمره بغزوها وأمدّه بجيش عظيم فيه معبد بن العباس بن عبدالمطلب، ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، والحارث بن الحكم أخوه، وعبدالله بن الزبير بن العوّام، والمسور بن مخرمة بن نوفل وعبدالرحمن بن زيد بن الخطاب، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعاصم بن عمر، وعبيد الله بن عمر، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وبسر بن أبي أرطاة العامري، وأبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي الشاعر، وبها توفي.

وخرج في هذه الغزاة ممن حول المدينة من العرب خلق كثير[١].

وقال خليفة بن خياط في أحداث سنة سبع وعشرين: «غزا ابن أبي سرح إفريقية ومعه العبادلة: عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن الزبير بن العوّام[٢]، فلقى جُرجير في مئتي ألف بسُبيطلة[٣] على سبعين ميلا من القيروان، فقُتِل جرجير وسبوا وغنموا»[٤]. وسمى هذا الجيش «جيش العبادلة»، وكان في هذا الجيش أيضًا الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ.

وقال ابن الأثير: «إن عبدالله بن سعد لمّا ولي أرسل إلى عثمان في غزو إفريقية والاستكثار من الجموع عليها وفتحها، واستشار عثمان مَن عنده من الصحابة، فأشار أكثرهم بذلك، فجهز إليه العسكر من المدينة وفيهم جماعة من أعيان الصحابة منهم عبدالله بن عباس وغيره. فسار بهم عبدالله بن سعد إلى إفريقية،

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (٢٢٧، ٢٢٨).

(٢) ومن العبادلة ممن حضر هذا الفتح عبدالله بن جعفر ـ انظر ابن خلدون (١٢٨/٢).

(٣) مدينة من مدن تونس.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص (١٥٩).

فلما وصلوا إلى برقة لقيهم «عقبة بن نافع» فيمن معه من المسلمين وكانوا بها، وساروا إلى طرابلس الغرب، فنهبوا مَن عندها من الروم، وسار نحو إفريقية، وبث السرايا في كل ناحية، وكان ملكهم اسمه «جرجير» وملكه من طرابلس إلى طنجة [١]، وكان هرقل ملك الروم قد ولّاه إفريقية فهو يحمل إليه الخراج كل سنة، فلما بلغه خبر المسلمين تجهّز وجمع العساكر وأهل البلاد فبلغ عسكره مئة ألف وعشرين ألف فارس، والتقي هو والمسلمون بمكان ـ يدعى «بعقوبة» [٢] ـ بينه وبين «سُبَيْطلة» يوم وليلة، وهذه المدينة كانت ذلك الوقت دار الملك، فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم، وراسله عبداللَّه بن سعد يدعوه إلى الإسلام أو الجزية فامتنع منهما وتكبّر عن قبول أحدهما، وانقطع خبر المسلمين عن عثمان فسيّر عبداللَّه بن الزبير في جماعة إليهم ليأتيه بأخبارهم فسار مُجِدًّا، ووصل إليهم، وأقام معهم، ولمّا وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين، فسأل «جرجير» عن الخبر، فقيل: قد أتاهم عسكر، ففتّ ذلك في عضده.

ورأى عبداللَّه بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة إلى الظهر فإذا أذّن بالظهر عاد كل فريق إلى خيامة، وشهد القتال من الغد، فلم ير ابن أبي سرح معهم فسأل عنه، فقيل إنه سمع منادي جرجير يقول: «من قتل عبداللَّه بن سعد فله مئة ألف دينار وأزوِّجه ابنتي» وهو يخاف، فحضر عنده وقال له: تأمر مناديًا ينادى: «من أتاني برأس جرجير نفّلته مئة ألف وزوّجته ابنته واستعملته على بلاده ففعل ذلك فصار «جرجير» يخاف أشد من عبدالله».

ثم إن عبداللَّه بن الزبير قال لعبداللَّه بن سعد: إنّ أمرنا يطول مع هؤلاء وهم في أمداد متصلة وبلاد هي لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أنْ نترك غدًا جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهّبين ونقاتل نحن

(١) طنجة: مرفأ على مضيق جبل طارق شمال المغرب.
(٢) البلاذري ص (٢٢٨).

والروم في باقي العسكر إلى أن يضجروا ويملّوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم، ورجع المسلمون ركب مَنْ كان في الخيام مِن المسلمين، ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غِرّة، فلعلّ اللّه ينصرنا عليهم. فأحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك، فلما كان الغد فعل عبداللّه ما اتفقوا عليه، وأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم وخيولهم عندهم مُسرَجة، ومضى الباقون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالا شديدا، فلما أذّن الظهر هَمَّ الروم بالانصراف على العادة فلم يُمكّنهم ابن الزبير وألحَّ عليهم بالقتال حتى أتعبهم، ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكلٌّ من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تَعِبًا. فعند ذلك أخذ عبداللّه بن الزبير مَنْ كان مستريحًا من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد وكبّروا فلم يتمكن الروم من لِبْس سلاحهم حتى غَشِيَهم المسلمون، وقُتِل جرجير قتله ابن الزبير، وانهزم الروم، وقُتِل منهم مقتلة عظيمة، وأُخِذت ابنة الملك جرجير سَبِيّة، ونازل عبداللّه بن سعد المدينة فحصرها حتى فتحها، ورأى فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، وسهم الراجل ألف دينار.

ولما فتح عبداللّه مدينة «سبيطلة»(١) بثَّ جيوشه في البلاد فبلغت «قفصة»(٢) فسبوا وغنموا، وسيّر عسكرا إلى حصن «الأجم»(٣)، وقد احتمى به أهل تلك البلاد فحصره وفتحه بالأمان، فصالحه أهل إفريقية على ألفي ألف وخمس مئة ألف دينار، ونفل عبداللّه بن الزبير ابنة الملك وأرسله إلى عثمان بالبشارة. وقيل: إن ابنة الملك وقعت لرجلٍ من الأنصار فأركبها بعيرًا، وارتجز بها يقول:

يا ابنة جرجير تمشي عقبتك إنّ عليك بالحجاز ربّتك
لتحملن من قباء قربتك

---

(١) مدينة من مدن إفريقية (تونس) بينها وبين القيروان سبعون ميلًا.
(٢) بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام.
(٣) الأجم ـ العجم ـ الأعجام ـ كانت مركزًا حربيًا هامًا طوال العصر البيزنطي.

«ثم إن عبدالله بن سعد عاد من إفريقية إلى مصر، وكان مقامه بإفريقية سنة وثلاثة أشهر ولم يفقد المسلمون إلا ثلاثة نفر قُتِل منهم ابو ذؤيب الهذلي الشاعر، فدفن هناك»[١].

قال ابن حجر عن عبدالله بن سعد: «كانت ولايته مصر سنة خمس وعشرين؛ وكان فتح إفريقية من أعظم الفتوح؛ بلغ سهم الفارس فيه ثلاثة آلاف دينار، وذلك سنة ثمان. وأما الأساود فكان فتحها سنة إحدى وثلاثين بالنوبة، وهو هادنهم الهدنة الباقية بعده»[٢].

وقال أيضًا عنه: «وله مواقف محمودة في الفتوح»[٣].

وقال الليث بن سعد: «كانت غزوة عبدالله بن سعد إفريقية لسنة سبع وعشرين، ثم كانت الأساودة أميرهم عبدالله بن سعد لسنة إحدى وثلاثين، ثم كانت ذو الصواري أميرهم عبدالله بن سعد لسنة أربع وثلاثين»[٤].

وفي رواية عن فتح إفريقية: «أن عبدالله بث السرايا ففرّقها في البلاد فأصابوا غنائم كثيرة واستاقوا من المواشي ما قدروا عليه، فلما رأى ذلك عظماء إفريقية اجتمعوا فطلبوا إلى عبدالله بن سعد أن يأخذ منهم ثلاث مئة قنطار من ذهب على أن يكفّ عنهم ويخرج من بلادهم، فقبل ذلك»[٥].

ومعنى ذلك أن هؤلاء دفعوا هذا المبلغ ليكفّ المسلمون أيديهم عنهم، وتتوقف الحرب ويسود السلام بين أهل إفريقية من جهة وبين المسلمين من جهة أخرى.

فاجتمع أهل إفريقية على الطاعة والإسلام وحسن إسلامهم[٦].

---

(١) «الكامل» (٢/٤٨٢- ٤٨٤).
(٢) الإصابة (٤/٩٦).
(٣) الإصابة (٤/٩٥).
(٤) تاريخ مدينة دمشق (٢٩/٣٩).
(٥) البلاذري ص (٢٢٨).
(٦) النجوم الزاهرة (١/٨٠).

لقد افتتح عبدالله بن سعد إفريقية سهلها وجبلها[١]، وفتح الله على يديه فتحًا عظيمًا[٢]، وأذلّت تلك الواقعة الروم بإفريقية وأصابهم رعب شديد[٣].

• غزو إفريقية ثانية سنة ثلاث وثلاين هجرية:

في سنة ثلاث وثلاثين هجرية، أعاد عبدالله الكرّة على إفريقية حين نقض أهلها العهد، فانتصر عليهم، وأعاد النظام إلى ربوعهم، وأقرّهم على الإسلام والجزية[٤] وكان فتح إفريقية فتحًا مستدامًا ولم يكن غارة من الغارات.

• ـ فتح قبرص سنة ٢٨هـ:

في سنة ٢٨هـ سار معاوية بن أبي سفيان لفتح قبرص، وسار معه المسلمون من الشام إلى قبرص. وسار إليها عبدالله بن سعد من مصر، فاجتمعوا عليها؛ فصالحهم أهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة وكان لعبدالله بن سعد فضل كبير في فتحها[٥].

• غزو الأساود «بلاد النوبة» سنة إحدى وثلاثين الهجرية:

«لما فتح المسلمون مصر بعث عمرو بن العاص إلى القرى التي حولها الخيل ليطأهم فبعث عقبة بن نافع الفهري ـ وكان نافع أخا العاص لأمه ـ فدخلت خيولهم أرض النوبة كما تدخل صوائف الروم فلقى المسلمون بالنوبة قتالًا شديدا، لقد لاقوهم فرشقوهم بالنبل حتى جُرِح عامتهم فانصرفوا بجراحات كثيرة وحدق مفقوءة فسموا رماة الحدق، فلم يزالوا على ذلك حتى ولي مصر عبدالله بن سعد ابن أبي سرح فسألوه الصلح والموادعة فأجابهم إلى ذلك على غير جزية لكن على

---

(١) النجوم الزاهرة (٧٩/١).
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢٧٠/١).
(٣) البيان المغرب (٨/١).
(٤) النجوم الزاهرة (٨٠/١).
(٥) تاريخ الطبري (٣١٨/٣).

هدية ثلاث مئة رأس في كل سنة، وعلى أن يهدي المسلمون إليهم طعامًا بقدر ذلك.

قال شيخ من حمير شهد قتال النوبة: شهدت النوبة مرتين في ولاية عمر بن الخطاب فلم أر قومًا أَحَدَّ في حرب منهم، لقد رأيت أحدهم يقول للمسلم: أين تحبُّ أن أضع سهمي منك، فربما عبث الفتى منا فقال: في مكان كذا فلا يخطئه، كانوا يُكثرون الرمي بالنبل فما يكاد يرى من نبلهم في الأرض شيء فخرجوا إلينا ذات يوم فصافونا ونحن نريد أن نجعلها حملة واحدة بالسيوف فما قدرنا على معالجتهم رمونا حتى ذهبت الأعين فعدت مئة وخمسين عينًا مفقودة، فقلنا: ما لها ولاء خير من الصلح، إن سلبهم لقليل وإن نكايتهم لشديدة، فلم يصالحهم عمرو ولم يزل يكالبهم حتى نُزِع، وولى عبداللَّه بن سعد بن أبي سرح فصالحهم.

وقال الليث بن سعد: إنما الصلح بيننا وبين النوبة على أن لا نقاتلهم ولا يقاتلونا وأن يعطونا رقيقا ونعطيهم بقدر ذلك طعامًا[١].

لقد قاتل الأساود من أهل النوبة عبداللَّه بن سعد بن أبي سرح قتالًا شديدًا، فاصيبت يومئذ عيون كثير من المسلمين، فقال الشاعر:

لم تر عيني مثل يوم «دُمْقُلَة»[٢] والخيل تعدو بالدروع مثقلة

فسأل أهل النوبة عبداللَّه بن سعد الهدنة، فهادنهم الهدنة الباقية إلى اليوم، وصالحهم على أنهم لا يغزونهم، ولا يغزو النوبة المسلمين، وأن النوبة يؤدون كل سنة إلى المسلمين كمية من السبي، وأن المسلمين يؤدون إليهم كمية من القمح والعدس في كل سنة مقابل السبي، وعقد لأهل «مقرة»[٣] بعد دخول جيش المسلمين «دنقلة» عقدًا يضمن استقلال بلادهم ويحقق للمسلمين الإطمئنان إلى

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (٢٣٨، ٢٣٩).

(٢) دمقلة: مدينة كبيرة في بلاد النوبة.

(٣) مقرة: مدينة بالنوبة.

حدودهم الجنوبية، ويفتح النوبة للتجارة والحصول على عدد من الرقيق في خدمة الدولة الإسلامية. وقد اختلط العرب بالنوبة والبجة واعتنق كثير منهم الإسلام.

وفي «جوامع السيرة» لابن حزم: «صالحهم عبداللّه بن سعد على رقيق يؤدونه، وبنى على باب مدينة ملكهم مسجدًا، وشرط عليهم حفظه أبدا، ثم أسلمت البجة كلهم»[١].

❑ غزوة «ذات الصواري» وبطولة عبداللّه بن سعد الفائقة:

في سنة أربع وثلاثين هجرية غزا عبداللّه غزوة «ذات الصواري» في البحر من ناحية الإسكندرية[٢]، فلقيه قسطنطين بن هرقل في جمع لم تجمع الروم مثله مذ كان الإسلام، فخرجوا في خمس مئة مركب أو ست مئة[٣]، والمسلمون في مئتي مركب[٤].

وقام ابن أبي السرح بين ظهراني الناس فقال: «بلغني أن ابن هرقل قد أقبل إليكم في ألف مركب، فأشيروا عليّ!» فما كلمّه رجل من المسلمين. وجلس عبداللّه قليلا لترجع إلى سامعيه أفئدتهم، ثم قام الثانية وكلمّهم، فما كلّمه أحد. وجلس ثم قام الثالثة فقال: «إنه لم يبق شيء، فأشيروا عليّ!»، فقام رجل من أهل المدينة كان متطوِّعًا مع عبداللّه بن سعد فقال: «أيها الأمير! إن اللّه جل ثناؤه يقول ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فقال عبداللّه «اركبوا باسم الله» فركبوا. وقدم أهل الشام عليهم معاوية بن أبي سفيان وعلى البحر عبداللّه بن سعد، وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم،

---

(١) فتوح الإسلام ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٤٤٥).
(٢) النجوم الزاهرة (١/٨٠).
(٣) الطبري (٣/٣٤٠)، وفي النجوم الزاهرة (١/٨٠) أن عدد مراكب الروم كان ألف مركب.
(٤) النجوم الزاهرة (١/٨٠).

فأرسى المسلمون والروم، وسكنت الريح، فقال المسلمون: الأمان بيننا وبينكم! فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرءون القرآن ويُصَلّون.

وأصبحوا وقد أجمع الروم أن يقاتلوا، فقرّبوا سفنهم وقرّب المسلمون سفنهم، فربطوا بعضها إلى بعض، وصفّ عبداللَّه بن سعد المسلمين على نواحي السفن وجعل يأمرهم بقراءة القرآن والصبر.

اقتتل الطرفان بالسيوف والخناجر، فقُتِل من المسلمين بشر كثير، وقُتِل من الروم ما لا يحصى، وصبر المسلمون يومئذ صبرًا لم يصبروا مثله في موطن قط، فجُرح قسطنطين ملك الروم وقائدهم في هذه المعركة فانهزموا ولم ينج منهم إلا الشريد(١).

وفي هذه المعركة بالذات تعرّضت حياة عبداللَّه لخطر داهم، فقد قرن مركبه بمركب من مراكب الروم، فكاد مركب العدو يجرّ مركب عبداللَّه إليهم، لولا أن قيض اللَّه أحد رجاله ضرب السلسلة التي تربط المركبين بالسيف فقطعها، وبذلك نجا عبداللَّه من الموت أو الأسر.

لقد أظهر عبداللَّه في هذه المعركة «ذات الصواري»(٢) بطولة فائقة، تلك المعركة التي أبعدت خطر الروم بعد اندحارهم عن مصر وأرض الشام.

❑ **القائد:**

«لقد كان عبداللَّه فارس بني عامر بن لؤي، وقد أثبت شجاعة فائقة مع معاركه، خاصة في معركة «ذات الصواري»، وكان قديرًا على وضع الخطط العسكرية المناسبة، وكان يحرص على إنجاز استعداداته الضرورية قبل كل معركة يخوضها: ينجز تحشيد قواته، ويكمل قضاياها الإدارية، ويرسل العيون والأرصاد

---

(١) الطبري (٣/٣٤٠- ٣٤١)، وابن خلدون (٢/١٣٠).

(٢) سُمِّيت هذه المعركة بذات الصواري، لكثرة صواري المراكب واجتماعها، انظر النجوم الزاهرة (١/ ٨٠).

لتزويده بأنباء العدو المفَصَّلة، كل ذلك يساعده على وضع خُطةُ مثلى تؤمِّن له النصر المبين.

وكان يمتاز باستشارة ذوي الرأي من رجاله قبل المعركة وفي أثنائها ولا يأنف أبدا من الانصياع للرأي الصائب بكل رحابة صدر، بل كان يشجِّع كل من له رأي سليم على إظهاره ليطبِّقه فورًان وتلك ميزة صاحب الشخصية الرصينة القوية التي لا تُؤثر عليها تقوّلات الناس.

والظاهر في سير معاركه التي خاضها، أنه كان يؤثر أن يكون في ساحات القتال غازيا على أن يكون في القصور واليا. فقد شهد فتح أرض الشام ومصر وفتوحات عمرو بن العاص كافة قبل أن يتولى هو مصر، فلما أصبح واليًا عليها بعد عمرو بن العاص، أمضى سنتي ست وعشرين وسبع وعشرين في فتح إفريقية، وأمضى سنة ثمان وعشرين في فتح «قبرص»، وأمضى سنة إحدى وثلاثين في النوبة، وسنة ثلاث وثلاثين في استعادة فتح إفريقية، وأمضى سنة أربع وثلاثين في «ذات الصواري». أي أن عبداللَّه قضى سبع سنوات من مدة حكمه غازيًا، وقضى ثلاث سنوات فقط بين أهله، ولا بد أن هذه السنوات الثلاثة قضاها هي الأخرى أو قضى أكثرها على أقل تقدير لإنجاز استعداداته للقتال، إذ أن الاستعدادات لخوض معركة ما لا تقلّ أهمية عن خطة خوض المعركة، وكل نقص في الاستعدادات يؤدي إلى الفشل.

إن حرص عبداللَّه على قيادة رجاله بنفسه، ورغبته في مشاركتهم بتحمّل أعباء القتال، وقضائه أكثر مدة حكمه بعيدًا عن أهله وعن مأمنه غازيا، كل ذلك يدلُّ على أنه طراز نادر من القادة الممتازين.

وكان قائدا «تعرضيا» يهتم كثيرا بتطبيق مبدأ «المباغتة» أهم مبادئ الحرب. لقد كان عبداللَّه قائدا ممتازًا حَرِيًّا بمنصبه القياديّ، وأعماله الباهرة في الفتح أدلة واضحة على أنه من أبرز قادة الفتح الإسلامي قابلية ومقدرة وكفاية وتضحية لقد

كان عبداللَّه قائدًا ممتازًا، وواليًا قديرًا وفاتحًا عظيمًا ومؤمنًا حقًا، وكانت له مزايا إنسانية عالية وأعمال مشرفة، وكل قول يخالف ذلك لا يستند على مصادر التاريخ الصحيح.

يذكر التاريخ لابن سعد فتحه لتونس وشرقي الجزائر، وقبرص والنوبة، ونشره الإسلام في ربوعها، ويذكر له معاركه الحربية بالتقدير والإعجاب خاصة «ذات الصواري» ويذكر له أنه قضى حياته كلها مجاهدا لإعلاء كلمة الله[١].

اعتزل ﵁ الفتن، ولم يشارك فيما جرى بين علي ومعاوية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، وختم اللَّه بخاتمة الحسنى.. ويا لحسنها من خاتمة سنة ست وثلاثين بعسقلان.

روى البغوي بإسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب، قال: خرج ابن أبي سرح إلى الرّملة، فلما كان عند الصبح قال: اللهم اجعل آخر عملي الصبح، فتوضأ ثم صَلى فسلّم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره، فقبض اللَّه روحه يرحمه الله[٢].

عن يزيد بن أبي حبيب قال: لما حضرت عبداللَّه بن سعد بن أبي سرح الوفاة وهو بالرملة، وكان خرج إليها فارًّا من الفتنة، فجعل يقول لهم من الليل: أصبحتم؟ فيقولون: لا، فلما كان عند الصبح قال: يا هشام بن كنانة، إني لأجد برد الصبح، فانظر، ثم قال: اللهم اجعل خاتمة عملي الصبح، فتوضأ ثم صَلى فقرأ في أول ركعة بأم القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة، فسلّم عن يمينه وذهب يُسلّم عن يساره، فقبض اللَّه روحه[٣] ﵁.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: قادة فتح المغرب العربي ص (٧٣، ٧٤).
(٢) الإصابة (٤/٩٦).
(٣) تاريخ دمشق (٢٩/٤٣).

(٤٣٧) معاوية بن حُدَيْج السكوني[١] رضي الله عنه فاتح «بنزرت»[٢] و«سوسة»[٣] وجَلُولاء[٤]

هو مُعاوية بن حُدَيْج بن جفنة بن قُتَيْرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد بن أشْرَس بن شبيب بن السَّكون بن أشرس بن كِندة أبو عبدالرحمن، وأبو نعيم الكِنْدِي التُجيبي رضي الله عنه، الأمير، قائد الكتائب.

وكل تجيبي سكوني، وكل سكوني كِندي، وأمه هي كبشة بنت معدي كرب الشاعرة[٥].

له صحبة ورواية قليلة عن النبي ﷺ قاله ابن سعد، وابن عساكر، والذهبي، وابن يونس. وقال الأثرم عن أحمد: ليست له صحبة[٦]. والرأي الأقوى أنه صحابي قال الذهبي «ولى إمرة مصر لمعاوية وغزو المغرب، وشهد موقعة اليرموك»[٧].

وقال ابن حجر في «الإصابة» «وذكره ابن سعد فيمن ولى مصر من الصحابة. وقال ابن يونس في تاريخه: يُكنى أبا نُعيم، وفد على رسول الله ﷺ، وشهد فتح

---

(١) الإصابة (١١٦/٦) ت (٨٠٨٠)، وسير أعلام النبلاء (٣٧/٣)، وتاريخ دمشق (١٥/٥٩)، وأسد الغابة، والبداية والنهاية (٦٠/٨)، وتهذيب التهذيب (٢٠٣/١٠)، والنجوم الزاهرة (١٥١/١)، وحسن المحاضرة (٢٣٧/١)، وشذرات الذهب (٥٨/١).

(٢) بنزرت: مدينة بتونس بينها وبين مدينة تونس يومان، وهي مشرفة على البحر.

(٣) سوسة: مدينة يحيط بها البحر في جنوبي شرقي تونس.

(٤) جَلُولاء: مدينة مشهورة بإفريقية (تونس) بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلا. وهي الآن خراب يُعرف مكانها بعين جلولاء.

(٥) الأعلام لخير الدين الزركلي (١٧١/٨).

(٦) الإصابة (١١٧/٦).

(٧) سير أعلام النبلاء (٣٧/٣).

مصر، ثم كان الوافد على عمر بفتح الإسكندرية، ذهبت عينه في غزوة النوبة[١] مع ابن أبي سرح، وإلى غزو المغرب مرارًا، آخرها سنة خمسين، ومات سنة اثنتين وخمسين»[٢].

وفد على رسول الله ﷺ، وهاجر إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٣]، ووفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الذهبي: ذكر الجمهور أن له صحبة، وقال: قد كان ابن حُدَيْج مَلِكًا مُطاعًا من أشراف كنده[٤]. وقال ابن عساكر: من سادات السكون في الإسلام[٥].

❑ جهاده

● (أ) فتح مصر

شهد رضي الله عنه اليرموك، وشهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، وكان رسوله إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح الإسكندرية، وقد ذكر معاوية بن حُدَيْج قصة وفادته على عمر بن الخطاب فقال:

«بعثني عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية، فقدمت المدينة في الظهيرة، فأنخت راحلتي بباب المسجد، فبينما أنا قاعد فيه إذْ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب، فرأتني شاحبًا عليّ ثياب السفر، فأتتني وقالت: مَن أنت؟ قلت: أنا معاوية بن حُدَيج رسول عمرو بن العاص.. فانصرفت عني ثم أقبلت تشتد أسمع حفيف إزارها على ساقها حتى دنت مني، فقالت: قم فأجب! أمير المؤمنين يدعوك.. فتبعتها، فلما دخلتُ فإذا بعمر بن الخطاب يتناول رداء

---

(١) النُّوبة: بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر.
(٢) الإصابة (٦/١١٦- ١١٧).
(٣) تهذيب التهذيب (١٠/٢٠٣).
(٤) السير (٣/٤٠).
(٥) تاريخ دمشق (٥٩/١٨).

بإحدى يديه ويشد إزاره بالأخرى، فقال: ما عندك؟ قلت: خير يا أمير المؤمنين، فتح اللَّه الإسكندرية.. فخرج معي إلى المسجد فقال للمؤذن: أَذِّن في الناس: الصلاة جامعة.. فاجتمع الناس، ثم قال لي: قم فاخبر أصحابك، فقمت فأخبرتهم، ثم صَلى ودخل منزله واستقبل القبلة، فدعا بدعوات ثم جلس، فقال: يا جارية! هل من طعام؟ فأتت بخبز وزيت، فقال: كُلْ! فأكلت على حياء، ثم قال: يا جارية! هل من تمر؟ فأتت بتمر في طبق، فقال: كل! فأكلت على حياء، ثم قال: ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟

فقلتُ: قلتُ أمير المؤمنين قائل[١]! فقال: لبئس ما ظننت! لئن نمتُ النهار لأضيعنّ الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعنّ نفسي، فكيف بالنوم من هذيْن يا معاوية؟![٢]

ووفادة معاوية دليل على ثقة عمرو به واعتماده عليه، وأنه كان شخصية لامعة في جيش المسلمين الذي فتح مصر في جهاده وعقله، كما أنه دليل على أنه كان مقبولًا عند عمر بن الخطاب.

● ب ـ في بلاد النوبة:

وفي سنة إحدى وثلاثين الهجرية شهد ابن حُدّيج فتح النوبة تحت لواء عبداللَّه بن سعد بن أبي سرْح، فذهبت عينه يوم «دمْقُلة» من بلاد النوبة[٣]، فأصبح أعور[٤].

❑ غزو إفريقية:

قال ابن عساكر: ولى معاوية بن حُدّيْج الإِمْرَة على غزو المغرب سنة أربع

---

(١) القيلولة: هي النوم في الظهيرة. ورجل قائل، وقوم قَيْل وقُيَّل.

(٢) فتح مصر والمغرب ص (١١٩، ١٢٠).

(٣) تهذيب التهذيب (١٠/٢٠٤).

(٤) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ـ للدّباغ (عبدالرحمن ومحمد بن عبدالله الأنصاري) ـ تونس، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/٢٠)، والإصابة (٦/١١٧).

وثلاثين وسنة أربعين وسنة خمسين[١].

● **غزا ابن حُدَيج إفريقية ثلاث مرات:**

الأولى: سنة أربع وثلاثين الهجرية في خلافة عثمان بن عفان ـ وقيل سنة ثلاث وثلاثين[٢] في خلافة عثمان بن عفان، حين كان عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح واليًا على مصر، وكان معه جماعة من المهاجرين والأنصار، ففتح مناطق شاسعة، وغنم غنائم عظيمة، واتخذ قيروانا عند «القرن»[٣]، ولم يزل فيها حتى خرج إلى مصر.

❑ **فتح مدينة (بنْزَرت):**

وغزا معاوية إفريقية سنة إحدى وأربعين الهجرية، ففتح مدينة «بنزّرت»، وكان معه عبدالملك بن مروان[٤].

❑ **انتقاض إفريقية وفتحها ثانية:**

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدي إليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من إفريقية، ومصر، والأندلس، وغير ذلك، فلما صالح أهل إفريقية عبدالله بن سعد أرسل هرقل إلى أهلها بِطْرِيقًا له وأمره أن يأخذ منهم مثل ما أخذ المسلمون، فنزل البطريق في «قُرْطاجَنَّة» وجمع أهل إفريقية وأخبرهم بما أمره الملك فأبوْا عليه، وقالوا: نحن نؤدي ما كان يُؤخذ منا، وقد كان ينبغي له أن يُسامِحَنا لما ناله المسلمون منا، وكان قد قام بأمر إفريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فطرده البطْريق بعد فتن كثيرة، فسار إلى الشام وبه معاوية وقد استقرّ له الأمر بعد قتل عَليّ، فوصف له إفريقية، وزين له فتحها واصفًا له خيراتها وثراءها، ودَلّه على

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/٢٠).

(٢) انظر «الكامل» لابن الأثير (٣/٣٠).

(٣) القرن: موضع مدينة القيروان.

(٤) معالم الإيمان (١/١١٤). أما في فتوح مصر والمغرب (٢٦١) فيذكر أنه غزاها سنة أربعين، والأول أصح لأن معاوية استقر ملكه سنة إحدى وأربعين الهجرية.

عورات الروم، فبعث معاوية بن حُدَيْج لفتحها سنة خمس وأربعين الهجرية[١]، وجهه معاوية بن أبي سفيان في جيش كثيف تعداده عشرة آلاف رجل[٢]، معهم عبدالله بن عمر بن الخطّاب، وجماعة من الصحابة والتابعين من بينهم عبدالملك ابن مروان. فلما وصلوا إلى الإسكندرية هلك الروميّ ومضى ابن حُدَيْج فوصل إلى إفريقية وهي نار تضطرم وكان معه عسكر عظيم فنزل على (قمونية)[٣] وهي قيروان إفريقية فلقيه البطريق «وهو ملك (سُبَيْطلة)[٤] ومعه ثلاثين ألف مقاتل، ولم تغن قوات الروم شيئًا، وهزمهم معاوية عند حصن (الأَجم» ثم بثّ السرايا في البلاد، وبعث عبدالله بن الزبير إلى «سوسة» ففتحها[٥] وبعث رُوَيْفع بن ثابت الأنصاري بحرًا إلى (جَرْبَة)[٦] ففتحها، ثم عاد أدراجه إلى طرابلس الغرب التي كان أميرا عليها.

وبعث عبدالله بن مروان إلى «جلولاء» ففتحها[٧].

واستقر معاوية في جبل القرن[٨]، وجعله مقرًا له، فبقى هناك ثلاث سنين[٩]، فبنى بناحية القرن مساكن سماها «قيروان» واحتفر بها آبارا تسمى آبار حديج وهذه الآبار خارج باب تونس منحرفة عنه إلى الشرق عند مصلّى الجنائز[١٠].

---

(١) البيان المغرب (١/١٧)، والاستقصا (١/٦٩)، والكامل لابن الأثير (٢/٤٨٥).
(٢) الاستقصا (١/٦٩).
(٣) قمونية: مدينة بإفريقية كانت موضع القيروان.
(٤) سبيطلة: مدينة تبعد عن القيروان سبعون ميلًا، وعن قفصة مرحلة واحدة، وكانت عاصمة إفريقية في القديم.
(٥) الاستقصا (١/٦٩).
(٦) جربة: جزيرة في تونس قرب قابس كان يسكنها البربر.
(٧) البيان المغرب (١٠)، والاستقصا (١/٦٩).
(٨) جبل بإفريقية، وهو الجبل المعروف اليوم بجبل «وسلات».
(٩) رياض النفوس (١/١٩).
(١٠) معالم الإيمان (١/١١٣- ١١٤).

لقد غزا معاوية إفريقية مرارًا كثيرة كان آخرها سنة خمسين الهجرية(١)، ولكن المؤرخين اقتصروا على ذكر ثلاث منها، هي أهم غزواته.

وعاد معاوية بعد ذلك إلى مصر بعد أن خَلدّ آثارًا حسنة في إفريقية(٢)، وهو الذي بعث عقبة بن نافع سنة خمسين الهجرية لغزو إفريقية(٣).

❏ في البحر:

● أ ـ غزوة لجزيرة صِقِلِيّة(٤):

قال البلاذري: «غزا معاوية بن حُديج الكِنْدي أيام معاوية بن أبي سفيان صقلية، وكان أول من غزاها، ولم تزل تُغزى بعد ذلك»(٥).

بعث معاوية بن حُدَيْج عبدالله بن قيس بن مخلد إلى صقلية فأصاب أصنامًا من ذهب وفضة مكللة بجوهر(٦).

وقال الواقدي: «سبى عبدالله بن قيس بن مخلد الدزقي صقلية فأصاب أصنام ذهب وفضة مكللة بالجوهر، فبعث بها إلى معاوية فوجه بها معاوية إلى البصرة لتحمل إلى الهند فتباع هناك فيثمن بها»(٧).

وفي «البيان المغرب»: «أغزى معاوية جيشًا في البحر إلى صقلية في مئتي مركب، فسبوا وغنموا وأقاموا شهرًا ثم انصرفوا..»(٨)، فكانت هذه الغزوة غارة ولم تكن فتحًا مستديمًا. وكان ذلك سنة ست وثلاثين الهجرية.

---

(١) تهذيب التهذيب (٢٠٤/١٠)، والإصابة (١١٧/٦).
(٢) الاستقصا (٦٩/١).
(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص (٢٣٧).
(٤) صقلية: من جزر البحر الأبيض المتوسط.
(٥) «فتوح البلدان» للبلاذري ص (٢٣٧).
(٦) البيان المغرب (١٢/١).
(٧) فتوح البلدان للبلاذري ص (٢٣٧).
(٨) البيان المغرب (١٠/١) لابن عذاري المراكشي.

● ب: وفي سنة تسع وأربعين الهجرية وجّه معاوية عقبة بن نافع الفهري في البحر لغزو الروم بأهل مصر[١].

❑ **الإنسان:**

كان معاوية بن حُديج من الثقات، وكان محله بمصر عظيمًا[٢]، عاقلا حازمًا واسع العِلم مقدامًا، وكان إداريًا حازمًا.

وكان عثمانيًا، وسبيلنا الكفّ والاستغفار للصحابة، ولا نحبُّ ما شجر بينهم، ونعوذ باللَّه منه[٣].

❑ **القائد:**

كان معاوية من الأبطال الصناديد، ومن الدهاة المحنّكين، ومن رجالات الفتوح الكبار وكان من ضباط ركن عمرو بن العاص في فتح مصر، ومن ضباط ركن عبداللَّه بن سعد بن أبي سرح في فتح إفريقية والنُّوبة، فلما تولى القيادة كان خبيرًا بالمغرب عارفًا لشئونه وطبيعة أرضه ونقاط الضعف في أهله، وخبرة معاوية هذه سهّلت له فتح كثير من بلاد المغرب.

والذي يتتبّع قصة جهاده بإمعان، يجد أن معاوية كان يهوى الجهاد فكان يفضِّل دائمًا أن يكون غازيًا في ساحات الوغى على أن يكون واليًا في باحات القصور.

لقد كان جنديًا بالطبع، وكان من أسود العرب[٤].

سألت أم المؤمنين عائشة يوما أحد رجال معاوية ممن غزا معه فأثنى عليه خيرًا وقال: يا أمه، خير أمير، وقال: ما مرض منا أحدٌ إلا عاده، وإن هلك بعيرٌ أخلف

---

(١) المصدر السابق (١٣/١)، (١٩/١).
(٢) البداية والنهاية (٦١/٨)، وأسد الغابة.
(٣) سير أعلام النبلاء (٣٩/٣).
(٤) الولاة والقضاة للكندي ص (٢١).

بعيرا، وإن هلك فرس أخلف فرسًا، وإن أَبق[١] خادم أخلف خادما، فقالت: استغفر الله، اللهم اغفر لي إنْ كنت أبغضــه؛ إنه قتل أخي، إني ســمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم من وَليَ من أمر أمتي شيئًا فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفقْ به»[٢][٣]، وهذا دليل على سهره على مصالح رجاله وحرصه على راحتهم وإرضائهم وإعطائهم ما يستحقون.

لقد كان معاوية شجاعًا مقدامًا، ذا شخصية قوية نافذة، له قابلية ممتازة على إعطاء القرارات الصائبة، يتحمّل المسؤولية ولا يتهرب منها، ذا إرادة قوية ثابتة، يعرف مبادئ الحرب ويطبقها، ويعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم، يثق برجاله ويثقون به ويبادلونه حبًّا بحب وتقديرًا بتقدير، له تجربة طويلة في الحرب وماض ناصع في الجهاد. لقد كان معاوية قائدًا ممتازًا.

قضى حياته كلها مجاهدًا في سبيل الله في البر والبحر على حَدٍّ سواء.

إن التاريخ يذكر له أنه نشر الإسلام بين عدد لا يُحصى من البربر، ونشر لغة القرآن بينهم.

ويُذكر له أنه فتح بلادًا شاسعة من شمال إفريقية في تونس والجزائر والمغرب، ويُذكر أنه أول من أغزى صقلية، فمهّد للعرب المسلمين فتحها بعد ذلك.

ويُذكر له أنه كان قائد القادة من الصحابة والتابعين.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصحابي الجليل، الإداري الحازم، أمير البحر وقائد البر معاوية بن حُدَيْج السّكوني[٤].

* * *

(١) أبق: هرب.
(٢) رواه مسلم.
(٣) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/٢٤، ٢٥).
(٤) قادة فتح المغرب العربي ص (٨٨، ٨٩).

(٤٣٨) فارس الخلفاء، وابن حواري الرسول ﷺ، ابن أبيه عبدالله بن الزبير بن العوّام الأسدي القرشي[(١)] رضي الله عنه فاتح مدينة «صبراتة»[(٢)] و«سوسة»[(٣)]

أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أسد بن عبدالعزّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الأسدي رضي الله عنه الصائل بالحق، القائل بالصدق، المحنَّك بريق النبوة، المُبَجّل لشرف الأمومة والأبوة، المشاهد في القيام، والمواصل للصيام، ذو السيف الصارم والرأي الحازم، مبارز الشجعان، التزق بالنبي لزوقًا، والتصق بالصدّيق لصوقًا، سبط عمة النبي صفيّة وابن أخت زوجته الصدّيقة الوفية.

أبوه حواري رسول الله ﷺ، وأمه ذات النطاقين أسماء بنت الصدّيق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وجدته صفية عمة رسول الله ﷺ، وجدّه الصدّيق، وخالته عائشة أم المؤمنين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، وعمة أبيه أم المؤمنين خديجة بنت خويلد. أمير المؤمنين، أبو بكر، وأبو خبيب الصحابي الجليل أول مولود للمهاجرين بالمدينة. ولد سنة اثنتين، وقيل سنة إحدى عداده في صغار الصحابة، وإنْ كان كبيرًا في العلم، والشرف، والجهاد، والعبادة.

كبرّ المسلمون تكبيرة واحدة حين وُلِد حتى ارتجّت المدينة، وحنّكه النبي ﷺ، وأمر النبي ﷺ أبا بكر، فاذّن في أذنيه بالصلاة.

---

(١) أسد الغابة ت (٢٩٤٩)، والاستيعاب ت (١٥٥٣)، والإصابة ت (٤٧٠٠)، وتاريخ دمشق (٢٨/ ١٣٧) ت (٣٢٩٦)، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٨١)، وحلية الأولياء (١/٤٠٥).

(٢) صبراته: مدينة قديمة تقع غربي مدينة طرابلس الغرب بنحو (٦٧ كيلو مترًا) على ساحل البحر الأبيض المتوسط، أنشأها الفينيقيون، وهي من أعظم مدن الشمال الإفريقي، وكانت أكبر من طرابلس وأعظم منها عمرانًا ومدنية.

(٣) سوسة: مدينة يحيط بها البحر في جنوبي شرقي تونس.

عن عروة بن الزبير ووزجته فاطمة قالا: «خرجت أسماء بنت أبي بكر، حين هاجرت، وهي حُبلى بعبداللَّه بن الزبير. فقدمت قُباءً، فنفست بعبداللَّه بقباء. ثم خرجت حين نُفست إلى رسول اللَّه ﷺ ليحنِّكه، فأخذه رسول اللَّه ﷺ منها فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة. قال قالت عائشة: فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها، فمضغها، ثم بصقها في فيه. فإن أول شيء دخل بطنه لَرِيقُ رسول اللَّه ﷺ

ثم قالت أسماء: ثم مسحه وصلّى عليه، وسمّاه عبدالله. ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان، ليبايع رسول اللَّه ﷺ، وأمره بذلك الزبير، فتبسّم رسول اللَّه ﷺ حين رآه مقبلًا إليه، ثم بايعه»[1].

وقال أبو نعيم الحافظ: «هو أول مولود وُلِد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة، فحنّكه رسول اللَّه ﷺ وسمّاه عبدالله، فكبّر الصحابة والمسلمون لمولده استكثارا، وقُتِل بمكة سنة ثلاث وسبعين، فكبرّ فَجرَة أهل الشام لقتله استكبارا، بايع النبي ﷺ وهو ابن ثمان سنين، كان صوّامًا قوّامًا، بالحق قوّالا، وللرحم وصّالا، شديدا على الفجرة، ذليلًا للأتقياء والبررة»[2].

ولما سمع ابن عمر تكبير أهل الشام حين قتلوا عبداللَّه بن الزبير قال: الذين كبّروا على مولده خير من الذين كبّروا على قتله»[3].

قال هشام بن عروة: كان أول ما أفصح به عمي عبداللَّه بن الزبير وهو صغير: السيف، فكان لا يضعه من فيه، فكان الزبير بن العوّام إذا سمع ذلك منه يقول: أما واللَّه ليكونَنَّ لك منه يوم ويوم وأيام[4].

لله دره.. أول كلمة ينطق بها: السيف وهو رضيع.. فكيف حال كبار نسوا

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٦) في الآداب: باب استحباب تحنيك المولود.

(٢) تاريخ دمشق (١٥٠/٢٨).

(٣) تاريخ دمشق (١٥٥/٢٨).

(٤) المصدر السابق (٢٢٢/٢٨).

السيف أو تناسوْه.. أولا يعرفونه.. فضاعوا وذلّوا.

عن عامر بن عبدالله بن الزبير: سمعت أبي يقول: إنه أتى رسول الله ﷺ وهو يحتجم، فلما فرغ، قال: «يا عبدالله! اذهب بهذا الدم فأهْرِقْهُ حيث لا يراك أحد»، فلما برز عن رسول الله ﷺ عمدَ إلى الدم، فشربه، فلما رجع، قال: «ما صنعتَ بالدم»؟ قال: عمدتُ إلى أخفى موضع علمتُ، فجعلتُه فيه، قال: «لعلّك شربته»؟ قال: نعم. قال: «ولِمَ شربت الدم؟ ويلٌ للناس منك، وويْلٌ لك من الناس».

قال موسى التَّبُوذَكي: فحدَّثت به أبا عاصم، فقال: كانوا يَرونَ أن القوة التي به من ذلك الدم[1].

□ جهاده

عن عثمان بن طلحة قال: كان ابن الزبير لا يُنازع في ثلاثة: شجاعة، ولا عبادة ولا بلاغة[2].

قال الذهبي في «السير» (٣/٣٧٧): «قد كان يُضرب بشجاعته المثل».

شهد عبدالله معركة اليرموك الحاسمة مع أبيه، فلما انهزم الروم يوم اليرموك، جعل يُجهز على جَرْحاهم[3].

وفي البخاري عن عُرْوة، أن الزبير أركب ولده عبدالله يوم اليَرْموك فرسًا وهو ابن عشر سنين، ووكّل به رجلًا[4].

والله إن هذه الحقيقة.. ولكنه أشبه بالأساطير!! غلام ابن عشر سنين يشهد

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده، والحاكم في «المستدرك» (٣/٥٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٣٠)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/٧٢)، وقال: رواه الطبراني والبزار باختصار، ورجال البزار رجال الصحيح، غير هنيد بن القاسم وهو ثقة. ا. هـ ذكره ابن أبي حاتم (٩/١٢١)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وقال الذهبي في «السير» (٣/٣٦٦): «ما علمتُ في هنيد جَرْحة».

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٣٧٠).

(٣) تهذيب ابن عساكر (٧/٣٩٦- ٣٩٧)، وتاريخ دمشق (٢٨/١٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٧/٢٣٤) في المغازي: باب قتل أبي جهل.

غمار معركة ويجهز على الجرحى.. لا تعجب إنه صحابي وإذا أردت أن تعرف سبب ضياع الأمة فانظر إلى مثل هذا.. تناست الأمة الجهاد وازورت عنه. وأقبل غلمان الصحابة عليه.

سارت مُشَرِّقةً وسِرتْ مُغَرِّبًا شتان بين مشرِّقٍ ومُغرِّبِ

قال الذهبي: كان فارس قريش في زمانه، وله مواقف مشهودة، قيل: إنه شهد اليرموك وهو مراهق، وفتح المغرب، وغزو القسطنطينية، ويوم الجمل مع خالته[١] قال نوفل البكالي: إني لأجد في كتاب اللَّه المُنزل أن ابن الزبير فارس الخلفاء[٢].

قال ابن عساكر عن ابن الزبير: «حضر معركة اليرموك مع أبيه، وشهد خطبة عمر بالجابية، وقدم دمشق لغزو القسطنطينية أيام معاوية، وبويع بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية بمكة، وغلب على الحجاز والعراقين، واليمن، ومصر، وأكثر الشام، ثم قتله الحجاج بن يوسف أيام عبدالملك بن مروان»[٣].

وشهد ابن الزبير فتح مصر، وكان أحد الشهود على وثيقة الصلح بين المسلمين وبين أهل مصر[٤] وذلك سنة عشرين الهجرية.

● **فتح «صبراته»:**

شهد عبداللَّه بن الزبير مع عمرو بن العاص فتح «ليبيا»، فلما انتهى عمرو من فتح طرابلس أمر الخيل بالإسراع إلى (صبراته) لفتحها، وبقي هو في طرابلس للإشراف على أمورها. وأسرعت الخيل بقيادة عبداللَّه بن الزبير، فصبّحوها من ليلتهم على غرّة، فوجدوا أبواب السور مفتوحة وأهلها مشغولين بإخراج الحيوانات للمرعى، فاقتحموها عليهم بالقوة وأوقعوا فيهم القتل حتى استسلموا، ولم يهرب

---

(١) السير (٣/٣٦٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٧)، ونوفل البكالي، ابن امرأة كعب الأحبار، لم يوثقه غير ابن حبّان.
(٣) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨/١٤١). والجابية قرية من أعمال دمشق.
(٤) تاريخ الطبري (٣/١٩٩).

منهم أحدٌ إلا من ركب البحر هاربًا إلى صقلية وهدم المسلمون سورها خوفًا من تحصّن الروم به مرة ثانية، وغنموا كل ما فيها وكان شيئًا كثيرًا، وأرسلوا إلى عمرو بن العاص في طرابلس يخبرونه بما فتح اللَّه عليهم فحضر إلى (صبراته)(١).

● **قتله لجرجير ملك إفريقية.. وكان الفتح على يديه:**

شهد عبداللَّه بن الزبير فتح (إفريقية) أيام عثمان بن عفان تحت لواء عبداللَّه بن سعد بن أبي سَرْح، وكان الفتح على يديه(٢).

فقد سيّره عثمان بن عفان مددا لعبداللَّه بن سعد في غزوة إفريقية.

قال ابن الأثير في «أسد الغابة» «وغزا عبداللَّه بن الزبير إفريقية مع عبداللَّه بن سعد بن أبي سرح، فأتاهم جرجير ملك إفريقية في مئة وعشرين ألفًا، وكان المسلمون في عشرين ألفًا، فسقط في أيديهم، فنظر عبداللَّه فرأى (جرجير) وقد خرج من عسكره، فأخذ معه جماعة من المسلمين وقصده فقتله، ثم كان الفتح على يده(٣).

● **وقد ذكرنا قصة فتح إفريقية في ترجمة «عبداللَّه بن سعد بن أبي سرح».. ونذكر هنا ما لم نذكره هناك:**

روى البلاذري عن عبداللَّه بن الزبير، قال: أغزانا عثمان بن عفان أفريقية وكان بها بطريق سلطانه من أطرابلس إلى طنجة، فسار عبداللَّه بن سعد بن أبي سرح حتى حلّ بعقوبة فقاتله أيامًا فقتله الله، وكنت أنا الذي قتلته، وهرب جيشه فتمزقوا، وبث ابن أبي سرح السرايا ففرقها في البلاد فأصابوا غنائم كثيرة واستاقوا من المواشي ما قدروا عليه، فلما رأى ذلك عظماء أفريقية اجتمعوا فطلبوا إلى

---

(١) «تاريخ الفتح العربي في ليبيا» للطاهر أحمد الزاوي ص (٤٢، ٤٣)، و«قادة فتح المغرب العربي» لمحمود شيت خطاب ص (٤٠).
(٢) الإصابة (٨٢/٤).
(٣) أسد الغابة (٢٤٣/٣).

عبدالله بن سعد أن يأخذ منهم ثلاث مئة قنطار من ذهب على أن يكفّ عنهم ويخرج من بلادهم، فقبل ذلك»[١].

وروى ابن عساكر عن عبدالله بن الزبير قال: هجم علينا جُرْجير في معسكرنا في عشرين ومئة ألف فأحاطوا بنا من كل مكان، وسقط في أيدي المسلمين، ونحن في عشرين ألفًا من المسلمين، واختلف الناس على ابن أبي سرْح، فدخل فسطاطًا له فخلا فيه، ورأيت غرّة من جُرْجير بصرت به خلف عساكره على برذون أشهب، معه جاريتان تظلان[٢] عليه بريش الطواويس بينه وبين جنده أرض بيضاء ليس فيها أحد، فخرجت أطلب ابن أبي سَرْح فقيل قد خلا في فسطاطه، فأتيتُ حاجبه، فأبى أن يأذن لي عليه، فدِرتُ من كسر الفسطاط فدخلتُ عليه، فوجدته مستلقيًا على ظهره، فلما دخلت فزع واستوى جالسًا، فقلت: إيه إيه كلّ أزَبَّ نفور[٣]، فقال: ما أدخلك عليّ يا ابن الزبير؟ قلت: رأيتُ عورةً من العدو، فاخرج فاندب إليّ الناس، قال: وما هي؟ قال: فأخبرته، فخرج معي سريعًا، فقال: أيها الناس انتدبوا مع ابن الزبير، فاخترت ثلاثين فارسًا، وقلت لسائرهم: البثوا على مصافكم، وحملتُ في الوجه الذي رأيت فيه جُرجير، وقلت لأصحابي: احموا لي ظهري، فما كان إلّا أن خرقت الصفّ إليه، فخرجت صامدا له وما يحتسب هو ولا أصحابه إلّا أني رسول إليه حتى دنوتُ منه، فعرف الشرَّ فثنى برْذَونه مُوَلِّيًا، وأدركته فطعنته، فسقط، وسقطت الجاريتان عليه، وأهويت إليه مبادرًا فذففت عليه بالسيف، وأصبت يد إحدى الجاريتين فقطعتها، ثم احتززت رأسه فنصبته في رمحي وكبرّتُ وارفضّ العدو في كل وجه، ومنح الله المسلمين أكتافهم.

---

(١) «فتوح البلدان» للبلاذري ص (٢٢٨).

(٢) وفي «سير أعلام النبلاء» تظللان عليه.

(٣) الأزب من الإبل الكثير شعر الأذنين والعينين، ولا يكون الأزبّ إلّا نفورا؛ لأنه ينبت على حاجبيه شعرات، فإذا ضربته الريح نفر.

فلما أراد ابن أبي سَرْح أن يوجِّه بشيرًا إلى عثمان قال: أنت أوْلى مَنْ هَاهُنا بذاك، فانطلق يا أمير المؤمنين فأخبره الخبر، فقدمت على عثمان فأخبرته بفتح اللَّه ونصره وصنعه ووصفت له أمرنا كيف كان، فلما فرغت من ذلك قال: هل تستطيع أن تؤدي هذا إلى الناس؟ قال: قلت: وما يمنعني من ذاك؟ قال: فاخرج إلى الناس فأخبرهم، فخرجتُ حتى جئت المنبر، فاستقبلت الناس، فتلقّاني وجه أبي الزبير بن العوام، فدخلتني له هيبة، فعرفها ابي في وجهي فقبض قبضة من حصى وجمع وجهه في وجهي وهمّ أن يحصبني فاعتزمت فتكلّمت، فزعموا أن الزبير لما فرغ من كلامه قال: واللَّه لكأني سمعت كلام أبي بكر الصديق، مَن أراد أن يتزوّج امرأة فلينظر إلى أبيها، وأخيها، فإنها تأتيه بأحدهما. وبُشِّر عبداللَّه بن الزبير مقدمه من إفريقية بابنه خبيب بن عبدالله»[(١)].

عن عروة بن الزبير أن الزبير قال لابنه عبدالله: أنت أشبه الناس بأبي بكر[(٢)].

وقاتل ابن الزبير يوم الدار دفاعًا عن عثمان، فجُرِح بضعة عشر جرحًا غائرة، يقول: وإني لأضع اليوم يدي على بعض تلك الجراحات، فأرجوا أن تكون خير أعمالي»[(٣)]. وفيه قال عبدالرحمن بن أرطاة الجسري يمدحه ويلوم رجلًا.

فلو كنت مثل ابن الحواري لم ترم وجالدتَ يوم الدار إذْ عظم الخطبُ
ولكن عبداللَّه طاعن دونه وضارب يوم الدار إذ كره الضَّرْب

وتولى حرب (إفريقية) معاوية بن حُدَيْج السّكوني بعد عبداللَّه بن سعد بن أبي سَرْح، فكان ابن الزبير ساعده الأيمن في مهمته الشاقة.

فقد كان ابن الزبير مع ابن حُدَيْج في حروبه، وحين وجهّه معاوية بن أبي سفيان في جيش كثيف تعداده عشرة آلاف رجل وفتح «قمُونية»[(٤)]، بث السرايا

---

(١) تاريخ دمشق (١٨٢/٢٨).
(٢) الإصابة (٨١/٤).
(٣) تاريخ دمشق (١٨٦/٢٨).
(٤) قمونية: مدينة بإفريقية كانت موضع القيروان.

في البلاد وبعث عبدالله بن الزبير إلى «سُوْسَة» ففتحها، وكان ذلك سنة خمس وأربعين الهجرية[(١)].

وشارك ابن الزبير في غزو القسطنطينية أيام معاوية بن أبي سفيان، فشهد حصارها وذلك سنة تسع وأربعين وقيل سنة خمسين[(٢)].

❑ راهب الليل وفارس النهار ابن أبيه:

أخرج الزبير، من طريق مسلم بن عبدالله بن عروة بن الزبير، عن أبيه أن النبي ﷺ كلّم في غلمة من قريش ترَعرَعُوا: عبدالله بن جعفر، وعبدالله بن الزبير، وعمرو بن أبي سلمة، فقيل: لو بايعتهم فتصيبهم بَرَكتك، ويكون لهم ذِكر، فأُتي بهم إليه، فكأنهم تكعكعوا[(٣)]، فاقتحم عبدالله من الزبير أوّلهم، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «إنه ابن أبيه»[(٤)].

وفي البخاري عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أنه وصف ابن الزبير فقال: عفيف الإسلام، قارئ القرآن، أبوه حواريّ رسول الله ﷺ وأمه بنت الصديق، وجدّته صفية عمة رسول الله ﷺ وعمة أبيه خديجة بنت خويلد[(٥)] وعن عمرو بن دينار، قال: ما رأيت مصلّيًا أحسن صلاة من ابن الزبير. وأخرج أبو نعيم بسند صحيح، عن مجاهد: كان ابن الزبير إذا قام للصلاة كأنه عمود.

وعن ابن أبي مليكة: كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام، ثم يصبح اليوم الثامن وهو أليثنا[(٦)].

وعن أم جعفر بنت النعمان أنها سلّمت على أسماء بنت أبي بكر، وعندها ابن

(١) البيان المغرب (١٧/١).
(٢) تاريخ الطبري (١٧٣/٤).
(٣) أي تقهقروا وتراجعوا.
(٤) الإصابة (٨٠/٤).
(٥) المصدر السابق (٨١/٤).
(٦) الإصابة (٨١/٤). أليثنا: أي أشدنا وأجلدنا، وبه سمى الأسد ليثا.

الزبير، فقالت: قوّام الليل، صوّام النهار، وكان يُسَمَّى حمامة المسجد[١].

«وقال ثابت البناني: كنت أمُرُّ بابن الزبير، وهو خلف المقام يُصلي، كأنه خشبة منصوبة لا تتحرك.

وعن مسلم بن يَنَّاق قال: ركع ابن الزبير يومًا ركعة، فقرأنا بالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه.

وعن عمرو بن دينار قال: كان ابن الزبير يُصلي في الحِجْر، والمِنجنيق يَصُبُّ تُوْبَهُ[٢]، فما يلتفت، يعني لما حاصروه.

وعن ابن المنكدر قال: لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن تقصفه الريح، وحَجَرُ المِنجنيق يقع هاهنا[٣].

وعن مجاهد: ما كان باب من العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلّفه ابن الزبير، ولقد جاء سَيْلٌ طبّق البيت فطاف سباحة[٤].

برٌّ يبين ما قال الرسول له ... من الصلاة لضاحي وجهه علمُ
حمامة من حمام البيت قاطنة ... لا تتبع الناس إنْ جاروا وإنْ ظلمُوا[٥]

وعن يحيى بن وثاب: أن ابن الزبير كان إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه إلا جِذْم حائط[٦].

وعن ابن أبي مُليكة قال: قال لي عمر بن عبدالعزيز: إن في قلبك من ابن الزبير، قال: قلت: لو رأيته ما رأيت مناجيًا مثله، ولا مصليًا مثله[٧].

---

(١) «حلية الأولياء» (١/٣٣٥).
(٢) التوب: حجر المنجنيق.
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٩).
(٤) السير (٣/٣٧٠).
(٥) تاريخ دمشق (٢٨/١٥٩).
(٦) تاريخ دمشق (٢٨/١٧٠).
(٧) المصدر السابق (٢٨/١٧١).

قال عروة: ما سمعت أمي عائشة وأسماء تدعوان لأحد من الخلق دعاءهما لعبداللَّه بن الزبير[١].

وعن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه قال: ما كان أحد أعلم بالمناسك من ابن الزبير[٢].

وعن أبي إسحاق التميمي قال: سمع معاوية رجلًا وهو يقول:

ابن رقاش ماجد سَمَيْدعُ
يأتي فيعطي عنِ يدِ أو يمنعُ[٣]

فقال: ذاك عبداللَّه بن الزبير.

وكان معاوية يلقى ابن الزبير فيقول: مرحبًا بابن عمة رسول اللَّه ﷺ، وابن حواري رسول الله، ويأمر له بمئة ألف[٤].

ودخل عبداللَّه بن الزبير على معاوية وعنده جماعة فيهم مروان وسعيد بن العاص، فأوسع له معاوية على سريره، فلما انصرف عبداللَّه بن الزبير أقبل مروان على معاوية فقال له لله درك من رئيس قبيلة يضع الكثير، ولا يُدْنى إلا صغيرا، فقال معاوية: «نفسُ عصامٍ سَوَّدت عصاما»[٥].

قال الإمام مالك: «ابن الزبير كان أفضل من مروان، وكان أولى بالأمر من مروان وابنه»[٦] نعم كان ابن الزبير الصحابي أولى بالخلافة من مروان وابنه. ولقد بقي خليفة تسع سنوات، إذ أن بيعته كانت في سابع رجب سنة أربع وستين

(١) المصدر السابق (٢٨/١٨٩).
(٢) المصدر السابق (٢٨/١٦٨).
(٣) تاريخ دمشق (٢٨/١٩٣).
(٤) السير (٣/٣٦٧).
(٥) تاريخ دمشق (٢٨/١٩٤).
(٦) الاستيعاب (٣/٩١٠).

الهجرية[١]، حجّ بالناس خلالها ثماني حجّات[٢]، وقُتِل يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين الهجرية بمكة بعد حصار دام ستة أشهر وسبع عشرة ليلة[٣].

كان ابن الزبير فارس قريش في زمانه غير منازع، وكان فارس الخلفاء غير منازع أيضًا، وكان يشتد بالسيف وهو ابن ثلاث وسبعين كأنه غلام، وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول:

كُتِب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذيول

وهو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ القائل: «إنا واللّه لا نموت حتْفًا ولكن قصْفًا بالرماحِ وموتًا تحت ظلال السيوف».

وكان يحمل على جيش الحجاج من المقاتلين حتى يردّهم إلى أبواب المسجد الحرام وهو يقول:

لو كان قرني واحدًا كفيته أوردته الموت وذكّيته

وكانت جيوش الحجاج تدخل عليه من أبواب المسجد، فكلما دخل عليه قوم من باب حمل عليهم وحده حتى يُخرجهم، فبينما هو على هذه الحال، إذْ جاءته شرفة من شرفات المسجد في رأسه فصرعته وهو يقول:

أسماء يا أسماء لا تبكيني لم يبقَ إلا حَسَبي وديني
وصارم لانت به يميني[٤]

وكان يقول عند قتله:

ولسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا يقطر الدما

رضِي اللّه عنه لقد كان شديد البأس ذا أنفة، له نفس شريفة وهمة عالية[٥].

---

(١) البداية والنهاية (٣٤٢/٨).
(٢) الاستيعاب (٩٠٧/٣).
(٣) البداية والنهاية (٣٣١/٨)، وفوات الوفيّات (٤٤٧/١).
(٤) فوات الوفيات (٤٤٧/١)، وحلية الأولياء (٣٣٣/١).
(٥) البداية والنهاية (٣٣٥/٨).

وكان شهمًا ذكرا شرسًا[١] في القتال.

لقد كان ابن الزبير أحد شهداء العقيدة والمبدأ.. لقد ذهب ضحية صلابة عقيدته وعلو أهدافه.. إنه من أولئك المؤمنين الصادقين الذين يُقدمون ولا يحجمون، ويصرّحون ولا يوارون ويستقيمون ولا يلتوون.

قال ابن عباس رضي الله عنه لما سُئِل عنه: «كان قارئًا لكتاب الله، متّبعًا لسنة رسول الله ﷺ قانتًا لله، صائمًا في الهواجر من مخافة الله، ابن حواري رسول الله، وأمّه ابنة الصدّيق، وخالته عائشة حبيبة حبيب اللَّه وزوجة رسول الله، فلا يجهل حقّه إلا من عماه الله»[٢].

وابن الزبير هو القائل رضي الله عنه: «واللَّه إنْ أُبالي إذا وجدت ثلاث مئة يصبرون صبري، لو أجلب عليّ أهل الأرض»[٣].

وقال يوم قتله: «واللَّه لقد مللتُ الحياة، اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقائي، وجاهدت فيك عدوك فأثبنى ثواب المجاهدين»[٤].

ودخل رضي الله عنه على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم إياه. فقال: يا أمه، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلّا من ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت أمه: أنت واللَّه يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، فقد قُتِل عليه أصحابك، ولا تمكِّنْ مِن رقبتك، فيلعب بك غلمان بني أمية وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت: أهلكت نفسك، وأهلكت مَن قُتِل معك. فقَبّل رأسها، فقال: هذا واللَّه رأيي والذي قمتُ به داعيًا إلى يومي هذا، ما ركنتُ

---

(١) الاستيعاب (٩٠٦/٣).

(٢) البداية والنهاية (٤٤٥/٨).

(٣) تاريخ دمشق (٢٢٥/٢٨).

(٤) تاريخ دمشق (٢٢٦/٢٨).

إلى الدنيا، ولا أحببتُ البقاء فيها، وما دعاني إلى الخروج إلّا الغضب لله، ولكني أحببتُ أعلم رأيك فزدتني قوة وبصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أمّه فإنّي مقتول من يومي هذا، لا يشتد جزعك عليّ، سلمّي لأمرالله، فإن ابنك لم يتعمدّ إتيان منكر، ولا عمل بفاحشة، ولم يَجُرْ في حكم، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمّد ظلم مسلم، ولا معاهد، ولم يبلغني عن عمالي فرضيته بل أنكرته، ولم يكن شيء آثر عندي من رضى ربي، اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي أنت أعلم بي، ولكني أقوله تعزية أمي لتسلو به عني، فقالت له أمه: إني لأرجو أن يكون عزائي فيك حسنًا إن تقدّمتني وإن تقدمتك، ففي نفسي حوجاء حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمرك، قال: جزاك اللَّه يا أمَّه خيرًا، فلا تدعي الدعاء لي بعد قتلي، قالت: لا أدعه، لست بتاركة ذلك أبدًا، فمن قُتِل على باطل فقد قتلتَ على حق، وخرج وقالت أمه: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبي، اللهم إني سلّمت فيه لأمرك، ورضيت فيه بما قضيت، فأثبنى في عبداللَّه ثواب الصابرين الشاكرين»[1].

رضِي اللَّه عن ابن الزبير فقد وفّي بقوله:

ولا ألـين لـغـيـر الحق أسـألـه ... حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

قاتل ابن الزبير حتى قُتل، وحزّ الحجاج رأسه وبعث به إلى عبدالملك بن مروان، وصلب جثته، فقالت أسماء: قاتل اللَّه المبير يحول بيني وبين جثته أن أواريها، ثم ركبت دابّتها حتى وقفت عليه وهو مصلوب، فدعت له طويلًا وما يقطر من عينها قطرة، ثم انصرفت وهي تقول: مَن قُتِل على باطلٍ فقد قُتِلت على حق، وعلى أكرم قتلة ممتنع بسيفك، فلا تبعد».

ومرّ ابن عمر على ابن الزبير بعد صلبه، فوقف عليه وقال: رحمك الله! فإنك ما علمت صوامًا قوامًا وصولا للرحم، وإني لأرجو ألا يعذبك اللَّه ﷻ وقال عنه:

---

(١) المصدر السابق (٢٨/٢٢٦- ٢٢٧).

«يرحمك الله، فوالله إن كنت لصوّامًا قوّامًا»(١).

فرضي الله عن عائذ بيت الله، أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير، فقد كان من أشجع شجعان المسلمين، وكان بطلًا من أعظم أبطالهم، بايعته على الخلافة معظم بلدان المسلمين بعد موت يزيد بن معاوية، وولّى رجاله وعماله على الأقطار، فولّى على المدينة أخاه مصعبًا، وعلى البصرة الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة، وعلى الكوفة عبدالله بن مطيع، وعلى مصر عبدالرحمن بن جَحْدَم الفِهري، وعلى اليمن، وعلى خراسان، وأمّر على الشام الضحّاك بن قيس، فبايع له عامة أهل الشام، وأبت طائفة، والتفّت على مروان بن الحكم(٢).

رفض عائذ بيت الله، ابن الزبير التنازل عن الخلافة بعد مبايعة جمهور الناس، وكان أحق بها من مروان وابنه وقال رضي الله عنه: «والله لضربة بسيف بعز أحبّ إليّ من ضربة سوط في ذل»(٣).

وأقبل على آل الزبير في أيام الحرب بينه وبين الحجاج، فقال: «ليكن أحدكم سيفه وجهه، ولا ينكسر سيفه فيدفع عن نفسه بيده كأنه امرأة. والله ما لقيت زحفًا قط إلا في الرعيل الأول، وما ألمت جرحًا قط إلا أن يكون ألم الدواء»(٤).

وحين خيَّره الحجاج بين ثلاث: «إما أن يذهب في الأرض حيث شاء، أو يبعثه إلى الشام مقيدًا بالحديد، أو يقاتل حتى يقتل»، اختار القتال حتى يقتل(٥)!

ويقال: إن الحجاج ورد عليه كتاب عبدالملك بن مروان قبل قتل ابن الزبير: «إعط ابن الزبير الأمان، وحكِّمه في الولاية، واستنزله عن الخلافة»، فقال: «لا خلعها إلا الموت»، ثم قال:

---

(١) حلية الأولياء (١/٣٣٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٣٧٣).
(٣) البداية والنهاية (٨/٣٤٣) وحلية الأولياء (١/٣٣١).
(٤) حلية الأولياء (١/٣٣٢) وانظر البداية والنهاية (٨/٣٤٣).
(٥) البداية والنهاية (٨/٣٤١).

الموت أكرم من إعطاء منقصة إن لم تُمت عَبْطة[١] فالغاية الهرم
إصبر فكل فتى لا بدّ مخترم والموت أسهل مما أمّلت جُشَمُ»[٢]

❑ **القائد:**

مفتاح قيادة ابن الزبير شجاعته الخارقة وإقدامه النادر.

لقد كان ابن أبيه شجاعة وإقدامًا، بل كان ابن أمه شجاعة وإقدامًا، وهي التي قالت له وقد حاق به الخطر من كل مكان قبيل مقتله: «يا بني لا تقبل منهم خطة عليك فيها الذل، فوالله لضربة سيف في عزٍ خير من ضربة سوط في مذلة»[٣].

كان على يد أبيه الزبير نصر المسلمين في معركة (بابليون)[٤] الحاسمة التي فتحت أبواب مصر على مصراعيها للمسلمين، وكان ابن الزبير مع أبيه في فتح مصر، فأفاد من ذلك اليوم أهم درس من دروسه التي طبّقها عمليًا في معارك جهاده.

فقد أيقن الزبير أن حصار حصن (بَابِلْيُون)[٥] سيطول، وأن انتزاعه من الروم سيضع حدًا لمقاومتهم المستميتة ودفاعهم المديد... فاستطلع الزبير مراقي هذا الحصن، ثم أقدم على ارتقائه مع بعض المغاوير الفدائيين، حتى إذا أصبح على شرفاته - تَعَالَى - صوته وصوت أصحابه: اللَّه أكبر... اللَّه أكبر... فانهارت معنويات الروم، وهاجمهم المسلمون من كل مكان... ثم كان استسلام الروم للعرب المسلمين..

ومضى ابن الزبير على خطة أبيه هذه يعضُّ عليها بالنواجذ: تستطلع منافذ العدو، ويطلّع على عوراته، ثم يُقدم بشجاعة خارقة لوضع حد لمقاومة ذلك العدو.

---

(١) عبطة: الموت في فناء السن وطراوة العمر.

(٢) فوات الوفيات (١/٤٥٠).

(٣) فوات الوفيات (١/٤٤٨).

(٤) بابليون: حصن كان في مكان الفسطاط.

(٥) الولاة والقضاة ص (١٢).

ومن يضع حدًا لمقاومة العدو؛ غير الاستيلاء على حصونه المنيعة التي يحتمي وراء أسوارها؟ كما فعل أبوه الزبير، وغير قتل قائده؟ كما فعل ابن الزبير حين أقدم على قتل (جرجير)، فانفرط عقد المقاومة المعادية، فكان الفتح على يديه.

ولكن المعنويات لها أثر حاسم على النصر، فلا بد من أن يعمل القائد المحنّك على زعزعة معنويات العدو قبل أن يضرب ضربته القاصمة في الوقت والمكان المناسبين، وهذا ما فعله ابن الزبير فعلًا قبل أن يُقدم على قتل (جرجير)، فقد أقنع ابن أبي سرح القائد العام حينذاك أن يأمر مناديه أن ينادي: «من أتاني برأس (جرجير) نفلته مئة ألف وزوّجته ابنته واستعملته على بلاده»، وذلك كردٍّ فعل لمحاولة (جرجير) تحطيم معنويات ابن أبي سرح في إذاعته: «من قتل عبداللَّه بن سعد بن أبي سرح فله مئة ألف دينار وأزوِّجه ابنتي»، فخاف عبداللَّه بن سعد على نفسه، ولكن (جرجير) صار يخاف أشد من ابن أبي سرح.

ولكن زعزعة معنويات العدو، وقتل قائده على أهميتهما لا يؤديان إلى النصر، ما لم يدعم هذين العاملين الحيويين بخطة دقيقة مدروسة لتكون نتائج المعركة نصرًا مبينًا، لذلك أعدّ ابن الزبير خطّة حكيمة مرنة، وكانت مجمل خطته، مباغتة العدو بقتالهم بعد رجوعهم إلى خيامهم بقوات ضاربة من المسلمين مؤلفة من شجعان المسلمين وعلى رأسهم ابن الزبير.

وبهذه الخطة المرنة باغت ابن الزبير الروم وحلفاءهم بالأسلوب والمكان، فانهارت مقاومتهم.

وربما يتبادر إلى الأذهان السؤال التالي: لماذا فشل ابن الزبير في حرب الحجاج بن يوسف الثقفي؟؟

إن الحجاج انتصر على ابن الزبير، لأن أصحابه كانوا مزودين بالقضايا الإدارية بشكل ممتاز، وكانت موارد الدولة الأموية تحت تصرّفهم، أما أصحاب ابن الزبير فقد شحّت مواردهم الإدارية فغلت الأسعار وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى

ذبح ابن الزبير فرسه وقسّم لحمها في أصحابه[١].

لقد كان في مستودعات ابن الزبير قمح وشعير وذرة وتمر، وكان أهل الشام ينتظرون فناء ما عنده، وكان يحفظ مواد الإعاشة هذه ولا ينفق منها إلا ما يمسك الرمق ويقول: «أنفس أصحابي قوية ما لم يفنَ»[٢] يعني مواد الإعاشة.

ولكن الحصار أجهد أصحاب ابن الزبير[٣]، لأن موادهم الإدارية شحّت، فكان من الطبيعي أن ينتصر الحجاج بعد أن جاع أصحاب ابن الزبير وتردّت حالتهم المعاشية.

إن ابن الزبير كان على حق عندما كان يسيطر على مستودعات تموينه سيطرة تامة، فلا مجال لانتقاد بعض المؤرخين القدامى حرص ابن الزبير على مواد التموين، فقد كان على يقين أن نفادها معناه الاستسلام.

لقد كانت المعركة الدائرة بين الحجاج وبين الزبير معركة إدارية بالدرجة الأولى، ومثل هذه المعركة يكون عامل الوقت دائمًا بصالح الغني على الفقير.

لقد كان انتصار الحجاج في معركته ضد ابن الزبير، لأنه كان صاحب موارد إدارية لا تنضب...

وقد اندحر ابن الزبير، لأن موارده الإدارية كانت محدودة تعتمد على مصادر خارجية تديمها عند الحاجة.

لقد كانت المعركة بين الطرفين غير متكافئة من الناحية الإدارية.

ولست أشك أن ابن الزبير وأصحابه كانوا يعرفون سلفًا أن نتائج المعركة الدائرة لن تكون في صالحهم، فقال له أصحابه: «لو لحقت بموضع كذا!» فقال: «بئس

---

(١) ابن الأثير (١٣٨/٤)، وابن خلدون (٣٨/٣).

(٢) ابن الأثير (١٣٨/٤).

(٣) ابن خلدون (٣٨/٣).

الشيخ أنا إذًا في الإسلام لئن أوقعت قومًا فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم»[١]، فقاتل في معركة يائسة دفاعًا عن دينه وحقه وشرفه وأحسابه، واستقبل مصيره المحتوم صابرًا محتسبًا، وقتل معه مئة وأربعون رجلًا منهم من سال دمه في جوف الكعبة[٢].

لقد كان بحق، فارس قريش، بطلًا شجاعًا[٣]، وكان على صفات حميدة، وقيامه على الإمارة إنما كان لله ﷻ؛ ثم كان الإمام بعد موت معاوية بن يزيد لا محالة، وهو أرشد من مروان بن الحكم، حيث نازعه بعد أن اجتمعت الكلمة عليه وقامت له البيعة في الآفاق وانتظم له الأمر[٤]. وكان عالمًا عابدًا مهيبًا وقورًا كثير الصيام والصلاة، شديد الخشوع جيِّد السياسة[٥].

فلا عجب أن تحبه أم المؤمنين عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ حبًا جمًا، فقد روي عن عروة ابن الزبير قوله: «إن عائشة لم تكن تحب أحدًا بعد رسول اللَّه ﷺ وأبي بكر مثل حبِّها ابن الزبير، وما رأيت أبي وعائشة يدعوان لأحد من الخلق مثل دعائهما لابن الزبير»[٦].

لقد كانت له قابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح، شجاعًا مقدامًا فارسًا، ذا إرادة قوية ثابتة، يتحمَّل المسؤولية بلا تردّد، يعرف مبادئ الحرب، له نفسية لا تتبدّل في حالتي النصر والاندحار، خبيرًا بنفسيات رجاله وقابلياتهم، يثق بجنوده ويحبهم ويبادلونه ثقة بثقة وحبًا بحب، ذا شخصية قوية نافذة، له ماض ناصع مجيد.

---

(١) ابن الأثير (٣/١٣٧)، وابن خلدون (٣/٣٩).
(٢) فوات الوفيات (١/٤٤٩).
(٣) العبر (١/٨٢).
(٤) البداية والنهاية (٨/٣٣٩ـ ٣٤٠).
(٥) البداية والنهاية (٨/٣٣٩).
(٦) البداية والنهاية (٨/٣٣٦).

وكان يحرص على تطبيق أكثر مبادئ الحرب أهمية في حروبه، وقد ظهر عمليًا بوضوح أنه طبّق مبادئ: (إختيار المقصد وإدامته) و(التعرض) و(المباغتة) و(تحشيد القوّة) و(الأمن) و(المرونة) و(التعاون) و(إدامة المعنويات) و(الأمور الإدارية).

لقد كان ابن الزبير قائدًا فذًا.

❑ ابن الزبير في التاريخ:

يذكر التاريخ لابن الزبير، أنه كان الساعد الأيمن لأبيه الزبير في حروبه وخدمته العامة منذ شباب ابن الزبير الباكر حتى قتل الزبير.

ويذكر له أنه كان من أبرز قادة الفتح الإسلامي في إفريقية وأن على يديه كان انتصار المسلمين في معركتهم الفاصلة ضد (جرجير).

ويذكر له شجاعته النادرة وبطولته التي لا تتكرر وإقدامه المدهش.

ويذكر له، أنه صاحب عقيدة راسخة ضحّى من أجلها بحياته.

رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، التقي الورع؛ الخطيب البليغ، فارس العرب وبطل الإسلام، القائد الفاتح عبداللَّه بن الزبير الأسدي القرشي [١].

❋ ❋ ❋

---

(١) قادة فتح المغرب العربي ص (٨٨- ٩١).

(٤٣٩) بُسْرُ بن أبي أرطاة العامريّ القرشي(١) رضي الله عنه فاتح وَدّان(٢) من ليبيا

هو الأمير أبو عبدالرحمن القرشي العامري الصحابي نزيل دمشق(٣).

هو بسر بن أبي أَرْطأة، وقيل بُسْر بن أرطأة القرشي، واسم أبي أرطأة عمير وقيل عمرو بن عُوَيمر بن عمران بن الحُلَيس بن سيّار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

مختلف في صحبته.

قال مسلم بن الحجاج: له صحبة، وقال أبو بكر الخطيب: أسند عن النبي رواية غير أنها يسيرة.

وقال الدارقطني: له صحبة، ولم يكن له استقامة بعد النبي ﷺ

وقال أبو سعيد بن يونس: من أصحاب رسول اللَّه ﷺ شهد فتح مصر .. فعل بمكة والمدينة واليمن أفعالا قبيحة، وقد ولى البحر لمعاوية ووسوس في آخر أيامه وذكره أبو أحمد العسكري في الصحابة، وقال عبدالغني بن سعيد الحافظ وابن ماكولا: له صحبة(٤). وقال أهل الشام: سمع من النبي وهو صغير.

---

(١) طبقات ابن سعد (٤٠٩/٧)، أسد الغابة ت (٤٠٦)، والاستيعاب ت (١٧٥)، والإصابة ت (٦٤٢)، وتاريخ دمشق (١٤٤/١٠) ت (٨٧٢)، وسير أعلام النبلاء (٤٠٩/٣).

(٢) ودّان: مدنية قديمة من مدن البربر الجنوبية، ويتبعها: زلة، وهون، وسكونة، وما جاورها، ويُطلق على الكل: بلاد ودّان، وتقع ودّان في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس الغرب بنحو ٧٦٩كيلو مترا، وإلى جنوبي سرت بنحو ٢٨٠كيلو مترا. وكانت ودّان زمن الفتح الإسلامي هي العاصمة، وكان عليها سور، وقد تهدّم فلم يبق منه إلا آثاره.

(٣) تاريخ دمشق انظر ترجمته ت (٨٧٢) (١٤٤/١٠ وما بعدها).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي والنسائي، والضياء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٣٩٧).

وفي سنن أبي داود بإسناد مصري قويّ عن جنادة بن أبي أمية قال: كنا مع بُسْر ابن أبي أرطاة في البحر فأتى بسارق فقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا تقطع الأيدي في السَّفَر**»[١] وروى ابن حبان في صحيحه عن بُسْر بن أبي أرطاة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها**».

قال أحمد وابن معين: لم يسمع من النبي ﷺ، وقد سبى مسلمات باليمن، فأُقمن للبيع وقال يحيى بن معين: أهل المدينة يُنكرون أن يكون بُسْر بن أبي أرطأه سمع من النبي ﷺ، وأهل الشام يروون عنه عن النبي ﷺ، وقال يحيى: بُسْر بن أبي أرطأة رجل سوء[٢].

وقال الذهبي بعد أن أثبت صحبته في ترجمته له... «كان فارسًا شجاعًا، فاتكًا من أفراد الأبطال وفي صحبته تردّد»[٣].

قال ابن حبان: كان يلي لمعاوية الأعمال، وكان إذا دعا ربما استُجيب له، وله أخبار شهيرة في الفتن لا ينبغي التشاغل بها.

والأكثرون على أن له صحبة فينبغي الكفّ والستر، والإمساك عما شجر بين الصحابة والرأي الأقوى أنه كان صحابيًا لأنه تولى منصب القيادة في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانوا لا يؤمّرون في الفتوح غير الصحابة كما قال ابن حجر مرارًا في «**الإصابة**»، وكان عمر بن الخطاب لا يُولّي إلا الصحابة، ولا يرضى أبدًا أن يعمل صحابي بإمرة غير صحابي، وقد عمل جنادة بن أمية وهو صحابي في البحر بإمرة بُسْر، كما عمل غيره من الصحابة بإمرته في غزواته الأخرى.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/١٨١)، وابن حبان في صحيحه (٥٤٢٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٩١) والبخاري في التاريخ الكبير (١/٣٠)، (٢/١٢٣)، وابن عساكر (٢/٢٢٧)، (٣/٢١٦)، وقال الهيثمي في الزوائد (١٠/١٨١)، رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١١٦٩) و«السلسلة الضعيفة» رقم (٢٩٠٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٤١٠)، وتاريخ دمشق (١٠/١٥٦).

(٣) السير (٣/٤١٠).

□ جهاده:

شهد بُسر فتح مصر(١). وهو أَحَدُ من بعثه عمر بن الخطاب مددًا لعمرو بن العاص لفتح مصر، على اختلاف فيه أيضًا، فمن ذكره فيهم قال: كانوا أربعة: الزبير، وعمير بن وهب، وخارجة بن حذافة، وبُسر بن أرطاة، والأكثر يقولون: الزبير والمقداد، وعمير وخارجة، قال أبو عمر: وهو أولى بالصواب(٢).

لمس عمرو بن العاص في بسر شجاعة وإقدامًا وتضحية وفداء وحسن تدبير للحرب، فلما أنجز عمرو فتح طرابلس الغرب وَجّه بُسْرًا إلى (ودّان)، وذلك سنة ثلاث وعشرين الهجرية فصالح أهلها على ثلاث مئة رأس وستين رأسًا من العبيد.

وقال الليث بن سعد: في سنة ثلاث وعشرين غزوة بسر بن أرطأة لُوَبية(٣)، ثم كانت سابور، وغزوة بُشر «**ودان**» سنة ست وعشرين، وفي سنة ست وأربعين غزوة بُسر وشريك لأذنة(٤).

وكان بسر مع عبدالله بن سعد بن أبي سرح في جيش العبادلة في غزو إفريقية.

وولّاه معاوية البحر سنة ثلاث وأربعين الهجرية، فغزا الروم وشتًّا بأرضهم حتى بلغ القسطنطينية ومعه سعد بن عوف. وأنكر ذلك قوم فقالوا: لم يشتِّ بُسر بأرض الروم قط(٥)، وقيل إنه شتًّا بالحمة(٦) من أرض الروم.

وفي سنة أربع وأربعين غزا بسر في البحر(٧).

وفي سنة ست وأربعين الهجرية خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حُديج عقبة بن

---

(١) الإصابة (٤٢٢/١).
(٢) أسد الغابة (٣٧٤/١).
(٣) لوبية: مدينة بين الإسكندرية وبرقة.
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٤٨/١٠).
(٥) الطبري (١٣٧/٤)، والعبر (٥١/١)، والبداية والنهاية (٢٤/٨).
(٦) الحمة: تدعى حمة ما كسين في ديار ربيعة.
(٧) الطبري (١٦١/٤)، والبداية والنهاية (٢٧/٨).

نافع الفهري ومعه بُشر وشريك بن سُميّ المرادي، فأقبل حتى نزل بـ(مغداش)[١] من (سُرْت)[٢]، وكان بُسر توجه إليها سنة ست وعشرين الهجرية من (سرت) فأدركه الشتاء، فسار عقبة إلى (ودّان) واستعاد فتحها ثانية.

وفي سنة خمسين الهجرية غزا بسر الروم[٣]، كما غزاهم صيفًا سنة إحدى وخمسين الهجرية[٤]، كما غزا الروم شتاء سنة اثنتين وخمسين الهجرية[٥]، وقد فتح مدينة (مجانة)[٦] بافريقية، وهي تسمى (قلعة بسر) بينها وبين القيروان خمس مراحل.

❑ **القائد:**

ياله من شجاع مقدام.. وحكايته مع الروم من أعجب الحكايات تطرب لها مسامع كل فدائي مجاهد:

لقد كان بُسر على جانب عظيم من الشجاعة والإقدام، وكان من أُسُود العرب، كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بعد فتح مصر «أن أفرض لمن شهد بيعة الحديبية - أو قال بيعة الرضوان - مئتي دينار وأتمها لنفسك لإمرتك، وأتّمها لخارجة بن حذافة لضيافته ولبُسر بن أرطاة لشجاعته» وفي رواية عن يزيد بن حبيب أن عُمر جعل عمرو بن العاص في مئتين لأنه أمير، وعمير بن وهب الجمحي لأنه يصبر على الصيف، وبُسر بن أرطاة في مئتين لأنه صاحب سيف وقال: «ربّ

---

(١) مغداش: بلد قريب من «سرت» في طرابلس الغرب من ليبيا.

(٢) سرت: مدينة قديمة تقع على الخليج المسمى باسمها الآن، وتبعد عن البحر إلى الجنوب بنحو أربعة كيلو مترات، وتقع إلى الجنوب من طرابلس بنحو ٥٥٤ كيلو متر.

(٣) تاريخ الطبري (١٧٤/٤).

(٤) تاريخ الطبري (١٧٨/٤).

(٥) الطبري (٢١٤/٤)، والبداية والنهاية (٥٨/٨).

(٦) مجانة: بلد بإفريقية (تونس) وهي تُسمَّى قلعة بُسر، وبها زعفران كثير ومعادن وحديد وفضة، بينها وبين القيروان خمس مراحل.

فتح قد فتحه اللّه على يديْه»[١] .

وكانت له نكاية عظيمة في الروم[٢] «غزا بُسر الروم فجعلت ساقته لا يزال يُصاب منها طَرَف، فجعل يلتمس أن يصيب الذين يلتمسون عورة ساقته فيكمن لهم الكمين، فجعلت بعوثه تلك لا تصيب ولا تظفر، فلما رأى ذلك تخلّف في مئة من جيشه، ثم جعل يتأخر حتى تخلّف وحده، فبينا هو يسير في بعض أودية الروم إذْ رُفع إلى قرية ذات جوز كثير، وإذا براذين مُربَّطة بالجوز ثلاثين برذونًا، والكنيسة إلى جانبهم فيها فرسان تلك البراذين الذين كانوا يعقبونه في ساقته فنزل عن فرسه فربطه مع تلك البراذين، ثم مضى حتى أتى الكنيسة فدخلها، ثم أغلق عليه وعليهم بابها، فجعلت الروم تعجب من إغلاقه وهو وحده، فما اشتغلوا إلى رماحهم حتى صرع ثلاثة، وفقده أصحابه فلاموا أنفسهم فقالوا: إنكم لأهل أن تُجعلوا مثلًا للناس، إن أميركم خرج معكم فضيّعتموه حتى هلك، ولم يهلك منكم أحد، فبينا هم يسيرون في الوادي حتى أتوْا مرابط تلك البراذين، فإذا فرسه مربوط معها، فعرفوه، وسمعوا الجلبة في الكنيسة فأتوها، فإذا بابها مغلق، فبلغوا طائفة من سقفها، فنزلوا عليها وهو ممسك طائفة من أمعائه بيده اليسرى، والسيف بيده اليمنى، فلما تمكّن أصحابه في الكنيسة سقط بُسْر مغشيًّا عليه، فأقبلوا على مَنْ كان بقي فأسروه وقبلوا[٣] ، فأقبلت عليهم الأسارى فقالوا: ننشدكم اللّه من هذا الذي دخل علينا، قالوا: بسر بن أرطأة، قالوا: ما ولدت النساء مثله، فعمدوا إلى معاه فردّوه في جوفه، ولم يخرق منه شيء، ثم عصبوه بعمائمهم وحملوه على شقّه الذي ليست به جراح، حتى أتوا به العسكر، فخاطوه، فسلم وعوفي[٤] .

ذلك هو مبلغ شجاعة بُسر إقدامه، وذلك هو الذي حدا بعمر بن الخطاب

---

(١) «الولاة والقضاة» ص (٢١).

(٢) تاريخ دمشق (١٠/١٥١).

(٣) قبلوا: أي أقبلوا انظر لسان العرب.

(٤) تاريخ دمشق (١٠/١٤٩- ١٥٠).

الذي لم يجامل أحدًا في العطاء حتى ولو كان ابنه عبدالله، أن يفرض مئتين من الدنانير سنويًا لبسر لشجاعته، فكان عطاؤه مساويًا لعطاء أمير مصر عمرو بن العاص، ولعطاء من شهد بيعة الرضوان سواءً بسواء. وكان يرعى رجاله رعاية نادرة ويساويهم بنفسه في كل شيء: - فقد «كان بُسْر بن أرطأة على شاتية بأرض الروم، فوافق يوم الأضحى، فالتمسوا الضحايا فلم يجدوها، فقام في الناس يوم الأضحى، فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنا قد التمسنا الضحايا اليوم والتمسوها، فلم نقدر منها على شيء، وكانت معه نجيبة لم تشرب لبنها لقُوح - ولم نجد شيئًا نضحِّي به إلّا هذه النجيبة؛ فأنا مُضَحٍّ بها عني وعنكم فإن الإمام أب ووالد ثم قام فنحرها، ثم قال اللهم تقبّل من بُسْر ومن يليه، ثم قسموا لحمها بين الأجناد، حتى صادر له منها جزء من الأجزاء مع الناس»[1].

قائد هذا شأنه: - يرعى رجاله حقَّ الرعاية، ويستأثر دونهم بالخطر، ويحرص على أرواحهم، ويستغفر لهم قبل أن تزلّ أقدامهم - لا بدّ أن يكون موضع ثقة رجاله، ولا بد أن يكون محبوبًا عندهم أثيرًا لديهم.

إن مفتاح مزايا قيادة بُسر هو ما يتمتع به من شجاعة خارقة وإقدام عجيب، ولكن ذلك ليس كافيًا لتسنُّمه منصب القيادة في أيام عمر بن الخطاب، فقد كان يريد من القائد أن يكون مكيثًا لا يتهور، عالمًا بإدارة الحرب، لذلك ولّاه عمر بن الخطاب قيادة جيش من جيوش المسلمين في أيامه، ولذلك أيضًا اعتمد عليه معاوية بن أبي سفيان في أيامه، فكان أحد قوّاد معاوية وأكابر أصحابه[2].

لقد كان بُسر قائدًا ممتازًا، وكان فارسًا شجاعًا فاتكًا من أفراد الأبطال.

وسيذكر التاريخ لبُسْر فتحه لمنطقة (ودّان) من ليبيا ونشره الإسلام بين قبائل البربر الساكنة في ربوعها. ويذكر له أنه كان من أبطال المسلمين المعدودين.

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠/١٥٠).

(٢) جمهرة أنساب العرب ص (١٧٠).

أمّا ما قيل عنه وقصة مقتله طفلين صغيرين هما عبدالرحمن وقثم بن عبداللَّه بن عباس، وسبيه لنساء مسلمات وهو صحابي، فأما عن قصة قتل الطفلين، فإن قتل الأطفال يأباه العربي في الجاهلية فكيف يفعله الصحابي، وتعاليم الإسلام صريحة في عدم قتل الأطفال، وأما اتهامه بأنه سبى النساء العربيات المسلمات، فأمر لا يُصَدَّق أبدا، فكيف يمكن أن نصدِّق أن صحابيًا يسبى النساء المسلمات؟؟؟! لقد كان بسر من رجالات العرب المعروفين بشجاعتهم، منذ عهد عمر بن الخطاب، وقوله: «ما كنت لأوذي أبا موسى الأشعري! ما أغرقني بحقه وفضله!»[1] دليل على التزامه بالمثل الإسلامية وحرصه على احترامها وتطبيقها. ومن الغريب أن يذكر قصة قتل الطفلين الصغيرين وتذكر بعض المصادر أنه «**كان إذا دعا ربما استُجيب له**»[2] فكيف يستقيم هذا التناقض؟!

إن كتب التاريخ بحاجة إلى تمحيص شديد واللَّه المستعان. ورحم اللَّه ورضي عن القائد الفاتح الشجاع البطل بُسْر بن أرطأة.

* * *

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٣/٢٢٣).

(٢) الإصابة (١/٤٢٢).

(٤٤٠) القائد الشهيد
زُهَيْر بن قيس البَلَوِيّ[١]
فاتح منطقة مدينة تونس[٢].. وهازم البربر في معركة «ممس» الحاسمة

هو زُهَيْر بنّ قيس أبو شدّاد البَلَويّ المصري. قال ابن عساكر: قيل إن له صحبة[٣] حدّث عن علقمة بن رَمثةَ البلوي. قال ابن مندة: «**علقمة بن رِمْثة البلوي، كان ممن بايع تحت الشجرة، وشهد فتح مصر، وروى عنه زهير بن قيس البَلَوي، وهو من الصحابة**»[٤]. وقال أبو عبدالله بن مندة، قال أبو سعيد بن يونس: زهير بن قيس البلوي، يكنى أبا شدّاد له صحبة، شهد فتح مصر، يروى عن علقمة بن رِمثة البلوي، روى عنه سويد بن قيس التُجيبي قتلته الروم ببرقة في سنة ست وسبعين[٥].

قد نال زهير شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول ﷺ، فقد كان صغيرًا على عهد النبي ﷺ.

❑ جهاده:

ـ شهد زهير فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص، وغزا (إفريقية) ووليها[٦]،

---

(١) أسد الغابة ت (١٧٨٣)، والإصابة (٤٧٨/٢) ت (٢٧٤٨)، وتاريخ دمشق (١١٢/١٩) ت (٢٢٨٩). البَلوِي نسبة إلى بَلِي على وزن علي، من قُضاعة، انظر: أنساب العرب ص (٤٧٩)، ومن بطون قضاعة بلي بن عمرو بن مالك بن إلحاق بن مالك بن قضاعة.

(٢) تُونُس: مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم عمرت من أنقاض قرطاجنة، وكان اسم تونس في القديم ترشيش، وهي على ميلين من قرطاجنة.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (١١٢/١٩).

(٤) المصدر السابق (١١٣/١٩).

(٥) المصدر السابق (١١٤/١٩).

(٦) رياض النفوس (٦٠/١).

وفي سنة اثنتين وستين الهجرية ردّ يزيد بن معاوية عُقبة بن نافع الفهري إلى (إفريقية)[١] فاستخلف على (القيروان) زهيرًا[٢] وترك معه جندًا تعدادهم خمسة آلاف رجل مع الذراري والأموال لإعمار القيروان والمحافظة عليها من الغزاة.

- ولما استشهد عقبة بن نافع الفهري في (تَهُوْذَة)[٣] سنة ثلاث وستين الهجرية[٤] (٦٨٣م) قصد (كسيلة بن لَمْزَم القيروانَ في جمع كثير من الروم والبربر؛ فعزم زهير على القتال، فخالفه حَنَش الصنعاني وعاد[٥]، إلى مصر فتبعه أكثر الناس، فاضطر زهير إلى العودة معهم، فسار إلى (بَرْقَة)[٦] وأقام بها[٧].

وقد زحف كسيلة البرنسي إلى القيروان سنة أربع وستين الهجرية وانتزعها من يد المسلمين في المحرم[٨]، فعظم البلاء على المسلمين، فقام زهير بن قيس خطيبًا في الناس، فقال: «يا معشر المسلمين! إن أصحابكم قد دخلوا الجنّة، وقد من اللَّه عليهم بالشهادة؛ فاسلكوا سبيلهم يفتح لكم دون ذلك»؛ فقال حنش الصنعاني: «لا والله، ما نقبل قولك، ولا لك علينا ولاية، ولا عمل أفضل من النجاة بهذه

(١) رياض النفوس (١/٢٢)، والاستقصا (١/٧٢).

(٢) ابن الأثير (٤/٤٣)، وفي رياض النفوس (١/٢٢) أنه استخلف على القيروان عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي.

(٣) تهوذه: اسم لقبيلة من البربر بناحية إفريقية لهم أرض تُعرف بهم.

(٤) البداية والنهاية (٨/٢١٧).

(٥) حنش الصنعاني: هو حنش بن عبدالله بن عمرو بن حنظلة غزا المغرب والأندلس وسكن إفريقية، وعداده في المصريين.

وهو تابعي كبير ثقه. غزا الأندلس مع موسى بن نصير، وهو أول من ولي عشور إفريقية في الإسلام. كان رحمه الله إذا فرغ من عشائه وحوائجه وأراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرّب المصحف وإناء فيه ماء، فكان إذا وجد النعاس استنشق بالماء، وإذا تعايا في آية نظر في المصحف. مات سنة مئة الهجرية.

في رواية أن أبا المهاجر دينار بعث حنش الصنعاني إلىجزيرة شريك في إفريقية فافتتحها.

(٦) برْقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين اسكندرية وإفريقية (تونس).

(٧) ابن الأثير (٤/٤٣).

(٨) الاستقصا (١/١٧).

العصابة من المسلمين إلى مشرقهم»، ثم قال: «**يا معشر المسلمين! من أراد منكم القفول إلى مشرقه فليتبعني**»، فأتبعه الناس ولم يبق مع زهير إلا أهل بيته؛ فنهض في أثره ولحق بقصره بـ(برقة)، فأقام بها مرابطًا إلى دولة عبدالملك بن مروان. وأقبل كسيلة البرنسي بعساكره، فلما قرب من (القيروان) خرج من كان فيها من العرب هاربين، إذ لم يكن لهم طاقة بقتاله لعظيم ما اجتمع معه من البربر والروم، فأمّن كسيلة من بقي في القيروان من المسلمين، وأقام بالقيروان أميرًا على سائر إفريقية والمغرب كله وعلى من فيه من المسلمين، إلى أن ولي الخلافة عبدالملك بن مروان[١]. ولم يقم بالقيروان من المسلمين إلا أصحاب الذراري والأثقال، فأمنهم كسيلة وثبت قدمه بالقيروان واستمر أميرًا على البربر ومن بقي بها من العرب. واضطرم المغرب نارًا، وفشت الردة في البربر، إلى أن استقلّ عبدالملك بالخلافة وأذهب آثار الفتنة من المشرق، فالتفت إلى المغرب[٢] ليصفي حسابه هناك.

وفي رواية، أن زهيرًا خليفة عقبة في القيروان، لما بلغه ما جرى على عقبة، رعب رعبًا شديدًا، وأراد الإنصراف إلى مصر، فمنعه أحد أصحابه[٣] وقال: «لا تفعل، فإنها هزيمة إلى مصر»، ثم برز للعدو فكان أول من برز فضرب خباءه، فلما رأى زهير عزمه، عزم معه، وكان معه ستة آلاف رجل: ألفان من البربر، وأربعة آلاف من العرب. وزحف زهير إلى كسيلة وقاتله قتالًا شديدًا، فانهزم كسيلة وقتل من أصحابه ما لا يحصى وتفرقوا[٤].

والظاهر أن الرواية الأولى هي أصح الروايات، إذ لم يكن بمقدور العرب المسلمين وهم قليلون مقاومة كسيلة بعد أن اجتمع عليه الروم والبربر، وبعد أن

---

(١) الاستقصاء (١٨/١): وقد ورد في الاستقصا (٧٥/١) في خطاب زهير: «.. فاسلكوا سبيلهم أو يفتح الله عليكم».

(٢) الاستقصا (٧٥/١).

(٣) منعه ابن حيان الحضرمي. انظر رياض النفوس (٢٨/١).

(٤) رياض النفوس (٢٨/١- ٢٩).

ارتفعت معنوياتهم نتيجة لانتصارهم على عقبة بن نافع في (تهوذة) واستشهاده واستشهاد زهاء ثلاث مئة رجل من أصحابه معه، خاصة وأن الرجال الذي كانوا مع زهير في القيروان على قلتهم، لم يكونوا من المحاربين الممتازين، إذ ليس هناك قائد يمكن أن يستغني عن خمسة آلاف أو ستة آلاف ويبقيهم في الخلف وهم من محاربي الدرجة الأولى؛ بل إن القادة يتركون في الخلف وراءهم محاربي الدرجة الثانية من كبار السن، أو ذوي العاهات أو من غير الشجعان... إلخ، ومثل هذا الجيش لا يستطيع صدّ جيش لجب (قوي) كجيش كسيلة يتمتع بمعنويات عالية فائقة.

لذلك انسحب زهير من القيروان إلى (برقة)، وكان قراره هذا صحيحًا من الناحية العسكرية، لأن اشتباكه مع العدو وهو لا يملك القوة الكافية لإحراز النصر، يؤدي إلى كارثة عسكرية تحل بجيشه دون مبرر ولا جدوى.

٣- ولما استقلّ عبدالملك بن مروان بالخلافة بعد قضائه على الفتن الداخلية كان زهير مرابطًا في (برقة) منذ استشهاد عقبة بن نافع الفهري [١]، فذُكر عند عبدالملك من بالقيروان من المسلمين وأشار عليه أصحابه بإنفاذ الجيوش إلى إفريقية لاستنقاذهم [٢] من يد (كسيلة) وأن يُعزَّ الإسلام بها كما كان في أيام عقبة، فقال لهم عبدالملك: «**من للأمر مثل عقبة؟**»، فاتفق رأيهم ورأي المسلمين على زهير، وكان من رؤساء العابدين وأشراف المجاهدين؛ فوجّه إليه عبدالملك، وأمره بالخروج على أعنّة الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو إفريقية، فسرّ ذلك زهيرًا وسارع إلى الجهاد [٣].

ولكن زهيرًا كتب إلى عبدالملك يعلمه بكثرة الروم والبربر [٤]، وبقلة من معه

---

(١) الاستقصا (١/٨١).
(٢) الكامل لابن الأثير (٤/٤٣).
(٣) رياض النفوس (١/٢٩).
(٤) الاستقصا (١/٨١).

من الرجال والأموال، فأرسل عبدالملك إلى أشراف العرب ليخشدوا إليه الناس من الشام، وأفرغ عليهم أموال مصر؛ فسارع الناس إلى الجهاد، واجتمع منهم خلق عظيم، فأمرهم أن يلحقوا بزهير؛ فلما وصلوا إليه خرج بهم إلى (إفريقية). فلما دنا من (القيروان) نزل بقرية يقال لها (قَلْشَانَة)[١] وذلك في سنة تسع وستين الهجرية، فبلغ ذلك كسيلة ـ وكان في خلق عظيم من الروم والبربر، فدعا كبارهم وأشرافهم، وشاورهم وقال لهم: «أرى أن ننزل بـ(مَمِسْ)[٢] لئلا يركبنا مَنْ بالقيروان فنهلك[٣]، ولأن بالقيروان خلقًا كثيرًا من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم، ونخاف إن قاتلنا زهيرًا أن يثب هؤلاء وراءنا، فإذا نزلنا (ممس) أمناهم وقاتلنا زهيرًا، فإن ظفرنا بهم تبعناهم إلى (طرابلس) وقطعنا أثرهم من إفريقية، وإن ظفروا بنا تعلّقنا بالجبال ونجونا[٤]. كما أن الماء بـ(ممس) كثير، فأجابوه إلى ذلك. ورحل إلى (ممس) فبلغ ذلك زهيرًا، فلم يدخل القيروان بل أقام ظاهرها ثلاثة أيام حتى أراح واستراح[٥].

وفي اليوم الرابع زحف زهير في آلاف من المقاتلة، وجمع له كسيلة قبيلة البرانس[٦] وسائر البربر ولقيه بـ(ممس) من نواحي القيروان. وأشرف زهير على عسكر كسيلة في آخر النهار، فأمر الناس بالنزول؛ فلما أصبح زحف إليه. وأقبل كسيلة ومن معه، فالتحم الفريقان، ونزل الضر وكثر القتل في الجانبين حتى يئس الناس من الحياة، ولم يزالوا كذلك حتى انهزم كسيلة وقتل. ومضى الناس في

(١) وردت في رياض النفوس (١/ ٣٠): قرشانة، ووردت في معجم البلدان (١٤٧/٧) قلشانة، وهي مدينة بافريقية بضواحي القيروان. انظر: معجم البلدان (١٤٧/٧) وهامش رياض النفوس (١/ ٣٠).
(٢) وقد وردت في ابن الأثير (٤٣/٤): ممش وهي في الهضبة في الجنوب الشرقي لجبال أوراس في الجزائر الآن.
(٣) رياض النفوس (١/ ٣٠) وفي ابن خلدون (١٨٧/٤): أن زهير أزحف سنة سبع وستين.
(٤) ابن الأثير (٤/ ٤٣ـ ٤٤).
(٥) ابن الأثير (٤٤/٤)، ورياض النفوس (١/ ٣٠). والبيان المغرب (١/ ٢٠).
(٦) البرانس: قبيلة من البربر.

طلب البربر والروم، فلحقوا كثيرًا منهم وقتلوهم، وجدّوا في طلبهم إلى وادي (مَلَويّة) واد بـ(طنجة) بالمغرب، وفتح (شِقبَنّارِية)[١] وقلاعًا أُخَر[٢]، وفتح مدينة (تُونس)[٣]، وفي هذه الوقعة ذل البربر وفنت فرسانهم ورجالهم وخضدت شوكتهم[٤]، وقتل رجال البربر والروم ملوكهم وأشرافهم[٥]، وفزع أهل إفريقية واشتد خوفهم، فلجأوا إلى الحصون والقلاع[٦] واضمحل أمر الروم فلم يعد لهم شأن يذكر[٧]، وخاف البربر من زهير والعرب خوفًا شديدًا، وكسرت شوكة (أوربة)[٨] من بينهم، واستقرّ جمهورهم بديار المغرب الأقصى وملكوا مدينة (وَلِيْلى) وكانت فيما بين (فاس) و(مكناسة) بجانب جبل (زَرْهُون)، ولم يكن لهم بعد هذه الوقعة ذكر[٩].

لقد كانت معركة (ممس) معركة حاسمة حقًا، فقد قضى زهير على مقاومة البرانس، فكان هذا القضاء عظيم الأثر في مستقبل الفتوح؛ لأن بُتر[١٠] البربر كانوا إلبًا مع العرب أنصارًا لهم لانتشار الإسلام فيهم، وأن البرانس من البربر حملوا لواء المقاومة يمدّهم الروم بالعون؛ فكانت ضربة زهير قاضية على رأس المقاومة وخاتمة لآمال الروم في الاستعانة بأهل البلاد على العرب[١١].

٤- وعاد زهير إلى (القيروان)، فرأي بإفريقية ملكًا عظيمًا، فأبى أن يقيم بها وقال: «إني ما قدمت إلا للجهاد، وأخاف أن أميل إلى الدنيا فأهلك»، وكان من

---

(١) هي مدينة Sicca Vaneria الرومانية القديمة، وتسمى الآن: الكف.

(٢) رياض النفوس (١/٣٠) وانظر ابن الأثير (٤/٤٤) والبيان المغرب (١/٢٠) والاستقصا (١/٨١).

(٣) البلاذري (٢٣١).

(٤) الاستقصا (١/٨١).

(٥) ابن الأثير (٤/٤٤).

(٦) البيان المغرب (١/٢٠).

(٧) الاستقصا (١/٨١) وقد وردت كلمة الفرنجة بديلا من كلمة الاسلام.

(٨) قبيلة من قبائل البربر.

(٩) الاستقصا (١/٨١).

(١٠) قبيلة من البربر.

(١١) فتح العرب للمغرب ص (٢٣٠).

رؤساء العابدين وكبراء الزاهدين؛ فترك القيروان آمنة، وانصرف عنها، وأقام بها كثير من أصحابه[١].

ترك القيروان آمنة، لخلو البلاد من عدو ذي شوكة، ورحل في جمع كثير إلى مصر، فبلغ الروم خروجه من (إفريقية) إلى (برقة)، فأمكنهم ما يريدون، فخرجوا إليها في مراكب كثيرة وقوة عظيمة[٢] من القسطنطينية وجزيرة صقلية[٣]، فأغاروا على برقة وأصابوا بها سبيًا كثيرًا، وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم عسكر زهير، فأمر عسكره بالمسير إلى الساحل طمعًا بأن يدرك سبي المسلمين فيستنقذهم. وأشرف على الروم، فإذا هم في خلق عظيم، فلم يقدر على الرجوع، وقد استغاث به المسلمون وصاحوا، والروم يدخلونهم المراكب؛ فنادى بأصحابه: «النزول»، فنزلوا، وكان أكثرهم من التابعين، ونزل الروم إليهم، وتلقّوهم بعدد عظيم، فالتحم القتال وتكاثرت عليهم الروم، فقتل زهير وأشراف من كانوا معه من العرب[٤]، ولم ينج منهم أحد؛ وعاد الروم بما غنموا إلى القسطنطينية[٥].

وفي رواية، أن الروم بالقسطنطينية عندما بلغهم مسير زهير من برقة إلى إفريقية لقتال كسيلة، اغتنموا خلوّها فخرجوا إليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية، وأغاروا على برقة، فأصابوا منها سبيًا كثيرًا، وقتلوا ونهبوا، ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة، فأخبر الخبر، فأمر العسكر بالسرعة والجد في قتالهم. ورحل هو ومن معه، وكان الروم خلقًا كثيرًا، فلما رآه المسلمون استغاثوا به، فلم يمكنه الرجوع وباشر القتال، فاشتد الأمر وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهيرًا وأصحابه، ولم ينج منهم أحد، فعاد الروم بما غنموا إلى القسطنطينية[٦].

---

(١) ابن الأثير (٤/٤٤)، والبيان المغرب (١/٢٠) والاستقصا (١/٨١)، ورياض النفوس (١/٣١).
(٢) اليان المغرب (١/٢١).
(٣) ابن الأثير (٤/٤٤).
(٤) البيان المغرب (١/٢١).
(٥)، (٦) ابن الأثير (٤/٤٤).

ونحن جديرون أن نتأمل قليلًا هاتين الروايتين: الأولى أن الروم أقدموا على حملتهم حين بلغهم خروج زهير من إفريقية إلى برقة، والثانية أن الروم أقدموا على حملتهم حين بلغهم خروج زهير من برقة إلى إفريقية.

والفرق بين الروايتين كبير جدًا من الناحية العسكرية، فالرواية الأولى، تدل على أن الروم استهدفوا من حملتهم جيش زهير بالدرجة الأولى، لذلك جرى إنزالهم في برقة لا في المواني الإفريقية الأخرى وهي على طريق عودته من القيروان إلى مصر، لأجل سحق جيش زهير وهو الهدف السوقي (الاستراتيجي) الحيوي في الحرب، لأن القضاء على الجيش معناه انتهاء كل مقاومة معادية.

ومما يدل على أن خطة الروم كانت ترمي إلى القضاء على جيش زهير بالدرجة الأولى، هو تحشيد جيش ضخم من القسطنطينية ومن صقلية في آن واحد وتوقيت إنزاله في برقة في وقت معين محدّد هو موعد وصول جيش زهير إلى تلك المنطقة، ولو كانت نيّات الروم مجرّد غارة لما بذلوا كلَّ هذه الاستعدادات الضخمة في إعداد الخطط الموقوتة وتحشيد الجيوش الكبيرة، ولما أجروا إنزالهم في وقت وصول طلائع جيش زهير إلى برقة أو قبله.

أما الرواية الثانية، فتدل على أن خطة الروم كانت غارة لجمع الغنائم والأسلاب، وهذه الغارة لا تحتاج إلى تلك الاستعدادات الدقيقة الموقوتة وتحشيد الجيوش الضخمة.

فمن الواضح إذًا، أن الروم أجروا إنزالهم في برقة ـ مع كل ما ذكرنا من ضخامة الجيوش وضخامة الاستعدادات ـ للقضاء على جيش زهير ليفوّتوا عليه فرصة نجاحه الكبير في معركة (ممس) وليستعيدوا سلطتهم الكاملة على (إفريقية)؛ لذلك فإن الرواية الأولى هي المقبولة، لأنها تتفق مع الواقع الذي جرى فعلًا، ولأن سير الحوادث يؤيدها من كل الوجوه.

لقد شغل الروم عن إفريقية خلال حملة عقبة الأولى، لأن العرب المسلمين

كانوا إذ ذاك يحاصرون القسطنطينية حصارهم الأول الذي بدأ سنة ثمان وأربعين الهجرية واستمر إلى ما بعد سنة خمسين الهجرية، ولبثت الدولة الرومانية بضعة أعوام بعد ذلك تقاسي عقابيل هذه المحنة التي كادت تودي بها، فلم يعد إليها الهدوء الذي يسمح لها بالاهتمام بولاياتها إلا بعد سنة خمس وخمسين الهجرية[١]؛ إذ نشط الروم بعدها نشاطًا مفاجئًا ترجع أسبابه إلى إسترجاع الدولة عافيتها بفضل جهود قسطنطين الرابع وإصلاحه الديني واجتهاده في وصل ما كان قد وهى من علاقات الدولة مع أملاكها في (إفريقية) وغيرها[٢]، وكان انشغال العرب بكسيلة وتوجه اهتمامهم للقضاء عليه فرصة طيبة استطاع فيها الروم أن يشدوا أمرهم ويثبتوا أقدامهم إستعدادًا لصراع حاسم[٣].

فلماذا ارتد زهير عن إفريقية مسرعًا لغير سبب ظاهر بعد انتصاره في (ممس)؟ إن تعليل المراجع لذلك بقولها: إنه خشي الفتنة على نفسه، وكان من العباد المخبتين، فقال: «إنما جئت للجهاد في سبيل الله، وأخاف على نفسي أن تميل إلى الدنيا فأهلك»[٤].. إلخ تعليل ضعيف، لأن الزاهد الورع الذي يخاف على نفسه فتنة الدنيا هو الذي يقيم على الثغور ويراطب في دار الحرب، فإذا فضّل على ذلك العودة إلى العواصم والمدن لم يكن ذلك دليلًا على الورع أو بدافعه، بل دليل أمور أخرى وبدافعها[٥]. فما أسباب عودته مسرعًا؟ الظاهر أن السبب الحقيقي هو وصول معلومات أكيدة إليه عن تحركات جيوش الروم باتجاه برقة، لذلك سارع إلى العودة حتى لا يقطع الروم خطوط مواصلاته أولًا، وحتى يحرمهم انتهاك حرمة المدن الاسلامية ثانيًا؛ خاصة أنه يعرف أن منطقة برقة كانت حينذاك منطقة

(١) فتح العرب للمغرب (١٥٩).
(٢) فتح العرب للمغرب (٢١٣).
(٣) فتح العرب للمغرب (٢١٥).
(٤) الاستقصا (١/٨١).
(٥) فتح العرب للمغرب (٢٢٧).

مكشوفة تقريبًا، لعدم تيسر قوات إسلامية كافية فيها تحميها من غارات الروم بجبوش ضخمة عليها، وليس معنى ذلك أن تلك المنطقة كانت محرومة تمامًا من مدافعين عنها، إذ أن ذلك لا يمكن أن يحدث مطلقًا من الناحية العسكرية فلا بدّ أن يكون فيها عدد مناسب من الرجال لحمايتها من الغارات المحدودة أو من قوات قليلة معادية وذلك بمشاغلتهم مدة من الزمن حتى تردهم النجدات والإمداد، إذ لا يمكن أن يترك أي قائد أية منطقة على خطوط مواصلاته دون حماية كافية، ولكن القوة التي تركها في برقة لا ترقى أن تكون كافية في صد جيوش كبيرة، وهذا ليس خطأ زهير بتاتًا، إذ ليس بإمكانه أن يزرع رجاله بأعداد كبيرة ليكوّنوا حاميات على طول خطوط مواصلاته التي تمتد إلى قرابة ألفي ميل، وليس هناك قوة كافية لهذا الغرض، فلم يكن له إلا أن يترك حاميات صغيرة في النقاط السوقية (الاستراتيجية) المهمة لحمايتها من قوات معادية محدودة ولفترة محدودة من الزمن.

ولكن المعلومات التي وردت عليه عن حشود الروم الضخمة باتجاه منطقة برقة، جعلته يقرّر فورًا العودة أدراجه إلى تلك المنطقة لمواجهتها بقواته الضاربة، وفعلًا وصل إلى تلك المنطقة في الوقت المناسب، ولكنه دُحر أمام الروم لأن قواته لم تكن كافية في إحراز الظفر عليها، بالرغم من إقدام زهير وإقدام رجاله على مقاتلة الروم بشجاعة وتضحية وفداء.

وهكذا سقط زهير وكثير من رجاله شهداء في ساحة الوغي، لأن القوتين العربية والرومية لم تكونا متكافئتين، ولأن العرب كانوا مجهدين من سفرهم الشاق الطويل آلاف الأميال، ولأن الوقت المتيسر لزهير لم يكن كافيًا في إعداد الخطة العسكرية الدقيقة لمقاومة الغزو ولتلقّي الإمداد من المشرق، فاندفع زهير ودفع قواته بمثل تلك الظروف بحوافز عاطفية لتخليص الأسرى المسلمين من أيدي الروم، فوقعت الكارثة بزهير ورجاله، فخسروا كل شيء... إلا الشرف... ولم يكن بإمكانهم ولا بإمكان أي قائد آخر في مثل تلك الظروف والأحوال، أن يفعل

غير ما فعله زهير وأصحابه فيلاقي نفس المصير الذي لاقوه.

❑ الإنسان:

كان زهير صحابيًا ولكننا لا نعلم عن أيامه الأولى شيئًا كثيرًا، وكان ممن لزم عمرو بن العاص ودخل معه دمشق. وفي سنة أربع وستين الهجرية كان زهير بمصر فبعثه أميرها[١] إلى (أيْلَة)[٢] ليمنع عبدالعزيز بن مروان من المسير إليها، وكان زهير حينذاك إلى جانب عبدالله بن الزبير على بني أمية، فهُزم زهير ومن معه أمام عبدالعزيز بن مروان[٣]. ولعلّ هذا الحادث ترك أثره في نفس عبدالعزيز بن مروان على زهير، فقد ندب عبدالعزيز زهيرًا إلى (برقة) وكان عبدالعزيز أميرًا على مصر، فخاطب زهيرًا بشيء، فأجابه زهير: «أتقول هذا لرجل جمع ما أنزل الله على نبيه قبل أن يجمع أبواك هذا؟»[٤].

كان زهير من رؤساء العابدين وأشراف المجاهدين[٥] صاحب فضل ودين[٦]، وكان من العباد المخبتين[٧]، وكان من العلماء المتفقهين.

شهد فتح مصر سنة عشرين الهجرية كما أسلفنا، فاذا كان عمره يوم شهد فتح مصر زهاء عشرين عامًا، واستشهد سنة إحدى وسبعين الهجرية[٨] (٦٩٠م) فليس من المعقول أن يكون عمره حينذاك أكثر من إحدى وسبعين سنة، وإلا ما استطاع قيادة الجيوش ومعاناة أمور الحرب وتحمل أعبائها. لذلك كان من المحتمل أن يكون

---

(١) كان أميرها حينذاك عبدالرحمن بن عتبة بن إياس الفهري. انظر الولاة والقضاة (٤١) وهو المعروف بابن جحدم.

(٢) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام، وهي آخر الحجاز وأول الشام.

(٣) الولاة والقضاة (٤٣).

(٤) الاصابة (٤٧٨/٢)، وانظر تهذيب ابن عساكر (٣٩٣/٥).

(٥) رياض النفوس (٢٩/١).

(٦) البيان المغرب (٢١/١).

(٧) الاستقصا (٨١/١).

(٨) تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٨٥) نقلا عن المؤنس.

زهير قد ولد في السنة الأولى من الهجرة (٦٢٢م)، وقد دفن بـ(دَرْنَة)[١] قريبًا من الشاطئ الذي استشهد فيه، وقبره وقبور الشهداء الذين سقطوا معه معروفة هناك[٢].

وقد ورد في بعض المصادر أنه استشهد سنة ست وسبعين الهجرية[٣]، مع أن خليفته حسان بن النعمان تولى إفريقية سنة أربع وسبعين الهجرية[٤]، فلا بدّ أن حسان بن النعمان تولاها بعد استشهاد زهير لا قبله!

كما ورد في بعض المصادر، أن زهيرًا قُتِلَ سنة تسع وستين الهجرية[٥]، وهذا مرجوح أيضًا، لأنه ليس من المعقول أن يتولى زهير إفريقية وهو بـ(برقة) في هذه السنة، ثم يُعِدّ جيشه ويتلقى الإمداد ويسير إلى (القيروان) ويقاتل هناك ويطارد العدو، ثم يعود أدراجه من القيروان إلى (برقة) بعد مكوثه في (القيروان) ردحًا من الزمن، ويتم كل ذلك خلال سنة واحدة!!

ولما سمع عبدالملك بن مروان بقتل زهير، عظم عليه واشتد[٦]، وكانت مصيبته مثل مصيبة عقبة بن نافع قبله[٧] لمكانة زهير السامية في نفوس العرب المسلمين.

لقد كان زهير من رجالات السلف الصالح: شجاعة وبطولة وإيمانًا وورعًا.

وقد ورد عند ابن عساكر قصة له مع عبدالعزيز بن مروان بن الحكم فقال فيما يرويه بسنده عن ابن يونس: «قتلته الروم ببرقة في سنة ست وسبعين، وكان سبب قتله أن الصريخ أتى الفسطاط بنزول الروم على برقة، فأمر عبدالعزيز بن مروان

---

(١) درنة: مدينة في ليبيا على ساحل البحر شرقي بنغازي.

(٢) معجم البلدان (٤/٥٥).

(٣) الإصابة (٢/٤٧٨)، ومعجم البلدان (٤/٥٥).

(٤) ابن الأثير (٤/١٤٣).

(٥) الكامل لابن الأثير (٤/١٤٣).

(٦) ابن الأثير (٤/٤٤).

(٧) البيان المغرب (١/٢١)، ورياض النفوس (١/٣١).

بالنهوض إليهم... وفيها، فقال له عبدالعزيز: إنك يا زهير جلف جافي، فقال له زهير: يا ابن أبي ليلى أتقول لرجل جمع ما أنزل اللَّه على نبيه ﷺ قبل أن يجمعه أبواك جلف جافي هو ذا أمر، فلا ردّني اللَّه إليك، ومضى زهير على البريد في أربعين رجلًا، فلقي الروم فأراد أن يكفّ حتى يلحقه الناس، فقال له فتى حدث كان معه: جئتَ يا أبا شدّاد، فقال: قتلتنا وقتلت نفسك، ثم خرج بهم فصادف العدو ثم قرأ «**السجدة**» فسجد وسجد أصحابه، ثم نهض فقاتلوا فقُتِلوا أجمعون ما شذّ منهم رجل عن رجل»(١).

❑ **القائد:**

نشأ زهير في بيئة خالصة تتسم بالشجاعة والإقدام، وترعرع في أيام الجهاد الأولى وفي العهد الذهبي للفتح الإسلامي، وما كاد يشبّ إلا وانخرط في سلك المجاهدين الفاتحين، فشهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص، ثم شهد فتوح إفريقية ووليها أيضًا.

وحين أصبحت مصر بلدًا إسلاميًا وبدأ الفاتحون يتوغلون غربًا في إفريقية، كان زهير مع أولئك الفاتحين. وفي سنة ست وأربعين الهجرية كان زهير في جيش عقبة بن نافع، فاستخلفه عقبة على جيشه بـ(مغداش)(٢) وسار بنفسه بمن خف معه لفتح (وَدّان)(٣)، ثم عاد عقبة إلى عسكره بعد خمسة أشهر(٤). وفي سنة اثنتين وستين الهجرية استخلفه عقبة على (القيروان) حين يمّم شطر المغرب الأقصى إلى المحيط الأطلسي(٥) كما مرّ بنا ذلك.

---

(١) تاريخ دمشق (١١٤/١٩- ١١٥).

(٢) مغداش: مدينة قريبة من «سرت» في طرابلس.

(٣) «ودان»: مدينة قديمة من مدن البربر الجنوبية في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس بنحو ٧٦٩ كيلو متر.

(٤) انظر: التفاصيل في فتوح مصر والمغرب ص (٢٦٢- ٢٦٤).

(٥) ابن الأثير (٤٣/٤- ٤٤).

لقد كان زهير من أقرب المقرّبين إلى عقبة وكان ساعده الأيمن في حروبه وغزواته، فلا عجب أن تجمع آراء ذوي الرأي من المسلمين على اختياره خلفًا لعقبة في فتوح (إفريقية)(١) وأخذ ثارات شهداء (تهوذّة): عقبة وأصحابه، واستنقاذ القيروان ومن بها من المسلمين من كسيلة المتغلب عليها(٢).

هذه التجربة لزهير في إدارة الحروب ومعاناتها، أفادت المسلمين عندما أصبح قائدًا لجيش إفريقية، فخاض معركة حاسمة في (ممس): ذل البربر وفنت فرسانهم ورجالهم وخضدت شوكتهم وقتل رجال البربر والروم وملوكهم وأشرافهم، وفزع أهل إفريقية واشتد خوفهم، فلجأوا إلى الحصون والقلاع، واضمحل أمر الروم فلم يعد لهم شأن يذكر، وخاف البربر من زهير والعرب خوفًا شديدًا، وكسرت شوكة قبيلة (أوربة) القوية المتنفذة في إفريقية كما ذكرنا سابقًا.

وكان قرار زهير الخاص بمطاردة البربر بعد معركة (ممس) قرارًا صائبًا جدًا يدعو إلى التقدير والإعجاب، ولولا تلك المطاردة التي كانت بتماس شديد بالبربر لاستطاع البربر التسلل إلى الجبال والتخلص من الخسائر الفادحة التي لحقت بقواتهم؛ وكان من نتائج تلك المطاردة الموفقة تفويت الفرصة على البربر للتملص من المعركة الخاسرة إلى الجبال، وهم الذين تركوا القيروان إلى (ممس) ليسهل عليهم الإفلات من العرب المسلمين في حالة دحرهم وذلك باللجوء إلى الجبال المحيطة بالمنطقة لتقليل خسائرهم في الأرواح والمواد.

كما كان قرار زهير في البقاء خارج (القيروان) وعدم دخولها. قرارًا صائبًا حقًا، لأن دخول المدينة يؤدي إلى بعثرة قوات المسلمين للدفاع عنها، وبذلك تنقلب خطتهم الهجومية على جيش كسيلة إلى خطة دفاعية، والهجوم وحده لا الدفاع هو الذي يؤدي إلى إحراز الظفر.

---

(١) البيان المغرب (٢٩/١).

(٢) الاستقصا (٨١/١).

أما استعداداته لإنجاز استحضارات جيشه عَدَدًا وعُدَدًا، فقد بلغت حدّ الروعة: أمره عبدالملك بن مروان بالخروج على أعنّة الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو إفريقية، فكتب إلى عبدالملك يخبره بقلة من معه من الرجال والاموال، فأرسل عبدالملك إلى أشراف العرب ليحشدوا إليه الناس من الشام، وأفرغ عليهم أموال مصر[١]، وبذلك طبّق زهير مبدئي (التحشد) و(الأمور الإدارية) على أحسن وجه.

ولكن زهيرًا أخطأ في اصطدامه مع قوات الروم في منطقة (برقة) دون أن يتخذ كل الاجراءات اللازمة لضمان نجاح هذا الاصطدام، فمن الوضح أنه اصطدم مع الروم وهو بقوات قليلة هي قواته المتقدمة الخفيفة؛ فقد عدل هو إلى الساحل في خيل يسيرة[٢]، فوجد أسطول الروم من قبل قيصر وبأيديهم أسرى من المسلمين؛ فاستغاثوا به وهو في خف من أصحابه، فصمد إليهم فيمن معه وقاتل الروم حتى قتل، وقتل معه جماعة من أشراف أصحابه[٣]، فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع، وباشر القتال[٤]... وهذا يدل على أن الفرسان الذين معه كانوا قليلي العدد، وأنهم جماعة متقدمة واجبها الاستطلاع فقط لا القتال؛ ولكنه أنشب القتال خضوعًا لموجة عاطفية عارمة تورّط بتأثيرها هو وأصحابه في قتال غير متوقع في وقت ومكان غير مُناسبين، وكان عليه أن يكبح جماع عاطفته، إذ ليس في إعداد الخطط العسكرية مجال للأمور العاطفية، ويجمع رجاله كافة ويستفيد من كل مقاتل متيسّر، ويُعدّ الخطة للقتال، ويهيئ الأمور الإدارية لقواته، ثم يختار هو الوقت والمكان المناسبين لمهاجمة الروم... عند ذاك تكون فرص نجاحه متهيئة، ويكون قد أعدّ كل متطلبات القتال قبل نشوبه.

وعلى كل، فإن العاطفة الدينية المتأججة حينذاك، ورؤية الرجال والأطفال

---

(١) رياض النفوس (٢٩/١).

(٢) معالم الإيمان (٥٤/١)، وفي رياض النفوس (٣١/١) أنه عدل إلى الساحل بقوات كثيرة.

(٣) الاستقصا (٨١/١).

(٤) ابن الأثير (٤٤/٤).

والنساء أسرى يقادون قسرًا إلى سفن الروم أدى إلى تحمّس رجاله وإقدامهم دون تدبّر وتقدير إلى مهاجمة الروم دون خطة مناسبة ولا قوات كافية، وذلك مما أدى إلى تورّط قواته وتورّطه هو نفسه في معركة خاسرة دفع هو ورجاله حياتهم الغالية ثمنًا لها.

وربما يتبادر إلى الأذهان، السؤال الآتي: كيف نوفِّق بين معرفة زهير بوجود قوات الروم في تلك المنطقة، وكان ذلك من أهم أسباب عودته من (القيروان) إلى (برقة)، وبين إقدامه على التقدم إلى تلك القوات على رأس ثلة من الفرسان فيتورّط في معركة خاسرة؟ ولماذا لم يتدخل القسم الأكبر من جيشه في تلك المعركة في أثناء نشوبها لإنقاذ زهير وفرسانه؟ ولماذا لم يأخذ ذلك الجيش بثأره - في الأقل - بعد استشهاده واستشهاد فرسانه معه؟؟

وأبادر إلى الجواب، بأن مثل هذا السؤال قد يتبادر إلى غير العسكريين، أما العسكريون الذين خاضوا غمار الحروب واصطلوا بنارها، فيقدِّرون أن ما حدث أمر طبيعي جدًا بسبب ظروف الحرب غير الإعتيادية التي قد تفلت أحيانًا من أيدي قادتها فتسير وتتطوّر على غير ما يشتهون.

وإلى أولئك الذين يتبادر إلى أذهانهم مثل هذا السؤال من المدنيين، وإلى العسكريين النظريين غير المجرّبين، أسوق هذا الجواب.

لست أشك أن حامية منطقة (برقة) التي خلفها زهير وراءه لحماية تلك المنطقة من العدو، ولحماية خطوط مواصلاته، لا يمكن أن تكون في ظلام دامس بعيدة عن الأحداث لا تهتمّ بالحصول على المعلومات عن نيّات العدو المتربص بها، فلا بد أن يكون لها مصادر مختلفة مهمتها الحصول على المعلومات عن العدو من البربر والروم: دوريات استطلاعية برّية وبحرية، ومراكب تمخر عباب البحر، وعيون وأرصاد في مختلف الأماكن والأصقاع. بل إذا حصل كل عربي مسلم وكل مسلم مسؤولًا كان أو غير مسؤول على معلومات مفيدة عن العدو، فإنه يرى نفسه

مسؤولًا عند اللَّه وعقيدته وقومه عن إيصال تلك المعلومات إلى المسؤولين بأسرع وقت وبأسرع وسيلة.

هذه الحامية الساهرة لمصالح المسلمين المرابطة دفاعًا عن أرواحهم وأرضهم وكرامتهم وعزّتهم، أنذرت زهيرًا ـ على اعتباره المسؤول الأول عن إفريقية ـ بتحركات الروم من القسطنطينية ومن صقلية، وقد تكون هذه المعلومات ـ خاصة عن تحركات الروم من القسطنطينية ـ وصلت إليها من المشرق أو حصلت عليها بوسائلها الخاصة أو حصل عليها زهير بوسائله الخاصة، فعاد زهير بقواته الضاربة لحماية منطقة برقة المهدّدة بقوات الروم؛ ثم تقدّم زهير على رأس قطعاته الراكبة التي حرص على قيادتها بنفسه ـ وهذا من مميزات القائد الممتاز، إذ يكون دائمًا في الأمام قريبًا من مواطن الخطر ـ تقدم بنفسه لاستطلاع مواضع إنزال الروم، ومعرفة قوتهم وتسليحهم، وذلك لإعداد الخطة المناسبة لمقاومتهم، ولكنه ـ على ما يظهر ـ فوجئ بالمسلمين يقادون قسرًا وهم أسرى إلى مراكب الروم، فاستغاث به هؤلاء، فتورطت جماعة من رجاله خضوعًا لعاطفتهم المتأججة في الاشتباك مع الروم دون خطة مدبرة ولا استعداد مسبّق لخوض المعركة، فكانت الكارثة التي لحقت بزهير وبفرسانه الأبطال.

أما لماذا لم ينجدهم رجالهم الذين يتقدّمون باتجاه العدو. فمن المحتمل أن يكونوا بعيدين عن ساحة المعركة، ومن المحتمل أنهم لم يكونوا بعيدين ولكنهم وصلوا إلى ساحة المعركة بعد فوات الوقت المناسب، ففت استشهاد قائدهم في أعضادهم، فأصبحوا بغير قيادة، وانهارت معنوياتهم، ولا قيمة لجيش بغير قيادة ولا معنويات.

ومن المعلوم أن المعارك الحربية في العصور القديمة قبل اختراع البارود وقبل اختراع الأسلحة الحديثة، يتقرّر مصيرها خلال ساعات قليلة، وقد يكون استشهاد القائد وحده هو العامل المهم في الهزيمة.

ترى! هل نلقى اللوّوم كله على زهير في تورّطه بالاشتباك بالروم دون استعداد كاف وفي وقت ومكان غير مناسبين؟!

إن ظروف الحرب ظروف غير اعتيادية، وشتان ما بين من يجلس إلى مكتبه ليدرس معركة من المعارك فيقرّر وهو آمن مستريح: هذا صحيح وهذا خطأ، وهذا أصاب وهذا أخطأ؛ وبين من يعاني ويلات الحرب ويصطلي بنارها.

إن سير الحوادث في الحرب قد يكون تيارًا عارمًا يجرف القائد دون إرادة منه ويجرف من معه من الرجال.

هكذا كانت خاتمة حياة زهير، إذ استشهد استشهادًا لا يقلّ روعة وجلالًا عن استشهاد عقبة بن نافع الفهري، فأثار مصرعه ثائرة العرب المسلمين، وحفّزهم إلى مواصلة الفتح لإدراك ثأر زهير وأصحابه. وقد كان لمقتله على يد الروم أثر عظيم في مسير الفتوح، إذ كان زهير قد حسب ـ بعد قتله كسيلة ـ أن كل مقاومة للبلاد قد خمدت، وأن البلاد أصبحت آمنة مطمئنة، فكان مقتل زهير منبهًا للعرب إلى ما ينجم عن ترك الروم من خطر، وإلى ما يمكن أن يسبّبوه للعرب من المتاعب إذا تركوا في مدائن الساحل يستعيدون ما ضاع من قوتهم، ويستمدون العون من بيزنطة نفسها. وكما كان مصرع عقبة محددًا لمهمة زهير، كان مقتل زهير محددًا لمهمة حسان بن النعمان ـ من بعده ـ فأنفق ما قدر عليه من جهد في القضاء على الروم، حتى تمكن من ذلك تمامًا[1].

وهكذا كانت حياة زهير الغالية بركة على المسلمين عامة وعلى فتح إفريقية خاصة؛ وكانت خاتمة حياته المشرّفة، بركة على المسلمين عامة وعلى فتح إفريقية خاصة.

لقد كان من نتائج استشهاده تكامل الفتح الإسلامي في إفريقية، فأصبحت

---

(١) فتح العرب للمغرب ص (٢٢٩- ٢٣٠).

تلك البلاد إسلامية كما هو الحال في مصر وأرض الشام والعراق وغيرها من البلاد، وأصبح الفتح الإسلامي في إفريقية فتحًا مستدامًا كما هو الحال في تلك الأقطار.

لقد كان زهير مجاهدًا قائدًا، يتَّسم بكل ما يتسم به المؤمن المجاهد من مزايا التضحية والفداء من أجل إعلاء كلمة اللَّه وهو كما قال: «**إنما قدمت للجهاد ولم أقدم لحب الدنيا**»[1]، ولعلّ إيمانه العميق بالجهاد حبب إليه الاستشهاد وجعله يستأثر بالخطر دون أصحابه، فيكون دائمًا قريبًا من مواطن الخطر طلبًا لما عند اللَّه من أجر للشهداء، وكان يحب رجاله ويحبونه ويثق بهم ويثقون به لما كان يتمتع به من ماض مجيد في الجهاد. وكان ذا تجربة طويلة عملية للحروب، مارسها منذ قدر على حمل السلاح حتى يوم استشهاده، فكان مجاهدًا من المهد إلى اللحد كما يقولون. وكان في حروبه يطبِّق مبدأ (التحشد) ومبدأ (التعرض) ومبدأ (الأمور الإدارية)، فكانت استعداداته للقتال ممتازة حقًّا.

لقد كان من أولئك الذي نذروا أنفسهم لعقيدتهم، فسقط أخيرًا في ساحات القتال دون أن يسقط السيف من يده.

❑ زهير في التاريخ:

يذكر التاريخ لزهير استنقاذه القيروان ومن بها من المسلمين من يد كسيلة المتغلب عليها.

ويذكر له، أنه كان نعم المطالب بدم عقبة بن نافع الفهري، وهو الذي أخذ ثأر عقبة من قاتله كسيلة، فهو الذي قتل كسيلة وقتل عددًا ضخمًا من رجاله وفرسانه ورجال حلفائه الروم وفرسانهم.

ويذكر له أنه انتصر في معركة حاسمة على البربر في «**ممس**» ففزع منه أهل

---

(١) رياض النفوس (١/ ٣٠).

إفريقية واشتد خوفهم فلجأوا إلى الحصون والقلاع.

ويذكر له، أنه ضحى بنفسه من أجل عقيدته ولم يضح بعقيدته من أجل نفسه.

رضِي اللّه عن الصحابي الجليل، التقي النقي، المؤمن الورع، البطل الشهيد، القائد الفاتح زهير بن قيس البَلَوِي[١].

* * *

(١) قادة فتح المغرب العربي لمحمود شيت خطّاب.

(٤٤١) رُوَيْفِع بن ثابت الأنصاري النجاري[١] رضي الله عنه فاتح جزيرة جَرْبة[٢] من تونس

هو الصحابي رُوَيفع بن ثابت بن السكن بن عديّ بن حارثة، من بني مالك بن النجار يُعَدُّ في المصريين، نال شرف الصحبة والجهاد مع رسول اللّه ﷺ فقد جاهد تحت لواء النبي ﷺ في غزوة حُنين كما سيأتي أو غزوة خيبر وما بعدها من المشاهد كما في أسد الغابة.

قال الليث بن سعد: في سنة ست وأربعين أمّر معاوية رويفع بن ثابت على طرابلس مدينة بالمغرب، فغزا منها إفريقية سنة سبع وأربعين[٣].

❑ جهاده:

كانت أرض الشام ميدان جهاد رويفع، وسار تحت لواء عمرو بن العاص لفتح مصر وليبيا والنوبة، كما شهد معارك الفتوح التي خاضها عبداللّه بن أبي سرح لفتح إفريقية ومعاوية بن حُدَيْج السَّكوني لفتح المغرب.

وفي سنة خمس وأربعين الهجرية[٤] غزا معاوية بن حُدَيْج السكوني المغرب فاستعاد فتح طرابلس وكان معه في جهاده رويفع بن ثابت. وترك معاوية رويفع بن ثابت واليًا عليها سنة ست وأربعين الهجرية[٥] فغزا منها إفريقية (تونس) ودخلها

(١) أسد الغابة ت (١٧١٧)، والاستيعاب ت (٧٩٠)، والإصابة ت (٢٧٠٥).

(٢) جَرْبة: جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية (تونس) قرب قابس، كان يسكنها البربر. انظر: معجم البلدان (٣/٧٣- ٧٤).

(٣) أسد الغابة (٢/٢٩٨).

(٤) رياض النفوس (١/١٧)، والبيان المغرب (١/١٧)، والاستقصا (١/٦٩).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٩٢)، والإصابة (٢/٤١٦)، وأسد الغابة (٢/٢٩٨).

سنة سبع وأربعين الهجرية[١]، وفتح جزيرة «**جربة**» التي كان يسكنها البربر، ثم انصرف من عامه إلى طرابلس مقر عمله.

قال ابن البرقي: توفي ببرقة وهو أمير عليها. وقال ابن يونس: مات سنة ست وخمسين، وهو أمير عليها من قِبل مَسلمة بن مخلد[٢]. وقبره مشهور في الجبل الأخضر ببرقة[٣] في مدينة «**البيضاء**»[٤] وهو آخر من توفى من الصحابة هناك[٥].

❑ **الإنسان:**

كان رويفع صاحبيًا جليلًا لم يشارك في الفتنة بين علي ومعاوية ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ بسيفه أو بلسانه، وبقى مستقرًا بمصر حتى انقشعت الغمة وعادت الوحدة بين المسلمين.

ولقد كان رضي الله عنه من أصحاب الفتيا من الصحابة[٦]، وروى عن النبي ﷺ ثمانية أحاديث منها ما رواه عنه حنش الصنعاني.

عن حنش الصنعاني عن رويفع بن ثابت الأنصاري، قال: قام فينا خطيبًا، قال: أما إني لا أقول لكم إلّا ما سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول يوم حنين، قال: «**لا يحل لامرئ يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يَسقي ماءَهُ زرعَ غيره**» ـ يعني إتيان الحُبالى ـ «**ولا يحل لامرئ يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحل لامرئ يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يبيع مَغْنمًا حتى يُقسم، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا**

---

(١) الاستيعاب (٢/٥٠٤)، وأسد الغابة (٢/٢٩٨)، وشذرات الذهب (١/٥٥).

(٢) الإصابة (٢/٤١٧).

(٣) الأعلام للزركلي (٣/٦٥).

(٤) البيضاء: مدينة في ليبيا تقع بين بني غازي ودرنة. المسافة بينها وبين بني غازي ٢٠٠ كم، وبينها وبين درنة ١٠٠ كم.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات.

(٦) أصحاب الفتيا من الصحابة ـ ملحق بجوامع السيرة مع السيرة لابن حزم ص (٢٨٦).

أعجفها رَدّها فيه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوبًا من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّ فيه[(١)]».

وفي «**أسد الغابة**» عن حنش الصنعاني قال: غزونا مع رويفع بن ثابت المغرب، فافتتح قرية يُقال لها «**جربة**». فقام خطيبًا فقال: لا أقول لكم إلا ما سمعت رسول الله ﷺ يقول فينا يوم خيبر.

❑ **القائد:**

بذل رُوَيْفِع قصارى جهده مجاهدًا في سبيل الله في ميادين أرض الشام ومصر والمغرب العربي.

وقد شهد معارك كثيرة بريّة وبحريّة، فقد سار بجيشه بحرًا إلى جزيرة «**جربة**» وفتحها، وقضى على فساد أهلها، ونشر فيهم الدين الحنيف، وضمهم إلى البربر المسلمين.

وكان شجاعًا مقدامًا كامل العقل طويل التجربة، مأمون النقيبة، بصيرًا بتدبير الحرب ومواضعها، حسن التعبئة لأصحابه في أحوال التعبئة، حسن السيرة عفيفًا صارمًا حذِرًا متيقّظًا سخيًا.. لقد كان قائدًا ممتازًا.

يذكر التاريخ لرويفع أنه قضى حياته كلها مجاهدًا وإداريًا، ورافق أعلام الفتح الإسلاميّ من مبدأ سيرها إلى أرض الشام من المدينة المنورة، إلى نهاية مستقرها في المغرب العربي.

ويُذكر أنه من الدعاة الأوائل الذين نشروا الإسلام في أرض الشام ومصر والمغرب عامة، وفي البربر خاصة.

ويذكر له أنه فتح قرية جربة، ومات بعيدًا عن أهله فاستقرت نفسه مطمئنة في

---

(١) حسن: رواه أبو داود في السنن (٦٥٤/١) كتاب النكاح باب في وطء السبايا حديث رقم (٢١٥٨)، وأحمد في المسند (١٠٨/٤)، (٣٨٥/٦)، وابن عساكر (٣٠/٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (١٨٩٠، ١٨٩١).

سفوج الجبل الأخضر من أرض ليبيا في برقة حيث لا يزال أهلها يذكرونه بالتقدير والإكبار.

إنه نسى نفسه من أجل عقيدته والمصلحة العامة العليا، فذكره الناس في أيامه ولا يزالون.

رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، الإداريّ الحازم، التقى النقيّ، الفارس البطل، القائد الفاتح رُوَيفع بن ثابت الأنصاري النجاري[1].

* * *

---

(١) قادة فتح المغرب العربي ص (١٥٥- ١٥٦).

قَادةٌ آخَرُون

(٤٤٢) الضخم من قضاعة
أبو عبدالرحمن ذو الشكوة[١] القيني رضي الله عنه

أبو عبدالرحمن ذو الشّكوة القيني. من بني القين. واسمه النعمان بن أسد بن فروة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

ذكر ابن مندة، عن أبي سعيد بن يونس أن له صحبة. وروى عنه أبو عبدالرحمن الحُبْلى[٢].

ذكره أحمد بن يحيى البلاذري، قال: قال ابن الكلبي أنه كان يُقال له ذو الشوكة؛ لأنه كانت له شوكة إذا قاتل لا يفارقها، قال: وكان جسيمًا، وشهد فتوح الشام، فقاتل مع أبي عُبيدة يوم أجنادين، وأبلى فيها بلاء حسنًا، فقتل ثمانية من الروم، فقال أبو عبيدة يُنوِّه به.

افعل كفِعْل الضخم من قضاعة بطاعة[٣] اللّه ونعم الطاعة

ذكر خليفة وغيره أن معاوية بن أبي سفيان ولّاه غزو الروم، فغزا أنطاكية من سنة خمس وأربعين إلى سنة ثمان وأربعين[٤].

قال خليفة بن خياط: سنة سبع وأربعين شَتَّى أبو عبدالرحمن القيني في أنطاكية[٥].

---

(١) أسد الغابة ت (٦٠٧٣)، والإصابة ت (١٠٢/٤)، وتاريخ ابن عساكر (٦٧/٥٧) ت (٨٦٧٢)، وتاريخ خليفة ص (٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) الإصابة (٢١٤/٧).

(٣) في «تاريخ دمشق»: في طاعة الله.

(٤) الإصابة (٢٢٠/٧).

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ص (٢٠٨).

وقال ابن الأثير في «**الكامل**»[١]: «ثم دخلت سنة سبع وأربعين، في هذه السنة كان مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم، ومشتى أبو عبدالرحمن القيني بأنطاكية».

وقال خليفة بن خياط[٢]: سنة ثمان وأربعين، قال ابن الكلبي: فيها شتّى أبو عبدالرحمن القيني في أنطاكية.

وعن زيد بن ذعبلة البهراني أن معاوية بن أبي سفيان شتى في سنة سبع وثمان يعني وأربعين أبا عبدالرحمن القيني[٣].

وذكر ابن الأثير في «الكامل»[٤] في أحداث سنة ثمان وأربعين: «**فيها كان مشتى أبو عبدالرحمن القيني بأنطاكية**».

فرضي اللَّه عنك.. ولله درك من ضخم تقتل العلوج الضخام فيثنى عليك وينوّه بذكرك أمين هذه الأمة..

وكُنّا عظامًا فصرنا عِظاما وكُنّا نقوت فها نحن قوت

قال رسول اللَّه ﷺ لجليبيب حين قتل سبعة ثم قتلوه «هذا مني وأنا منه»[٥] فكيف لو رآك رسول اللَّه ﷺ وأنت تجندل ثمانية من الروم، ثم بعد ذلك تتولى غزو بلادهم..

❊ ❊ ❊

---

(١) الكامل (٣/٣١١).

(٢) تاريخ خليفة ص (٢٠٩).

(٣) تاريخ ابن عساكر (٦٧/٥٨).

(٤) الكامل (٣/٣١٣).

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٧٢).

(٤٤٣) الصحابي أنس بن العباس بن أنس السلمي[١] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

هو أنس بن عباس بن أنس بن عامر بن حي[٢] بن رعل بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة[٣] بن سليم بن منصور السلمي ثم الرعلى.

أسلم والده العباس، وكان رئيس بني سُلَيم، وكان موته في زمن النبي ﷺ اثنى عليه خُفَاف بن نُدْبة السلمي لما مات، فقال: كان يتقي بخيله عند الموت، ولا يُكالب الصعاليك على الأسلاب، ولا يقتل الأسرى. قال المرزباني في «**معجم الشعراء**»: هو العباس بن رَيطة وهي والدته، وكان ربما يُنسب إليها. وأنشد له قوله:

وأهلكني أن لا يزالُ يَكيدُني ... أخو حَنَقٍ في القوم حَرّاب عامرُ
أكُبُّ إذا ما الخيلُ كانت كأنها ... قنابلُ يملؤُها قَنا متواتِرُ[٤]

وابن أنس هو رَزين وله ذكر، قال ابن حجر: فإن صَحّ فهم ثلاثة في نسق صحابة: رَزِين بن أنس بن عباس.

قدم أنس بن عباس على رسول اللَّه ﷺ عام الفتح في سبع مئة من بني سُلَيم، فيهم عباس بن مِرْداس، وراشد بن عبد ربه، فأسلموا[٥]، وقالوا اجعلنا في مقدمتك، واجعل لواءنا أحمر، وشعارنا مقدم، ففعل ذلك بهم، فشهدوا معه الفتح والطائف وحُنينًا[٦].

---

(١) الإصابة ت (٢٧١)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢٤/٩) ت (٨٢٧).
(٢) عند ابن عساكر: حتى، في جمهرة ابن حزم ص (٢٦٢) «جبير».
(٣) عند ابن عساكر: «نهبة».
(٤) الإصابة (٥١٠/٣).
(٥) الإصابة ٢٧٤/١
(٦) تاريخ دمشق (٣٢٤/٩).

قال ابن حجر في الإصابة: «ذكر سيف في «**الفتوح**» أنه كان أميرًا على ساقة خيل العراق؛ إذ صرفهم إليها أبو عبيدة بعد فتح دمشق بأمر عمر، فشهد القادسية. وذكر ابن عساكر فيمن شهد «اليرموك»[(١)] قال ابن عساكر: كان من الجيش الذي أمدّ بهم عمر أهل القادسية ممن شهد اليرموك.

قال سيف بن عمر: «لما قدم على أبي عبيدة كتاب عُمَر بصرف أهل العراق وأصحاب خالد، سرّح الجيش: خمسة آلاف من ربيعة ومُضَر، وألف من أفناء اليمن من أهل الحجاز، وأمّر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو فعجّله أمامه، وجعل على مجنبته قيس بن هبيرة المرادي، وعلى المجنبة الأخرى الهزهاز بن عدي[(٢)] العجلي، وعلى الساقة أنس بن عباس»[(٣)].

❊ ❊ ❊

(١) الإصابة (١/٢٧٤).
(٢) وعند الطبري: عمرو بدلًا من عدي.
(٣) تاريخ دمشق بن عساكر (٩/٣٢٥- ٣٢٦).

(٤٤٤) الصحابي الهَزْهاز بن عمرو العجلي رضي الله عنه

شهد اليرموك والقادسية، ذكر الطبري أن أبا عبيدة أَمَّره بأمر عمر على إحدى المجنّبتين لما أرسل الخيل إلى العراق، فقدموا في اليوم الثاني من أيام القادسية على سعد بن أبي وقاص. وقد تقدّم أنهم كانوا لا يُؤمرون في الفتوح إلا الصحابة[١].

* * *

(٤٤٥) السيد بن السيد قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عُبادة بن دُليم بن حارثة بن أبي حَزِيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، الأمير المجاهد، أبو عبدالله، سيد الخزرج وابن سيدهم أبي ثابت، الأنصاري الخزرجي الساعديّ صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه.

مختلف في كنيته؛ فقيل أبو الفضل، وأبو عبدالله، وأبو عبدالملك، وذكر ابن حبان أن كنيته أبو القاسم. وأمه بنت عم أبيه؛ واسمها فكيهة بنت عُبيد بن دُليم[٢] قال عمرو بن دينار: كان قيس ضخمًا حسنًا طويلًا إذا ركب الحمار خطّت رجلاه الأرض..

أخرج البغوي من طريق ابن شهاب؛ قال: كان قيس حامل راية الأنصار مع

---

(١) الإصابة (٦/٤٢٠- ٤٢١) ت (٨٩٧٨).

(٢) الإصابة (٥/٣٥٩- ٣٦١) - (٧١٩٢)، وأسد الغابة ت (٤٣٥٤)، والاستيعاب ت (٢١٥٨)، وطبقات ابن سعد (٦/١٢١- ١٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٣/١٠٢)، وتاريخ دمشق لابن عساكر ت (٥٧٥٦) (٤٩/٣٩٦).

رسول اللَّه ﷺ، وكان من ذوي الرأي من الناس[١].

وقال أحمد بن البرقي: كان صاحب لواء النبي ﷺ في بعض مغازيه[٢] «وشهد مع رسول اللَّه ﷺ المشاهد، وأخذ النبي ﷺ يوم الفتح الراية من أبيه، فدفعها له».
قال أبو عمر: كان أحد الفضلاء الجلّة من دهاة العرب من أهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والسخاء، والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافع، وكان أبوه وجده كذلك.

وعن ثعلبة بن مالك القرظي أن قيس بن سعد الأنصاري رضي الله عنه وكان صاحب لواء رسول اللَّه ﷺ أراد الحج فرجّل[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**إن قيس بن سعد كان يكون بين يدي النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير**»[٤].

وأخرج البخاري في «**التاريخ**» من طريق خريم بن أسد قال: رأيت قيس بن سعد وقد خدم النبي ﷺ عشر سنين.

وعن قيس بن سعد رضي الله عنه قال: لولا أني سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**المكر والخديعة في النار**»[٥] لكنت من أمكر هذه الأمة.

وقال رضي الله عنه: لولا الإسلام، لمكرتُ مكرًا لا تطيقه العرب[٦].

قال الذهبي: وجُود قيس يُضرب به المثل، وكذلك دهاؤه[٧].

---

(١) الإصابة (٣٥٩/٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠٣/٣). (٣) أخرجه البخاري (٢٩٧٤).
(٤) أخرجه البخاري (٧١٥٥)، والترمذي (٣٨٥٠).
(٥) لا بأس به: أخرجه بن عدي في «الكامل» بسند قال فيه الحافظ في «الفتح» (٢٩٨/٤): لا بأس به. وأخرجه الطبراني في «الصغير» من حديث ابن مسعود، والحاكم في «المستدرك» من حديث أنس، وإسحاق بن راهوية في «مسنده» من حديث أبي هريرة، وفي إسناد كل منها مقال، لكن مجموعها يدل على أن للمتن أصلا فهو حسن».
(٦) سير أعلام النبلاء (١٠٨/٣)، والإصابة (٣٦١/٥).
(٧) سير أعلام النبلاء (١٠٧/٣).

● وقد نحر قيس في سرية الخَبَطَ أو غزوة سيف البحر:

«بعث رسول اللَّه ﷺ أبا عبيدة في سرية فيها المهاجرون والأنصار، وهم ثلاث مئة، إلى ساحل البحر إلى حي من جهينة، فأصابهم جوع شديد، فأمر أبو عبيدة بالزاد فجُمع؛ حتى كانوا يَقْتسمون التمرة، فقال قيس بن سعد: من يشتري مني تمرًا بجزُر، يوفيني الجزر هاهنا وأوفيه التمر بالمدينة، فجعل عمر يقول: يا عجبًا لهذا الغلام، يدين[1] في مال غيره، فوجد رجلًا من جُهينة، فساومه، فقال: ما أعرفك! قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دُليم. فقال: ما أعرفني بنسبك، أما إن بيني وبين سعد خلّة سيد أهل يثرب، فابتاع منه خمس جزائر، كل جزور بوسق مِن تمر، وأشهد له نفرًا. فقال عمر: لا أشهد، هذا يدين ولا مال له، إنما المال لأبيه، فقال الجهني. واللَّه ما كان سعد ليُخْنى[2] بابنه في شِقّةٍ من تمر، وأرى وجهًا حسنًا، فنحرها لهم في ثلاثة مواطن، فلما كان اليوم الرابع، نهاه أميره، وقال: تريد أن تخرب ذمتك ولا مال لك.

قال رافع بن خديج: بلغ سعدًا ما أصاب القوم من المجاعة، فقال: إن يك قيس كما أعرف، فسوف ينحر للقوم، فلما قدم، قص على أبيه، وكيف منعوه آخر شيء من النحر، فكتب له أربع حوائط أدنى حائط[3] منها يجد[4] خمسين وسقا. فقيل إن النبي ﷺ لما بلغه، قال: «**أما إنه في بيت جود**».

قال جُوَيرية: كان قيس يستدين ويُطعِم، فقال ابو بكر وعمر: إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه، فمشيا في الناس، فقام سعد عند النبي ﷺ وقال: من يَعْذرني من ابن أبي قحافة وابن الخطاب يُبخّلان على ابني.

وذكر أبو صالح السمان أن قيس بن سعد نحر لهم ـ يعني في تلك الغزوة عدة

(١) ادّان ويدين: بمعنى واحد، أي أخذ الدين واقترض.

(٢) ليُخْني: أي يسلمه ويخفر ذمته.

(٣) الحائط: هو البستان من النخيل إذا كانَ عليه حائط وهو الجدار.

(٤) يجد: من الجداد وهو قطع الثمرة. والمعنى: أقل بستان منها يعطي من الثمار خمسين وسقا.

جزائر. وقد جوّد ابن عساكر طرقه[١].

واستعمله النبي ﷺ على الصدقة.

وكان رضي الله عنه يقول: اللهم ارزقني مالًا، فإنه لا يصلح الفعال إلّا بالمال[٢].

قال عروة: باع قيس بن سعد مالًا من معاوية بتسعين ألفًا، فأمر مناديًا فنادى في أهل المدينة: مَن أراد القرض فليأت منزل سعد، فأقرض أربعين أو خمسين وأجاز بالباقي، وكتب على من أقرضه صكًّا، فمرض مرضًا قلّ عوّاده، فقال لزوجته قريبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر، يا قريبة لم ترينّ قلّ عُوّادي؟ قالت: للذي لك عليهم من الدَّيْن، فأرسل إلى كل رجل بصكِّه[٣].

قال سفيان: أقرض قيس بن سعد رجلًا ثلاثين ألفًا فجاء يقضيه فقال له قيس: إنا قوم إذا أعطينا شيئًا لم نرجع فيه[٤].

وعن يحيى بن سعيد قال: كان قيس بن سعد يُطعم الناس في أسفاره مع النبي ﷺ ، وكان إذا نفد ما معه تديَّن، وكان ينادي في كل يوم؛ هلمُّوا إلى اللحم والثريد[٥].

قال أبو سعيد بن يونس: قيس بن سعد بن عبادة: شهد فتح مصر[٦] وقال الخطيب البغدادي عنه: كان شجاعًا بطلًا كريمًا، سخيًّا، وحمل لواء رسول اللَّه ﷺ في بعض مغازيه، وولّاه علي بن أبي طالب إمارة مصر، وحضر معه حرب الخوارج بالنهروان، ووقعة صفين، وكان مع الحسن بن علي على مقدمته بالمدائن، ثم لما صالح الحسن معاوية وبايعه دخل قيس في الصلح وتابع الجماعة، ورجع إلى

---

(١) انظر: روايات هذا الحديث في «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩/٤٠٩- ٤١٥).

(٢) الإصابة (٥/٣٦٠).

(٣) تاريخ ابن عساكر (٤٩/٤١٨).

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ ابن عساكر، وسير أعلام النبلاء (٣/١٠٦).

(٦) تاريخ ابن عساكر (٤٩/٤٠٢).

المدينة فتوفى بها[١].

وقيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يعرف قدره إلا الرجال، فقد قال معاوية لمروان والأسود بن أبي البَخْتري بعدما ارتحل قيس إلى عليّ من المدينة، فجعله عليّ على مقدمة جيشه، فقال معاوية: أمددتما عليًّا بقيس؟ والله لو أمددتماه بمئة ألف مقاتل، ما كان بأغيظ عليّ من إخراجكما قيسًا إليه[٢]. وفي الصحيح من سيرته غنًى.

أما ما جاء في القصص أن ملك الروم أرسل إلى معاوية أن ابعث إليّ بسراويل أطول رجل من العرب، فقال لقيس بن سعد: ما نظننا إلّا قد احتجنا إلى سراويلك، فقام فتنحّى فجاء بها، فألقاها إلى معاوية، فقال: يرحمك الله، وما أردت إلى هذا؟ ألا ذهبت في بيتك فبعثت بها؟ فأنشأ يقول:

أردت بها كيْ يعلمَ الناس أنها ... سراويل قيْس والوفود شهودُ
وأن لا يقولوا غاب قيْسٌ وهذه ... سراويل عاديّ نَمَتْه ثمودُ
وإني من الحي اليماني لسَيِّدٌ ... وما الناس إلا سيدٌ ومسودُ
فَكِدْهم بمثلي إنْ مثلي عليهم ... شديد وخُلقي في الرجال شديدُ[٣]

قال ابن عبدالبر في الاستيعاب معلِّقًا: خبره في السراويل عند معاوية كذب وزور مختلق ليس له إسناد ولا يشبه أخلاق قيس ولا مذهبه في معاوية ولا سيرته في نفسه ونزاهته، وهي حكاية مفتعلة وشعر مزور» والله أعلم.

* * *

(١) تاريخ بغداد للخطيب (١/١٧٧- ١٧٨)، وتاريخ ابن عساكر (٤٩/٤٠٣- ٤٠٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/١١٠)، وتاريخ دمشق (٤٩/٤٢٨).
(٣) تاريخ دمشق (٤٩/٤٣١).

(٤٤٦) بشر بن عِصمة المُزَني رضي الله عنه

قال ابن عبدالبر عنه أنه وبشر بن عصمة الليثي واحد. وقال ابن حجر في «الإصابة»: والصحيح أنه غيره. وسمّاه ابن عساكر بشر بن عِصمة المُزّيّ - من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وجهه أبو عبيدة قائدًا لخيل وجّهها من مرج الصُّفر إلى فِحْل بعد معركة اليرموك[١]. وذكر سيف أنه كان أحد الأمراء الذين وجّههم أبو عُبيدة إلى فخذه، لكل منهم صُحبة[٢].

***

(٤٤٧) المهاجر بن أبي أمية المخزومي[٣] رضي الله عنه وأثره الكبير في قتال المرتدين

المهاجر بن أبي أمية بن عبداللَّه بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي شقيق أم المؤمنين أم سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -.

قال الزبير: شهد بدرًا مع المشركين، وقُتِل أخواه يومئذ: هشام ومسعود؛ وكان اسمه الوليد فغيّره النبي ﷺ.

وكان المهاجر قد تخلّف عن رسول اللَّه ﷺ بتبوك فرجع رسول اللَّه ﷺ وهو عاتب عليه فبينما أم سلمة تغسل رأس النبي ﷺ قالت: كيف ينفعني عيش وأنت عاتب على أخي؟ فرأت منه رِقّة فأومأت إلى خادمها فدعته فلم يزل بالنبي ﷺ يذكر عذره حتى عذره ورضي عنه واستعمله على كندة. فتوفى النبي ﷺ ولم يسر

(١) تاريخ دمشق (١٠/٢٤٢) ت (٨٩٢)، وأسد الغابة (١/٣٨٨) ت (٤٣٤).
(٢) الإصابة (١/٤٣٣) ت (٦٦٩).
(٣) الإصابة (٦/١٨٠) ت (٨٢٧١)، وأسد الغابة ت (٥١٣٤)، والاستيعاب ت (٢٥٣١).

إلى عمله ثم سار بعده، فبعثه أبو بكر بعد إلى قتال من باليمن وكتب زياد بن لبيد ـ وكان قد ولي صدقات بني عمرو بن معاوية من كندة إلى المهاجر يستحثه، فلقيه الكتاب بالطريق، فاستخلف على الجند عكرمة بن أبي جهل وتعجّل في سرعان الناس وقدم على زياد، وسار إلى كندة فالتقوا بمحجر الزُّرقان فاقتتلوا فانهزمت كندة وقُتِلت، وخرجوا هرابًا فالتجؤوا إلى النُّجيْر[1]، وقد رَمّوه وأصلحوه.

وسار المهاجر فنزل عليهم واجتمعت كندة في «النجير» فتحصّنوا به فحصرهم المسلمون، وقدم إليهم عكرمة فاشتد الحصر على كِندة، وتفرّقت السبايا في طلبهم، فقتلوا منهم، وخرج مَن بالنجير من كِندة وغيرهم فقاتلوا المسلمين فكثر فيهم القتل، فرجعوا إلى حصنهم، وخشعت نفوسهم، وخافوا القتل، وخاف الرؤساء على نفوسهم، فخرج الأشعث بن قيس ومعه تسعة نفر، فطلبوا من زياد أن يؤمنهم وأهليهم على أن يفتحوا له الباب فأجابهم إلى ذلك وقال: اكتبوا ما شئتم، ثم هلموا الكتاب حتى أختمه. ففعلوا، ونسى الأشعث أن يكتب نفسه لأن جحدمًا وثب عليه بسكين، فقال: تكتبني أو أقتلك فكتبه، ونسى نفسه، ففتحوا الباب، فدخل المسلمون فلم يدعوا فيه مقاتلًا إلا قتلوه وضربوا أعناقهم صبرًا وأخذوا الأموال والسبي، فلما فرغوا منهم، دعا الأشعث أولئك النفر والكتاب معهم فعرضهم فأجاز مَن في الكتاب فإذا الأشعث ليس منهم، فقال المهاجر: الحمد لله الذي خطأك نوءك يا أشعث[2] يا عدو الله، قد كنتُ أشتهي أن يخزيك الله. وشَدَّه كتافًا وهَمّ بقتله، فقيل له: أخِّره وسَيِّره إلى أبي بكر فهو أعلم بالحكم فيه، فسيّره إلى أبي بكر مع السبي.

وقيل: إن الحصار لما اشتد على مَنْ بالنجير نزل الأشعث إلى المهاجر وزياد والمسلمين فسألهم الأمان على دمه وماله حتى يقدموا به على أبي بكر فيرى فيه

---

(١) حصن لكِندة.

(٢) كان قد ارتد، ثم عاد إلى الإسلام.

رأيه، على أن يفتح لهم النجير، ويسلم إليهم مَنْ فيه، وغدر بأصحابه، فقبلوا ذلك منه، ففتح لهم الحصن فاستنزلوا مَن فيه من الملوك، فقتلوهم، وأوثقوا الأشعث، وأرسلوه مع السبي إلى أبي بكر، فكان المسلمون يلعنونه ويلعنه سبايا قومه، وسمّاه نساء قومه «**عرف النار**» وهو اسم الغادر عندهم، فلما قدم المدينة قال له أبو بكر: ما تراني أصنع بك؟ قال: لا أعلم. قال: فإني أرى قتلك. قال: فإني أنا الذي راوضت القوم في عشرة فما يحلّ دمي. قال: أفوضوا إليك؟ قال: نعم، قال: ثم أتيتهم بما فوضوا إليك فختموه لك قال: نعم قال: إنما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها، وإنما كنت قبل ذلك مراوضًا.

فلما خشي القتل قال: أو تحتسب في خيرًا فتطلق إساري، وتُقيل عثرتي، وتفعل بي مثل ما فعلت بأمثالي وتردّ عليّ زوجتي؟ وقد كان خطب أم فروة أخت أبي بكر، فلما قدم على النبي ﷺ أَخّرها إلى أن يقدم الثانية فمات النبي ﷺ وارتد - فإن فعلت ذلك تجدني خير أهل بلادي لدين الله.

فحقن دمه وردّ أهله وأقام بالمدينة حتى فتح العراق»[1].

فلله درّ المهاجر فكم كان له أعظم الأثر في قتال المرتدين بكِندة والنكاية بهم.

* * *

(١) «الكامل» لابن الأثير (٢/٣٣، ٢٣٥- ٢٣٦).

(٤٤٨) حنظلة بن الطفيل السلمي[١] رضي الله عنه فاتح حمص

بعثه أبو عبيدة بن الجرّاح حين توجه من دمشق إلى حمص فتولي فتح حمص.

ذكره يعقوب بن سفيان في تاريخه، قال: حدثنا عمار، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: وبعث فيها ـ يعني سنة خمس عشرة ـ أبو عبيدة بن الجرّاح حَنظلة بن الطفيل السُّلَمي إلى حمص ففتحها اللَّه على يديه.

قال ابن حجر في «الإصابة»: «قلت: وقد تقدّم غير مرّة أنهم كانوا لا يُؤمِّرون إلا الصحابة».

* * *

(٤٤٩) ريبال بن عمرو رضي الله عنه

قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»: «ذكره سَيْف في «الفتوح»، وذكر له مقامات مشهورة فيها، وذكر الطبراني أنه كان من أمراء سعد بن أبي وقاص في القادسية. وقد قدّمنا غير مرّة أنهم لم يكونوا يؤمِّرون إلا الصحابة[٢]».

(٤٥٠) زَمْعَة بن الأسود القرشي[٣] رضي الله عنه

«زَمْعَة بن الأسود بن عامر القرشي، مِن بني عامر بن لؤي.

ذكره أبو إسماعيل الأزديّ في «فتوح الشام»، فقال في تسمية مَنْ عقد له

---

(١) الإصابة (٢/١١٨- ١١٩) ت (١٨٦٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٥/٣٣٢- ٣٣٣). ت (١٨٢٣). والخبر في تاريخ الطبري في حوادث سنة ١٤هـ.

(٢) الإصابة (٢/٤١٨) ت (٢٧١٣).

(٣) الإصابة (٢/٤٦٨- ٤٦٩) ت (٢٨٢٢).

أبو بكر الصدّيق من أمراء الأجناد: ودعا زمعة بن الأسود بن عامر من بني عامر بن لؤي، فعقد له، ثم قال: أنت مع يزيد بن أبي سفيان، ثم أمر يزيد أن يولّيه مقدمته، وقال: إنه من صلحاء قومك، ومن الفرسان. انتهى وقد ذكرنا غير مرة أن من كان في عصري أبي بكر وعمر رجلًا، وهو من قريش؛ فهو على شرط الصحبة؛ لأنه لم يبق بعد حجّة الوداع منهم أحد على الشّرك، وشهدوا حجة الوداع مع النبي ﷺ، وذكرنا أيضًا أنهم كانوا لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة»[1].

❊ ❊ ❊

(٤٥١) الصحابي الكبير شيخ المقرئين والفرضيين، صاحب راية بني النّجار في غزوة تبوك زيد بن ثابت النجاري رضي الله عنه

الإمام الكبير، شيخ المقرئين، والفَرضيين، مفتي المدينة أبو سعيد وأبو خارجة، الخزرجي النجاري الأنصاري كاتب الوحي زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لُوذان بن عمرو بن عبدعوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة. وأمه النوار بنت مالك بن صرمة من ملاق بن عدي النجارية. وقد قُتل أبوه قبل الهجرة يوم بُعاث، فربيٍّ زيد يتيمًا. ولما هاجر النبي ﷺ أسلم زيد، وهو ابن إحدى عشرة سنة.

قال ابن سعد: وَلَد زيد بن ثابت: سعيدًا، وبه كان يُكنى، وأمه أم جميل.

وولد لزيد: خارجة، وسليمان، ويحيى، وعمارة، وإسماعيل، وأسعد، وعبادة، وإسحاق، وحسنة، وعمرة، وأم إسحاق، وأم كلثوم وأم هؤلاء أم سعد ابنة سعد بن الربيع.

ووُلد له: إبراهيم، ومحمد، وعبدالرحمن، وأم حسن، من عمرة بنت معاذ بن

---

(١) المصدر السابق.

أنس. ووُلِد له: زيد، وعبدالرحمن، وعُبيد الله، وأم كلثوم؛ لأم ولد.

ووُلِد له: سليط، وعمران، والحارث، وثابت، وصفية، وقريبة، وأم محمد لأم ولد.

❏ فضله: مناقبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمّة وكثيرة ومنها.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جمع القرآن على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعة كلهم من الأنصار أُبيّ ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد بن ثابت. قال قتادة: قلت لأنس: مَن أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي(١).

وعن زيد بن ثابت قال: أمرني رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أتعلم له كتاب يهود فقال: «**إني واللَّه ما آمن يهود على كتاب**» قال: فما مرّ بي نصف شهر حتى تعلمته له قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم(٢).

وعن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتُحسن السريانية؟ قلت: لا. قال: «فتعلّمها» فتعلّمتُها في سبعة عشر يومًا**»(٣).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْرَض أمتي زيد بن ثابت**»(٤) وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر اللَّه عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب اللَّه أُبيّ بن كعب، وأفرضهم زيد بن**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٠)، ومسلم (٢٤٦٥)، والترمذي (٣٧٩٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في «الفضائل» (١٨١)، وأحمد (٣/٢٧٧)، وأبو يعلى (٥/٢٥٨- ٤٦٧)، (٦/ ٢٢)، والطيالسي (٢٠١٨).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٢٧١٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والبخاري معلقًا (٧١٩٥)، وأبو داود (٣٦٤٥)، وابن سعد في الطبقات (٢/٢/١١٥)، وأحمد (٥/١٨٦)، والطبراني (٤٨٥٦، ٤٨٥٧)، وصححه الحاكم (١/٧٥).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٥/١٨٢)، والفسوي (١/٤٨٣، ٤٨٤)، والحاكم (٣/٤٢٢)، والطبراني (٤٩٢٨)، وابن سعد (٢/٣٥٨)، والطبراني (٤٩٢٧).

(٤) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/٣٥٩)، وقال ابن حجر في الإصابة: «رواه أحمد بإسناد صحيح».

ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح»(١).

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليّ أبو بكر الصدّيق إثر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استَحَرَّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى إن استحرّ القتل بالقرّاء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلتُ لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح اللَّه صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللَّه ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فواللَّه لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول اللَّه ﷺ قال: هو واللَّه خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح اللَّه صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفّاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها»(٢). وهذا من جلالة زيد.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٩١). وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه الفسوي في تاريخه (١/ ٤٧٩، ٤٨٠)، وصححه ابن حبان (٢٢١٨)، والحاكم (٣/٤٢٢)، ووافقه الذهبي، وكذا أخرجه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي في سننه، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٢٢٤)، وصحيح الجامع (٨٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨٦)، والترمذي (٣١٠٣)، وأحمد (١/١٣) و(٥/١٨٨)، وأبو يعلى (١/٦٦ـ ٦٧، ٧٢ـ ٧٣، ٩٢ـ ٩٣)، والطيالیس ص (٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العرق فأفزع حذيفة باختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك.

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة. إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق[١].

وعن الشعبي قال: أخذ ابن عباس لزيد بن ثابت بالركاب فقال: تنحّ يا ابن عم رسول الله ﷺ. فقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا[٢].

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: لقد علم المحفظون من أصحاب محمد ﷺ أن زيد بن ثابت من الراسخين في العلم[٣].

وروى ابن سعد بإسناد صحيح، قال: كان زيد بن ثابت أحد أصحاب الفتوى، وهم ستة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وأُبيّ، وأبو موسى وزيد بن ثابت وروى بسند فيه الواقدي من طريق قبيصة: كان زيد رأسًا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨٧).

(٢) صحيح: أخرجه بن سعد في «الطبقات» (١١٦/٢/٢)، وصححه الحاكم (٤٢٣/٣)، وأقره الذهبي، وأورده ابن حجر في «الإصابة» (٤٢/٤، ٤٣) ونسبه ليعقوب الفسوي، وصحح إسناده.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٣٧/٢)، وتهذيب ابن عساكر (٤٥١/٥).

وروى البغوي بإسناد صحيح، عن خارجة بن زيد: كان عمر يستخلف زيد بن ثابت إذا سافر، فقلما رجع إلا أقطعه حديقة من نخل.

وعن عمار بن أبي عمار قال: لما مات زيد بن ثابت قعدنا إلى ابن عباس في ظل القصر فقال: هكذا ذهاب العلم، لقد دُفِن اليوم علم كثير»[١].

ورثاه حسان بن ثابت فقال:

فمن للقوافي بعد حسّان وابنه   ومَنْ للمثاني بعد زيد بن ثابت[٢]

ولما توفي رسول اللَّه ﷺ قام خطباء الأنصار فتكلموا، وقالوا: رجل منا، ورجل منكم. فقام زيد بن ثابت، فقال: إن رسول اللَّه ﷺ كان من المهاجرين ونحن أنصاره، وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره. فقال أبو بكر: جزاكم اللَّه خيرا يا معشر الأنصار، وثبّت قائلكم، لو قلتم غير هذا صالحناكم[٣].

❑ **جهاده:**

قال زيد رضي الله عنه: أُجِزْت في الخندق، وكانت وقعة بعاث وأنا ابن ست سنين[٤].

قال ابن حجر: «استُصِغر يوم بدر. ويقال: إنه شهد أحدًا، ويُقال أول مشاهدة الخندق، وكانت معه راية بني النجّار يوم تبوك، وكانت أولا مع عمارة بن حزم، فأخذها النبي ﷺ منه لدفعها لزيد بن ثابت، فقال: يا رسول الله، بلغك عني شيء؟ قال: «**لا، ولكن القرآن مقدم**»[٥].

وشهد زيد المشاهد كلها بداية من الخندق مع رسول اللَّه ﷺ. «**وكان هو**

---

(١) صحيح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/٢/١١٧).

(٢) تاريخ دمشق (١٩/٣٤١).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه الطيالسي في مسنده (٢/١٦٩)، وأحمد (٥/١٢٢)، والطبراني (٤٧٨٥).

(٤) المستدرك (٣/٤٢١)، وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٤٩).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٤٢١)، عن زيد بن ثابت، وابن عساكر في التاريخ (١٩/٣١٣-٣١٤)، انظر الإصابة (٢/٤٩٠)، وأسد الغابة (٢/١٢٦)، والاستيعاب (١/٥٥١).

الذي تولى قسمة غنائم تبوك»[١].

مات زيد بالمدينة سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين. وفي خمس وأربعين قول الأكثر.. فرضي اللَّه عن الإمام العالم العامل المجاهد زيد بن ثابت.

(٤٥٢) سُمير بن كعب رضي الله عنه

قال الحافظ في «الإصابة» «ذكر سيف في «الفتوح» أنه كان من أمراء الفتوح مع أبي عبيدة ومع خالد بن الوليد»[٢].

(٤٥٣) بشير بن كعب بن أبيّ الحميري

قال الحافظ في الإصابة «بشير - بوزن عظيم - ابن كعب بن أُبيّ الحميري أحد الأمراء باليرموك. ذكر سيف في الفتوح بأسانيده أن أبا عبيده لما رحل من اليرموك فنزل على دمشق خلّف باليرموك بشير بن كعب بن أُبيّ الحميريّ في خيل. وهذا مخضرم لا شك فيه»[٣].

وقد ذكره ابن حجر في القسم الأول في الصحابة وقال: «وقد تقدّم أنهم كانوا لا يؤمّرون إلا الصحابة، فذكرته هنا على هذا الاحتمال»

(٤٥٤) عامر بن حَثْمة رضي الله عنه

قال الحافظ في «الإصابة» «ذكره سيف في «الفتوح»، وقال: كان أحد الأمراء العشرة من الصحابة الذين قدّمهم أبو عبيدة بين يديه إلى فِحْل. وشهد اليرموك

(١) الإصابة (٢/٤٩١).
(٢) الإصابة (٣/١٥٥).
(٣) الإصابة (١/٤٧٠) ت (٧٧٩)، (١/٤٤٤) ت (٧٠٢).

ومَرْج الصُّفَّر وغيرهما. ذكره الطبري»[١].

* * *

(٤٥٥) عبدالله بن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي رضي الله عنه

هو عبدالله بن بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبدالعزَّى بن ربيعة بن جَري بن عامر بن مازن بن عديّ بن عمرو بن ربيعة الخزاعي رضي الله عنه وأبوه بديل بن ورقاء الصحابي لجأت قريش يوم فتح مكة إلى داره.

عن بديل أن النبي ﷺ «أمره أن يحبس السبايا والأموال بالجعرانة حتى يقدم عليه ففعل»[٢] وكانت سنه يوم دخل النبي ﷺ مكة سبعا وتسعين سنة.

أسلم عبدالله مع أبيه قبل الفتح، وكان سيد خزاعة، وقيل: بل هو من مسلمة الفتح قاله الطبراني، والأول أصحّ، وشهد الفتح، وحنينًا، والطائف، وتبوك.

وقال ابن الأثير في الكامل: «قيل: إن الذي فتح كرمان ـ سنة ٢٣هـ ـ عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي في خلافة عمر ثم أتى الطبسين من كرمان، ثم قدم على عمر فقال: أقطعني الطبْسين فأراد أن يفعل فقيل: إنهما رستاقان، فامتنع عمر من ذلك»[٣]. وهو الذي صالح أهل أصبهان مع عبدالله بن عامر، في خلافة عثمان سنع تسع وعشرين[٤].

وهو من أفاضل أصحاب علي رضي الله عنه وأعيانهم وكان على الرجالة، وفي الكامل[٥] أنه كان على ميمنة علي رضي الله عنه بصفين. قال الشعبي : كان على عبدالله

---

(١) الإصابة (٤٦٨/٣) ت (٤٣٩٤).

(٢) إسناده حسن: رواه البخاري في تاريخه والبغوي، وقال ابن حجر في «الإصابة» (٤٠٩/١): إسناده حسن.

(٣) «الكامل» لابن الأثير (٤٤٢/٢) ـ أحداث سنة ٢٣هـ.

(٤) أسد الغابة (١٨٤/٣) ت (٢٨٣٤). (٥) الكامل (١٧٧/٣).

ابن بُدَيْل درعان وسيفان وكان يضرب أهل الشام ويقول:

لم يَبْقَ إلا الصَّبْرُ والتوكُّلْ ثم التَّمشِّي في الرعيل الأولْ
مشي الجمال في حياض المنهل والله يقضي ما يشاء ويفعل

فلم يزل يقاتل وسماه معاوية يومئذ كبش القوم[1] ولما قُتِل عرفه معاوية فقال: هذا عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، والله لو استطاعت نساء خزاعة لقاتلتنا فضلا عن رجالها. وتمثل بقول حاتم:

كليث هِزَبْر كان يحمى ذِمَارَة رَمَتْه المنايا قصدها فتقطَّرَا
أخو الحرب إنْ عضَّتْ به الحرْبُ عَضَّهَا وإن شمّرتْ يومًا به الحرب شمَّرا[2]

* * *

(٤٥٦) الجواد بن الجواد ذي الجناحين شبيه خَلْق النبي وخُلْقه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا -

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم رضي الله عنه. السيد العالم، أبو جعفر القرشي الهاشمي، الحبشي المولد، المدني الدار، الجواد بن الجواد ذي الجناحين. وأمه أسماء بنت عميس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -. له صحبه ورواية، عداده في صغار الصحابة. استُشهِد أبوه يوم مؤتة فكفله النبي ﷺ، ونشأ في حجره. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم.

❑ فضله:

عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا استعمل عليهم زيد ابن حارثة، وإن قُتِل زيد أو استُشهد فأميركم جعفر، فإن قُتِل واستُشهِد فأميركم

(١) الكامل (٣/١٨١).
(٢) انظر: ترجمته في الإصابة (٤/١٨) ت (٤٥٧٧)، الاستيعاب ت (١٤٨٩)، وأسد الغابة ت (٢٨٣٤).

عبداللَّه بن رواحة، فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قُتِل، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قُتِل، ثم أخذها عبداللَّه بن رواحة فقاتل حتى قُتِل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح اللَّه عليه. وأتى خبرهم النبي ﷺ فخرج إلى الناس فحمد اللَّه وأثنى عليه وقال: «**إخوانكم لقوا العدو، وإنّ زيدًا أخذ الراية فقاتل حتى قُتِل أو استُشهد، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قُتِل أو استُشهد، ثم أخذ الراية عبداللَّه بن أبي رواحة فقاتل حتى قُتِل أو استُشهِد ثم أخذ الراية سيف من سيوف اللَّه خالد ابن الوليد ففتح اللَّه عليه**» فأمهل ثم أمهل آل جعفر أن يأتيهم ثم أتاهم فقال: «**لا تبكوا على أخي بعد اليوم أو غد، إليّ ابني أخي. قال: فجيء بنا كأنا أفراخ فقال: «ادعوا لي الحلّاق»** فجيء بالحلّاق فحلق رؤوسنا ثم قال: «**أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأمّا عبداللَّه فشبيه خَلْقي وخُلُقي**» ثم أخذ بيدي فأشالها فقال: «**اللهم اخلف جعفر في أهله وبارك لعبداللَّه في صفقة يمينه**» قالها ثلاث مرار. قال: فجاءت أمنا فذكرت له يُتْمنا، وجعلت تفرح له فقال: «**العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟**»[(١)].

فلله در ذلكم السيد شبيه خَلْق النبي وخُلُقِه، وكان ابن عمر إذا سلّم على عبداللَّه بن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين[(٢)].

وبجوده يُضرب المثل. قال فيه معاوية بن أبي سفيان: «بنو هاشم رجلان: رسول اللَّه ﷺ لكل خير ذُكِر، وعبداللَّه بن جعفر لكل شرف، لا واللَّه ما سابقه أحد إلى شرفٍ إلا سبقه، وإنه لمن مشكاة رسول اللَّه ﷺ، واللَّه لكأن المجد نازل منزلًا لا يبلغه أحد، وعبداللَّه نازل وسطه[(٣)]. قال الذهبي: «كان كبير الشأن

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/٢٠٤)، والنسائي في فضائل الصحابة (٥٧)، وابن سعد في الطبقات (٤/٢٤- ٢٥)، وأبو داود مختصرًا (٤١٩٢).
(٢) أخرجه البخاري (٧/٦٢).
(٣) تاريخ دمشق (٤٧/٢٦٢- ٢٦٣).

كريمًا، جوادًا يصلح للإمامة»[١].

كانت له وفادة من معاوية كل سنة، يُعطيه ألف ألف درهم، ويقضي له مئة حاجة وقال معاوية في ذلك:

فما ألف ألفٍ فاسكتوا لابن جعفر   كثير ولا أمثالها لي بمنكرِ
ولا تحسدوه وافعلوا كفاعله   ولن تدركوه كل ممش ومحضَرِ[٢]

يقول فيه ابن قيس الرقيّات:

وما كنتُ إلا كالأغرِّ بن جعفرٍ   رأى المالَ لا يبقَى فأبقى له ذكْرَا[٣]

وقال ابن حبان: كان يُقال له قطب السخاء. قال ابن حجر: وأخباره في الكرم كثيرة وشهيرة.

وقف أعرابي على مروان بن الحكم أيام الموسم بالمدينة، فسأله فقال: يا أعرابي ما عندنا ما نصلك به، ولكن عليك بابن جعفر، فأتى الأعرابي باب عبداللَّه بن جعفر فإذا ثقله قد سار نحو مكة وراحلته بالباب عليها متاعها، وسيف معلّق، فخرج عبداللَّه فأنشأ الأعرابي:

أبو جعفرٍ من آل بيت نبوّةٍ   صلاتهمُ للمسلمين طهورُ
أبا جعفر إن الحجيج ترحّلوا   وليس لرحلي فاعلمنّ بعيرُ
أبا جعفر ضَنّ الأمير بماله   وأنت على ما في يديك أميرُ
أبا جعفر يا ابن الشهيد الذي له   جناحان في أعلا الجنان يطيرُ
أبا جعفر ما مثلك اليوم أرتجي   فلا تتركني بالفلاة أدور

قال: يا أعرابي سار الثقل فعليك بالراحلة بما عليها، وإيّاك أن تُخدَع عن السيف فإني أخذته بألف دينار، فأنشأ الأعرابي يقول وهو مُوَلّى:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٤٥٦).
(٢) المصدر السابق (٣/٤٥٧).
(٣) الإصابة (٤/٣٨) ت (٤٦٠٩).

فكل امريءٍ يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليمن واليسر طائرةْ
فيا خير خلق اللَّه نفْسًا ووالِدًا وأكرمه للجارحين يجاوزْ
سأثني بما أوليتني يا ابن جعفر وما شاكرٌ عُرفًا كمن هو كافره[١]

قال يعقوب بن سفيان: كان أحد أمراء علي يوم صفين[٢].

وقال أبو عبيدة: كان على قُريش وأسد وكنانة يوم صفين عبداللَّه بن جعفر[٣].

وله أخبار في الجود يضيق عنها المكان ولكنها واللَّه تستمطر الدمع أن تغيّب الأرض في أجداثها مثل ابن جعفر، وهي الحكايات الصحيحة تزين كل كتاب أنشد عبداللَّه بن جعفر رضي الله عنه يقول:

إن الصنيعة لا تكون صنيعةً حتى يُصاب بها طريقُ المَصْنَعِ

فقال: هذا رجل أراد أن يُبخِّل الناس، أمطر المعروف مطرًا، فإن صادَفَت موضعًا فذاك ما أردت، وإلا رجع إليك، فكنت أهله[٤].

عن العمري؛ أن ابن جعفر أسلف الزبير ألف ألف، فلما تُوفي الزبير، قال ابن الزبير لابن جعفر: إني وجدتُ في كتب الزبير أن له عليك ألف ألف. قال: هو صادق. ثم لقيه بعد، فقال: يا أبا جعفر، وَهِمْت، المال لك عليه. قال: فهو له. قال: لا أريد ذلك.

قال: فاختر إن شئت، فهو له، وإن كرهت ذلك، فلك فيه نظرة ما شئت، فإنْ لم تُرِد ذلك، فبِعني مِن ماله ما شئت، فقال: أبيعك، ولكن أقوّم، فقوَّم الأموال، ثم أتاه، فقال: أحب أن لا يحضرني وإياك أحد، فقال عبدالله: يحضرنا الحسن والحسين، فيشهدان لك، فقال: ما أحبّ أن يحضرنا أحد، قال: انطلق، فمضى معه، فأعطاه خرابًا وسباخًا لا عمارة له وقوّمه عليه، حتى إذا فرغ، قال عبداللَّه

(١) تاريخ دمشق (٤٧/٢٧٠- ٢٧١).
(٢) الإصابة (٤/٣٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٤٦٠).
(٤) تاريخ دمشق (٤٧/٢٩٤).

لغلامه: ألق لي في هذا الموضع مصلًّى، فألقى له في أغلظ موضع من تلك المواضع مصلى، فصلى ركعتين، وسجد فأطال السجود يدعو، فلما قضى ما أراد من الدعاء، قال لغلامه: احفر في موضع سجودي، فحفر، فإذا عين قد أنبطها، فقال له ابن الزبير: أقلني، فقال: أما دعائي وإجابة اللَّه إياي، فلا أقيلك؟ فصار ما أخذ منه أعمر مما في يدي ابن الزبير»(١).

وذكر الزبير بن بكار أن ابن أبي عمّار وهو يومئذ فقيه أهل الحجاز دخل على نخّاسٍ، فعرض عليه جارية، فعَلِق بها، وأخذه أمرٌ عظيم، ولم يكن معه مقدار ثمنها، فمشى إليه عطاء وطاووس، ومجاهد، يعذلونه، وبلغ خبره عبداللَّه فاشتراها بأربعين ألفًا، وزيّنها، وحلّاها، ثم طلب ابن أبي عمّار، فقال: ما فعل حبّك فلانة؟ قال: هي التي هام قلبي بذكرها، والنفس مشغولة بها، فقال: يا جارية، أخرجيها، فأخرجتها ترفل في الحلّي والحُلَل، فقال: شأنك بها، بارك اللَّه لك فيها، قال: جعلتُ فِداك، لقد تفضّلت بشيء ما كان يتفضّل به إلا الله، فلما وليّ بها قال: يا غلام أحمل معها مئة ألف درهم كي لا يهتمّ بها، ولا تغتمّ به، فبكى ابن أبي عمّار سرورًا، ثم قال: اللَّه أعلم حيث يجعل رسالته، واللَّه جُعلتُ فداك، لئن كان اللَّه وعدنا نعيم الآخرة، لقد عجَّلتَ نعيم الدنيا»(٢).

لا تعجب يا أخي، أليس عبداللَّه شبيه خلق النبي وخلقه، والجود والشجاعة توأمان لا ينفصلان.

نزل عبداللَّه بن جعفر على معاوية يومًا، فقالت ابنة قَرَظه امرأة معاوية: إن جارك هذا لا يدعنا ننام الليل من قراءة القرآن. قال: هكذا قومي، رهبان بالليل ملوك بالنهار(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٤٦٠)، وتاريخ دمشق (٤٧/٢٧٣- ٢٧٤).
(٢) السير (٣/٤٦١)، وتاريخ دمشق (٤٧/٢٨٥- ٢٨٦).
(٣) تاريخ دمشق (٤٧/٢٦٣).

ولما مات رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالمدينة ازدحم الناس على سريره، وأبان بن عثمان بن عفان قد حمل السرير بين العمودين، فما فارقه حتى وضعه بالبقيع، وإن دموعه لتسيل على خدّيْه، وهو يقول: كنتَ واللَّه خيرًا، لا شرّ فيك، وكنتَ واللَّه شريفًا واصلا برًّا، كنت واللَّه وكنت»(١).

وكان واللَّه وكان ـ وكان...

***

(٤٥٧) الأمير الصحابي الشهيد حجر الخير..
حُجْر بن عديّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
فاتحُ مرج عذراء

هو حُجر بن عديّ الأدبر بن جَبله بن عديّ بن ربيعة بن معاوية ـ الأكرمين ـ بن ثور بن مُرْتِع بن ثور وهو كندة بن عُفير بن عدي بن الحارث بن مرة الكندي(٢)، وهو حُجر الخير، وأبو عديّ الأدبر. وكان قد طُعِن مُوَلّيا، فسُمِّي الأدبر، الكوفي، أبو عبدالرحمن الشهيد. له صحبة ووفادة. قال غير واحد: وفد مع أخيه هانئ بن الأدبر»(٣).

قال ابن حجر في «**الإصابة**»: «وذكر ابن سعد ومصعب الزبيري فيما رواه الحاكم عنه أنه وفد على النبي ﷺ هو وأخوه هاني بن عديّ، وأن حُجْر بن عديّ شهد القادسية، وأنه شهد بعد ذلك الجَمل وصِفينّ وصحب عليًّا، فكان من شيعته، وقُتِل بمرج عذراء، بأمر من معاوية وكان حُجْر هو الذي افتتحها، فقُدِّر أن قُتِل بها.

---

(١) تاريخ دمشق (٤٧/٢٩٥).

(٢) هكذا في تاريخ دمشق (١٢/٢٠٧) ت (١٢٢١)، وعند الذهبي (٣/٤٦٢): حجر بن عديّ بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية الكندي.

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٤٦٣).

وقد ذكر ابن الكلبي جميع ذلك، وذكره يعقوب بن سفيان في أمراء عليّ يوم صفين... وأما البخاري وابن أبي حاتم عن أبيه وخليفة بن خياط وابن حبّان فذكروه في التابعين»[١].

«وقال ابن سعد: كان حُجْر جاهليا، إسلاميًّا، شهد القادسية، وهو الذي افتتح مرج عذراء»[٢].

قال الذهبي عنه «كان شريفًا، أميرًا مطاعًا، أمّارًا بالمعروف، مُقْدِمًا على الإنكار، من شيعة عليّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، شهد صفين أميرًا. وكان ذا صلاحٍ وتَعَبُّد»[٣].

روى أحمد في الزهد والحاكم في المستدرك من طريق ابن سيرين قال: أطال زياد الخطبة - فقال حُجْر: الصلاة فمضى في خطبته فحصبه حُجْر والناس، فنزل زياد، فكتب إلى معاوية؛ فكتب إليه أن سرِّح به إليّ. فلما قدم قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: أو أمير المؤمنين أنا؟ فقال: نعم، فأمر بقتله.

فقال: لا تُطلقوا عني حديدًا، ولا تغسلوا عني دمًا فإني لاقٍ معاوية بالجادة؛ وإني مخاصم.

وروى الرّوياني والطبراني والحاكم من طريق أبي إسحاق قال: رأيت حُجْر بن عدي وهو يقول: ألا إني على بيعتي لا أقيلها ولا أستقيلها.

قال أبو معشر: «كان حُجر بن عدي رجلًا من كِنْدة وكان عابدًا قال: ولم يحدث قط إلا توضأ، وما يهريق ماء إلا توضأ، وما توضّأ إلا صَلى»[٤].

وعن عبدالكريم بن رشيد أن حُجْر بن عديّ الأدبر كان يلمس فراش أمه بيده، فيتّهم غلظ يده، فينقلب على ظهره، فإذا أمن أن يكون عليه شيء أضجعها[٥].

وذكر خليفة بن خيّاط في تسمية الأمراء من أصحاب على يوم صفين: قال أبو

(١) الإصابة (٣٢/٢) ت (١٦٣٤)، وأسد الغابة ت (١٠٩٣)، والاستيعاب ت (٥٠٥).
(٢)، (٣) سير أعلام النبلاء (٤٦٣/٣)، وطبقات ابن سعد (٢١٧/٦).
(٤)، (٥) تاريخ دمشق (٢١٢/١٢).

عبيدة: وعلى كِنْدة حُجْر بن عَدِيّ الكندي[١].

ولما أتوْا به إلى مرج عذراء[٢] ليقتلوه قال: أما واللَّه إني لأول خلْق اللَّه كبّر فيها[٣].

قال حجر حين أمر معاوية بقتله: اللهم إني على بيعتي لا أقيلها ولا أستقيلها[٤] «وقال هشام: قال ابن سيرين: لو مال لمال أهل الكوفة معه، ولكن كان رجُلًا ورعا»[٥]. ولما قُدِّم لضرب عُنقه قال للذي أُمِر بقتله: دعني فلأصليّ ركعتين، قال: صلِّه، فصلى ركعتين خفيفتين، فلما سلم أقبل على الناس فقال: لولا أن تقولوا جزع من القتل لأحببتُ أن تكون ركعتان أنفس مما كانتا، وأيم اللَّه لئن لم تكن صلاتي فيما مضى تنفعني فما هاتان بنافعتي شيئًا، وقال: لئن جزعت لقد رأيت سيفًا مشهورًا وكفنا منشورًا وقبرًا محفورًا. وقالوا له: مُدّ عنقك. فقال: إن ذاك لدم ما كنتُ لأعين عليه، وفي رواية: ما كنتُ لأعين على دم رجل مسلم أو قال مهاجر[٦]. وعن ابن سيرين قال: أُتِيَ بحُجْر بن عديّ حين دعا به معاوية فقال: إني لا أرى هذا إلا قاتلي، فإن هو قتلني فلا تطلقوا عني حديدًا. وادفنوني بثيابي ودمي، فإني ملاقي معاوية على الجادة.

وعن هشام بن حسّان قال: كان محمد بن سيرين إذا سُئِل عن الشهيد أيُغسّل؟ حَدّث عن حُجْر بن عدي إذ قتله معاوية قال: قال حُجْر: لا تلقوا عني حديدًا ولا تغسلوا عني دمًا وادفنوني في ثيابي حتى ألقى معاوية على الجادة غدًا[٧].

---

(١) تاريخ خليفة بن خيّاط ص (١٩٤).

(٢) مرج عذراء: هي من قرى عوطة دمشق، قع في الشمال الشرقي منها، وتبعد عنها خمسة عشر ميلًا تقريبًا، وبها قبر حجر وأصحابه.

(٣) وفي رواية : الحمد لله أنا والله لأول مسلم نبّح كلابها في سبيل الله.

(٤) تاريخ دمشق (١٢/٢٢٥).

(٥) المصدر السابق (١٢/٢١٥).

(٦) المصدر السابق (١٢/٢١٩، ٢٢٥).

(٧) تاريخ دمشق (١٢/٢٢٥، ٢٢٦).

ولما قدم معاوية المدينة قدم على أم المؤمنين عائشة فاستأذن عليها فأبت أن تأذن له، فلم يزل حتى أذنت له، فلما دخل عليها قالت له: أنت الذي قتلتَ حُجْرًا؟ قال: لم يكن عندي أحد ينهاني[١].

وكان عبدالرحمن بن الحارث بن هشام قد قدم على معاوية برسالة عائشة ألا يقتل حُجْرًا فوجده قد قتله. فقال: يا أمير المؤمنين أين عزب عنك حلم أبي سفيان؟ فقال: غيبة مثلك عني من قومي. يعني أنه ندم[٢].

وعن نافع قال: لما انطلق بحُجْر إلى معاوية كان ابن عمر يتحرّى عنه يقول: ما فعل حُجْر، فجاء الخبر بقتله، وهو محتبى في السوق، فأطلق حبوته وولىّ يبكى[٣]. وفي رواية: حلّ حبوته ثم انتخب.

قال خليفة وأبو عبيد وغيره: قُتِل سنة إحدى وخمسين، وقال يعقوب بن إبراهيم بن سعد: كان قتله سنة ثلاث وخمسين.

وسئل محمد بن سيرين عن الركعتين عند القتل، فقال: صلّاهما خُبيب وحُجْر، وهما فاضلان، وكان الحسن يُعظمّ قتل حجر وأصحابه ولما بلغ الربيع بن زياد الحارثي - وكان عاملًا لمعاوية على خراسان - قتْل حُجْر، دعا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وقال اللهم إنْ كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجّلْ، فلم يبرح من مجلسه حتى مات.

وكان حجر في ألفين وخمس مئة من العطاء، وكان مجاب الدعاء[٤] وكان حُجْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: أبلغوا عني معاوية إنا واللَّه ما افتتنا ولا أتت علينا ليلة إلا صليناها أو صلّينا فيها[٥].

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/٢٢٦).
(٢) تاريخ دمشق ١٢/٢١٩، والسير ٣/٤٦٥.
(٣) تاريخ دمشق (١٢/٢٢٧).
(٤) أسد الغابة (١/٦٩٨).
(٥) تاريخ دمشق.

ولما عاد عبدالله بن يزيد بن أسد في مرض موته الذي مات فيه قال له معاوية رحم الله أباك إن كان لناصحًا، نهاني عن قتل حُجْر بن الأدبر[١].

وقال معاوية: ما قتلتُ أحدًا إلّا وأنا أعرف فيم قتلته، وما أردت به ما خلا حجر ابن عديّ فإني لا أعرف فيما قتلته[٢].

قال ابن سيرين: بلغنا أن معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول: يومي منك يا حُجْر طويل[٣].

قال عبدالله بن خليفة الطائي يرثي حجر:

على أهل عذرا السلام مضاعف ... من الله يسقيها السحاب الكهورا
ولاقى بها حجر من الله رحمة ... فقد كان أرضى الله حُجر وأعذرا
فيا حُجْر من للخيل تدمي نحورها ... أو الملك العادي إذا ما تغشمرا[٤]
ومن صادع بالحق بعدك ناطق ... بتقوى ومن إن قيل بالجور غيرا
فنعم أخو الإسلام كنت وإنني ... لأطمع أن تُعطى الخلود وتُحْبَرا[٥]
قد كنت تعطي السيف في الحرب حقه ... وتعرف معروفًا وتنكِر منكرا[٦]

وقال فيه قيس بن فهدان الكِندي يرثيه:

يا حُجْر يا ذا الخيْر والحِجر[٧] ... يا ذا الفِعال ونابه الذِّكْرِ
كنتَ المدافع عن ظلامتنا ... عند الطلوع ومانع الثَّغْر
أما فقلت فأنت خيرهم ... في العسر ذي العيصاء واليُسْرِ
يا عين بُكّي خيرَ ذي يمنٍ ... وزعيمها في العرف والنُّكْرِ
فلأبكينّ عليك مكتئبًا ... فلنعم ذو القربى وذي الصهر

(١) ، (٢) تاريخ دمشق (٢٣١/١٢).
(٣) الكامل (٣٣٨/٣).
(٤) الغشمرة: إتيان الأمر من غير تثبت، والتهضم والظلم... (القاموس).
(٥) الحبرة: النعمة وسعة العيش.
(٦) تاريخ دمشق (٢٣٣/١٢).
(٧) الحِجر: العقل.

يا حجر مَن للمعتفين إذا ... لزم الشتاء وقلّ من يُقري
من لليتامى والأرامل إن ... حقب الربيع وضنّ بالوفر
أمْ مَن لنا في الحرب إن بعثت ... مستبسلًا يفرى كما يفرى
فسعدت ملتمس التقى وسقى ... جدثًا أجنَّكَ مسبل القطر

فرضي الله عن الصحابي العابد الأمير الشهيد مجاب الدعوة أبي عبدالرحمن حُجْر بنَ عدي الأدبر الكِنْديَّ.

* * *

(٤٥٨) زيد بن صُوحان العبدي الكوفي رضي الله عنه

زيد بن صُوحان بن حُجر بن الحارث بن الهِجْرس بن صَبَرة بن حِدْرجان بن عِسَاس العبدي الكوفي أخو صعَصعة وأخو سيحان. يُكنى أبا عاشة، وأبا سَلْمان، وأبا عبدالله، وأبا سُليمان، وأبا مسلم قال الذهبي: «كان من العلماء العباد، ذكروه في كتب معرفة الصحابة، ولا صحبة له. لكنه أسلم في حياة النبي ... وذكر بعضهم أنه وفد على رسول اللَّه ﷺ»[١].

قال ابن عساكر: له وفادة على النبي ﷺ[٢].

وعدّه ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة[٣].

ذكر ابن عساكر في ترجمة زيد بن صوحان ما قاله رجل من عبدالقيس:

مِنّا صِحارٌ والأشجُّ كلاهما ... حَقًّا يُصَدَّقُ قاله المتكلِّمُ
سبقا الوفودَ إلى النبي مُهَلِّلًا ... بالخير فوق النَّاجياتِ الرُّسَّمِ
في عصبة من عَبْدِ قيسٍ أوْ جفوا ... طوعًا إليه وحَدُّهم لَمْ يُكْلِمَ

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٥٢٥).
(٢) تاريخ دمشق (١٩/٤٢٩).
(٣) طبقات ابن سعد (٦/١٢٣).

وَاذكر بني الجارودِ إنَّ مَحلَّهمُ ... من عبد قيس في المكان الأعظَمَ
ثم ابن سَوَّارٍ على عَلاَّتِهِ ... بَذُّ الملوكَ بسُؤدَدٍ وتَكرُّمِ
وكفى بزيدٍ حين يُذكَرُ فِعْلُهُ ... طوبى لذلك من صريع مُكْرَمِ
ذاك الذي سَبَقت لطاعة ربه ... منه اليمين إلى جنان الأنْعُمِ
فدعا النبيُّ لهم هنالِك دَعْوَةً ... مقبولةً بين المقام وزمزم

قال ابن حجر في الإصابة «وعلى هذا فهو صحابي لا محالة»[١] قُطِعت يده يوم القادسية، وقالوا: يوم نهاوند، وقيل بجلولاء.

قال أبو يعلى: قُطعت يد زيد في جهاده المشركين وعاش بعد ذلك دهرًا حتى قُتِل يوم الجمل[٢].

عن هشام بن محمد: أن زيد بن صُوحان أصيبت يده في بعض فتوح العراق، فتبسّم والدماء تشجب، فقال له رجل من قومه: ما هذا موضعُ تبسُّم، فقال زيد: ألم حَلّ ثواب اللّه عليه، أَفَأُرْدِفه بألم الجزع الذي لا جدوى فيه ولا دُريكة لغائبٍ معه؟! وفي تبسّمي تعزيةٌ لبعض المؤتسين من المؤمنين فقال الرجل: أنت أعلمُ باللَّه مني[٣].

وعن النعمان بن قدامة: أنه كان في جيش عليهم سلمان الفارسي، فكان يؤمُّهم زيد بن صُوحان يأمره بذلك سلمان[٤] ويخطب لهم.

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقوم الليل ويصوم النهار[٥].

وكان عمر يعرف له حسن بلائه، وكان يبّجله غاية التبجيل ويوقّره غاية

---

(١) الإصابة (٥١٧/٢) ت (٢٩٥٧)، ت (٢٩١٧). وانظر طبقات خليفة ت (١٠٢٤)، وطبقات ابن سعد (١٢٣/٦).
(٢) تاريخ دمشق (٤٣٥/١٩).
(٣) تاريخ دمشق (٤٣٧/١٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥٢٧/٣)، وتاريخ بغداد (٣٢٣/١٣) في ترجمة أبي قدامة النعمان بن حميد.
(٥) تاريخ دمشق (٤٤٠/١٩).

التوقير، فعن عبدالله بن أبي الهذيل: أن وفد الكوفة، قدموا على عمر فيهم زيد بن صُوحان، فجاءه رجل من أهل الشام يستمدُّ، فقال: يا أهل الكوفة! إنكم كنْزُ أهل الإسلام، إن استمدَّكم أهل البصرة أمددتموهم، وإن استمدَّكَم أهل الشام مددتموهم. وجعل عمر يُرَحِّلُ لزيدٍ وقال: يا أهل الكوفة هكذا فاصنعوا بزيدٍ وإلا عذبتكم[1]

ودعا عمر زيد بن صوحان، فضفنه على الرّحل كما تُضَفِّنون أمراءَكم، ثم التفت إلى الناس، فقال: اصنعوا هذا بزيد وأصحاب زيد[2].

وعن الحكم بن عتيبة أن زيد بن صُوحان كان عند عمر، فقام إليه عمر وهو يريد أن يركب فأمسك بركابه، ثم قال لمن حضره: هكذا فاصنعوا بزيد وإخوته وأصحابه[3].

وكان رضي الله عنه من جُملة من سيّره عثمان بن عفان من أهل الكوفة إلى دمشق[4].

قال له عثمان بن عفان: أسامعٌ مطيع أنت؟ قال: نعم، قال: الحقْ بالشام، فخرج من فوره ذلك، فطلّق امرأته ثم لحق بحيث أمره، وكانوا يروْن الطاعة عليهم حقًّا[5].

ولما خرج المُسَيَّرون من قُرّاء أهل الكوفة إلى دمشق قال لهم معاوية:

ما لكم لا تتكلمون، فقال زيد بن صُوحان: وما يُصنع بالكلام لئن كنا ظالمين فنحن نتوب إلى الله، وإنا كنا مظلومين، فإنّا نسأل اللّه العافية، فقال معاوية: يا أبا عائشة أنت رجلُ صِدْق، وأذِن له في اللِّحاق بالكوفة، وكتب إلى سعيد بن

(١) طبقات ابن سعد (١٢٤/٦)، وسير أعلام النبلاء (٥٢٦/٣).

(٢) طبقات ابن سعد (١٢٤/٦)، وسير أعلام النبلاء (٥٢٧/٣)، وابن عساكر (٤٣٨/١٩- ٤٣٩)، وضفّنه على رحله أي: حمله عليه.

(٣) ابن عساكر (٤٣٨/١٩).

(٤) المصدر السابق (٤٢٩/١٩).

(٥) ابن عساكر (٤٣/١٩).

العاص: أما بعد.

فإني قد أَذنت لزيد بن صوحان في المصير إلى منزله بالكوفة لما رأيت قصده، وحسن هديه فأحسن جواره، وكفّ الأذى عنه، وأقبل إليه بوجهك وودّك، فإنه قد أعطاني موثقًا ألا ترى منه مكروهًا، فشكر زيد معاوية، وسأله عند وداعه إخراج من حُبس ففعل.

وذكروه في تسمية أمراء الجمل من أصحاب علي، قالوا: وعلى عبدالقيس من أهل الكوفة ابن صوحان زيد[١].

وعن أبي شيخ مهاجر أن زيد بن صُوحان العبدي كان يوم الجمل فحمل راية عبدالقيس فارتُثّ[٢] جريحًا، فقال: لا تُغَسِّلوا عني دمًا وشدّوا عليّ ثيابي فإني مُخاصِم أو مخاصَم. وقال زيد: ادفنوني أنا وابن أمي صوحان في قبر واحد[٣].

وعن قتادة قال: أتوْا على زيد بن صُوحان وهو يتشحّط في دمه فقال: ادفنوني في ثيابي، فإني ملاقٍ عثمان على الجادة، فيا ليتنا إذْ ظُلمنا صبرنا.

وعن العيزار بن حُريث، قال: قال زيد بن صُوْحان: لا تغسلوا عني دمًا، ولا تنزعوا عني ثوبًا إلّا الخُفَّيْن، وارمسوني في الأرض رمسًا، فإني رجل محاج، أحاجّ يوم القيامة[٤].

❊ ❊ ❊

---

(١) المعرفة والتاريخ ليعقوب الفسوي (٣١٢/١٣).

(٢) ارتث جريحًا: الارتثاث أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح.

(٣) تاريخ دمشق (٤٤٣/١٩).

(٤) المصدر السابق (٤٤٤/١٩).

(٤٥٩) مَعْن بن يزيد السلميّ[١] رضي الله عنه

هو معن بن يزيد بن الأخنس بن حبيب بن جرة بن زِعب بن مالك بن عُريف ابن عصبة بن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهثة السلميّ ثبت ذكره في صحيح البخاري من طريق أبي الجويرية الجرمي عن معن بن يزيد، قال: بايعت النبي ﷺ أنا وأبي وجدّي، وخاصمتُ إليه فأفلجني، وخطب عليّ فأنكحني.

قال خليفة بن خيَّاط: يُكنى أبا يزيد وسكن الكوفة، وذكره أبو زرعة الدمشقي فيمن سكن الشام، وقُتِل بمرج راهط.

وعن يزيد بن أبي حبيب قال: شهد مَعْن بن يزيد وأبوه وجدّه بدرا، كذا قال، ولم يتابع عليه[٢].

قال الليث عن يزيد بن أبي حبيب: أن مَعْن بن يزيد بن الأخنس هو وأبوه وجده شهدوا بدرًا، ولا أعلم رجلًا هو وابنه وابن ابنه مسلمين شهدوا بدرًا غيرهم.. قال المزي في «تهذيب الكمال»: ولم يتابعه أحد على هذا القول[٣].

قال ابن عساكر: «وشهد مَعْن فتح دمشق، وله بها دار، وكان ذا بلاءٍ في الغزو، وكان له مكانة عند عمر بن الخطاب، وشهد صفين مع معاوية[٤] وعن عقبة ابن رافع قال: «غزوت مع عمي الصائفة وعلينا معن بن يزيدِ الخُفافي، من أصحاب النبي ﷺ، فنزل منزلًا حتى أشفينا على أرض العدو، فقام في الناس، فحمد اللَّه وأثنى عليه فقال: يا أيها الناس، إنا لا نريد أن نقسم الغُنْم والعلف، وأشباه ذلك،

---

(١) أسد الغابة ت (٥٠٥٤)، والاستيعاب ت (٢٥٠١)، والإصابة ت (٨١٧٩) (٦/١٥١- ١٥٢).

(٢) الإصابة (٦/١٥١- ١٥٢).. ومعنى أفلجني: حكم لي، وغلبني على خصمي.

(٣) تهذيب الكمال للمزي (١٨/٢٩٠).

(٤) تاريخ دمشق (٥٩/٤٣٧).

فخذوا منه ما أحببتم فقد أحللناكم منه[١].

قال ابن الأثير في «الكامل» في أحداث سنة أربع وخمسين «فيها كان مشتى محمد بن مالك بأرض الروم، وصائفة معن بن يزيد السلمي»[٢].

شهد رضي الله عنه وقعة مَرْج راهط مع الضحاك بن قيس في سنة أربع وخمسين. وقتل بمرج راهط[٣].

* * *

(١) المصدر السابق (٥٩/٤٤٣).
(٢) الكامل (ض٣/٣٤٤).
(٣) الإصابة (٦/١٥٢).

(٤٦٠) سفيان بن عوف الغامدي
أمير الصوائف بأرض الروم رضي الله عنه

سفيان بن عوف بن المُغَفَّل بن عَوْف بن عُمَير بن كَلْب بن ذُهْل بن سيّار بن والبه بن الدول بن سعد مناة بن غامد الأزدي الغامدي أو الأسلمي.

روى الحاكم عن مصعب الزبيري، قال: وسفيان بن عوف الغامدي صحب النبي ﷺ وكان له بأس ونجدة وسخاء. استعمله معاوية على الصوائف، وكان يعظِّمه، ثم استعمل بعده ابن مسعود الفزاري، فقال له الشاعر:

أَقِمْ يا بنَ مسعودٍ قناةً صليبَة كما كان سفيانُ بن عوفٍ يقيمها

- شهد فتح الشام[1].

قال ابن عساكر: كان مع أبي عبيدة بن الجرّاح بالشام حين أفتتحت.

قال سفيان بن عوف: بعثني أبو عبيدة بن الجراح ليلة غدا من حمص إلى دمشق فقال: ائت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين وأبلغه مني السلام، وأخبره بما قد رأيت وعاينت وبما قد حدثتنا العيون، وبما استقرّ عندك من كثرة العدو، والذي رأى المسلمون من الرأي».

وكتب عثمان إلى معاوية أن يغزي بلاد الروم، فوجّه يزيد بن الحرّ العبسي، ثم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد على الصائفتين جميعًا ثم عزله، ووليّ سفيان بن عوف الغامدي، فكان سفيان يخرج على البر، ويستخلف على البحر جُنَادة بن أبي أمية، فلم يزل كذلك حتى مات سفيان فوليّ معاوية عبدالرحمن بن خالد بن الوليد.

قال سعد بن إبراهيم: وشَتّى بُسر بن أبي أرطاه بأرض الروم مع سفيان بن عوف

---

(١) الإصابة (٣/١٠٦-١٠٧) ت (٣٣٣٤)، وتاريخ دمشق (٢١/٣٤٧ وما بعدها) ت (٢٥٨٨).

الأزدي سنة ثلاث وخمسين، وقال وشتى فيها ـ يعني سنة خمس وخمسين سفيان ابن عوف بأرض الروم[١].

وقال خليفة بن خياط: وفيها يعني سنة اثنتين وخمسين شتّى بُسر بن أبي ارطاة أرض الروم ومعه سفيان بن عوف الأزدي، ثم قال: وفيها ـ يعني سنة خمس وخمسين شتّى سفيان بن عوف بأرض الروم[٢].

قال ابن الأثير في الكامل: «ذكر غزوة القسطنطينية: في هذه السنة ـ يعني سنة ٤٩ وقيل سنة خمسين ـ سيّر معاوية جيشًا كثيفًا إلى بلاد الروم للغزاة، وجعل عليهم سفيان بن عوف، وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم فتثاقل واعتل فأمسك عنه أبوه فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرضٌ شديد فأنشأ يزيد يقول:

ما أن أبالي بما لاقت جموعُهُمُ بالفرقدونة من حمّى ومِن موت
إذا اتّكَأت على الأنماط مرتفقًا بدير مروان عندي أم كلثوم

وأم كلثوم هي امرأته وهي ابنة عبداللّه بن عامر. فبلغ معاوية شِعْرَه فأقسم عليه ليلحقنَّ بسفيان بأرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس، فسار ومعه جمع كثير أضافهم إليه أبوه وكان في هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري، وغيرهم، وعبدالعزيز بن زرارة الكلابي فأوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية»[٣].

لما جاشت الروم وغزوا المسلمين برًا وبحرًا، استعمل معاوية على الصائفة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، فلما كتب عهده قال: ما أنت صانع بعهدي؟ قال: أتخذه إمامًا ولا أعصيه. قال: اردد عليّ عهدي. قال: أتعزلني بعد أن وليّتني

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٢٠٧) حوادث سنة (٥٠)، و (٣/٢٣٧) حوادث سنة (٥٢) و(٣/٢٤٥) حوادث سنة ٥٥، وانظر الكامل (٣/٣٤٠، ٣٤٧).
(٢) تاريخ خليفة بن خياط سنة (٢١٨، ٢٢٣).
(٣) الكامل (٣/٣١٤).

قبل أن تخبرني؟

أما واللّه لو كنا ببطن مكة على السّواء ما فعلت هذا. قال: لو كنا ببطن مكة عليّ السواء، كنت أنا معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، وكنت عبدالرحمن بن خالج بن الوليد وكان منزلي بالأبطح حيث ينشقّ عنه الوادي، وكان منزلك بأجياد أسفله عذرة، وأعلاه مدرة، ثم بعث إلى سفيان بن عوف الغامدي، فكتب له عهده ثم قال: ما أنت صانع بعهدي؟ قال: أتّخذه إمامًا ما أمّ الحَرَم فإذا خالفه خالفته، فقال معاوية: هذا واللّه الذي لا يكفكف من عجلة، ولا يدفع في ظهره من بطء، ولا يضرب على الأمور ضرب الجمل الثقال، قال: فخرج فاحتضر، فاستعمل على الناس عبداللّه بن مسعود الفزاري فقال: يا ابن مسعود، إن فتحًا كثيرًا وغنمًا عظيمًا أن ترجع بالناس لم ينكبوا ولم ينكوا فأقحم الناس فنكب، فقال شاعر:

أقم يا ابن مسعود قناةً قويمة كما كان سفيان بن عوف يقيمها

وسُمْ يا ابن مسعود مدائِنَ قيصرٍ كما كان سفيان بن عوف يسومها

فلما رجع دخل على معاوية فقال:

أقم يا ابن مسعود قناةً قويمة كما كان سفيان بن عوف يقيمها

فقال: يا أمير المؤمنين: إن عذري في ذلك أني ضُمِمت إلى رجل لا يُضَمُّ إلى مثله الرجال، فقال معاوية: إن من فضلك عندي معرفتك بفضل من هو أفضل منك.

عن الفرح بن يحمد عن بعض أشياخه قال: كنا مع سفيان بن عوف الغامدي شاتين بأرض الروم فلما صَفَّنَا دعا سفيان الخيول، فاختار ثلاثة آلاف، فأغار بنا على باب الذهب حتى فزع أهل القسطنطينية وضربوا بنواقيسهم ثم لقونا فقالوا: ما شأنكم يا معشر العرب؟ وما جاء بكم؟ قلنا: جئنا لنخرب مدينة الكفر ويخربها اللّه على أيدينا، فقالوا: ما تدري أخطأتم الحساب، أم كذب الكتاب، أم استعجلتم

القدر؟ واللَّه إنا لنعلم أنها ستُفتح يومًا، ولكنا لا نرى هذا زمانها.

وعن الواقدي قال: أن سفيان ساح في أرض العدو حتى بلغ الرنداق، واسمه بالرومية خازقًا، فأدرك سفيان أجله، فلما ثقل قال للناس: إني لما بي، فأقيموا عليّ ثلاثة أيام، فأقاموها عليه فمات في اليوم الثالث، وقد أوصى واستُخلف وقال: أدخلوا عليّ أمراء الاجناد والأشراف من كل جند، فوقعت عينه على عبدالرحمن بن مسعود الفزاري فقال: ادن مني يا أخا فزارة، ففعل فقال له: إنك لمن أبعد العرب مني نسبًا، ولكني قد أعلم أن لك نيّة حسنة وعفافًا، وقد استخلفتك على الناس، فاتق اللَّه يجعل لك من أمرك مخرجًا، وأرد للمسلمين السلامة، واعلم أن قومًا على مثل حالكم لم يفقدوا أميرهم إلّا اختلفوا لفقده وانتشر عليهم أمرهم، وإنْ كان كثيرًا عددهم، ظاهرًا جَلَدهم، وإن فتحًا على المسلمين كثيرًا أن يُفعل بهم ولم يُكلموا، ثم مات، فبكت عليه العرب جميعًا حتى كأنه لهم والدًا، فلما بلغ معاوية وفاته كتب إلى أمصار المسلمين وأجناد العرب ينعاه لكم، فبُكي عليه في كل مسجد، وقام عبدالرحمن بن مسعود بالأمر من بعده قال: فكان معاوية إذا رأى في الصوائف خللًا قال: واسفياناه ولا سفيان لي.

وقال مشيخة من أهل الشام: كان سفيان لا يجيز في العَرَض رجلًا إلا بفرس ورمح ومخصف ومسلّة وبرنس، وخيوط كتان ومخلاة ومبضع ونقود وسكة حديد.

قال أبو عبيدالقاسم بن سَلّام: سنة اثنتين وخمسين فيها توفي سفيان بن عوف الأزدي، مات شاتيًا بالروم، وذكر الواقدي أنه توفي سنة أربع وخمسين. وقال ابن يونس: سفيان بن عوف الأزدي قُتِل بأرض الروم سنة خمس وخمسين، كذا قال ابن يونس. وقول من قال: إنه مات أصح، واللَّه أعلم.

فرضي اللَّه عن أمير الصوائف وبطل الغزاة المجاهدين الصحابي سفيان بن عوف الغامدي.

(٤٦١) فضالة بن عُبَيْد الأوسي[١] الصحابي قاضي دمشق وأمير البحار رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل فَضالة بن عُبيْد بن نافِد بن قَيْس بن صُهَيْب بن الأصْرَم بن جَحْجَى بن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك أبو محمد الأنصاري الأوسي.

من أصحاب رسول اللَّه ﷺ الذين بايعوه تحت الشجرة، ولّاه معاوية على الغزاه، ثم ولّاه قضاء دمشق، وكان خليفة معاوية على دمشق إذا غاب عنها.

أسلم قديمًا، ولم يشهد بدرا، وشهد أحدًا والمشاهد كلها مع رسول اللَّه ﷺ قال سعيد بن عبدالعزيز: كان فضالة أصغر من شهد بيعة الرِّضوان.

قال أبو عبداللَّه بن مندة: كان ممن بايع تحت الشجرة، شهد فتح مصر والشام ومات بدمشق سنة ثلاث وخمسين[٢].

وقال أبو سعيد بن يونس: شهد فتح مصر، وولي بها القضاء والبحر لمعاوية، وروى عنه أهل مصر، وقد كان غزا المغرب مع رويفع بن ثابت[٣].

وقال أبو نُعيم: شهد فتح مصر.

قال خليفة بن خيّاط: قال ابن الكلبي: وفيها يعني - سنة تسع وأربعين شتّى مالك بن هبيرة بأرض الروم، ويُقال: بل شتّى بها فضالة بن عُبيد الأنصاري[٤] وفي

---

(١) أسد الغابة ت (٤٢٣٢)، والاستيعاب ت (٢١٠٤)، وطبقات ابن سعد (٤٠١/٧)، وتاريخ خليفة ت (٥٤٦)، وتاريخ دمشق (٤٨) (٢٩٠) ت (٥٦٠٥)، والإصابة ت (٧٠٠٧) (٢٨٣/٥)، وسير أعلام النبلاء (١١٣/٣).

(٢) تاريخ دمشق (٢٩٧/٤٨).

(٣) تاريخ دمشق (٢٩٦/٤٨).

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص (٢٠٩).

سنة إحدى وخمسين غزا فضالة بن عبيدالشاتية[١] . وقال سعد الزهري: وشتى فيها فضالة بأرض الروم نُمَيْر خرقاة الأولى[٢] .

وقال القاسم أبو عبدالرحمن: غزونا مع فضالة بن عُبَيْد، ولم يغز فضالة في البر غيرها، فبينا نحن نسير، أو نسرع في السير - وهو أمير الجيش - وكانت الولاة إذ ذاك يستمعون ممن استرعاهم اللَّه عليه، فقال قائل: أيها الأمير، إن الناس قد تقطَّعوا، قف حتى يلحقوك، فوقف في مرج عليه قلعة، فيها حصن، فمنا الواقف ومنّا النازل، إذا نحن برجل ذي شوارب أحمر بين أظهرنا، فأتينا به فضالة، فقلنا إنّ هذا هبط من الحصن بلا عهد ولا عقد، فسأله فضالة ما شأنه؟ فقال: إني البارحة أكلت الخنزير وشربت الخمر، فبينا أنا نائم أتاني رجلان فغسلا بطني وجاءتني امـرأتان لا تفضـل إحداهما الأخرى، فقالتا: أسلم، فأنا مسلم، فما كانت كلمته أسرع مِن أن رُمينا بالزَّبْر[٣] فأقبل يهوى حين أصابه فدقّ عنقه، فقال فضالة: اللَّه أكبر عمل قليلًا وأُجر كثيرًا، صلُّوا على صاحبكم، فَصَلّينا عليه، ثم دفنّاه.

قال القاسم[٤] : هذا شيء أنا رأيته[٥] .

وولّى معاوية فضالة قضاء دمشق «فقد كان أبو الدرداء يقضي على أهل دمشق، فلما احتُضِر أتاه معاوية عائدًا له فقال: من ترى لهذا الأمر بعدك؟ قال: فضالة بن عُبيد، فلما توفي أبو الدرداء قال معاوية لفضالة: إني قد وليتك القضاء، قال: فاستعفى منه، فقال له معاوية: واللَّه ما حابيتك بها، ولكني استترتُ بك من النار، فاستتِرْ منها ما استطعت»[٦] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١٤/٣). (٢) تاريخ دمشق (٣٠٠/٤٨).

(٣) الزبر: الحجارة، وفي سير أعلام النبلاء: بالزبارة.

(٤) راجع ترجمة القاسم أبو عبدالرحمن في أسد الغابة (٧٨/٤)، والإصابة (٢٧٦/٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣٠١/٤٨).

(٦) تاريخ دمشق (٣٠٢/٤٨).

عن فضالة ﷺ لأن أعلم أن اللَّه يقبل مني مثقال حبة من خردلٍ أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها لأن اللَّه يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1] [المائدة: ٢٧] فانظر إلى رجل من أهل بيعة الرضوان يقول، فماذا يقول من غرق في بحر المعاصي والشهوات من أمثالنا.

وعن ابن مُحَيْريز قال: صحبت فضالة بن عُبيد صاحب رسول الله، فقلتُ له: أوصني رحمك الله، فقال: احفظ عني ثلاث خصال ينفعك اللَّه بهن: إن استطعت أن تعرف ولا تُعرَف، فافعل، وإن استطعت أن تسمع ولا تكَلَّمُ فافعل، وإن استطعت أن تجلس ولا يُجْلس إليك فافعل[2].

وهذه الوصية العظيمة من الصحابي الجليل فضالة من أعظم الوصايا وفيها تحذير من الشهرة وكم قتلت من أناس، قال عبداللَّه بن المبارك: ما لقيت رجلًا من أهل العلم إلا ونهاني عن الشهرة.

قال سعيد بن عبدالعزيز: لما سار معاوية إلى صفين، استعمل على دمشق فضالة[3].

وكتب معاوية إلى فَضَالة بن عُبيد يخطب ابنته على ابنه يزيد، فكتب: أما بعد، فقد جاءني في كتابك تخطب ابنتي على ابنك، يزيد، وإني قد كتبت إليك ببيتيْ شعر فاعرفها وتدَبّرهما:

فلو أن نفسي طاوعتني لأصبحت لها حَفَدٌ من ماءٍ يُعَدُّ كثيرُ
ولكنها نفسٌ عليّ كريمةٌ عيوفٌ لأصهار اللئام قذُورُ[4]

قال سعيد بن عبدالعزيز: أن فضالة بن عبيد توفي في خلافة معاوية، قال:

---

(١) المصدر السابق (٤٨/٣٠٤).
(٢) المصدر السابق (٤٨/٣٠٥).
(٣) «تاريخ دمشق» لأبي زرعة (١/١٩٩، ٢٢٩).
(٤) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٨/٣٠٥-٣٠٦).

فحمل معاوية سريره، وقال لابنه عبدالله: أعقبني أي بُنَيّ، فإنك لا تحمل بعده مثله(١). توفي فضالة رضي الله عنه سنة ثلاث وخمسين قاله القاسم بن سلّام(٢). وولد فضالة بن عبيد حُميدًا وأمه أم صفوان بنت خراش بن عبدالله، ومحمد وأمه أمامة بنت ثابت من بني أُنيف بن بليّ من قضاعة، وعبدالله، وعبيدالله، وأم جميلٍ وأمّهم مريم بنت عوف بن قيس بن حارثة. وعمرًا وعيشة لأم ولد. فرضي اللَّه عن أمير البحر وقاضي دمشق الأمير المجاهد فضالة بن عبيدالصحابي الأنصاري الأوسي(٣).

(٤٦٢) عتبة بن ربيعة حليف الأوس رضي الله عنه
أمير من أمراء اليرموك

عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البهراني، حليف الأوس. كذا قال ابن إسحاق(٤).

وقال ابن الكلبي: وهو بهزي من بني بهز بن امرئ القيس بن بُهْثة بن سُليم. حليف بني عصمة.

ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدرًا ومنهم مَنْ لم يذكره فيهم.

شهد اليرموك أميرًا قاله سيف في «الفتوح» قال: وأمّره خالد بن الوليد على بعض الكراديس(٥).

* * *

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق (٣٠٧/٤٨).
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٠١/٧).
(٤) الإصابة (٣٦٠/٤) ت (٥٤١٦).
(٥) الإصابة (٩٣/٥) ت (٦٤٢٤).

(٤٦٣) عمرو بن كُلَيب اليَحْصُبيّ[١] رضي الله عنه

أدرك النبي ﷺ وشهد اليرموك، وهو أحد الأمراء العشرة الذين وجّههم أبو عبيدة من مرج الصُّفَّر إلى فِحْل[٢].

قال ابن حجر في «الإصابة»: وتقدّم غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة انتهى[٣].

* * *

(٤٦٤) عُمَر بن سعيد بن مالك رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة: «ذكر الحسن بن علي الكرابيسي في كتاب أدب القضاء» له أن عمر بن الخطاب ولّاه فيمن ولى على المغازي أيام الفتوح. كذا وجدته غير منسوب. وقد تقدّم أنهم كانوا لا يُؤمِّرون في المغازي إلا الصحابة»[٤].

(٤٦٥) عمارة بن مخش (مخْشي) بن خويْلد رضي الله عنه

قال ابن حجر: «شهد اليرموك، وكان من أمراء الجيوش؛ كذا في التجريد. وسماه عماره بن مخشي. وذكره في القسم الأول أي أنه من الصحابة»[٥].

وقال ابن عساكر: «أدرك النبي ﷺ، وشهد اليرموك، وأُمِّر على بعض الكراديس، ووجّهه أبو عبيدة على جيش إلى فِحْل من مَرْج الصُّفَّر بعد وقعة

---

(١) الإصابة (٤/٥٥٧) ت (٥٩٦٠)، وتاريخ دمشق (٤٦/٣٢٣) ت (٥٣٨٧).

(٢) تاريخ الطبري (٣/٤٣٨) حوادث سنة ١٣هـ.

(٣) الإصابة (٤/٥٥٧).

(٤) الإصابة (٤/٤٨٦) ت (٥٧٥٤).

(٥) الإصابة (٤/٤٨٢) ت (٥٧٤٥).

اليرموك. وقال سيف بن عمر: «وكان في الميمنة - يعني يوم اليرموك - عُمارة بن مخشَّ بن خويْلد على كُرْدُوس».

قال الدارقطني: عُمارة بن مخش بن خويلد كان على كردوس في ميمنة خالد يوم اليرموك. قاله سيف بن عمر، قال: وهو قائد الفوارس العشرة الذين سرّحهم أبو عبيدة إلى فِحْل.

وقال أبو نصر بن ماكولا: أما مَخشّ بتشديد الشين من غير ياء فهو عمارة بن مخشّ ابن خويلد، ذكر سيف أنه كان على كُرْدوس في ميمنة خالد بن الوليد يوم اليرموك(١).

(٤٦٦) سُهَيْل بن عَدِيّ
فاتح كرمان رضي الله عنه

قال ابن الأثير في «الكامل» في أحداث سنة ٢٣هـ.

«قصد سهيل بن عديّ كرمان، ولحقه أيضًا عبدالله بن عبدالله بن عتبان، وعلى مقدمة سهيل بن عديّ النسير بن عمرو العجلي، وحشد لهم أهل كَرْمان، واستعانوا عليهم بالقُفْص، فاقتتلوا في أدني أرضهم، ففضّ الله - تَعَالَى - المشركين وأخذ المسلمون عليهم الطريق. وقتل النُّسَيْر بن عمرو العجلي مرزبانها، فدخل النسير من قبل طريق الثرى اليوم إلى جِيْرَفْت وعبدالله بن عبدالله من مفازة شير، فأصابوا ما أرادوا من بعير أوْ شاء فقوّموا وعبدالله بن عبدالله من مفازة شير، فأصابوا ما أرادوا من بعير أوْ شاء فقوّموا الإبل والغنم فتحاصوها بالأثمان لعِظم البخت على العراب، وكرهوا أن يزيدوا وكتبوا إلى عمر بذلك فأجابهم إذا رأيتم أنّ في البخت فضلًا فزيدوا»(٢).

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/٣٢٣- ٣٢٤) ت (٥١٣٨).
(٢) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢/٤٤٢).

(٤٦٧) عبداللَّه بن مَسْعَدَة الفزاريّ[١] رضي الله عنه
صاحب الجيوش

هو عبداللَّه بن مَسْعَدْة ـ ويقال: ابن مسعود ـ بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري رضي الله عنه صحابي رسول اللَّه ﷺ. له رؤية من رسول اللَّه ﷺ نسبه ابن عبدالبر فقال: ويقال مسعدة بن مسعود بن قيس.

والأول عبداللَّه بن مسعدة بن حكمة نقله الطبري عن ابن إسحاق.

ويُقال صاحب الجيوش؛ قيل له ذلك لأنه كان يُؤَمَّر على الجيوش في غزو الروم أيام معاوية، وهو من صغار الصحابة، ذكره البغوي وغيره في الصحابة. كان عبداللَّه في سَبْي بني فزاره، فوهبه النبي ﷺ لابنته فاطمة فأعتقته، وكان صغيرًا فتربّى عندها، ثم كان عند عليّ، ثم كان بعد ذلك عند معاوية، وصار أشدّ الناس على عليّ، ثم كان على جند دمشق بعد الحرّة، وبقي إلى خلافة مروان.

وذكر الطبري عن ابن إسحاق في سرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة؛ قال: وأَسِروا عبداللَّه بن مسعدة وأخته، وقُتِل أبوهما مسعدة يومئذ، وأُسِرت أمهما أم قِرفَة، فصارت أخته في سهم سلمة بن الأكوع، ثم استوهبها النبي ﷺ منه، فأعطاها له فوهبها لخاله حَزْن بن أبي وهب فولدت له عبدالرحمن بن حَزْن.

وأما أمّ قرفة فكانت عجوزًا كبيرة، وكانت شديدة على المسلمين، فأمر زيد بن حارثة فُربطت بين بعيرَيْن وأرسلهما حتى شقّاها نصفينْ.

قال خليفة بن خيّاط في تاريخه: قال ابن الكلبي: فيها ـ يعني سنة تسع وأربعين شتّا عبداللَّه بن مسعدة في البرّ ـ يعني بأرض الروم[٢].

وذكر الواقدي أن الذي غزا سنة تسع وأربعين فضالة بن عبيدالأنصاري وقال

---

(١) الإصابة (٤/١٩٦ـ ١٩٨) ت (٤٩٦٨)، وتاريخ دمشق (٣٣/٤٦ـ ٥٠) ت (٣٥٧٢).
(٢) تاريخ خليفة بن خيّاط ص (٢٠٩).

الواقدي: قال مشيخة من أهل الشام: كان سفيان بن عوف قد اتخذ من كل أجناد الشام رجالًا أهل فروسية ونجدة، وعفاف وسياسة للحرب، وكانوا عدّة له قد عرفهم وعُرِفوا به، فسُمِّيَ لنا منهم من أهل فلسطين: الحارث بن عبدالأزدي، وجنادة بن أبي أمية الأزدي، ومن جند الأردن: سعيد بن حمزة بن مالك الهَمْدَاني، وحُبيْش بن دُلْجة القيني، وعبدالله بن قيس بن مشكوح المرادي، ومن أهل دمشق: عبدالله بن مَسْعَدة، وعمرو بن معاوية العقيْلي، وعبدالرحمن بن مسعود الفزاري، وعبدالله بن قُرْط الأزدي الثمالي، وعبدالرحمن بن عَضَاه الأشعري[1].

* * *

(١) تاريخ دمشق (٣٣/٤٩ـ ٥٠).

(٤٦٨) يزيد بن شجَرة بن أبي شجرة الرهاوي[١] رضي الله عنه الأمير الشهيد

هو أبو شجرة يزيد بن شَجَرة بن أبي شجرة الرهاوي، من الرُّهاء بن منبه بن حرب بن عُلَّة بن جلد بن مالك بن أدد.

مختلف في صحبته: قال عباس الدُّوري عن ابن معين: له صحبة، وكذا قال النجاري[٢].

وقال ابن أبي حاتم: يُقال له صحبة، سمعت أبي يقول ذلك[٣] وذكره البغوي في كتاب أسماء الصحابة. وقال ابن حبّان: يُقال له صحبة.

وقال ابن منده: قال بعضهم له صحبة ولا يثبت، وقال أبو زرعة: ليست له صحبة صحيحة.

وقال خليفة بن خيّاط: استُشهِد ببلاد الروم وهو أمير على جيش سنة ثمان وخمسين[٤].

وقال ابن عساكر: قتَلته الروم في البحر[٥].

وقال ابن سعد: قُتِل هو وأصحابه في البحر سنة ثمان وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان[٦].

وعن مجاهد قال: كان يزيد بن شجرة مما يذكِّرنا يبكي، وكانَ يصدق بكاءه بفعله، وكان يقول: يا أيها الناس، اذكروا نعمة اللَّه عليكم، ما أحسن أثر نعمة اللَّه

---

(١) أسد الغابة ت (٥٥٦٤)، والاستيعاب ت (٢٨١٨)، وطبقات ابن سعد (٤٤٦)، وتاريخ خليفة (١٩٨)، والإصابة (٦/٥٢٠) ت (٩٢٩٣)، وتاريخ دمشق (٦٥/٢٢٠) ت (٨٢٨٨).

(٢) انظر: الإصابة (٦/٥٢٠)، وتاريخ ابن عساكر (٦٥/٢٢٤).

(٣) الجرح والتعديل (٩/٢٧٠).

(٤) راجع طبقات خليفة بن خيّاط ص (١٣٧) رقم (٥٠٠)، وتاريخ دمشق (٦٥/٢٢٣).

(٥)، (٦) تاريخ دمشق (٦٥/٢٢٤).

عليكم، لو ترون ما أرى من بين أحمر وأصفر وأبيض وأسود، وفي الرِّحَال ما فيها، إن الصلاة إذا أُقيمت فُتِحت أبواب السماء، وأبواب الجنة، وأبواب النار، وإذا التقى الصفّان فُتِحت أبواب السماء، وأبواب الجنة، وأبواب النار، وزُيِّن الحور العين، فيطّلعن، فإذا أقبل الرجل بوجهه قلن: اللهم أعِنْه، اللَّهم ثبّته، وإذا أدبر احتجبن عنه، وقلن اللهم اغفر له، فأنهكوا وجوه القوم، فدًا لكم أبي وأمي، ولا تخزوا الحور العين، وتنزل إليه اثنتان فتمسحان عن وجهه التراب، يقولان: قد أنى لَكَ، ويقول: قد أنى لكما. ثم يُكسى مئةَ حُلّة، ليس من نسج بني آدم، ولكن من نبت الجنة، لو وُضِعْنَ بين أصبعين لوسعن» وكان يقول: «نُبِّئت أن السيوف مفاتيح الجنة»[1].

وعند البيهقي «فإن أول قطرة تقطر من دم أحدكم يحطُّ اللَّه منه بها خطاياه كما يحط الغصن من ورق الشجر، وتبتدره اثنتان من الحور العين، ويمسحان التراب عن وجهه؛ ويقولان: قد أنى لك، ويقول: قد أنى لكما. فيُكس مئة حلة، لو وُضِعت بين إصبعي هاتين لوسعتاهما، ليست من نسج بني آدم، ولكنها من نبات الجنة، مكتوبون عند اللَّه بأسمائكم وسماتكم» الحديث.

وعن مجاهد عن يزيد بن شجرة قال: كان يزيد بن شجرة رجلًا من زُهاء وكان معاوية يستعمله على الجيوش فخطبنا يومًا فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس، اذكروا نعمة اللَّه عليكم، ما أحسن أثر نعمة اللَّه عليكم، لو ترَوْن ما أرى من بين أحمر وأصفر، ومن كل لون، وفي الرِّحال ما فيها، إنه إذا أُقيمت الصلاة فُتِحت أبواب السماء، وأبواب الجنة وأبواب النار، فإذا التقى الصفّان فُتِحت أبواب السماء وأبواب الجنة وأبواب النار، وزُيِّن الحور العين فيطلعن، فإذا أقبل أحدكم بوجهه إلى القتال قلن: اللهم ثبته، اللهم انصره، وإذا أدبر احتجبن عنه

(١) «صحيح» رواه الطبراني من طريقين إحداهما جيدة صحيحة، والبيهقي في «كتاب البعث»، ورواه البزار والطبراني أيضًا عن يزيد بن شجرة مرفوعًا مختصرًا، وعن جدار - صحابي - أيضًا مرفوعًا، والصحيح الموقوف، وله حكم الرفَع، فإن مثل هذا لا يُقال من قبل الرأي، فسبيل الموقوف فيه سبيل المرفوع، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٧٢)، وصحيح الترغيب (١٣٧٧).

وقلن: اللهم اغفر له، فأنهكوا وجوه القوم: فداءً لكم أبي وأمي، فإن أول قطرة تقطر من دم أحدكم يحطّ اللَّه بها عنه خطاياه كما يحطُّ الغصن من ورق الشجر، وتبتدره اثنتان من حور العين، وتمسحان التراب عن وجهه، وتقولان: قد أنى لك، ويقول: قد أنى لكما، فيكس مئة حلة، لو وضعت بين أصبعي هاتين لوسعتاهما، ليست من نسج بني آدم، ولكنها من ثياب الجنة، إنكم مكتوبون عند اللَّه بأسمائكم وبسمَاتكم ونجواكم وخلالكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان، هذا نورك، يا فلان لا نور لك.

وإن لجهنم لجُبابًا، في كل جُبٍّ ساحلًا كساحل البحر، فيه هوامٌ وحيّات كالبخاتي[1]، وعقارب كالبغال الدُّلْم[2]، فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل: اخرجوا إلى الساحل، فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وما شاء اللَّه من ذلك فتكشطها، فيرجعون، فيبادرون إلى معظم النيران، ويُسَلّط عليهم الجرَب، حتى إن أحدهم ليَحُكُّ جلده حتى يبدو العظم، فيُقال: يا فلان! هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيُقال له: ذلك بما كنت تُؤذي المؤمنين»[3].

وقال خليفة بن خياط: «وفيها - يعني سنة خمس وخمسين - غزا يزيد بن شجره الرّهَاوي، فقُتِل، وقال بعضهم لم يُقتل في هذه الغزاة، قُتِل بعد ذلك[4] وقال خليفة ابن خيّاط: «وفيها - يعني سنة ثمان وخمسين - غزا يزيد بن شجرة الرّهاوي فأصيب هو وأصحابه»[5].

---

(١) البخاتي جمع «بُخت»: وهي جمال طِوَال الأعناق.

(٢) أي: السود؛ جمع أدْلم.

(٣) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا، وابن عساكر في تاريخه واللفظ له (٦٥/٢٣٠- ٢٣١)، والحاكم في المستدرك (٣/٤٩٤)، والبيهقي في «البعث» (٢٩٨- ٢٩٩)، بسند صحيح موقوف قاله الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» رقم (٣٦٧٧).

(٤) تاريخ خليفة بن خيّاط

(٥) تاريخ خليفة بن خيّاط ص (٢٢٥).

وذكر ابن الأثير في «الكامل» في أحداث سنة ست وخمسين؛ قال: «قيل: غزا فيها في البحر يزيد بن شجرة وفي البرّ عياض بن الحارث» فرضي اللَّه عن الشهيد الصحابي: يزيد بن شجرة الرهاوي.

❊ ❊ ❊

(٤٦٩) جنادة بن أبي أمية الأزدي
أمير البحار رضي الله عنه

جنادة بن أبي أمية الدوسي الأزدي. واسم أبي أمية كبير، قال ابن ماكولا: أما كبير بفتح الكاف وكسر الباء المعجمة بواحدة(١)، ولكبير صحبة وقيل ليحيى بن معين: جنادة بن أبي أمية الذي روى عنه مجاهد له صحبة؟ قال: نعم جُنادة بن أبي أمية الأزدي.. فقال إبراهيم بن الجنيد ليحيى: هو الذي يروي عن عبادة بن الصامت قال: هو هو(٢).

وعدّه أحمد بن حنبل، وابن سعد ويعقوب ابن سفيان، وابن جرير وابن منده من كبار التابعين وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: جنادة الأزدي له صحبة(٣).

وقال أبو سعيد بن يونس: جنادة بن أبي أمية الأزدي ثم الزهراني من بني زهران كان من أصحاب رسول الله ﷺ شهد فتح مصر، وولى البحر لمعاوية بن أبي سفيان.

وذكر له ابن حجر في الإصابة حديثين له ثم قال: وهذان الخبران الأوّلان صحيحان دالّان على صحة صحبته(٤).

قال الواقدي: كان ثقة، صاحب غزو.

وعن جُنادة قال: كان جنادة بن أبي أمية غزّاءً في البحر.

وعن جنادة بن أبي أمية الأزدي: أن معاوية كتب إليه يأمره بالغارة على جزيرة بالبحر بمن معه وذلك في الشتاء بعد إغلاق البحر، فقال جُنادة: اللهم إن الطاعة

---

(١) الإكمال لابن ماكولا (١٢٥/٧، ١٢٦).

(٢) تاريخ ابن عساكر (٢٩٤/١١)، وتهذيب التهذيب (٣٩٣/١).

(٣) الإصابة (٦٠٨/١) ت (١٢٠٤)، وانظر أسد الغابة ت (٧٩١)، وطبقات ابن سعد (٤٣٩/٧)، وسير أعلام النبلاء (٦٢/٤)، والبداية والنهاية (٢٦/٩).

(٤) الإصابة (٦٠٨/١).

عليّ وعلى هذا البحر، اللهم إنيّ أسألك أن تُسكّنه وتسيّرنا فيه، فزعموا أنه ما أصيب أحد فيه(١).

ونقل ابن عساكر بسنده أنه في سنة تسع وخمسين شتّى جنادة بن أبي أمية بالناس في أرض الروم.

وقال الليث: في سنة ست وخمسين غزوة عابس بن سعيد ومالك بن عبدالله الخثعمي اصطاذنة(٢) جَعَلا عابس على أهل مصر، وجنادة بن أبي أمية على أهل الشام، ومالك بن عبدالله على الجماعة، شتوا بأقريطية(٣) سنة الجوع من بعد مرجعهم من اصطاذنة، وفي سنة تسع وخمسين غزوة جنادة بن أبي أمية هو وعلقمة بن جنادة الحجري وعلقمة بن الأحثم رُوْدُس(٤).

قال خليفة بن خيّاط: وولّى معاوية سفيان بن عوف العامري يعني غزو الروم فكان سفيان يخرج على البر ويستخلف على البحر جنادة بن أبي أمية فلم يزل كذلك حتى مات سفيان(٥).

❑ الفاتح

قال الحافظ ابن كثير عن فتح جزيرة رودس في رمضان سنة ٥٣هـ: «افتتح المسلمون وعليهم جنادة بن أبي أمية جزيرة رودس، وأقام بها طائفة من المسلمين كانوا أشدّ شيء على الكفّار يعترضون لهم في البحر ويقطعون سبيلهم»(٦) وكان

---

(١) تاريخ دمشق (٢٩٧/١١).

(٢) اصطاذنة: ناحية بالمغرب، قال يا قوت: غزاها عابس بن سعد، وجّهه مسلمة بن مخلد أمير مصر من قِبَل معاوية إليها قبيل سنة ٥٧هـ.

(٣) كذا، وفي معجم البلدان «أقريطش بفتيح الهمزة وتُكسر، اسم جزيرة في بحر المغرب يقابلها من بر أفريقيا لوبيا. قال أحمد بن يحيى بن جابر: غزا جنادة بن أبي أمية الأزدي بعد فتحه جزيرة أرواد في سنة (٥٤) في أيام معاوية، ثم غزا أقريطش.

(٤) رودس: جزيرة ببلاد الروم (انظر معجم البلدان).

(٥) تاريخ دمشق (٢٩٨/١١).

(٦) البداية والنهاية (٦٣/٨)، والكامل (٥٣/٣).

العدو قد خافهم.

قال جنادة لمعاوية: إنما أنا سهم من كنانتك فارم بي حيث شئت[١].

قال ابن الأثير في «**الكامل**» في أحداث سنة أربع وخمسين: وفيها فتح المسلمون ومقدمهم جنادة بن أبي أمية جزيرة «**أرواد**» قريب القسطنطينية فأقاموا بها سبع سنين وكان معهم مجاهد بن جبر، فلما مات معاوية وولى ابنه يزيد أمرهم بالعودة فعادوا»[٢].

ثم قال «ثم دخلت سنة ست وخمسين فيها كان مشتى جنادة بن أبي أمية بأرض الروم»[٣] ثم قال «**ثم دخلت سنة ثمان وخمسين .. في هذه السنة غزا مالك بن عبدالله الخثعمي أرض الروم، وعمرو بن يزيد الجهني في البحر، وقيل: جنادة بن أبي أمية**»[٤].

وقال: «ثم دخلت سنة تسع وخمسين في هذه السنة كان مشتى عمرو بن مرة الجهني بأرض الروم في البر، وغزا في البحر جنادة بن أبي أمية، وقيل: لم يكن في البحر غزوة في هذه السنة»[٥].

قال يحيى بن معين: مات جنادة بن أبي أمية سنة خمس وسبعين. وقال خليفة بن خيّاط سنة ثمانين. وقال الهيثم: مات جنادة في أول ما قام عبدالملك سنة سبع وسبعين[٦].

فرحم الله ورضي عن أمير البحر الصحابي المجاهد الفاتح جنادة بن أبي أمية.

* * *

(١) تاريخ دمشق (٢٩٧/١١).
(٢) الكامل (٣٤٤/٣).
(٣) الكامل (٣٤٩/٣).
(٤) الكامل (٣٥٨/٣).
(٥) الكامل (٣٦٣/٣).
(٦) تاريخ دمشق (٢٩٩/١١)، وتاريخ خليفة بن خياط ص (٢٨٠).

(٤٧٠) الأمير الكبير .. وفارس اليمن أبو حسّان قيس بن مكشوح رضي الله عنه

هو أبو حسّان المرادي قيْس بن هُبيرة المَكْشوح بن عبد يغوث بن الغُزَيِّل بن سلمة بن بدا بن عامر بن عوثبان بن زاهر بن مراد، يُكنى أبا شدّاد وأبا حسّان. واختلف في اسم أبيه، فقيل: عبد يغوث، وقيل: هبيرة بن هلال. وهو الأكثر، وقيل اسمه: عبديغوث بن هبيرة بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن الأحمس بن أنمار بن إراش بن عمرو بن عبد الغوث البجلي حليف مراد، قاله أبو عمر.

وقال ابن الكلبي: قيس بن المكشوح، واسمه هبيرة بن عبد يغوث بن الغُزَيِّل بن بدا بن عامر بن عوتبان بن زاهر بن مراد فجعله من مراد صُلَبِيَّة[1] قال ابن الكلبي: قيل له المكشوح؛ لأنه ضُرِب على كشحه أو كُوِي.

قال ابن عبدالبر: قيل لا صحبة له. وقيل بل له صحبة باللقاء والرؤية، ومن قال لا صحبة له قال: إنه لم يسلم إلا في أيام أبي بكر، وقيل عمر؛ قال: قال: وهو أحد الصحابة الذين شهدوا فتح نهاوند، وله ذكر صالح في الفتوحات وقال ابن حجر أيضًا: واختُلِف في صحبته، وقيل: إنه لم يسلم إلّا في خلافة أبي بكر، لكنهم ذكروا أنه كان ممن أعان على قتل الأسود العَنْسي الذي ادّعى النبوة باليمن، فهذا يدل على أنه أسلم في عهد النبي ﷺ.

قال عنه الذهبي: «الأمير أبو حسّان المرادي، من وجوه العرب الموصوفين بالشجاعة، وكان ممن أعان على قتل الأسود العنسي، وقُلِعت عينه يوم اليرموك.

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/٥٢٥)، وأسد الغابة ت (٤٤٠٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/٦٤)، وتاريخ دمشق ت (٥٧٦٧)، وسير أعلام النبلاء (٣/٥٢٠)، والاستيعاب بهامش الإصابة (٣/٢٤٤)، والإصابة ت(٧٣٢٨)، وت (٧٢٥٤)، ت (٧٣٣٢).

وكان ذا رأي في الحرب ونجدة. وكان من أمراء عليّ بصِفِّين، فقُتِل يومئذ»[(١)].

كان سيد مراد وفارس مذجح، وهو ممن أعان على قتل الأسود.

قال ابن الأثير: «وهو الذي أعان على قتل الأسود العنسي مع فيروز، فقتْله الأسود يدل على إسلامه في حياة رسول اللَّه ﷺ. وكان فارس مَذْجح غير مدافعٍ، وسار إلى العراق على مقدمة سعد بن أبي وقاص، وله آثار صالحة في قتال الفرس بالقادسية وغيرها، وشهد مع النعمان بن مُقَرِّن نهاوند، ثم قُتِل بصِفِّين مع علي، وكان فارسًا بطلًا شاعرًا، وهو ابن أخت عمرو بن معد يكرب وكان يناقضه في الجاهلية، وكانا في الإسلام متباغضينْ، وهو القائل لعمرو بن معد يكرب.

فلو لاقَيْتني لاقَيْتَ قَرْنًا ... ووَدَّعْتَ الحبائب بالسَّلَام

وكان سبب قتله أن بجيلة قالوا له: يا أبا شدّاد، خذْ رايتنا اليوم. فقال: غيري خير لكم! قالوا: ما نريد غيرك! قال: فواللَّه لئن أخذتها لأنتهى بكم دون صاحب الترس المذهب، وكان الترس مع رجل على رأس معاوية، فأخذ الراية وحمل وقاتل، حتى وصل إلى صاحب الترس، فحمل قيس عليه، فاعترضه رومي لمعاوية، فضرب رجله فقطعها، وقتله قيس، وأُشرعت إليه الرِّماح فقُتِل»[(٢)].

وكان ممن ارتد عن الإسلام باليمن، وقتل داذويه الفارسي، وطلب فيروز ليقتله ففرّ منه إلى خولان.

وقالوا: أقبل قيس مستخفيًا حتى دخل على المهاجر بن أبي أمية على غير أمان، فأوثقه المهاجر وأوثق عمرو بن معد يكرب وكتب بحالهما إلى أبي بكر وبعث بهما إليه وقال:

رأيتُ أبا ثورٍ وعَمْرًا كلاهما ... يعالج ذُلًّا ضارعًا وحجولا

فقدم بهما على أبي بكر فقال: يا قيْس أَعَدَوْتَ على عباد اللَّه فقتلتهم، وتتّخذ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٥٢٠).

(٢) أسد الغابة (٤/٤٢٦).

المرتدين وليجة من دون المؤمنين، وهَمّ بقتله لو وجد أمرًا جليًّا، وانْتقى قيْس من أن يكون قارفًا من أمر داذويه شيئًا، وكان ذلك عملًا عمل في سرّ لم يكن به بيّنة، فتجافى له عن دمه، وقال لعمرو بن معد يكرب: أما تخزي أنك في كل يوم مهزوم أو مأسور، لو نصرت هذا الدين لرفعك اللَّه جل وعزّ ثم خلّى سبيله وردّهما إلى عشائرهما، وقال عمرو: لا جَرَم، لأقبلنَّ ثم لا أعود[1] وكان عمر ﵁ إذا بعث قيس في الجيوش يأمر أن يُشاور ولا يُجعل له عقد أمر، ويقول: إن له علمًا بالحرب، وهو غير مأمون فهذا حديثه.

وأوصى أبو بكر أبا عبيدة بقيس بن هُبيرة بن مشكوح المرادي وقال: إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف، فارس من فرسان العرب، لا أظنّ له حسنة، ولا عظيم نيّة في الجهاد، وليس بالمسلمين غناء عن رأيه ومشورته وبأسه في الحرب، فادنه وألطفه وأره أنك عنه غير مستغن، فإنك مستخرج بذلك نصيحته وجهده، وجدّه على عدوّك، ودعا أبو بكر قيْس بن هبيرة بعدما مضى أبو عبيدة فقال: إني قد بعثتك مع أبي عبيدة الأمين الذي إذا ظُلِم لم يظلم، وإذا أسيء إليه غفر، وإذا قطع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، فلا تعصه، فإنه لن يأمرك إلا بخير، وقد أمرته أن يسمع منك فلا تأمره إلا بتقوى الله، وقد كنا نسمع أنك سائس حرب، وذلك في زمان الشرك والجاهلية الجهلاء، ليس فيها إلا الإثم والكفر، فاجعل بأسك اليوم في الإسلام على من كفر باللَّه وعبد غيره، فقد جعل اللَّه لك فيه الأجر العظيم والعزّ للمؤمنين، قال: فقال له قَيْس: إنْ بقيتَ وبقيتُ لك فسيبلغَك من حيطتي على المسلم، وجهادي المشرك ما يسرّك ويرضيك، فقال أبو بكر: مثلك فعل هذا، فلما بلغه مبارزة البطريقين بالجابية وقتله إياهما قال: صَدَق قيْس ووفَّى[2].

---

(١) تاريخ دمشق (٤٩/٤٩٤).
(٢) تاريخ دمشق (٤٩/٤٩٦).

● قيس بن هبيرة المرادي قائد ميْمنةِ الفرسان في «فحل» وبطلٌ من اليرموك:

كان هذا البطل من سلاح الفرسان، وقائد ميمنة الفرسان في قوات خالد في معركة «**فِحْل**».

حمل على ميْسرة الروم، فقصف بعضهم على بعضٍ، وقد تكسّرتْ في يد قيْس يومئذٍ ثلاثةُ أسيافٍ وبضعة عشر رمحًا، وكان يقاتل وهو يقول:

لا يَبْعُدَنَّ كل فتى كَرَّارِ ماضي الجَنَانِ خشنٍ صبّارِ
حبوتُهُم بالخيْل والإدبار يَقْدُمُ إِقْدَامَ الشجاعِ الضَّاري[1]

● أين تدعون الجنة... وتأتون قرحًا والحِجْر؟!

قبْل اليرموك أشار رجلٌ على أبي عبيدة بالرجوع، وقال: أما إنك لو خرجت حتى تنزل قرحًا والحِجْر، وانتظرنا مَدَدَنا هناك لكانَ منزلًا. وقد كانت قرحٌ وحِجْر ثمود إلى الوراءِ كثيرًا قريبًا مِن المدينة. فقال قيْس ابن هُبيرة: لا ردّنا اللهُ إذنْ إليها إن خرجنا لهم عن الشام أكثر مما خرجنا لهم عنه.. أتدعون هذه العيون المتفجرة والأنهار المطَّردة والزروع والأعناب والخُمُر والذهب والفضة والحرير وترجعون إلى أكل الضِّباب، ولُبْس العناء، والبؤْس والشقاء، وتزعمون أن قتيلنا يدخل الجنة ويصيب نعيمًا لا يشاكله نعيم! فأين تدعون الجنة وتهربون منها وتزهدون فيها، وتأتون قرحًا والحِجْر؟! لا صحب اللهُ مَن سار إليها ولا حفظه. قال أبو عبيدة: الحقُّ ما قُلت يا قيْس، أتريدون أن يرجعوا إلى بلادكم وتدَعُوا لهؤلاء القوم حصونًا وديارًا وأموالًا قد فتحها اللّه عليكم ونزعها من أيديهم، ثم تدعونها وتخرجون منها، وترجعون إليها ثانية تقاتلونهم عليها، وقد كفاكم اللّه مُؤْنة نزْعها من أيديهم. هذا واللّه رأي مضلل.

قال خالد: جزاك اللّه خيرًا يا قيْس؛ رأيك موافقٌ لرأيي، ولسنا ـ واللّه ـ بمرتحِلين

---

(١) الطريق إلى دمشق ص (٣٣٥).

ولا زائلين من هذه البلاد حتى يحكم اللَّه بيننا، وهو خير الحاكمين. وقال ميسرة بن مسروق: فقال لأبي عبيدة: أصلحك الله، لا تبرح مكانك الذي أنت فيه وتوكل على الله، وقاتل عدوَّك؛ فواللَّه إني لأرجو أن ينصرك اللَّه عليهم. عَلَام تدعُ لهم البلاد وقد قاتلناهم عليها حتى نفيْناهم عنها، وقتلنا عنها، وقتلنا بطارقتهم وفرسانهم فيها يوم أجنادين ويوم فحل؟! قال أبو عبيدة: لستُ بارحًا وقد ولّيْتُ خالد بن الوليد ما خلْف بابي، وأنا معكم لا أبرح الأرض حتى يحكم اللَّه بيننا، وهو خيرُ الحاكمين.

لله دَرُّك قيْسُ مِن مشمِّر للجنة مُرَغِّب فيها!

وقبل معركة اليرموك، لما أراد الرومُ منعْ التموين عن المسلمين الذي يأتي إليهم من الأردن نازلهم خالدٌ في ألْفي فارس، وكان على خيْلِهِ قيس بن هبيرة، فحمل قيسٌ على خيولِ الروم واقتتلوا اقتتالًا شديدًا، وحمَل قيسٌ في خَيْل المسلمين على خيلهم فهزمها، حتى اضطرها إلى الرَّجَّالة[1] الذين مع خالد.. وقال قيْس لرجلٍ من بني نُمير مرّ به البطريق ـ قائد قوات الروم ـ يركُض منهزمًا: يا أخا بني نُمير، لا يفوتنَّك البطريق؛ فإني واللَّه قد كددتُ فرسي على هذا العدو من هذا اليوم، حتى ما عند فرسي مِن جري. فحمل عليه النميري فركضَ في أثره ساعةً، ثم إنه أدركه.

فلما رأى البطريق أنه قد غشيه وأحرجه عطف عليه البطريق، فاضطربا بسيْفيْهما، فلم يصنع السيفانِ شيئًا، واعتنق كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه، ووقعا على الأرض فاعتركا ساعةً، ثم صرعه النميريُّ، ووقع النميريُّ على صدْر البطريق فضمَّه البطريق إليه، وكان مثل الأسد، فجعل النميري لا يستطيع أن يتحرك، وبصُر بهما قَيْسٌ فجاء حتى وقف عليهما، فقال: يا أخا بني نُميرٍ، قتلتَ الرجلَ إن شاء الله؟ قال: لا، واللهِ ما أستطيع أن أتحرك ولا أضربه بشيءٍ، ولقد ضمّني بفخذِهِ وأمسك يديَّ بيديْه. فنزل إليه قيسٌ فضربه فقطع إحدى يديْه ثم تركه وانطلق،

(١) الأزدي ص (١٧١).

وقال للنميريّ: وشأنك به. وقام النميري فضربه بسيفه حتى قتله، ومرّ به خالد بن الوليد فقال له: ما هذا يا قيس، ومَن قتله؟ فقال له قيس: قتله هذا النميري. ولم يخبْره بما صنع هو[1].

● في اليرموك:

«وفي اليرموك كان لبطلنا الدورُ الرائع الذي زلزل قلوبَ الروم.. فقد خرج الروم وصفُّوا صفوفهم، ورفعوا راياتهم، وخرجوا بالصُّلبان ومعهم القسيِّسون والرهبان والبطارقة، وأخرجوا إلى المسلمين خيلًا أضعافَ خيل المسلمين، فلما تدانتْ خيلُهم من خيل خالد خرج بطريق من بطارقتهم وشُجعانهم يتعرض لخيل المسلمين ويطلب المبارزة، فقال خالد: أما لهذا رجل يخرج إليه؟ فأراد ميْسرة بن مسروق أن يخرج إليه، فقال له خالد: أنت شيخ كبيرٌ وهذا الرومي شابٌّ، ولا أحب أن تخرج إليه. وأراد عمرو ابن الطفيل أن يخرج إليه، فقال له خالدٌ: يا ابن أخي، أنت غلامٌ حديثُ السِّنِّ؛ وأخاف ألا تقوى عليه. وأراد الحارث الأزدي أن يخرج إليه، ولم يكن بارَزَ رجلًا قطُّ قبلَه، فقال له خالد: فلا تخرج إليه. قال قيْسُ ابن هبيرة: يا خالد، كأنك عليّ تحوّط؟ قال له: أجَل، فإني أرجو إنْ أنت خرجتَ إليه أنْ تقتله؛ فإنْ أنت لم تخرج إليه لأخرجنَّ أنا إليه. وخرج قيسٌ وهو يقول:

سائِلْ نساءَ الحيِّ في حِجَالِهَا ... ألستُ يومَ الحربِ مِن أبطالِهَا
ومُقَعِّص[2] الأقْرَانِ مِن رجالها

فلمّا دنا منه ضرب الروميُّ فرسه وحمل عليه، فما لبث أن ضربه بالسيف على هامته فقطع ما عليه من السلاح (المغفر)، وفلق هامته وسقط الروميُّ أمامَ فرسه قتيلا، وكبّر المسلمون. صاح خالد: ما بعد ما ترون إلّا الفتح، احملْ عليهم يا قيس»[3].

---

(١) الطريق إلى دمشق ص (٤٤٠).
(٢) مُقَعِّص: مُقَتِّل.
(٣) الطريق إلى دمشق ص (٤٥١).

لله دَرُّكَ يا قيس، تفلق هامة البطريق العملاق الجسيم - ذي المنظر والمهابة - ومغفرَة بضربةٍ واحدةٍ أمام مئتي ألفٍ من الروم.. وقيسٌ نفسُه هو الذي يأمره خالد بالحمل على الروم؛ لأنه الآن صاحب الرهبة في نفوس الروم، بعد أن جنْدَلَ بطَلَهم بضربةٍ واحدةٍ.

وقال بطلنا قيس بن المكشوح:

جلبت الخيل بالأبطال تردى	بكلّ مَذْحَجِ كالليث حامِ
إلى وادي القرى قد ثار كلبٌ	إلى اليرموك بالبلد الشامِ
وحين القادسية بعدَ شهرٍ	مسوّمة دوائرها دوامِي
يناهضنا هنالك جمع كسرى	وأبناء المرازبة الكِرَام
فلما أن رأيتُ الخيل حالت	قصدتُ لموقف الملك الهمامِ
فأضرب رأسه فهوى صريعًا	بسيف لا أفل ولا كهام[1]

وكان قيس بن المكشوح قائدًا من قادة الجيش الذي سار بعد اليرموك من الشام إلى العراق وشارك في معركة القادسية وكان على رأس هذا الجيش هاشم المِقال.

عن أبي كمران الحسن بن عقبة أن قيس بن المكشوح قال مدقمة من الشام مع هاشم، وقام فيمن يليه فقال: يا معشر العرب، إن اللَّه - تَعَالَى - قد مَنّ عليكم بالإسلام، وأكرمكم بمحمد ﷺ، فأصبحتم بنعمة اللَّه إخوانًا، دعوتكم واحدة، وأمركم واحد بعد إذْ أنتم يعدو بعضكم على بعض عَدْوَ الأَسَدِ، ويخطف بعضكم بعضًا اختطاف الذئاب، فانصروا اللَّه ينصركم، وتنجّزوا من اللَّه فتح فارس، فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز اللَّه لهم فتح الشام وانتشال القصور الحمر والحصون الحمر[2].

وقال قيس بن هبيرة الأسدي للرجال يوم القادسية: أيها الناس، احمدوا اللَّه

(١) تاريخ دمشق (٤٩/٤٨٣).
(٢) تاريخ دمشق (٤٩/٤٩٧).

على ما هداكم له، وأبلاكم يزدْكم، واذكروا آلاء اللَّه ورغبوا إليه في عاداته، فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم، وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القفر والظِّرَاب[١] الخُش والفلوات التي لا يقطعها الأدلة.

ولمّا حمى وطيس المعركة بين المسلمين والفرس، وأبلى بنو تميم أحسن البلاء، قام ذي البردين وقيس بن عبد يغوث المرادي (ابن المكشوح) والأشعث بن قيس وعمرو بن معديكرب وعبداللَّه بن ذي السهمين الخثعمي، كلهم في الميسرة، فقالوا: لا يكونن هؤلاء - يعني بني تميم - أجدُّ في أمر اللَّه منكم، ولا يكونن هؤلاء القلْف[٢] - يقصد المجوس - أجرأ على الموت منكم، ولا أسخى أنفسًا عن الدنيا، تنافسوها.

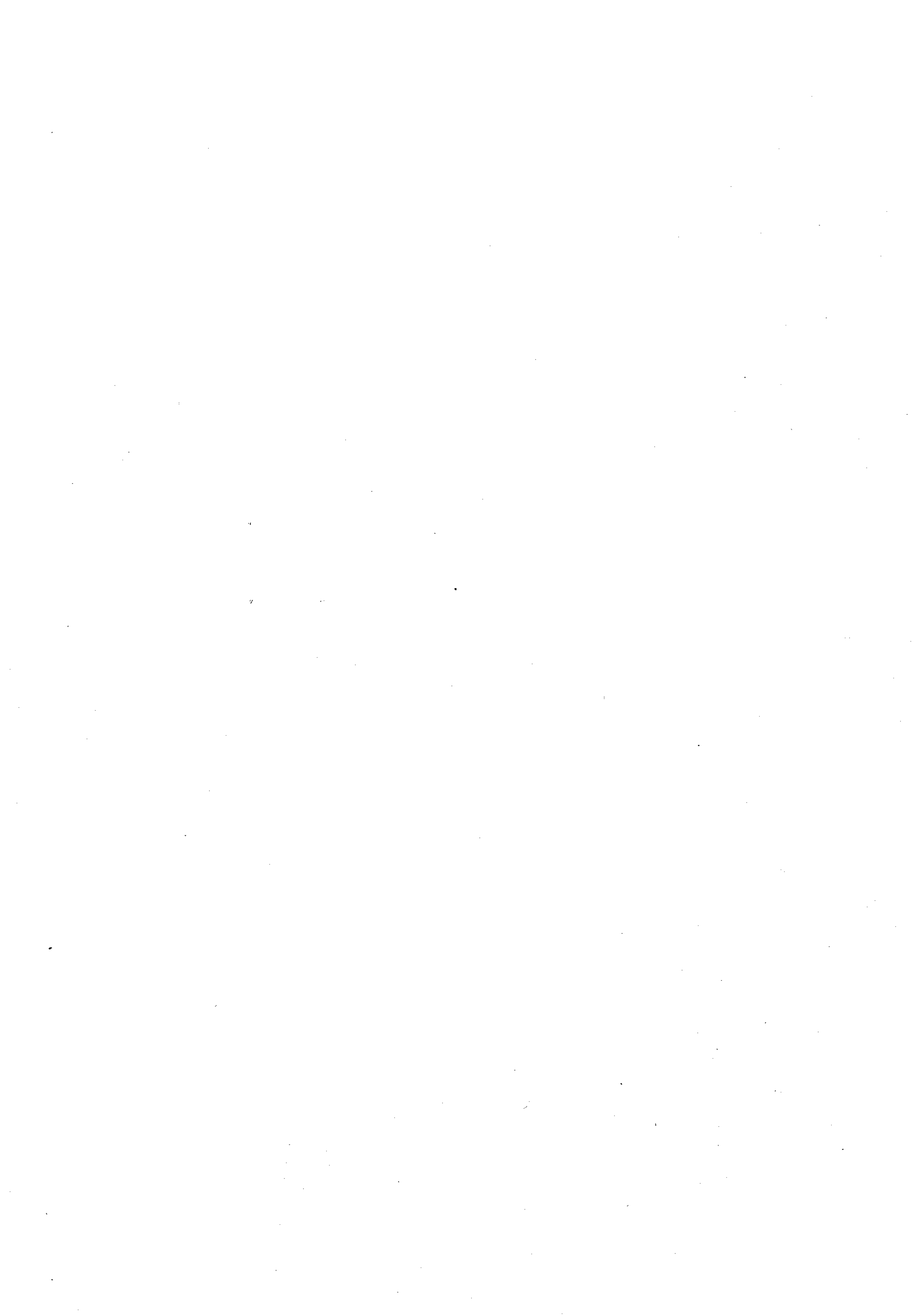
ولقد قاتل قيس بن المكشوح في القادسية قتالًا شديدًا وحرّض أصحابه[٣] وله بها المواقف العظيمة التي لا تنسى والآثار الخالدة وخاصة في يوم عماس وليلة الهرير، فقد خرج قيس بن هبيرة ومسعود بن مالك الأسدي، وعاصم بن عمرو، وابن ذي البردين الهلالي، وابن ذي السهمين، وأشباههم فطاردوا القوم فإذا هم لا يشدّون ولا يريدون غير الزّحف فقدّموا صفوفهم وزاحفهم الناس، وحملوا فيما يليهم وخالطوا من بإزائهم واقتتلوا قتالًا شديدًا[٤].

❋ ❋ ❋

تم بحمد الله المجلد الخامس

(١) الظِّرَاب: جمع ظرب وهي الرابية الصغيرة، والخُشُّ: التَلّ.
(٢) القُلْف: جمع أقلف وهو مَن لم يُختَن.
(٣) الكامل (٢/٣٢٧).
(٤) انظر: الكامل (٢/٣٢٨)، (٣٢٩).


فهرس
الموضوعات



فهرس الموضوعات

للمجلد الخامس من «فرسان النهار

تم بحمد الله تعالى المجلد الخامس من «فرسان النهار»

ويليه المجلد السادس

وأوله :«أهل السعادة والنجابة من شهداء الصحابة»